تفسير

القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد التاسع

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

هذه الآية الكريمة دالة على أن اللَّه تعالىٰ أرحم بعباده من الوالد بولده ؛ لأنه تعالى ينهىٰ عن قتل الأولاد كما أوصىٰ بالأولاد في الميراث ، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ؛ بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته ، فنهىٰ اللَّه تعالىٰ عن ذلك ، فقال : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾ ، أي : خوف أن تفتقروا في ثاني الحال ؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال : ﴿ **نحن نرزقهم وإياكم** ﴾ وقال[١] في [سورة][٢] الأنعام : ﴿ **ولاتقتلوا أولادكم من إملاق** ﴾ أي : من فقر ﴿ **نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن قتلهم كان خِطئًا كبيرًا** ﴾ - أي : ذنبًا عظيمًا .

وقرأ بعضهم : (**كان خَطَأً كبيرًا**) وهو بمعناه وفي الصحيحين(١٥٢) عن عبد اللَّه بن مسعود قلت : يا رسول اللَّه ، أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل للَّه ندًا وهو خلقك** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تزاني بحليلة جارك** »

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عباده عن الزنا ، وعن مقاربته - وهو مخالطة أسبابه ودواعيه - : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة** ﴾ ، أي : ذنبًا عظيمًا ، ﴿ **وساء سبيلًا** ﴾ أي وبئس طريقًا ومسلكًا .

وقد قال الإمام أحمد(١٥٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا [حريز] ، حدثنا سليم بن عامر ، عن أبي أمامة قال : إن[٣] فتىً شابًا أتىٰ [ ][٤] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال :

(١٥٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادًا ....** ﴾ (٤٤٧٧) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١٤١) (٨٦) .

(١٥٣) - أخرجه أحمد (٢٥٦/٥-٢٥٧) . والطبراني في الكبير (٧٦٧٩) (١٩٠/٨) من طريقين عن حريز ابن عثمان به . وله طريق آخر عن أبي أمامة أخرجه الطبراني في الكبير - (٧٧٥٩) (٢١٥/٨) وذكره الهيثمي في المجمع (١٣٤/١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى » .

يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مَهْ مَهْ . فقال : « ادنُهْ » . فدنا منه قريبًا فقال : « **اجلس** » . فجلس ، فقال : « **أتحبه لأمك** » ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** » ، قال : « **أفتحبه لابنتك ؟** » قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لبناتهم** » ، قال : « **أتحبه لأختك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» ، قال : « **أفتحبه لعمتك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لعماتهم** » ، قال : « **أفتحبه لخالتك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : « **ولا الناس يحبونه لخالاتهم** » ، قال : فوضع يده عليه و[١] قال : « **اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه** » . قال : فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء .

وقال ابن أبي الدنيا(١٥٤) : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقية ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له** » .

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين(١٥٥) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » وفي السنن(١٥٦) : « **لزوال الدنيا أهون عند[٢] الله من قتل مسلم** » .

---

(١٥٤) - **إسناده مُرسل ضعيف** ، الهيثم بن مالك تابعي ثقة روى له البخاري في الأدب كما في «التقريب ». وأبو بكر بن أبي مريم مضعف لاختلاطه ، و« بقية » مدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالسماع وأخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى (ص١٩٠) من طريق ابن أبي الدنيا به . عزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٢٥) إلى أحمد ولم أقف عليه عنده والعلم عند الله تعالى . والحديث ضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٥٨٠) (٤/ ٨٢) .

(١٥٥) - تقدم تخريجه [سورة النساء / آية ٩٢] ، [سورة الأنعام / آية ١١] .

(١٥٦) - أخرجه الترمذي - كتاب الديات ، باب : ما جاء في تشديد قتل المؤمن (١٣٩٥) (٤/١٠) . والنسائي - كتاب تحريم الدم ، باب : تعظيم الدم (٧/٨٢) . وفي الكبرى - كتاب المحاربة ، باب : تعظيم الدم - (٣٤٤٨) (٢/٢٨٤) . من طريق ابن أبي عدي عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا ... ذكره وأخرجه الترمذي أيضًا - (١٣٩٥) . والنسائي (٧/٨٢،٨٢-٨٣) وفي الكبرى =

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « على » .

وقوله : ﴿ **ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا** ﴾ أي : سلطة على القاتل ، فإنه بالخيار فيه ؛ إن شاء قتله قودًا ، وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه[١] مجانًا كما ثبتت السنة بذلك(١٥٧) ، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ، ولاية معاوية السلطنة أنه سيملك ؛ لأنه كان ولي عثمان ، وقد قتل عثمان مظلومًا - رضي الله عنه - وكان معاوية يطالب عليًا - رضي الله عنه - أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه[٢] أموي ، وكان عليّ - رضي الله عنه - يستمهله[٣] في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب عليّ من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة ، وأبى أن يبايع عليًا هو وأهل الشام ، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه ، كما تفاءل[٤] ابن عباس واستنبطه[٥] من هذه الآية الكريمة ، وهذا من الأمر العجيب ، وقد روى ذلك الطبراني في معجمه(١٥٨) حيث قال :

حدثنا يحيى بن عبد الباقي ، حدثنا أبو عمير بن النحاس ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن زهدم الجرمي[٦] قال : كنا في سمر ابن عباس فقال : إني محدثكم حديثًا[٧] ليس بسر ولا علانية ، إنه لما كان من أمر[٨] هذا الرجل ما كان - يعني عثمان - قلت لعليّ : اعتزل ، فلو كنت في جحر طُلبتَ حتى تُستخرج فعصاني ، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ **ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه**

= (٣٤٥٠) . من طريق محمد بن جعفر عن شعبة به موقوفًا على عبد الله بن عمرو . وقال الترمذي : « هذا أصح من حديث ابن أبي عدي ... » . قلت : وابن عدي لم ينفرد برفعه فقد تابعه أبو أسامة وهو ثقة . أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٢/٨-٢٣) . وأبو نعيم في الحلية - (٢٧٠/٧) ، لكن قال البيهقي « والموقوف أصح » . وله طريق آخر عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا عند النسائي لكن في إسناده إبراهيم بن مهاجر وليس بالقوي .

(١٥٧) - من ذلك حديث أبي هريرة الطويل . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الديات ، باب : من قتل له قتيل فهو بخير النَّظَرين (٦٨٨٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب الحج ، باب : تحريم مكة وصيدها ... - (٤٤٧) (١٣٥٥) ، وفيه « ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يُودى وإما أن يقاد .... » .

(١٥٨) - أخرجه الطبراني في الكبير - (١٠٦١٣) (٣٢٠/١٠) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٣٩/٧) وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « لا » .
[٣] - في ز: « يستجهله » ، خ : « يستحله » كذا في الأصل .
[٤] - في ز : « يقال » .
[٥] - في ت : « استنبطه » .
[٦] - في ز ، خ : « الحرمي » .
[٧] - في خ : « بحديث » .
[٨] - سقط من : خ .

سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورًا ﴾ الآية ، وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم ، وليقيمن[١] عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك - وأنتم تاركون - كنتم كقرن[٢] من القرون هلك فيمن هلك .

وقوله : **﴿ فلا يسرف في القتل ﴾** قالوا : معناه : فلا يسرف الولى في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل.

وقوله : **﴿ إنه كان منصورًا ﴾** أي : إن الولي منصور على القاتل شرعًا ، وغالبًا قدرًا .

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : **﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن [حتى يبلغ أشده][٣] ﴾** ، أي : لا تتصرفوا له إلا بالغبطة ، [**﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبًا كبيرًا ﴾**][٤] **﴿ ولا تأكلوها[٥] إسرافًا وبدارًا أن يكبروا ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف ﴾** .

وقد جاء في صحيح مسلم(١٥٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : « **يا أبا ذر ؛ إني أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمَّرن على اثنين ، ولا تولينَّ مال يتيم** » . وقوله : **﴿ وأوفوا بالعهد ﴾** أي : الذي تعاهدون عليه الناس ، والعقود التي تعاملونهم بها ؛ فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه **﴿ إن العهد كان مسئولًا ﴾** أي : عنه .

وقوله : **﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم ﴾** أى : من غير تطفيف ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ،

(١٥٩) - **صحيح** ، أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإمارة ، باب : كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٧) (١٨٢٦) . وأبو داود - كتاب الوصايا - باب : ما جاء في الدخول في الوصايا - (٢٨٦٨) . والنسائي - كتاب الوصايا - باب : النهي عن الولاية على مال اليتيم (٦/٢٥٥) عن حديث سالم بن أبي سالم الجيشاني عن أبيه عن أبي ذر فذكره .

[١] - في ز : « وليتمتن » ، خ : « وليمتنن » .
[٢] - في ز ، خ : « قرن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « تأكلوا أموالهم » .

﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ قرئ بضم القاف وكسرها كالقرطاس، وهو: الميزان. وقال مجاهد: هو: العدل بالرومية.

وقوله: ﴿المستقيم﴾ أي: الذي[١] لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب.

﴿ ذلك خير ﴾، أي: لكم في معاشكم ومعادكم؛ ولهذا قال: ﴿ وأحسن تأويلًا ﴾ أي: مآلًا ومنقلبًا في آخرتكم قال سعيد عن قتادة: ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلًا ﴾ أي: خير ثوابًا وعاقبة. [وأخبرنا أن][٢] ابن عباس كان يقول(١٦٠): يا معشر الموالي، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: هذا المكيال وهذا الميزان، قال: وذكر لنا أن نبي[٣] الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: « **لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبدله الله به[٤] في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك** ».

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، يقول: لا تقل.

وقال العوفي عنه: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم، وقال محمد بن الحنفية: يعني: شهادة الزور

وقال قتادة: لا تقل رأيت. ولم تر، وسمعت. ولم تسمع، وعلمت. ولم تعلم؛ فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله.

ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ﴿ **اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ وفي الحديث: « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** »(١٦١).

---

(١٦٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٨٥/١٥) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة أخبرنا أن ابن عباس كان يقول: ... وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » - (٣٢٨/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٦١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب، باب: « ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن ...** ﴾ » (٦٠٦٦). ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب، باب: « تحريم الظن والتجسس والتنافس .. » (٢٨) (٢٥٦٣). وأبو داود - كتاب الأدب، باب: في الظن (٤٩١٧) =

---

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ز: « وأخبرنا »، خ: « وأما ».
[٣] - في خ: « رسول ».
[٤] - سقط من: ز.

وفي سنن أبي داود(١٦٢) : « **بئس مطية الرجل : زعموا** » وفي الحديث الآخر(١٦٣) : «**إن أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا** » وفي الصحيح(١٦٤) : « **من تحلم حلمًا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد** .

وقوله : ﴿**كل أولئك**﴾ ، أي : هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ﴿**كان عنه مسئولاً**﴾ ، أي : سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه وعما عمل فيها ، ويصح استعمال : « أولئك » مكان : « تلك » كما قال الشاعر :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

= من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره .

(١٦٢) - أخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب : « قول الرجل زعموا » - (٤٩٧٢) . والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢) وأحمد في المسند (١١٩/٤) ، (٤٠١/٥) . والطحاوي في مشكل الآثار - (٦٨/١) . وابن المبارك في «الزهد» - (٣٧٧) . والقضاعي في مسند الشهاب - (١٣٣٤،١٣٣٥،١٣٣٦) (٢/ ٢٦٨،٢٦٩) والبغوي في شرح السنة - (٨٨٩٢) (٣٦١/١٢) . من طرق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي مسعود قال : قيل له : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول في زعموا ؟ فذكره . وفي رواية أبي داود - عن أبي قلابة ، قال : قال أبو مسعود لأبي عبد الله ، أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود ... » وقال أبو داود : أبو عبد الله هذا حذيفة . قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩/٢) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأبو قلابة قد صرح بالتحديث في رواية الوليد بن مسلم قال : نا الأوزاعي نا يحيى بن أبي كثير نا أبو قلابة نا أبو عبد الله مرفوعًا به ... وهذا إسناد صحيح متصل بالتحديث وقال أبو داود : « أبو عبد الله هذا حذيفة » . كذا قال الشيخ الألباني مع أن رواية أبي قلابة عن حذيفة (أبي عبد الله) غير متصلة ذكر ذلك العلائي في جامع التحصيل (ت : ٣٦٢) وابن حجر في التهذيب (١٩٨/٥) . بل إن روايته عن أبي مسعود فيها كلام أيضًا . قال ابن حجر - رحمه الله - في « فتح الباري » (٥٥١/١٠) - عند شرحه باب « ما جاء في زعموا » من كتاب الأدب - ح (٦١٥٨) : « قوله (البخاري) باب : « ما جاء في زعموا » كأنه يشير إلى حديث أبي قلابة قال : « قيل لأبي مسعود ... فذكر الحديث ثم قال : أخرجه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ، إلا أن فيه انقطاعًا . وكأن البخاري أشار إلى ضعف هذا الحديث بإخراجه حديث أم هانئ وفيه قولها : زعم ابن أمي . فإن أم هانئ أطلقت ذلك في حق علي ولم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم - والأصل في زعم أنها تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقته ... » وقد نقل الحافظ المنذري في مختصره عن الحافظ أبي القاسم الدمشقي في الأطراف - عدم سماع أبي قلابة من أبي مسعود ، والعلم عند الله تعالى .

(١٦٣) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التعبير ، باب : من كذب في حلمه (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر .

(١٦٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التعبير ، باب : من كذب في حلمه (٧٠٤٢) . أبو داود - كتاب الأدب ، باب : ما جاء في الرؤيا - (٥٠٢٤) . والترمذي - كتاب اللباس ، باب : ما جاء في المصورين - (١٧٥١) . والنسائي - كتاب الزينة ، باب : ما يكلف أصحاب الصور يوم القيامة - (٨/ ٢١٥) . وابن ماجه - كتاب تعبير الرؤيا ، باب : من تحلم حلمًا كاذبًا (٣٩١٦) من طريق أيوب عن=

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

يقول[١] تعالى ناهيًا عباده عن التجبر والتبختر في المشية: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ أي: متبخترًا متمايلًا مشي الجبارين، ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي: لن[٢] تقطع الأرض بمشيتك، قاله ابن جرير، واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجّاج:

* وقاتم الأعماق خاوى[٣] المخترق *

وقوله: ﴿ولن تبلغ الجبال طولًا﴾، أي: بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك؛ بل قد يجازىٰ فاعل ذلك بنقيض قصده، كما ثبت في الصحيح(١٦٥): « بينا رجل يمشي فيمن كان قبلكم، وعليه بردان يتبختر فيهما - إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وكذلك أخبر الله تعالىٰ عن قارون أنه خرج علىٰ قومه في زينته، وأن الله تعالىٰ خسف به وبداره الأرض، وفي الحديث(١٦٦): « من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير، ومن استكبر وضعه الله، فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير[٤]، حتىٰ لهو أبغض إليهم من الكلب و[٥]الخنزير ».

= عكرمة عن ابن عباس فذكره مرفوعًا.

(١٦٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء - (٥٧٨٩). ومسلم في صحيحه - كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم التبختر في المشي، مع إعجابه بثيابه (٤٩، ٥٠) (٢٠٨٨). من طرق عن أبي هريرة مرفوعًا.

(١٦٦) - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٠٧) (١٧٢/٨). وأبو نعيم في الحلية - (١٢٩/٧). والخطيب البغدادي في تاريخه (١١٠/٢). من طريق سعيد بن سلام العطار ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول ... فذكره. وقالوا جميعًا « غريب من حديث الثوري، تفرد به سعيد بن سلام ». قلت: « وهو كذاب كما قال، ابن نمير وأحمد بن حنبل، وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث وقال النسائي وغيره ضعيف [ميزان الاعتدال للذهبي (٣١٩٥) (٢/ ٣٣١). والحديث عزاه الهيثمي في المجمع - (٨٥/٨) إلى الطبراني في الأوسط وقال: في إسناده سعيد بن سلام العطار وهو كذاب. وحديث عمر له طريق آخر عند أبي يعلى (١٨٧/١) وأحمد (٤٤/١)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة » (٢٣٢٨/٥) وفي الباب عن: =

---

[١] - في ز: « قوله ».
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - في ز: « حاوى ».
[٤] - في ز: « صغير ».
[٥] - في ز: « أو ».

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « الخمول والتواضع »(١٦٧) : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن أبي بكر الهذلي قال : بينما نحن مع الحسن ، إذ مرّ عليه ابن الأهيم - يريد المنصور - وعليه جباب خز ، قد نضد بعضها فوق بعض علىٰ ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشي ويتبختر ، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثانٍ عطفه ، مصعر خده ، ينظر في عطفيه ، أيّ حُمَيق [ ][١] ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ، ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر اللَّه فيها ، ولا المؤدي حق اللَّه منها ! واللَّه إن[٢] يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج[٣] تلجلج المجنون ؛ في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة ، فسمعه ابن الأهيم فرجع يعتذر إليه ، فقال : لا تعتذر[٤] إليّ وتب إلىٰ ربك ، أما سمعت قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾.

ورأى البخترى[٥] العابد رجلًا من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته ، فقال له : ياهذا ! إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته ، قال : فتركها الرجل بعدُ .. ورأى ابن عمر(١٦٨) رجلًا يخطر في مشيته فقال : إن للشياطين إخوانا .

وقال خالد بن معدان : إياكم والخَطْر ، فإن الرجل [ ][٦] يده من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا(١٦٩) وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا حماد بن

= ١ - عياض بن حمار .

أخرجه مسلم في صحيحه - (٦٤) (٢٨٦٥) وأبو داود - (٤٨٩٥) . وابن ماجه - (٤١٧٩) ولفظه « وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » .

٢ - حديث أبي هريرة

أخرجه مسلم في صحيحه - (٦٩) - (٢٥٨٨) ٢١٣/٠١٦ . من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا « ما نقصت صدقة من مال : وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

(١٦٧) - أخرجه ابن أبي الدنيا في « الخمول والتواضع » - (٢٣٧) . وأبو بكر الهذلي قيل اسمه سلمى بن عبد الله وقيل روح أخباري متروك الحديث كما في « التقريب » .

(١٦٨) - ذكره السيوطي في الدر المنثور - (٣٣٠/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .

(١٦٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٥٢٥/٦) . من طريق سفيان عن يحيى بن سعيد به .

قلت : وهذا إسناد مرسل صحيح ، ويحنس هو ابن أبي موسى مولى مصعب بن الزبير وثقه =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .

[٢] - في ز ، خ : « أى » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز : « تعذر » .

[٥] - في ز : « البحتري » .

[٦] - في ز ، خ : « بياض بقدر كلمة » .

زيد ، عن يحيىٰ ، عن سعيد ، عن يُحَنس[١] قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا مشت أمتي المطيطاء**[٢] **وخدمتهم فارس والروم ، سلط بعضهم على بعض** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهًا** ﴾ أما من قرأ : ﴿ **سيئة** ﴾ ، أي : فاحشة ، فمعناه عنده : كل هذا الذي نهينا عنه من قوله : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾ إلىٰ هاهنا ، فهو سيئة مؤاخذ عليها ، ﴿ **مكروها** ﴾ : عند اللَّه لايحبه ولا يرضاه .

وأما من قرأ : ﴿ **سيئه** ﴾ علىٰ الإضافة ، فمعناه عنده : كل هذا الذي ذكرناه من قوله : ﴿ **وقضىٰ ربك ألَّا تعبدوا إلا إياه** ﴾ إلىٰ هٰهنا ، فسيئه ، أي : فقبيحه[٣] ، مكروه عند اللَّه ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه اللَّه .

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي

= النسائي والذهبي وابن حجر . وأخرجه الطبراني في الأوسط - (٣٥٨،١٣٢) . عن يُحَنَّس مولى آل الزبير عن أبي هريرة مرفوعًا ذكره . وذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢٤٠/١٠) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن » . لكن في إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ . وأخرجه الترمذي - (٢٢٦١) (٤٥٦/٤) - كتاب الفتن ، باب (٧٤) . وابن المبارك في الزهد رواية نعيم بن حماد - (١٨٧) . والبغوي في شرح السنة - (٤٢٠٠) (٣٩٥/١٤) . والبيهقي في الدلائل - (٥٢٥/٦) وأبو نعيم في أخبار أصبهان - (٣٠٨/١) . والعقيلي في الضعفاء - (١٦٢/٤) ، وابن عدي في الكامل - (٢٣٣٥/٦) . من طريق موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا وفي آخره « سلط الله شرارها على خيارها » . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب » . قلت : موسى بن عبيدة ضعيف لاسيما في عبد الله بن دينار كما قال الحافظ في التقريب لكن أخرجه الترمذي من طريق محمد بن إسماعيل الواسطي . حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا فذكره. وقال : « ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أصل إنما المعروف حديث موسى بن عبيدة ، وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلًا ... » . قال الشيخ الألباني في الصحيحة - (٦٨٠/٢) (٩٥٦) . ..... موسى بن عبيدة ضعيف ، لكن متابعة يحيى بن سعيد ، تشهد لصحة حديثه ، وقول الترمذي : إنه لا أصل له عنه ، أراه مجازفة ظاهرة لأن السند إليه بذلك صحيح ، فإن أبا معاوية ثقة من رجال الشيخين ، ومحمد بن إسماعيل الواسطي ثقة ، كما قال الحافظ ، ومالك كثيرًا ما يرسل ما هو معروف وصله ... » . قلت : وعلى هذا فإن الإسناد المتقدم ، إسناد صحيح لا غبار عليه ولله الحمد وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه - (٦٧١٦) (١١٢/١٥) . وفي الموارد - (١٨٦٤) - (١٠٨/٦-١٠٩) . من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة ، ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبيد سنوطا عن خولة بنت قيس مرفوعًا فذكرته ، ومؤمل بن إسماعيل سيئ الحفظ كما في « التقريب » .

[١] - في خ : « محسن » . [٢] - في ز : « المطيطيا » .

[٣] - في ز ، خ : « قبيحه » .

جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالىٰ : هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا[١] إليك يامحمد لتأمر به الناس .

﴿ **ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقىٰ في جهنم ملومًا** ﴾ ، أي : تلومك نفسك والخلق ، ﴿ **مدحورًا** ﴾ ، [أي : مبعدًا من كل خير][٢] ، قال ابن عباس وقتادة : مطرودًا . والمراد من هذا[٣] الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم .

أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ رادًّا علىٰ المشركين الكاذبين الزاعمين - عليهم لعائن الله - أن الملائكة بنات الله ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ، ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من المقامات[٤] الثلاث [ ][٥] خطأً عظيمًا ، فقال تعالىٰ منكرًا عليهم : ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين** ﴾ ، أي : خصصكم بالذكور ، ﴿ **واتخذ من الملائكة إناثًا** ﴾ ، أي : واختار لنفسه - علىٰ زعمكم - البنات ؟ ! ثم شدد الإنكار عليهم فقال : ﴿ **إنكم لتقولون قولًا عظيمًا** ﴾ ، أي : في زعمكم أن لله ولدًا ، ثم جعْلُكم[٦] ولده الإناث التي تأنفون أن يكنّ لكم ، وربما قتلتموهن بالوأد ، فتلك إذا قسمة ضيزىٰ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدّهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد صرفنا للناس[٧] في هذا القرآن ليذكروا[٨]** ﴾ ، أي[٩] :

---

[١] - في ز : « أوحيناه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « مقامات » .
[٦] - في ز ، خ : « جعلتم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « من كل شيء » ، خ : « من كل مثل » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

صرفنا[١] فيه من الوعيد لعلهم يذكرون مافيه من الحجج، والبينات والمواعظ؛ فينزجروا[٢] عما هم فيه من الشرك والظلم والإفك ﴿ **وما يزيدهم** ﴾ ، أي : الظالمين منهم ، ﴿ **إلا نفورًا** ﴾ ، أي : عن الحق وبعدًا منه .

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين، الزاعمين أن لله شريكًا من خلقه ، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفىٰ : لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه - لكان أولئك المعبودون[٣] يعبدونه، ويتقربون إليه، ويبتغون إليه الوسيلة والقربة ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ، ولا حاجة لكم إلىٰ معبود يكون واسطة بينكم وبينه ؛ فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه ؛ بل يكرهه ويأباه ، وقد نهىٰ عن ذلك علىٰ ألسنة جميع رسله وأنبيائه .

ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يقولون** ﴾ ، أي : هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرىٰ ﴿ **علوًا كبيرًا** ﴾ ، أي : تعاليًا كبيرًا ؛ بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد .

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ : تقدسه السمٰوات السبع والأرض ومن فيهنّ ، أي : من المخلوقات ، وتنزهه وتعظمه، وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون ، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلٰهيته :

ففي كل شيءٍ لَهُ آية تدل علىٰ أنه واحد

كما قال تعالىٰ : ﴿ **تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ .

---

[١] - في ز : « وصرفنا » .

[٢] - في ز ، خ : « فينزجرون » .

[٣] - في ز : « المعبودون » .

وقال أبو القاسم الطبراني(١٧٠) : حدثنا عليّ بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا مسكين بن ميمون - مؤذن مسجد الرملة - حدثنا عروة بن رُوَيم ، عن عبد الرحمن بن قرط : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة أُسري به إلىٰ المسجد الأقصىٰ كان بين المقام وزمزم ؛ جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطارا به حتىٰ بلغ السمٰوات السبع ، فلما رجع قال : « سمعت تسبيحًا في السموات العلىٰ مع تسبيح كثير ، سبحت السمٰوات العلىٰ من ذي المهابة ، مشفقات لذي العلو بما علا ، سبحان العليّ الأعلىٰ ، سبحانه وتعالىٰ » .

وقوله : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ ، أي : وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد اللّٰه ، ﴿ **ولكن لاتفقهون تسبيحهم** ﴾ ، أي : [لا تفقهون][١] تسبيحهم أيها الناس ؛ لأنها بخلاف لغتكم ، وهذا عام في الحيوانات[٢] والنبات والجماد ، وهذا أشهر القولين ، كما ثبت في صحيح البخاري(١٧١) عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

وفي حديث أبي ذر(١٧٢) : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أخذ في يده حصيات ، فسُمع لهن تسبيحٌ كحنين النحل ، وكذا في يد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان -رضي اللّٰه عنهم أجمعين[٣] - وهو حديث مشهور في المسانيد .

وقال الإمام أحمد(١٧٣) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا[٤] زبان ، عن سهل ابن معاذ بن[٥] أنس ، عن أبيه -رضي اللّٰه عنه- ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم :

---

(١٧٠) - **إسناده ضعيف** ، وقد تقدم .

(١٧١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٩) .

(١٧٢) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٦/٦٤-٦٥) . من طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن رجل يقال له : سويد بن يزيد السلمي قال : سمعت أبا ذر يقول فذكره مطولًا . وقال « ... صالح بن أبي الأخضر لم يكن حافظًا ، والمحفوظ رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال : ذكر الوليد بن سويد أن رجلًا من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر له فذكر هذا الحديث عن أبي ذر » . وذكره الهيثمي في المجمع (٨/٣٠٢) وابن حجر في الفتح - (٦/٥٩٢) . وعزياه إلى البزار والطبراني في « الأوسط » . وقال الهيثمي : « رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف » .

(١٧٣) - أخرجه أحمد - (٣/٤٣٩،٤٤٠) . والطبراني في الكبير - (٤٣٢) (٢٠/١٩٣) من طريق =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « تفهمون » .

[٢] - في خ : « الحيوان » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ عن مكتوب فوقها ابن » .

أنه مر علىٰ قوم وهم وقوف علىٰ دواب لهم ورواحل، فقال لهم: « **اركبوها[١] سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق؛ فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرًا للّه تعالىٰ منه** ».

وفي سنن النسائي(١٧٤)، عن عبد اللّه بن عمرو قال: نهىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال: « **نقيقها تسبيح** ».

وقال قتادة عن عبد الله بن بابي، عن عبد اللّه بن عمرو(١٧٥): أن الرجل إذا قال لا إله إلا اللّه، فهي كلمة الإِخلاص، التي لا يقبل اللّه من أحد عملًا حتىٰ يقولها، وإذا قال:

= رشدين عن زبان به. وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١١٠/٨) وقال: رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سهل بن معاذ بن أنس وثقه ابن حبان وفيه ضعف ». قلت: ومتن الحديث بهذا الطول انفرد به زبان عن سهل وهي رواية ضعيفة لاسيما وفي سندها ابن لهيعة، ورشدين ابن سعد وكلاهما ضعيف، ولذلك فإن قول الهيثمي السابق عليه تحفظ فلينتبه، والمعصوم من عصمه الله تعالى - لكن: أخرجه أحمد (٤٤٠/٣)، (٢٣٤/٤) والدارمي (٢٦٧١) (١٩٧/٢). والطبراني في الكبير - (٤٣١) - (١٩٣/٢٠) وابن حبان في صحيحه - (٥٦١٩) (٤٣٧/١٢). والحاكم في « المستدرك » (٤٤٤/١)، (١٠٠/٢). والبيهقي في الكبرى - (٢٥٥/٥). من طريق الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه به. دون قوله « فرب مركوبة خير ... ». وقال الحاكم: « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي. وهو كما قالا، فإن رجاله كلهم ثقات، وسهل بن معاذ لا بأس به في غير رواية زبان عنه، وهذه ليست منها.

(١٧٤) - لم أقف عليه في المطبوع من سنن النسائي الصغرى والكبرى، والعلم عند الله تعالى لكن: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط - (٣٧١٦) (١٠٤/٤). والصغير - (١٨٩/١). وأبو الشيخ في العظمة - (١٢٢٦) (١٧٤٤/٥-١٧٤٥). وابن عدي في الكامل - (٢٣٨٤/٦). من طريق المسيب بن واضح، قال: نا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن عمرو فذكره. والمسيب بن واضح: ضعفه الدارقطني، وقال أبو حاتم: صدوق يخطئ كثيرًا، فإذا قيل له لم يقبل، [انظر ميزان الاعتدال للذهبي (٨٥٤٨) (٢٤١/٥)]. وذكر له ابن عدي عدة أحاديث مستنكرة عليه، منها هذا الحديث. وقال الذهبي وابن عدي في هذا الحديث: صوابه الوقف - وأخرجه موقوفًا عبد الرزاق في المصنف (٨٤١٨). وذكره الهيثمي في المجمع - (٤/ ٤٤ - ٤٥) وقال: « رواه الطبراني في الصغير والأوسط فيه المسيب بن واضح وفيه كلام، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح ». وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢٣٢/٤) إلى النسائي وابن مردويه. قلت: وقد صح النهي عن قتل الضفدع. فأخرج أبو داود - (٣٨٧١،٥٢٦٩). والنسائي - (٢١٠/٧) وأحمد - (٤٥٣/٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع - (٦٨٤٨) (٦٨/٦). من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي، أن طبيبًا ذكر ضفدعًا في دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن قتله.

(١٧٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٣/١٥) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة عن عبد الله بن بابي به. وقع في المطبوع من تفسيري ابن جرير وابن كثير « عن قتادة عن عبد الله بن=

[١] - في ز: « اركبوا ».

الحمد لله ، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر اللَّهَ عبدٌ قط حتىٰ يقولها ، وإذا قال : اللَّه أكبر ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال : سبحان اللَّه ، فهي صلاة الخلائق التي لم يَدْعُ اللَّهُ أحدًا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح ، وإذا قال : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، قال : أسلم عبدي واستسلم .

وقال الإمام أحمد(١٧٦) : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت الصَّقْعَبَ[١] بن زهير يحدثُ[٢] ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : أتىٰ النبيَّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعرابيٌ[٣] عليه جبة من طيالسة ، مكفوفة بديباج - [أو : مزورة بديباج -][٤] فقال : « إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع ، ويضع كل رأس ابن رأس ، فقام إليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مغضبًا ، فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه ، فقال : « لا أرىٰ عليك ثياب من لا يعقل » ، ثم رجع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فجلس فقال : **« إن نوحًا -عليه السلام- لما حضرته الوفاة دعا ابنيه ، فقال : إني قاص عليكما[٥] الوصية : آمركما باثنتين ، وأنهاكما عن اثنتين ؛ أنهاكما عن الشرك باللَّه[٦] والكبر ، وآمركما بلا إله إلا اللَّه ؛ فإن السمٰوات والأرض وما بينهما لو وضعت في كفة الميزان ، ووضعت لا إله إلا اللَّه في الكفة الأخرىٰ كانت أرجح ، ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة ، فوضعت لا إله إلا اللَّه عليهما [لفصلتهما][٧] أو : لقصمتهما -**

= أبي » . ولم أجد في الرواة - عن عبد الله بن عمرو من اسمه « عبد الله بن أبي » . ولكن في الرواة عنه « عبد الله بن باباه المكي » فلعله هو إن شاء الله تعالى ، وإن كان هو فالإسناد صحيح إلى « عبد الله بن عمرو » فإن « ابن باباه » ثقة كما في التقريب .

(١٧٦) - أخرجه أحمد - (٢/٢٢٥) . والطحاوي في شرح معاني الآثار - (٤/٢٤٥) حدثنا ابن مرزوق ثنا وهب بن جرير به . وأخرجه أحمد أيضًا - (٢/١٦٩-١٧٠) .والبخاري في الأدب المفرد - (٥٤٨) . من طريق سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير به . وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» - (٤/٢٢٣) وقال : «رواه كله أحمد ، ورواه الطبراني بنحوه وزاد في رواية ، وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة الخلق وبالتكبير ، رواه البزار من حديث ابن عمر ... ورجال أحمد ثقات » . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية - (١/١٣٦) وقال : هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « كان وصية نوح لابنه أوصيك بخصلتين وأنهاك عن خصلتين » فذكره نحوه ، وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن =

[١] - في خ : « الصعب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « عليكم » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « لفصمتهما » .

وآمركما بسبحان الله وبحمده ؛ فإنها صلاة كل شيء ، وبها يُرزق كل شيء » ورواه الإمام أحمد أيضًا ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن الصَّقْعَبِ بن زهير به ، أطول من هذا تفرّد به .

وقال ابن جرير(١٧٧) : حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، حدثنا محمد بن يعلىٰ ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحًا - عليه السلام - قال لابنه : يا بني ، آمرك أن تقول : سبحان الله ؛ فإنها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق ، وبها يرزق الخلق ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾** » . إسناده فيه ضعف فإن الربذى ضعيف[١] عند الأكثرين .

وقال عكرمة في قوله تعالىٰ : **﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾** ، قال : الأسطوانة تسبح ، والشجرة تسبح . الأسطوانة : السارية .

وقال بعض السلف : إن صرير الباب تسبيحه ، وخرير الماء تسبيحه ، قال الله تعالىٰ : **﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾** .

وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : الطعام يسبح

ويشهد لهذا القول آية السجدة في أول الحج .

وقال آخرون : إنما يسبح ما كان فيه روح . يعنون : من حيوان أو نبات .

وقال قتادة في قوله : **﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾** قال : كل شيء فيه روح[٢] يسبح ؛ من شجر أو شيء فيه .

=دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بنحوه والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني والله أعلم » . قلت : وكذا رجح العلامة أحمد شاكر عند تحقيقه هذا الحديث في مسند أحمد - (٦٥٨٣) (٨٧/١٠) والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٢) مختصرًا وعزاه إلى ابن مردويه وتصحف عنده « ابن عمرو » إلى « ابن عمر » فلينتبه .

(١٧٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٢/١٥) . وأبو الشيخ في العظمة - (١٢٢٢) - (٥/١٧٤٢-١٧٤٣) من طريق إسماعيل بن موسى الفزاري ، حدثنا محمد بن يعلى به والحميدي في مسنده - (١١٥١) من طريق موسى بن عبيدة به . ومحمد بن يعلى وهو السلمي وموسى بن عبيدة وهو الرَّبذي ضعيفان . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٣١/٤) إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - في خ : « ض » . [٢] - في ز : « الروح » .

وقال الحسن والضحاك في قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ قالا: كل شيء فيه الروح.

وقال ابن جرير(١٧٨): حدثنا محمد بن حميد، حدثنا يحيىٰ بن واضح وزيد بن حباب قالا: حدثنا جرير[١] - أبو الخطاب - قال: كنا مع يزيد الرقاشي، ومعه الحسن في طعام، فقدموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد، يسبح هذا الخوان؟ فقال: كان يسبح مرة.

قلت: الخوان هو المائدة من الخشب، فكأن الحسن - رحمه الله - ذهب إلىٰ أنه لما كان حيًا فيه خضرة كان يسبح، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه، وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يَسْتَتِر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، **ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، ثم قال**: «**لعله يخفف عنهما مالم ييبسا**». أخرجاه في الصحيحين(١٧٩).

قال بعض من تكلم علىٰ هذا الحديث من العلماء: إنما قال: «**مالم ييبسا**»؛ لأنهما يسبحان مادام فيهما خضرة، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما، والله أعلم.

وقوله: ﴿**إنه كان حليمًا غفورًا**﴾ أي: إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة؛ بل يؤجله وينظره، فإن استمر علىٰ كفره وعناده أخذه[٢] أخذ عزيز مقتدر، كما جاء في الصحيحين(١٨٠): «**إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته**»، **ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم**: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾، وقال تعالىٰ: ﴿**وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ**

---

(١٧٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٢/١٥). ويزيد الرقاشي ضعيف. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣٣٤/٤) عن ابن شوذب قال: جلس الحسن مع أصحابه فذكره بنحو هذا - وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٧٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٢١٦). ومسلم في صحيحه - كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (١١١) (٢٩٢). من طريقين عن ابن عباس به. وذكره الحافظ ابن حجر في شرح الحديث المتقدم - من كتابه فتح الباري (٣٢٠/١) فليراجع هناك.

(١٨٠) - تقدم تخريجه.

---

[١] - في ز: «حدير».

[٢] - في خ: «أخذ».

المصير ﴾ ، [وقال : ﴿ وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ﴾ الآيتين][١] ، ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ، ورجع إلى الله ، وتاب إليه تاب عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا ﴾ .

وقال ها هنا : ﴿ إنه كان حليمًا غفورًا ﴾ ، كما قال في آخر فاطر : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليمًا غفورًا ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا ﴾ .

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا (٤٦)

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم : وإذا قرأت [ ][٢] يامحمد علىٰ هؤلاء المشركين القرآن ؛ جعلنا بينك وبينهم حجابًا مستورًا .

قال قتادة وابن زيد : هو الأكنة علىٰ قلوبهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أي : مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول[٣] شيء .

وقوله : ﴿ حجابًا مستورًا ﴾ أي بمعنى : ساتر ، كميمون ومشئوم بمعنى : يامن وشائم[٤] ؛ لأنه من يمنهم وشأمهم .

وقيل : مستورًا عن الأبصار فلا تراه[٥] ، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدىٰ ، ومال إلىٰ ترجيحه ابن جرير - رحمه الله - .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١٨١) : حدثنا أبو موسىٰ الهروي إسحاق بن إبراهيم ،

---

(١٨١) - وأخرجه الحميدي - (٣٢٣) - (١٥٣/١، ١٥٥) .والحاكم في المستدرك - (٣٦١/٢) والبيهقي في دلائل النبوة - (١٩٥/٢) . من طريق سفيان به غير أنهم قالوا : « ابن تدرس » دون ذكر اسمه .=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز، خ : القرآن .
[٣] - في خ : « يقول » .
[٤] - في خ : « شامن » .
[٥] - في ز ، خ : « نراه » .

حدثنا سفيان ، عن الوليد بن كثير ، عن يزيد بن تدرس ، عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنها - قالت : لما نزلت : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهْر وهي تقول : مُذمَّما [أتينا - أو : أبينا][١] ، قال أبو موسىٰ : الشك مني - ودينه قلينا ، وأمره عصينا . ورسول الله [صلىٰ الله عليه وسلم] جالس وأبو بكر إلىٰ جنبه - أو قال : معه - قال[٢] : فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك . فقال : « **إنها لن تراني** » ، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها[٣] : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا** ﴾ . قال : فجاءت حتىٰ قامت علىٰ أبي بكر ، فلم تر النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر ، بلغني أن صاحبك هجاني . فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك قال : فانصرفت وهي تقول : لقد علمت قريش أني بنت سيدهم[٤] .

وقوله : ﴿ **وجعلنا علىٰ قلوبهم أكنة** ﴾ : جمع كنان ، الذي يغشي القلب ، ﴿ **أن يفقهوه** ﴾ ، أي : لئلا يفقهوا القرآن ، ﴿ **وفي آذانهم وقرًا** ﴾ ، وهو الثقل الذي يمنعهم[٥] من سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده** ﴾ ، أي : إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت : لا إله إلا الله ، ﴿ **ولوا** ﴾ ، أي : أدبروا راجعين ﴿ **علىٰ أدبارهم نفورًا** ﴾ ، ونفور : جمع نافر ، كقعود : جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدرًا من غير الفعل ، والله أعلم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾

= وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وابن تدرس لم أقف له على ترجمة ، والعلم عند الله تعالى . وله شاهد من حديث ابن عباس . أخرجه أبو يعلى في مسنده - (٢٥) (١/٣٣-٣٤) ، (٢٣٥٨) (٤/٢٤٦) . وعنه ابن حبان في صحيحه - (٦٥١١) (١٤/٤٤٠) . وفي الموارد - (٢١٠٣) - (٦/٤٥٦) . وأبو نعيم في دلائل النبوة - (١٤١) . والبزار في مسنده - (٢٢٩٤،٢٢٩٥) . من طريق عبد السلام بن حرب قال : حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه به نحوه وقال البزار : وهذا أحسن الإسناد ، ويدخل في مسند أبي بكر . وقال الهيثمي في المجمع - (٧/١٤٧) « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه .... وقال البزار إنه حسن الإسناد ، قلت : ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط » وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح - (٨/٧٣٨) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٣٧) إلى ابن أبي شيبة والدارقطني في الأفراد .

---

[١] - في خ : « أبيب أو أبيناه » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - زيادة في : ت .

[٤] - في ز ، خ : « سيدها » .

[٥] - في خ : « ينهم » .

قال قتادة [في قوله][١] : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورًا** ﴾ إن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ، أنكر ذلك المشركون ، وكبرت عليهم ، وضاقها إبليس وجنوده ، فأبىٰ الله إلا أن يمضيها[٢] وينصرها ويُفْلجها ، ويظهرها علىٰ من ناوأها ، إنها كلمة من [خاصم بها فلج][٣] ، ومن قاتل بها نصر ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ، ويسير الدهر في فئام[٤] من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها .

قول آخر في الآية :

روىٰ[٥] ابن جرير(١٨٢) : حدثني الحسين بن محمد الذارع ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا علىٰ أدبارهم نفورًا** ﴾ : هم الشياطين وهذا غريب جدًّا في تفسيرها ، وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان ، أو ذكر الله ، انصرفوا .

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

يخبر تعالىٰ نبيه محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم][٦] بما تناجىٰ به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته[٧] صلىٰ الله عليه وسلم سرًّا من قومهم ، بما قالوا من أنه رجل مسحور ، من السِّحْر علي المشهور ، أو : من السَّحْر ، وهو : الرئة ، أي : إن تتبعون - إن اتبعتم محمدًا - [﴿ **إلا بشرًا** ﴾][٨] يأكل ، كما قال الشاعر :

---

(١٨٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٥/١٥) . والطبراني في الكبير - (١٢٨٠٢) (١٧٥/١٢) من طريق محمد بن سليمان ثنا روح ابن المسيب به . وقال الهيثمي في المجمع - (٥٣/٧) « رواه الطبراني =

---

[١] - ما بين العكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يمضها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « خاصم بها فلح » .
[٤] - في خ : « قيام » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في خ : « صلاة الله عليه » .
[٧] - في خ : « قراءة رسول الله » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فإن تسألينا فيما نحن؟ فإننا
عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز :

* ونسحر[١] بالطعام والشراب *

أي : نُغَذّىٰ[٢] . وقد صوب[٣] هذا القول ابن جرير . وفيه نظر ؛ لأنهم [ ][٤] أرادوا هاهنا أنه مسحور له رَئِيّ يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ، ومنهم من قال : شاعر ، ومنهم من قال : كاهن ، ومنهم من قال : مجنون ، ومنهم من قال : ساحر ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ أي : فلا يهتدون إلى الحق ، ولا يجدون إليه مخلصًا قال محمد بن إسحاق في السيرة(١٨٣) : حدثني محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه حُدِّث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - حليف ابن[٥] زهرة - ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسًا يستمع فيه ، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له[٦] حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا ، حتىٰ إذا جمعتهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لاتعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا ، ثم انصرفوا حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلىٰ مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا [حتى إذا جمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ، ثم انصرفوا . حتىٰ إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا][٧] فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتىٰ نتعاهد لانعود ، فتعاهدوا علىٰ ذلك ، ثم تفرقوا .

= وفيه روح بن المسيب قال ابن معين : صويلح وضعفه ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه ، وبقية رجاله ثقات ». وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٨/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(١٨٣) - ذكره ابن هشام في السيرة - (٣٢٨/١) . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة - (٢٠٦/٢) من طريق ابن إسحاق به .

---

[١] - في ز ، خ : « يسحر » .
[٢] - في خ : « تغذي » .
[٣] - في خ : « تصوب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « إنما » .
[٥] - في ز : « بني » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .

فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ، ثم خرج حتىٰ أتىٰ أبا سفيان بن حرب في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا و[١]الذي حلفت به ، قال : ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا[٢] سمعت ؟! قال[٣] : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتىٰ إذا تجاثينا[٤] علىٰ الركب ، وكنا كفرسَيْ رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتىٰ ندرك هذه ؟! والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد ، القائلين استفهام إنكار منهم لذلك : ﴿ **أإذا كنا عظامًا ورفاتًا** ﴾ ، أي : ترابًا ، قاله مجاهد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : غبارًا . ﴿ **أءنا لمبعوثون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ **خلقًا جديدًا** ﴾ ، أي بعدما بلينا وصرنا عدمًا[٥] لا يذكر ، كما أخبر عنهم في الموضع الآخر : ﴿ **يقولون أءنا لمردودون في الحافرة * أءذا كنا عظامًا نخرة قالوا تلك إذًا كرة خاسرة** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ وهكذا أمر رسوله هاهنا أن يجيبهم فقال : ﴿ **قل كونوا حجارة أو حديدًا** ﴾ ، إذ[٦] هما أشد امتناعًا من العظام والرفات ﴿ **أو خلقًا مما يكبر في**

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ما » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : « تجاشينا » .
[٥] - في خ : « عظمًا » .
[٦] - في ز : « و » .

صدوركم ﴾ .

قال ابن إسحاق(١٨٤) : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : سألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : هو الموت .

وروىٰ عطية عن ابن عمر(١٨٥) أنه قال في تفسير هذه الآية : لو كنتم موتىٰ لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك .

ومعنى ذلك : أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم موتًا - الذي هو ضد الحياة - لأحياكم الله إذا شاء ؛ فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده .

وقد ذكر ابن جرير حديث(١٨٦) : « **يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . ثم يقال : يا أهل النار . أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود بلا موت ، ويا أهل النار ؛ خلود بلا موت** » . وقال مجاهد : **﴿ أو خلقًا مما يكبر في صدوركم ﴾** يعني : السماء ، والأرض والجبال ، وفي رواية : ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله بعد موتكم .

وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام مالك عن الزهري في قوله : **﴿ أو خلقًا مما يكبر في صدوركم ﴾** قال : النبي صلى الله عليه وسلم - ، قال مالك : ويقولون : هو الموت .

وقوله تعالىٰ : **﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾** ، [أي : من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر شديدًا][١] **﴿ قل الذي فطركم أول مرة ﴾** ، أي : الذي خلقكم ولم تكونوا

(١٨٤) - أخرجه الحاكم في المستدرك - (٣٦٢/٢) . من طريق يعلى بن عبيد عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح به . ومحمد بن إسحاق ، صدوق يدلس ، لكنه صرح بالتحديث فيحسن حديثه . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٨/١٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس وعطية ضعيف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٣٩/٤) إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(١٨٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩٨/١٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٣٩/٤) إلى ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٨٦) - قلت : أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٨/١٥-٩٩) من حديث عطية العوفي عن عبد الله بن عمر ، والعوفي : ضعيف ، والحديث في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ - (٤٧٣٠) - (٤٢٨/٨) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة =

[١] -

شيئًا مذكورًا ، ثم صرتم بشرًا تنتشرون ؛ فإنه قادر على إعادتكم ، ولو صرتم إلى أي حال ، ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فسينغضون إليك رءوسهم ﴾ قال ابن عباس وقتادة : يحرّكونها استهزاء ، وهذا الذي قالاه هو الذي تفهمه العرب من لغاتها ؛ لأن[١] « الإنغاض » هو التحرك من أسفل إلى أعلى ، أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظليم - وهو ولد النعامة - : « نغضًا » ؛ لأنه إذا مشى عَجّل في مِشْيَتِهِ وحرك رأسه ، ويقال : « نَغَضَت سِنّه » إذا تحركت وارتفعت من منبتها ؛ قال الراجز :

* ونغضت من هرم أسنانها *

وقوله : ﴿ ويقولون متى هو ﴾ إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ . وقوله[٢] : ﴿ قل عسى أن يكون قريبًا ﴾ ، أي : احذروا ذلك فإنه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة ؛ فكل ما هو آت آت .

وقوله : ﴿ يوم يدعوكم ﴾ أى : الرب تعالى ، ﴿ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ أي : إذا أمركم بالخروج منها ؛ فإنه لايخالف ولا يمانع ؛ بل كما قال تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ وقال : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ ، أي : إنما هو أمر واحد بانتهار ، فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ، كما قال تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ [﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾][٣] أي : تقومون[٤] كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته .

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أى: بأمره، وكذا قال ابن جريج .

وقال قتادة : بمعرفته وطاعته .

وقال بعضهم : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ ، أي : وله الحمد في كل حال .

= يدخلها الضعفاء - (٤٠،٤١) (٢٨٤٩) - (٢٦٩/١٧) . والترمذي - كتاب التفسير - باب : « ومن سورة مريم » - (٣١٥٦) (٥/٢٩٥-٢٩٦) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ - (١١٣١٦) (٦/٣٩٣) من طريق سليمان بن مهران الأعمش عن أبي صالح عنه به مرفوعًا .

---

[١] - في خ : « فإن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « تقولون » ، خ : « يقولون » .

وقد جاء في الحديث(١٨٧) : « **ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون : لا إله إلا الله** » ، وفي رواية يقولون : ﴿ **الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن** ﴾ وسيأتي في سورة فاطر . وقوله تعالىٰ : ﴿ **وتظنون** ﴾ ، أي : يوم تقومون من قبوركم ، ﴿ **إن لبثتم** ﴾ في الدار الدنيا ﴿ **إلا قليلًا** ﴾ و[١]كما قال : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرًا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **قال**[٢] **كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ .

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾

يأمر [تبارك و][٣]تعالىٰ عبده[٤] ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن ، والكلمة الطيبة ، فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم ، وأخرج الكلام إلىٰ الفعال ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ؛ فإن الشيطان عدو لآدم [وذريته من حين امتنع من السجود لآدم][٥] ، فعداوته ظاهرة بينة ؛ ولهذا نهىٰ أن يشير الرجل إلىٰ أخيه المسلم بحديدة ؛ فإن الشيطان ينزغ في يده ، أي : فربما أصابه بها .

---

(١٨٧) - **ضعيف** ، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٤٥) (١٧١/٩) . من طريق مجاشع بن عمرو عن داود بن أبي هند عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ، ولا عند القبر » . وأخرجه البيهقي في البعث والنشور - (٨٣) . من طريق بهلول بن عبيد عن سلمة بن كهيل عن نافع به . وأخرجه أيضًا - (٨٢) ، وابن عدي في الكامل - (٤٩٨/٢) . من طريق بهلول سمعت سلمة بن كهيل عن ابن عمر . وقال البيهقي : « هذا مرسل عن سلمة بن كهيل وابن عمر ، وبهلول بن عبيد تفرد به وليس بالقوي » . وأخرجه الطبراني في الأوسط - (٩٤٧٨) (١٨١/٩) . والبيهقي في الشعب - (١٠٠) - (١/١١٠-١١١) والخطيب في تاريخ بغداد - (٢٦٦/١) وابن عدي في الكامل - (١٥٨٢/٤) . من طريق يحيى الحماني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا فذكره . =

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(١٨٨) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده ؛ فيقع في حفرة من نار** » أخرجاه من حديث عبد الرزاق ، وقال الإمام أحمد(١٨٩) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أنبأنا عليّ بن زيد ، عن الحسن قال : حدثني رجل من بني سليط قال : أتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو في أَزْفَلَةٍ[١] من الناس ، فسمعته يقول : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، التقوىٰ هاهنا – [قال حماد : وقال بيده إلى صدره- وما تواد رجلان في الله فتفرق بينهما إلا محدث يحدثه أحدهما]**[٢] **والمحدث شر ، والمحدث شر ، والمحدث شر** »

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

= وعبد الرحمن ويحيى الحماني كلاهما ضعيف . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٨٥-٨٦) وقال : « رواه الطبراني في الأوسط من طريقين وفي الأولى يحيى الحماني ، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف » . وضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٨٨٠) وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني والبيهقي . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٣٤٠) إلى الحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي يعلى .

(١٨٨) - أخرجه أحمد - (٢/٣١٧) . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الفتن ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم - « من حمل علينا السلاح فليس منا » - (٧٠٧٢) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب ، باب : النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (١٢٦) (٢٦١٧) .

(١٨٩) - أخرجه أحمد - (٥/٧١) . وأخرجه أيضًا - (٥/٢٥) من طريق هشيم أنا علي بن زيد به . (٤/ ٦٦) ، (٥/٧١،٣٧٩) من طريق المبارك بن فضالة ثنا الحسن به . (٤/٦٩) ، (٥/٢٤) من طريق عباد بن راشد عن الحسن به . والرواة عن الحسن متكلم فيهم ، . وأخرجه أبو يعلى في مسنده - (٦٢٢٨) (١١/ ١٠١-١٠٢) من طريق وهب ابن بقية حدثنا خلاد عن يونس عن الحسن عن رجل من سليط فذكره . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٨/١٨٧) ، (١٠/٢٧٨) وقال : رواه أحمد بأسانيد ، وإسناده حسن ، ورواه أبو يعلى بنحوه » . وللشطر الأول منه شاهد من حديث عبد الله بن عمر . أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المظالم ، باب : لا يظلم المسلم المسلم - (٢٤٤٢) . ومسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الظلم - (٥٨) - (٢٥٨٠) . والشطر الثاني له شاهد من حديث أنس بن مالك - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١) . وحسن إسناده الألباني في « الصحيحة » - (٦٣٧) (٢/ ٢٣٢) . ولفظه « ما تواد اثنان في الله عز وجل أوفى الإسلام فيفرق بينها إلا ذنب يحدثه أحدهما » .

[١] - في ز : « رفلة » ، خ : « دخلة » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

يقول الله تعالىٰ : ﴿ **ربكم أعلم بكم** ﴾ أيها الناس ، من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ، ﴿ **إن يشأ يرحمكم** ﴾ ، بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه ، ﴿ **أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا** ﴾ أي: إنما أرسلناك نذيرًا ما[١] فمن أطاعك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار وقوله : ﴿ **وربك أعلم بمن في السموات والأرض** ﴾ ، أي : بمراتبهم في الطاعة والمعصية ، ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين علىٰ بعض** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ وهذا لا ينافي ما في الصحيحين(١٩٠) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » ، فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية ، لا بمقتضىٰ الدليل ، [فإذا دلّ الدليل][٢] علىٰ شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم ، وهم الخمسة المذكورون نصًّا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم** ﴾ ، وفي الشورىٰ في قوله : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ، ولا خلاف أن محمدًا [صلىٰ الله عليه وسلم][٣] أفضلهم ، ثم بعده إبراهيم ، ثم موسىٰ علىٰ المشهور ، وقد بسطنا هذا بدلائله في غير هذا الموضع ، والله الموفق .

وقوله: ﴿ **وآتينا داود زبورًا** ﴾ تنبيه[٤] على فضله وشرفه .

قال البخاري(١٩١) : حدثنا إسحاق بن نصر ، أخبرنا(*) عبد الرزاق ، أخبرنا(**) معمر ،

---

(١٩٠) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٤٣/ ح ١٨٥] .

(١٩١) - صحيح البخاري ، ك : التفسير ، باب : ﴿ وآتينا داود زبورًا ﴾ (٤٧١٣) ، ويذكره المصنف [الرعد/ آية٣١/ رقم ٩٩] من طرق أحمد عن عبد الرزاق به . قال الحافظ ابن حجر في الفتح - (٦/ ٤٥٤-٤٥٥) .

« .... قيل المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وقيل المراد الزبور ، وقيل : التوراة ؛ وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحى إليه ، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن أشار إليه صاحب « المصابيح » والأول أقرب ».

(*) في المطبوع : « حدثنا » .

(**) في المطبوع : « عن » .

[١] - في ت : « ما » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : « تنبيهًا » ، خ : « تبه » .

عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **خُفِّف علىٰ داود القرآن**[١] ، **فكان يأمر بدابته**[٢] **لتُسرج، فكان يقرأ قبل أن يفرغ** » : يعني : القرآن

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ **ادعوا الذين زعمتم من دونه** ﴾ من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم، فإنهم ﴿ **لا يملكون كشف الضر عنكم** ﴾ ، أي : بالكلية ، ﴿ **ولا تحويلًا** ﴾ أى: يحولوه[٣] إلى غيركم والمعنىٰ : أن الذي يقدر علىٰ ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر .

قال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا** ﴾ ، قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وعزيزًا ، وهم الذين يدعون ، يعني : الملائكة والمسيح وعزيزًا وقوله تعالىٰ : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ : روىٰ البخاري(١٩٢) من حديث سليمان ابن مهران الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله - في قوله[٤] : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة** ﴾ - قال : ناس من الجن كانوا يُعبَدون فأسلموا وفي رواية(١٩٣) قال[٥] : كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك

(١٩٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ - (٤٧١٥) - (٣٩٨/٨) حدثنا بشر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفر ، عن شعبة عن سليمان به . ومسلم في صحيحه - كتاب التفسير - باب في قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون** .... ﴾ (٣٠٣٠) حدثنا بشر بن خالد .

(١٩٣) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه** .... ﴾ (٤٧١٤) - (٣٩٦/٨) . ومسلم في صحيحه - كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم** ... ﴾ (٢٨، ٢٩) - (٣٠٣٠) - (٢١٧/١٨) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، (١١٢٨٧، ١١٢٨٨، ١١٢٨٩) - (٣٧٩/٦، ٣٨٠) من طرق عن الأعمش عن إبراهيم به .

[١] - في خ : « الفراق » .
[٢] - في خ : « دوابته » .
[٣] - في ت : « بأن يحولوه » ، خ : « تحولوه » .
[٤] - في خ : « قول » .
[٥] - سقط من : خ .

هؤلاء بدينهم ، وقال قتادة(١٩٤) : عن معبد بن عبد الله الزِّمّاني ، عن عبد الله بن عتبة ابن مسعود ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة** ﴾ ، قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم[١] الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية ، وفي رواية عن ابن مسعود(١٩٥) : كانوا يعبدون صنفًا من الملائكة يقال لهم : الجن فذكره و[٢]قال السدي(١٩٦) : عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ ، قال : عيسىٰ ، وأمه ، وعزير .

وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس(١٩٧) يقول في هذه الآية : هم عيسى ، وعزير، والشمس ، والقمر

وقال مجاهد : عيسىٰ ، والعزير[٣] ، والملائكة .

واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله[٤] : ﴿ **يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ وهذا لا يعبر[٥] به عن الماضى ، فلا يدخل فيه عيسى والعزير قال : والوسيلة : هى القربة ، كما قال قتادة ؛ ولهذا قال : ﴿ **أيهم أقرب** ﴾ .

---

(١٩٤) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ...** ﴾ - (٣٠) - (٣٠٣٠) - (٢١٨/١٨) . حدثنا حجاج بن الشاعر ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي حدثنا حسين عن قتادة به .

(١٩٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٠٥/١٥) حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا أبو العوام ، قال : أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني عن عبد الله بن مسعود فذكره . وأشار إلى هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح - (٣٩٧/٨) وقال : ... إن ثبت فهو محمول على أنها نزلت في الفريقين ، وإلا فالسياق يدل على أنهم قبل الإسلام كانوا راضين بعبادتهم ، وليست هذه من صفات الملائكة .

(١٩٦) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٠٥/١٥، ١٠٦) . من طريقين عن شعبة عن إسماعيل السدي به .
وضعفه الحافظ ابن حجر في « الفتح » - (٣٩٧/٨) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٤٣/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(١٩٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٠٦/١٥) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة به وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٣٤٣/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

---

[١] - في خ : « وأسلم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « عزيز » .
[٤] - في خ : « لقومه » .
[٥] - في خ : « يعني » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف ينكف عن المناهي ، وبالرجاء ينبعث علىٰ الطاعات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن عذاب ربك كان محذورًا** ﴾ ، أي : ينبغي أن يحذر منه ، ويخاف من وقوعه وحصوله ، عياذًا بالله منه .

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضىٰ بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ : أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم ﴿ **عذابًا شديدًا** ﴾ ، إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء ، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم ، كما قال تعالىٰ عن الأمم الماضين : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ وقال تعالىٰ : [﴿ **وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا**][1] **فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا** ﴾ .

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾

قال سنيد(٢٠٠) : عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال المشركون : يا محمد ؛ إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء ؛ فمنهم من سُخّرت له الريح ، ومنهم من كان يحيي الموتىٰ ، فإن سَرّك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً . فأوحىٰ الله إليه : أن[2] قد سمعت الذي قالوا ؛ فإن شئت أن نفعل الذي قالوا ، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ؛ فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن نستأني[3] بقومك استأنيت بهم . قال : « **يا رب ، استأن بهم** » . وكذا قال قتادة ، وابن جريج ، وغيرهما .

---

(٢٠٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠٨/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين - وهو سنيد - به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « إني » .

[٣] - في ز : « يستأنى » .

قال الإمام أحمد(٢٠١) : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأني بهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا ؛ فإن كفروا أهلكوا كما أهلكتُ من كان[١] قبلهم من الأمم . قال : « **لا ، بل استأن بهم** » . وأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ﴾ . ورواه النسائي [من حديث][٢] جرير ، به .

وقال الإمام أحمد(٢٠٢) : حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران بن الحكم ، عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن[٣] يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك . قال : « **وتفعلون ؟** » قالوا : نعم . قال : فدعا فأتاه جبريل ؛ فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبًا ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب[٤] التوبة والرحمة . فقال : « **بل باب التوبة والرحمة** » .

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده(٢٠٣) : حدثنا محمد بن إسماعيل بن عليّ الأنصاري ، حدثنا خلف بن تميم المصيصي ، عن عبد الجبار بن عمر الأيلي ، عن عبد الله بن عطاء بن

---

(٢٠١) - أخرجه أحمد (٢٥٨/١) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات ...** ﴾ (١١٢٩٠) (٣٨٠/٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧١/٢-٢٧٢) . والحاكم في المستدرك (٣٦٢/٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٠٨/١٥) من طرق عن جرير به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وله طريق آخر عن ابن عباس وهو الآتي بعده .

(٢٠٢) - في « المسند » (٢١٦٦) (٢٤٢/١) وأخرجه الحاكم (٥٣/١) (٣١٤/٤) وعنه البيهقي في « الكبرى » (٨/٩) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٧٣٦٩/١٢ والحاكم ، والبيهقي في « الدلائل » (٢٧٢/٢) من طرق عن سفيان الثوري بهذا الإسناد ، وقال الحاكم : « حديث صحيح ، محفوظ من حديث الثوري عن سلمة بن كهيل ... » ووافقه الذهبي ، وجود إسناده المصنف في « البداية والنهاية » (٦٨/٣) وذكر الهيثمي في « المجمع » (٥٣/٧) الرواية السابقة وهذه وقال : « رجال الروايتين رجال الصحيح ؛ إلا أنه وقع في أحد طرقه : عمران بن الحكم ، وهو وهم ، وفي بعضها : عمران أبو الحكم وهو ابن الحارث وهو الصحيح ، ورواه البزار بنحوه » وانظر ما قبله .

(٢٠٣) - أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٧٩) (٤٠/٢-٤١) . وذكره الهيثمي في المجمع (٨٨/٧) وقال :=

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « ابن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « أبواب » .

إبراهيم ، عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ صاح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أبي قبيس(*) : « **يا آل عبد مناف ؛ إني نذير** » . فجاءته قريش فحذرهم ، وأنذرهم ، فقالوا : تزعم أنك نبي يوحىٰ إليك ، وأن سليمان سخر له الريح والجبال ، وإن موسىٰ سخر له البحر ، وأن عيسىٰ كان يحيي الموتىٰ ، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ، ويفجر لنا الأرض أنهارًا ؛ فنتخذها محارث فنزرع ونأكل ، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا ، وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهبًا فننحت منها ، وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف ؛ فإنك تزعم أنك كهيئتهم . قال : فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي ، فلما سُرِّي عنه قال : « **والذي نفسي بيده ، لقد أعطاني ما سألتم ، ولو شئت لكان ، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وبين أن يكلكم إلىٰ ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين** » . ونزلت : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون** ﴾ ، [حتىٰ قرأ][1] ثلاث آيات ، ونزلت : ﴿ **ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتىٰ** ﴾ ...الآية .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات** ﴾ ، أي : نبعث الآيات ونأتي بها علىٰ ما سأل قومك منك ؛ فإنه سهل علينا يسير لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها ، وجرت سنتنا فيهم ، وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إذا[2] كذبوا بها بعد نزولها ، كما قال الله تعالىٰ في المائدة : ﴿ **قال الله إني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين** ﴾ ، وقال تعالىٰ عن ثمود حين سألوا آية - ناقة تخرج من صخرة عيَّنوها - فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج له منها ناقة علىٰ ما سألوا ، ﴿ **فظلموا بها** ﴾ ، أي : كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله [عقروا الناقة][3] فقال : ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ﴾ أي : دالة علىٰ وحدانية من خلقها ، وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها ، ﴿ **فظلموا بها** ﴾ ، أي : كفروا بها ومنعوها[4] شربها وقتلوها ، فأبادهم الله

= « رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم ، وكلاهما وثق ، وقد ضعفهما الجمهور » .

(*) اسم جبل بمكة .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ت : « إن » .
[٣] - في ت : «عقروها » .
[٤] - في خ : « ومنعوا » .

عن آخرهم وانتقم منهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ ، قال قتادة : إن اللَّه تعالىٰ يخوف الناس بما شاء[١] من آياته ، لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ؛ ذكر لنا أن الكوفة رجفت علىٰ عهد ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه » ، وهكذا روي أن المدينة زلزلت علىٰ عهد عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه مرات ؛ فقال عمر : أحدثتم[٢] ! واللَّه لئن عادت لأفعلن ولأفعلن . وكذا قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الحديث المتفق عليه(٢٠٤) : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن اللَّه عز وجل يرسلهما يخوف بهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ ذكره ودعائه واستغفاره** » ، ثم قال : « **يا أمة محمد ، واللَّه ما أحد أغير من اللَّه أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد ، واللَّه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا** .

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

يقول تعالىٰ لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم محرضًا له علىٰ إبلاغ رسالته ، ومخبرًا له بأنه قد عصمه من الناس ؛ فإنه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته .

قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم ، في قوله : ﴿ **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس** ﴾ ، أي : عصمتك[٣] منهم .

وقوله : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ، قال البخاري(٢٠٥) : حدثنا

(٢٠٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الكسوف ، باب : الصدقة في الكسوف (١٠٤٤) (٢/ ٥٢٩) . ومسلم في صحيحه - كتاب الكسوف ، باب : صلاة الكسوف (١) (٩٠١) (٦/٢٨٢-٢٨٦) من طريقين عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا ، وعندهما : « **فإذا رأيتم ذلك فادعوا اللَّه وكبروا ، وصلوا وتصدقوا** » . وأما الأمر بالذكر والاستغفار كما أورده المصنف هنا فقد ورد من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه البخاري - كتاب الكسوف ، باب : الذكر في الكسوف (١٠٥٩) (٢/٥٤٥) . ومسلم - كتاب الكسوف ، باب : ذكر النداء بصلاة الكسوف « الصلاة جامعة » (٢٤) (٩١٢) (٦/٣٠٥) .

[١] - في خ : « يشاء » .
[٢] - في خ : « أحدثتكم » .
[٣] - في ت : « عصمك » .

عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ، قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة أسري به ، ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾ : شجرة الزقوم . وكذا رواه أحمد(٢٠٦) ، وعبد الرزاق(٢٠٧)[١] ، وغيرهما عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس(٢٠٨) . وهكذا فسر ذلك بليلة الإسراء : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومسروق ، وإبراهيم ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ، وغير واحد ، وقد تقدمت أحاديث الإسراء في أول السورة مستقصاة ، ولله الحمد والمنة .

وقد[٢] تقدم أن ناسًا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا علىٰ الحق ؛ لأنه[٣] لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك ؛ فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وجعل الله ذلك ثباتًا[٤] ويقينًا لآخرين ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلا فتنة** ﴾ ، أي : اختبارًا وامتحانًا .

وأما الشجرة الملعونة فهي : شجرة الزقوم ، كما أخبرهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنه رأىٰ الجنة والنار ، ورأىٰ شجرة الزقوم ، فكذبوا بذلك حتىٰ قال أبو جهل لعنه الله : [ ][٥] هاتوا لنا تمرًا وزبدًا ، فجعل[٦] يأكل هذا بهذا ، ويقول : تَزَقَّموا ، فلا نعلم

---

(٢٠٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » (٤٧١٦) (٣٩٨/٨) . والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٤) (٢٨٢/٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ... » (١١٢٩١) (٣٨٠/٦-٣٨١) .

(٢٠٦) - أخرجه أحمد (٢٢١/١) ، وابن حبان في صحيحه (٥٦) (٢٥٣/١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٢) (٢٠١/١-٢٠٢) ، والطبراني في الكبير (١١٦٤١) (٢٥٠/١١) . والبغوي في شرح السنة (٣٧٥٥) (٣٤٨/١٣) وصححه الحاكم (٣٦٢/٢) على شرط البخاري ووافقه الذهبي . والبيهقي في دلائل النبوة (٣٦٥/٢) وابن جرير في تفسيره (١١٠/١٥) من طرق عن سفيان به .

(٢٠٧) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٨٠/٢) ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٠/١٥) . والحاكم في المستدرك (٣٦٢/٢) .

(٢٠٨) - أخرجه البيهقي في البعث (٥٤٥) . من طريق محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد عن عكرمة عن ابن عباس فذكره . ومحمد بن إسحاق مدلس ، وقد عنعن . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٣/١٥) من طريق العوفي عن ابن عباس بنحوه .والعوفي ضعيف - كما تقدم مرارًا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في ز ، خ : « عبد الرحمن » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - مكررة في : خ .
[٤] - في ز ، خ : « بيانًا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول » .
[٦] - في خ : « وجعل » .

الزقوم غير هذا . حكىٰ ذلك ابن عباس ، ومسروق ، وأبو مالك ، والحسن البصري ، وغير واحد(*) ، وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم .

وقد[١] قيل : المراد بالشجرة الملعونة : بنو أمية ، وهو غريب ضعيف .

قال ابن جرير(٢٠٩) : حُدثت عن محمد بن [الحسن][٢] بن زبالة ، حدثنا عبد المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد[٣] ، حدثني أبي ، عن جدي قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بني فلان ينزون علىٰ منبره نزو القرود ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتىٰ مات ، قال : وأنزل الله في ذلك : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ الآية .

وهذا السند ضعيف جدًا ؛ فإن « محمد بن الحسن بن زبالة » متروك ، وشيخه أيضًا ضعيف بالكلية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء ، وأن الشجرة الملعونة هي شجرة[٤] الزقوم ، قال : لإجماع الحجة من[٥] أهل التأويل علىٰ ذلك ، أي : في الرؤيا والشجرة .

وقوله : ﴿ **ونخوفهم** ﴾ ، أي : الكفار ، بالوعيد والعذاب والنكال ، ﴿ **فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا** ﴾ ، أي : تماديًا فيما هم فيه من الكفر والضلال ، وذلك من خذلان الله لهم .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

يذكر تعالىٰ عداوة إبليس - لعنه الله - لآدم ، عليه السلام ، وذريته ، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم ، فإنه تعالىٰ أمر الملائكة بالسجود ، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له ، افتخارًا عليه ، واحتقارًا له ، ﴿ **قال أأسجد لمن خلقت طينًا** ﴾ ، كما قال في

(*) انظر هذه الآثار في تفسير ابن جرير (١١٣/١٥) .

(٢٠٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٢/١٥-١١٣) . وروي ذلك أيضًا عن الحسن بن علي ، ويعلى بن مرة وعائشة مرفوعًا . ولا يصح منها شيء ألبتة ، وانظر « الدر المنثور » (٣٤٦/٤) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « سعيد » .

[٣] - في ز ، خ : « سعيد » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - في خ : « عن » .

الآية الأخرى : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وقال أيضًا : ﴿ أرأيتك ﴾، يقول للرب جرأة وكفرًا ، والرب يحلم وينظر ، ﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : لأستولين على ذريته إلا قليلًا .

وقال مجاهد : لأحتوين .

وقال ابن زيد : لأضلنهم . وكلها متقاربة[١] ، والمعنى أنه يقول : أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته عليّ ، لئن أنظرتني لأضلن ذريته إلا قليلًا منهم ! .

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

لما سأل إبليس النَّظِرة قال الله له : ﴿ اذهب ﴾ أي :[٢] فقد أنظرتك ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ قال فإنك من المنظرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم ﴾ ، ثم أوعده ، ومن تبعه من ذرية آدم جهنم ، فقال[٣] : ﴿ فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾ ، أي : علىٰ أعمالكم ، ﴿ جزاء موفورًا ﴾ .

قال مجاهد : وافرًا ، وقال قتادة : موفرًا عليكم ، لا ينقص لكم منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ ، قيل : هو الغناء ، قال مجاهد : باللهو والغناء ، أي : استخفهم بذلك .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ ، قال : كل داع دعا إلىٰ معصية الله عز وجل . وقاله قتادة ، واختاره ابن جرير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ ، يقول : واحمل عليهم بجنودك خيّالتهم ورجلتهم[٤] ، فإن « الرجل » جمع « راجل » ، كما أن « الركب » جمع

---

[١] - في خ : « متساوية » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في خ : « ورحالتهم » .

« راكب » ، « والصحب » جمع « صاحب » ومعناه : تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه . وهذا أمر قدريّ كقوله[١] تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين علىٰ الكافرين تؤزهم أزًا** ﴾ أي : تزعجهم إلىٰ المعاصي إزعاجًا ، وتسوقهم إليها سوقًا ، وقال ابن عباس ، ومجاهد في قوله : ﴿ **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾ ، قال : كل راكب وماشٍ في [معصية الله][٢] .

وقال قتادة : إن له خيلًا ورجالًا من الجن والإنس ، وهم الذين يطيعونهم .

وتقول العرب : أجلب فلان علىٰ فلان : إذا صاح عليه ، ومنه : « **نهى في المسابقة عن الجلب ، والجنب** »(٢١٠) ، ومنه اشتقاق « **الجلبة** » وهي ارتفاع الأصوات .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد : هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله تعالىٰ .

وقال عطاء : هو الربا . وقال الحسن : جمعها من خبيث ، وإنفاقها في حرام . وكذا قال قتادة .

وقال العوفي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أما مشاركته إياهم في أموالهم ، فهو ما حرموه من أنعامهم ، يعني : من البحائر والسوائب ونحوها . وكذا قال الضحاك وقتادة .

---

(٢١٠) - أخرجه أحمد (٤٣٩/٤) . وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في الجلب على الخيل في السباق (٢٩٨١) (٣٠/٣) . والترمذي - كتاب النكاح ، باب : ما جاء في النهي عن نكاح الشغار (١١٢٣) (٣/ ٤٣١) . والنسائي - كتاب النكاح ، باب : الشغار (١١١/٦) . وفي الخيل ، باب : الجلب (٢٢٧/٦- ٢٢٨) . من طرق عن حميد الطويل عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال « **لا جلب ولا جنب ...** » . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح .

و« الجلب » يكون في شيئين : أحدهما في الزكاة ، وهو أن يَقْدَمَ المصدِّق على أهل الزكاة فينزل موضعًا ، ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها ، فنهى عن ذلك ، وأمر أن تأخذ صدقاتهم على مساهم وأماكنهم . الثاني : أن يكون في السباق ، وهو أن يتبع الفارس رجلًا فرسه ليزجره ، ويجلب عليه ويصيح حثًا له على الجري ، فنهى عن ذلك .

وأما « الجنب » بالتحريك - فله وجهان .

الأول : أن يكون في السباق ، وهو أن يجنب فرسًا إلى فرسه الذي يسابق عليه ، فإذا فتر المركوب ، تحول إلى المجنوب . الثاني : هو أن يجنب رب المال بماله ، أي يبعده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإبعاد في اتباعه وطلبه . انظر « النهاية » لابن الأثير (٢٨١/١،٣٠٣) .

---

[١] - في خ : « كما قال » . [٢] - في ز : « معصية » ، خ : « معصيته » .

قال[١] ابن جرير : والأولى أن يقال : إن الآية تعم ذلك كله .

وقوله : ﴿ **والأولاد** ﴾ ، قال العوفي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : يعني أولاد الزنا .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفهًا بغير علم .

وقال قتادة : عن الحسن البصري : قد والله شاركهم في الأموال والأولاد ، مجّسوا وهودوا ونصروا[٢] وصبغوا غير صبغة الإسلام ، وجزءوا من أموالهم جزءًا للشياطين ، وكذا قال قتادة سواء .

وقال أبو صالح عن ابن عباس : هو تسميتهم أولادهم : « عبد الحارث[٣] » وعبد شمس » ، و « عبد فلان » .

وقال[٤] ابن جرير : وأولىٰ الأقوال بالصواب أن يقال : كل مولود ولدته أنثىٰ عصي الله فيه بتسميته[٥] ما يكرهه الله ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو بقتله ووأده ، وغير[٦] ذلك من الأمور التي يعصىٰ الله بفعله به[٧] أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه مَن وُلد ذلك الولدُ له أو منه ؛ لأن الله لم يخصص بقوله : ﴿ **وشاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ ، معنىٰ الشركة فيه بمعنى دون معنى ؛ فكل ما عُصِي الله فيه أو به وأطيع الشيطان فيه أو به ، فهو مشاركة .

وهذا الذي قاله مُتَّجه ، وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة ، فقد ثبت في صحيح مسلم(٢١١) عن عياض بن حمار[٨] أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم** » .

وفي الصحيحين(٢١٢) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[٩] : « **لو أن أحدهم إذا**

---

(٢١١) - تقدم (٩٢) .

(٢١٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء ، باب : التسمية على كل حال ، وعند الوقاع .=

[١] - في خ : « و » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « الوارث » .
[٤] - في خ : وقال .
[٥] - في خ : « بتسمية » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « حماد » .
[٩] - سقط من : خ .

أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا . فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضرّه الشيطان أبدًا » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعِدْهُمْ وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ ، كما أخبر تعالىٰ عن[١] إبليس أنه يقول إذا حصحص[٢] الحق يوم يقضىٰ بالحق : ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ** ﴾ ... الآية .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾ : إخبار بتأييده تعالىٰ عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وكفى بربك وكيلًا** ﴾ أي : حافظًا ومؤيدًا وناصرًا .

قال الإمام أحمد(٢١٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن موسىٰ بن وردان ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر** » .

ينضي : أى : يأخذ بناصيته ويقهره .

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلكَ في البحر ، وتسهيله لمصالح عباده ، لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلىٰ إقليم ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنه كان بكم رحيمًا** ﴾ ، أي : إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ، ورحمته بكم .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ

= (١٤١) . ومسلم في صحيحه - كتاب النكاح ، باب : ما يستحب أن يقوله عند الجماع (١١٦) (١٤٣٤). وأبو داود - كتاب النكاح - باب : في جامع النكاح (٢١٦١) . والترمذي - كتاب النكاح ، باب : ما يقول إذا دخل على أهله (١٠٩٢) . والنسائي في الكبرى - كتاب عشرة النساء ، باب : ما يقول إذا أتاهن (٩٠٣٠) (٥/٣٢٧) . وابن ماجه - كتاب النكاح - باب : ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله (١٩١٩) (١/٦١٨) من طريق منصور ، عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس مرفوعًا .

(٢١٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه أحمد (٢/٣٨٠) . وذكره الهيثمي في المجمع (١/١٢١) وقال : « رواه أحمد وفيه ابن لهيعة» .

[١] - بعده في ز ، خ : سلف . [٢] - في ز : « حصص » .

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾

يخبر تبارك وتعالىٰ [أنه إذا مسّ الناس][١] ضرٌّ دعوه منيبين إليه مخلصين له الدين ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ ، أي : ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير اللَّه تعالىٰ ، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًّا من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين فتح مكة ، فذهب هاربًا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض : إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا اللَّه وحده . فقال عكرمة في نفسه : واللَّه لئن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره ، اللهم لك عليّ عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه ، فلأجدنه رءوفًا رحيمًا !! فخرجوا من البحر ، فرجع إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه - رضى اللَّه عنه - وأرضاه »(٢١٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم** ﴾ ، أي : نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له .

﴿ **وكان الإنسان كفورًا** ﴾ أى : سجيته هذا ، ينسى النعم ويجحدها[٢] إلا من عصم اللَّه .

﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨﴾

يقول تعالى : أفحسبتم بخروجكم[٣] إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه ؟.

﴿ **أن نخسف[٤] بكم جانب البر أو نرسل[٥] عليكم حاصبًا** ﴾ ، وهو : المطر الذي فيه حجارة . قاله مجاهد وغير واحد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ [**إنا أرسلنا عليهم حاصبًا**][٦] **إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾ و[٧]قال في الآية الأخرى : ﴿ **وأمطرنا عليهم حجارة من**

(٢١٤) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٥٩-٦٠) من طريق أسباط بن نصر الهمداني ، قال : زعم السدي ، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة .... فذكره وفيه قصة عكرمة .

[١] - في ت : « أن الناس إذا مسهم » .
[٢] - في ز : « يحمدها » .
[٣] - في خ : « أن يخرجكم » .
[٤] - في خ : « يخسف » .
[٥] - في ز ، خ : « يرسل » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « وقد » .

سجيل[١] ﴾ وقال : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ .

وقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلًا ﴾ ، أي : ناصرًا ، يرد ذلك عنكم ، وينقذكم منه .

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾

يقول تبارك وتعالىٰ : ﴿ أم أمنتم ﴾ أيها المعرضون عنا ، بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلىٰ البر ، ﴿ أن نعيدكم ﴾ في البحر مرة ثانية ، ﴿ فيرسل[٢] عليكم قاصفًا من الريح ﴾ أي : يقصف[٣] الصواري ويغرق[٤] المراكب .

قال ابن عباس وغيره : القاصف : ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها .

وقوله : ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ﴾ ، أي : بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالىٰ .

وقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا ﴾ قال ابن عباس : نصيرًا .

وقال مجاهد : نصيرًا ثائرًا . أي : يأخذ بثأركم[٥] بعدكم .

وقال قتادة : و[٦]لا نخاف أحدًا يتبعنا بشيء من ذلك .

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم علىٰ أحسن الهيئات وأكملها ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ، أي : يمشي قائمًا منتصبًا علىٰ رجليه ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه - وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا[٧] ، يفقه بذلك كله وينتفع به ، ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية .

---

[١] - في : ز ، خ : « طين » .
[٢] - في ز ، خ : « فنرسل » .
[٣] - في خ : « نقصف » .
[٤] - في خ : « نغرق » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - سقط من : خ .

﴿ وحملناهم في البر ﴾ ، أي : على الدواب من الأنعام والخيل والبغال ، وفي البحر أيضًا على السفن الكبار والصغار .

﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ ، أي : من زروع وثمار ، ولحوم وألبان ، من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة ، والمناظر الحسنة ، والملابس الرفيعة[١] من سائر الأنواع ، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها ، مما يصنعونه لأنفسهم ، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي .

﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا ﴾ أى : من سائر الحيوانات وأصناف[٢] المخلوقات .

وقد استُدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة .

قال عبد الرزاق(٢١٥) : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة : يا ربنا ، إنك أعطيت بني آدم الدنيا ، يأكلون منها ويتنعمون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه في الآخرة . فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي [لا أجعل][٣] صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان .

وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روي من وجه آخر متصلًا .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢١٦) : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ، حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا[٤] أبو غسان محمد بن مطرف ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن الملائكة قالت : يا ربنا ، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ، ولا نأكل ولا نشرب ولا**

(٢١٥) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٣٨٢) ومن طريقه أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٢٦) حدثنا الحسين بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق به . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٣٥٠) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١٦) - أخرجه الطبراني في « الكبير » - وهو في الجزء المفقود - . وهو أيضًا في الأوسط (٦١٧٣) (٦/١٩٦) من طريق طلحة بن زيد ، عن صفوان بن سليم ، به . وذكره الهيثمي في المجمع (١/٨٧) وقال : « رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك » ، وفي مسند « الأوسط » طلحة بن زيد وهو كذاب أيضًا .

[١] - في خ : « فودا » .
[٢] - في ز : « المرتفعة » .
[٣] - في ت : « سائر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لأجعلن » .

نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان » .

وقد روىٰ ابن عساكر(٢١٧) من طريق محمد بن أيوب الرازي ، حدثنا الحسن بن عليّ بن خلف الصيدلاني ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق ، سمعت عروة بن رُوَيم اللخمي ، حدثني أنس بن مالك ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الملائكة قالوا : ربنا ، خلقتنا وخلقت بني آدم ، فجعلتهم يأكلون الطعام ، ويشربون الشراب ، ويلبسون الثياب ، ويتزوجون النساء ، ويركبون الدواب ، ينامون ويستريحون ، ولم تجعل لنا من ذلك شيئًا ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة . فقال الله عز وجل : لا أجعل من خلقته بيدي ، ونفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن ، فكان** » .

وقال الطبراني(٢١٨) : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا عمر[١] بن سهل ، حدثنا عبيد الله ابن تمام ، عن خالد الحذاء ، عن بشر بن شغاف ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما شيء أكرم علىٰ الله يوم القيامة من ابن آدم** » . قيل : يا رسول الله ، ولا الملائكة ؟ قال : « **ولا الملائكة ، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر** » . وهذا حديث غريب جدًا .

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ

(٢١٧) - وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٩) (١٧٢/١) من طريق هشام بن عمار ثنا عبد ربه بن صالح القرشي : ثنا عروة بن رويم عن جابر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ... فذكره بنحوه . وقال البيهقي : « وقال فيه غيره : عن هشام بن عمار بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري وفي ثبوته نظر » .

(٢١٨) - أخرجه الطبراني في الكبير - وهو في الجزء المفقود - والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٣) (١/ ١٧٤) . والخطيب البغدادي في تاريخه (٤٥/٤) . من طريق عبيد الله بن تمام به . وعزاه الهيثمي في المجمع (٨٧/١) إلى الطبراني في الكبير وقال : « وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف » . وقال البيهقي : « تفرد به عبيد الله بن تمام ، قال البخاري : عنده عجائب ، ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفًا على عبد الله بن عمرو وهو الصحيح » . قلت : أخرجه البيهقي في الشعب (١٥٤) (١٧٥/١) من طريق وهب بن بقية عن خالد الحذاء به موقوفًا . ووهب بن بقية هو الواسطي ثقة كما في « التقريب » . وصحح الموقوف السيوطي في الدر المنثور (٣٥٠/٤) .

[١] - بعده في ز ، خ : محمد . [٢] - في خ : « معمر » .

أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم .

وقد اختلفوا في ذلك ؛ فقال مجاهد وقتادة : أي : بنبيهم ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾ وقال بعض السلف : هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث ؛ لأن إمامهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقال ابن زيد : بكتابهم الذى أنزل على نبيهم من التشريع .

واختاره ابن جرير ، وروي عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : بكتبهم . فيحتمل أن يكون أراد هذا ، وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ أي : بكتاب أعمالهم . وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك ، وهذا القول هو الأرجح ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ووضع الكتاب فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ .

[ويحتمل أن المراد بإمامهم : أي : كل قوم بمن يأتمون به ؛ فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء - عليهم السلام - وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم ، كما قال : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلىٰ النار** ﴾ ، وفي الصحيحين(٢١٩) : « **لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت** ...» الحديث][١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وترىٰ كل أمة جاثية كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ وهذا لا ينافي[٢] أن يجاء بالنبي إذا حكم اللّٰه بين أمته ؛ فإنه لابد أن يكون شاهدًا [عليها][٣] بأعمالها ، كقوله[٤] تعالىٰ : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ ، وقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك علىٰ**

(٢١٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان ، باب : فضل السجود (٨٠٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة الطويل ، وفي الباب أيضًا حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « ينفى » .

[٣] - في ت : « على أمته » .

[٤] - في خ : « كما قال » .

[٥] - في خ : « وقال » .

هؤلاء شهيدًا ﴾ . ولكن المراد هٰهنا بالإمام هو : كتاب الأعمال ؛ ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ﴾** ، أي : من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرؤه ويحب قراءته ، كقوله[١] : **﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾** إلىٰ قوله[٢] : **﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيه * ولم أدر ما حسابيه ﴾** .

وقوله : **﴿ ولا يظلمون فتيلًا ﴾** قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة .

وقد روىٰ الحافظ أبو بكر البزار حديثًا[٣] في هذا فقال(٢٢٠) : حدثنا محمد بن يعمر ، ومحمد بن عثمان بن كرامة ؛ قالا : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في [قوله تعالىٰ][٤] : **﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾** ، قال : **« يدعىٰ أحدهم فيعطىٰ كتابه بيمينه ، ويمدّ له في جسمه ، ويبيّض وجهه ، ويجعل علىٰ رأسه تاج من لؤلؤة تتلألأ ، فينطلق إلىٰ أصحابه ، فيرونه [من بعيد][٥] فيقولون : اللهم ؛ ائتنا[٦] بهذا ، وبارك لنا في هذا ، فيأتيهم فيقول لهم : أبشروا ! فإن لكل رجل منكم مثل هذا . وأما الكافر فيسود وجهه ، ويمدّ له في جسمه ، ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا - أو : من شر هذا - اللهم ؛ لا تأتنا به . فيأتيهم فيقولون : اللهم أخزه . فيقول : أبعدكم الله ! فإن لكل رجل منكم مثل هذا »** ثم قال البزار : لا يروى إلا من هذا الوجه .

وقوله تعالىٰ : **﴿ ومن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلًا ﴾** . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : **﴿ ومن كان في هذه ﴾** ، أي : في الحياة الدنيا **﴿ أعمىٰ ﴾** ، أي[٧] : عن حجج الله وآياته وبيناته ، **﴿ فهو في الآخرة أعمىٰ ﴾** ،

---

(٢٢٠) - وأخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٦) (٥/ ٢٨٢-٢٨٣) . وابن حبان في صحيحه (٧٣٤٩) (٣٤٦/١٦) والحاكم في مستدركه (٢٤٢/٢-٢٤٣) . وأبو نعيم في الحلية (١٥/٩-١٦) . من طريقين عن إسرائيل عن السدي به . وقال الترمذي : حديث حسن غريب . وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا ، فإن عبد الرحمن بن أبي كريمة والد السدي لم يرو له مسلم في صحيحه شيئًا ثم إنه لم يوثقه سوى ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجاهيل . وقال فيه الحافظ في التقريب : مجهول الحال . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥١/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « كما قال تعالى » .
[٢] - في ز : « أن قال » .
[٣] - في خ : « حدثنا » .
[٤] - في خ : « في قول الله » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « اغترينا » .
[٧] - سقط من : ز .

أي : كذلك يكون ، ﴿ **وأضل سبيلًا** ﴾ أى : وأضل منهم كما كان في الدنيا ، عياذًا بالله من ذلك .

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

يخبر تعالىٰ عن تأييد رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالىٰ هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلىٰ أحد من خلقه ؛ بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ، ومظهر دينه علىٰ من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها ، صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين .

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

قيل : نزلت في اليهود ، إذ[١] أشاروا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بسكنىٰ الشام بلاد الأنبياء ، وترك سكنىٰ المدينة . وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنىٰ المدينة بعد ذلك .

وقيل : إنها نزلت بتبوك ، وفي صحته نظر .

قال البيهقي(٢٢١) عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ؛ أن اليهود أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا فقالوا : يا أبا القاسم ؛ إن كنت

(٢٢١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٥٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٣) إلى ابن أبي حاتم وابن عساكر .

[١] - سقط من : ز ، خ .

صادقًا أنك نبي فالحق بالشام ؛ فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء ، فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل اللّٰه عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **تحويلًا** ﴾ فأمره اللّٰه بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ، ومنها تبعث .

وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ؛ فإن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، إنما غزاها امتثالًا لقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّٰه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللّٰه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ ، وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه ، واللّٰه أعلم .

ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم ، عن عُفَير بن مَعْدان ، عن سليم بن عامر ، عن أبي أمامة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة ، والمدينة ، والشام** » . قال الوليد : يعني بيت المقدس ، وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد : إنه بيت المقدس . واللّٰه أعلم .

وقيل : نزلت في كفار قريش ، هموا بإخراج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتوعدهم اللّٰه بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرًا ، وكذلك وقع ، فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم - بعد ما اشتد أذاهم له - إلا سنة ونصف ، حتىٰ جمعهم اللّٰه وإياه ببدر علىٰ غير ميعاد ، فأمكنه منهم ، وسلطه عليهم ، وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم ، وسبىٰ سراتهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا** ﴾ ، أي : هكذا عادتنا في الذين كفروا[١] برسلنا وآذوهم : يخرج[٢] الرسول من بين أظهرهم ، ويأتيهم العذاب . ولولا أنه صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللّٰه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ .

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

---

[١] - في خ : « كذبوا » .
[٢] - في خ : « بخروج » .

يقول تبارك وتعالىٰ لرسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم آمرًا له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ ، قيل : لغروبها . قاله ابن مسعود(٢٢٢) ، ومجاهد ، وابن زيد . وقال[١] هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس(٢٢٣) ، دلوكها : زوالها .

ورواه نافع ، عن ابن عمر(٢٢٤) . ورواه مالك في تفسيره ، عن الزهري ، عن ابن عمر(٢٢٥) ، وقاله أبو بَرْزَة الأسلمي(٢٢٦) ، وهو رواية أيضًا عن ابن مسعود ، ومجاهد . وبه قال الحسن ، والضحاك ، وأبو جعفر الباقر ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، ومما استشهد عليه ما رواه(٢٢٧) عن ابن حميد ، عن الحكم بن بَشير[٢] ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلىٰ ، [عن رجل][٣] ، عن جابر بن عبد اللّٰه ؛ قال : دعوت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه

---

(٢٢٢) - أخرجه الطبراني في الكبير (٩١٣١،٩١٣٢) (١٠/٢٦٣) . والحاكم في المستدرك (٢/٣٦٣) . من طريق الأعمش عن إبراهيم وعمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كان عبد الله - رضي الله عنه - يصلي المغرب ونحن نرى أن الشمس طالعة قال : فنظرنا يومًا إلى ذلك فقال : ما تنظرون ؟ قالوا : إلى الشمس . قال عبد الله : هذا والذي لا إله غيره ميقات هذه الصلاة ... وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة » . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٤) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح » . وله طرق أخرى عن ابن مسعود - انظر المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٢،٢٦٣) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٤) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢٢٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٥) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٤) إلى سعيد بن منصور .

(٢٢٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٥) حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن نافع به .

(٢٢٥) - أخرجه البزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد (١٤٧٧) (٢/٩٠) . من طريق عمر بن قيس عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « دلوك الشمس زوالها » . وقال البزار : « إنما يروى عن ابن عمر موقوفًا ، ولم يرفعه إلا عمر بن قيس وهو لين الحديث » . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٣-٥٤) وقال : « رواه البزار وفيه عمر بن قيس المعرف بسندل وهو متروك ». وضعف إسناده السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٤) وعزاه إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه والديلمي .

(٢٢٦) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٥) من طريقين عن الحسين بن واقد ، عن سيار بن سلامة الرياحي عن أبي برزة الأسلمي ... فذكره .

(٢٢٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٣٧) . وفيه جهالة ، وضعف ابن حميد وابن أبي ليلى لكن ورد بإسناد آخر عن جابر يأتي بعد هذا .

---

[١] - في ز : « قاله » .

[٢] - في خ : « هشيم » .

[٣] - سقط من : خ .

وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندي ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **اخرج يا أبا بكر ، فهذا حين دلكت الشمس** » ثم[١] رواه(٢٢٨) عن سهل بن بكار ، عن أبي عوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ، عن جابر ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، نحوه . فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلاة الخمسة ، فمن قوله : ﴿ **لدلوك الشمس إلى غسق الليل** ﴾ - وهو[٢] : ظلامه ، وقيل : غروب الشمس - أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وقوله : ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾ ، يعني : صلاة الفجر .

وقد ثبتت السنة عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تواترًا من أفعاله وأقواله ، بتفاصيل هذه الأوقات ، على ما عليه عمل[٣] أهل الإسلام اليوم ، مما[٤] تلقوه خلفًا عن سلف ، وقرنًا بعد قرن ، كما هو مقرر في مواضعه[٥] ، وللّٰه الحمد .

﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، قال الأعمش(٢٢٩) : عن إبراهيم ، عن ابن مسعود - وعن أبي صالح(٢٣٠) ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في هذه الآية : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار .

وقال البخاري(٢٣١) : حدثنا عبد اللّٰه بن محمد ، حدثنا[٦] عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ،

---

(٢٢٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٧/١٥) حدثني محمد بن عثمان الرازي ، قال : ثنا ابن بكار به .
وهذا إسناد رجاله ثقات ، غير محمد بن عثمان الرازي شيخ ابن جرير ، فلم أعثر على ترجمة له .

(٢٢٩) - أخرجه ابن ماجه - كتاب الصلاة ، باب : وقت صلاة الفجر (٦٧٠) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٣٩) . من طريق عبيد بن أسباط بن محمد القرشي ثنا أبي عن الأعمش به .
وأحمد في مسنده (٤٧٤/٤) ثنا أسباط عن الأعمش به .

(٢٣٠) - أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « إن قرآن الفجر كان مشهودًا » (١١٢٩٣ (٦/ ٣٨١) . وابن ماجه - كتاب الصلاة ، باب : وقت صلاة الفجر (٦٧٠) (٢٢٠/١) . وأحمد في المسند (٤٧٤/٢) . من طريق أسباط عن الأعمش به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٤) (٣٦٥/٢) . والحاكم في مستدركه (٣٣٠/١) . من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد فذكراه .

(٢٣١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « إن قرآن الفجر كان مشهودًا (٤٧١٧).
ومسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة ، وبيان التشديد =

---

[١] - في خ : « فهذا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « عما » .
[٥] - في ز : « موضعه » .
[٦] - في خ : « بن » .

عن الزهري ، عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **فضل صلاة الجميع[١] على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر** » . ويقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٣٢) : حدثنا أسباط ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم - وحدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم - في قوله : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، قال : « **تشهده ملائكة الليل ، وملائكة النهار** » .

ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ثلاثتهم عن عبيد بن أسباط بن محمد ، عن أبيه به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين(٢٣٣) ، من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فَيَعْرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم [ربهم]**(*) **- وهو أعلم بكم**(*) **- : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون** » .

وقال عبد الله بن مسعود(٢٣٤) : يجتمع الحرسان في صلاة الفجر ، فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد في تفسير هذه الآية .

وأما الحديث الذي رواه ابن جرير(٢٣٥) هٰهنا - من حديث الليث بن سعد ، عن زيادة ،

= في التخلف عنها (٢٤٦) (٦٤٩) من طريق أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة به .

(٢٣٢) - تقدم (٢٢٩ ، ٢٣٠) .

(٢٣٣) - تقدم تخريجه [سورة الرعد/آية ١١] .

(٢٣٤) - أخرجه الطبراني في الكبير (٩١٣٩) (٢٦٥/٩) . من طريق أبي نعيم ثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال : كان عبد الله يقول ... فذكره . وتابع المسعودي قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي عبيدة به اخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٩/١٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٥/٤) إلى سعيد ابن منصور وابن المنذر .

(*) في مصادر التخاريج التي وقفت عليها جاءت بلفظ : « بهم » .

(٢٣٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٩/١٥) . قلت : « وزيادة » هذا هو ابن محمد الأنصاري . قال البخاري والنسائي وأبو حاتم : منكر الحديث وكذا قال ابن حجر في التقريب . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٥/٤) إلى الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « الجمع » .

عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عُبَيد ، عن أبي الدرداء ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكر حديث النزول ، وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفرْ له ، من يَسألني أعطه ، من يدعني فأستجب[١] له حتى يطلع[٢] الفجر » . فلذلك يقول : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ ، فيشهده الله ، وملائكة الليل ، وملائكة النهار .

فإنه تفرد به زيادة وله بهذا حديث في سنن أبي داود(٢٣٦) .

وقوله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ : أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة ، كما ورد في صحيح مسلم(٢٣٧) ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أنه سئل : أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : « **صلاة الليل** » . ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل ، فإن التهجد ما كان بعد نوم . قاله[٣] علقمة ، والأسود ، وإبراهيم النخعي ، وغير واحد ، وهو المعروف في لغة العرب . وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - أنه كان يتهجد بعد نومه - عن ابن عباس ، وعائشة ، وغير واحد من الصحابة - رضي الله عنهم - كما هو مبسوط في موضعه ، ولله الحمد والمنة .

وقال الحسن البصري : هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما بعد النوم .

واختلف في معنى قوله : ﴿ **نافلة لك** ﴾ ، فقيل : معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجبًا في حقه دون الأمة . رواه العوفي عن ابن عباس ، وهو أحد قولي العلماء ، وأحد قولي الشافعي - رحمه الله - واختاره ابن جرير .

وقيل : إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص ، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وغيره من أمته إنما تكفر عنه صلواتُه النوافلُ الذنوبَ التي عليه ، قاله مجاهد ، وهو في المسند(٢٣٨) عن أبي أمامة الباهلي ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ ، أي : افعل هذا الذي أمرتك به ،

---

(٢٣٦) - الحديث المشار إليه عند أبي داود كتاب الطب ، باب : كيفية الرقى ؟ (٣٨٩٢) .

(٢٣٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيام ، باب : فضل صوم المحرم (٢٠٣) (١١٦٣) حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن محمد بن المنتشر عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به .

(٢٣٨) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٦) ، والطبراني في الكبير (٧٥٦١) (٨/١٤٥) ، وابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٣) . من طريق شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال : إنما كانت النافلة للنبي صلى الله عليه =

---

[١] - في ز : « فأستجيب » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « وقال » .

لنقيمك يوم القيامة مقامًا محمودًا[١] ، يحمدك فيه الخلائق كلهم ، وخالقهم تبارك وتعالىٰ .

قال[٢] ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار[٣] ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن[٤] أبي إسحاق ، عن صلة ابن زفر ، عن حذيفة(٢٣٩) ؛ قال : يجمع الناس في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا قيامًا[٥] لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ينادىٰ : يا محمد ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا منجى ولا ملجأ منك[٦] إلا إليك ، تباركت

= وسلم . وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٢٥٥) والطيالسي في مسنده (١١٣٥) . والطبراني في الكبير (٨٠٦٠) (٨/٣٣٠-٣٣١) . وعبد الرزاق في المصنف (٤٨٤٢) (٢/٧٢٠١) . من طرق عن أبي غالب قال : سألت أبا أمامة عن النافلة ؟ قال : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم - نافلة ولكم فضيلة . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٥٣) وقال : « رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شهر ، وفي الآخر أبو غالب ، وقد وثقا وفيهما ضعف لا يضر » .

(٢٣٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٤،١٤٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ (١١٢٩٤) (٦/٣٨١) ، والطيالسي في مسنده (٤١٤) . والحاكم (٢/٣٦٣-٣٦٤) ، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٨) ، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٠٩٥) (٦/١١١٣) . والبزار (٤/٣٤٦٢) ، وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الفضائل (٧/٤٣٣) . من طريق « شعبة ، وسفيان الثوري ، ومعمر بن راشد ، وإسرائيل بن يونس » عن أبي إسحاق به موقوفًا . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٨٠) : « رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح » وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٠٥٨) (٢/ ٩) . والحاكم في المستدرك (٤/٥٧٣) . من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعًا دون ذكر للمقام المحمود ، وتابع الليث على رفعه عبد الله بن المختار ، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٩) (٢/ ٣٦٧) . واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٠٩٤) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٨٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات .

ورجح أبو حاتم في العلل (٢/٢١٧) الوقف . وقال الشيخ الألباني في السنة - عقب رواية عبد الله بن=

[١] - بعده في ت : محمودًا .

[٢] - مكانها بياض في : ز .

[٣] - في خ : « يسار » .

[٤] - في خ : « ابن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ت .

وتعاليت ، سبحانك رب البيت . فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل .

ثم رواه عن بندار عن غندر ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، به . وكذا رواه عبد الرزاق(٢٤٠) عن معمر ، والثوري عن أبي إسحاق به . وقال ابن عباس : هذا المقام المحمود مقام الشفاعة . وكذا قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وقاله الحسن البصري .

وقال قتادة : هو أول من تنشق عنه الأرض [يوم القيامة][١] ، وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالىٰ : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

قلت : لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا ، تشريفاتٌ لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد ؛ فهو أول من تنشق عنه الأرض ، ويبعث راكبًا إلىٰ المحشر ، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردًا منه ، وله الشفاعة العظمىٰ عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق ، وذلك بعد ما يسأل الناس آدم ، ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسىٰ ، ثم عيسىٰ ، فكل يقول : لست لها . حتىٰ يأتوا إلىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم فيقول : « **أنا لها أنا لها** » ، كما سنذكر ذلك مفصلًا في هذا الموضع إن شاء الله تعالىٰ . ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلىٰ النار فيردون عنها ، وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته ، وأولهم إجازة علىٰ الصراط بأمته ، وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم(٢٤١) .

وفي حديث الصور : أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته ، وهو أول داخل إليها ، وأمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم ، وهو

= المختار - المتقدمة . « إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وهو وإن كان موقوفًا ، فإنه في حكم المرفوع ، لأنه لا يقال مثله بالرأي » .

(٢٤٠) - « التفسير » لعبد الرزاق (٣٨٧/٢) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢٤٧٤) (٦١/١٢-٦٢) . من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار الهذلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره ، وقال الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) : « رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع ، وعطاء بن دينار قيل : لم يسمع من سعيد بن جبير » . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٤/١٥) من طريق رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس ذكره . ورشدين ضعيف كما في التقريب . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٦/٤) إلى ابن مردويه .

(٢٤١) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا » (٣٣٢) (١٩٦) (٨٩/٢) من حديث أنس بن مالك .

[١] - سقط من : خ .

صاحب الوسيلة التي هي أعلىٰ منزلة في الجنة لا تليق إلا له ، وإذا أذن اللَّه تعالىٰ في الشفاعة [في العصاة][١] شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا اللَّه تعالىٰ ، ولا يشفع أحد مثله ، ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ، وللَّه الحمد والمنة .

ولنذكر الآن الأحاديث الواردة في المقام المحمود وباللَّه المستعان . قال البخاري(٢٤٢) :

حدثنا إسماعيل بن أبان ، حدثنا أبو الأحوص[٢] ، عن آدم بن عليّ ، سمعت ابن عمر يقول[٣] : إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان ، اشفع ، يا فلان اشفع ، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه اللَّه مقامًا محمودًا .

ورواه حمزة بن عبد اللَّه عن أبيه عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم(٢٤٣) .

قال ابن جرير(٢٤٤) : حدثني محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، حدثنا شعيب بن الليث ، حدثني الليث ، عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر ؛ أنه قال : سمعت حمزة بن عبد اللَّه ابن عمر ، يقول : [سمعت عبد اللَّه بن عمر ؛ يقول][٤] : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الشمس لتدنو حتىٰ يبلغ[٥] العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست صاحب ذلك ، ثم بموسىٰ فيقول كذلك ، ثم بمحمد [صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيشفع][٦] بين الخلق ، فيمشي حتىٰ يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه اللَّه مقامًا محمودًا [يحمده أهل الجمع كلهم][٧]** » .

---

(٢٤٢) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ » (٤٧١٨) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير (١١٢٩٥) (٣٨١/٦) من طريق سعيد بن منصور نا أبو الأحوص به .

(٢٤٣) - أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا - كتاب الزكاة ، باب : من سأل الناس تكثرًا (١٤٧٥) (٣/ ٣٣٨) . وكتاب التفسير ، باب : « عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا » (٤٧١٩) .

(٢٤٤) - وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٢/١٥) . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : من سأل الناس تكثرًا (١٤٧٤،١٤٧٥) (٣٣٨/٣) .

---

[١] - في ز : « للعصاة » .

[٢] - في ز : « الأخوط » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « تبلغ » .

[٦] - في خ : « يشفع » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير و[١] عبد الله بن صالح - كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد : فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا ، يحمده أهل الجمع كلهم][٢] .

قال البخاري(٢٤٥) : وحدثنا عليّ بن عياش ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن محمد ابن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته - حلت له شفاعتي يوم القيامة** » . انفرد به دون مسلم .

(**حديث أبيّ**) : وقال الإمام أحمد(٢٤٦) : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم غير فخر** » .

وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو العقدي ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به ، وقد قدمنا في حديث أبيّ ابن كعب(٢٤٧) في قراءة القرآن علىٰ سبعة أحرف ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في آخره : « **فقلت : اللهم ؛ اغفر لأمتي ، اللهم ؛ اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق ، حتىٰ إبراهيم عليه السلام** » .

---

(٢٤٥) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء (٦١٤) . وأبو داود - كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان (٥٢٩) . والترمذي كتاب الصلاة (٢١١) . والنسائي - كتاب الصلاة - باب : الدعاء عند الأذان (٢/٢٦-٢٧) . وابن ماجه - كتاب الأذان والسنة فيها - باب : ما يقال إذا أذن المؤذن (٧٢٢) كلهم من حديث علي بن عياش به .

(٢٤٦) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٥/١٣٧،١٣٨) . والترمذي - كتاب المناقب ، باب : في فضل النبي صلى الله عليه وسلم (٣٦١٣) . وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر الشفاعة (٤٣١٤) وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٧٩ (٢/٣٦٦) من طريق زهير به ، والحاكم في المستدرك (١/٧١) من طريقين عن عبد الله بن محمد به . قال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه لتفرد عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، ولما نسب إليه من سوء الحفظ ، وهو عند المتقدمين من أئمتنا ثقة مأمون » .

(٢٤٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف - وبيان معناه (٢٧٣) (٨٢٠) .

---

[١] - في ز : « وعلقمة بن » . [٢] - سقط من : خ .

(**حديث أنس بن مالك**) قال الإمام أحمد(٢٤٨) : [حدثنا يحيىٰ بن سعيد][١] ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : **« يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون : لو استشفعنا علىٰ ربنا فأراحنا من مكاننا هذا . فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا إلىٰ ربك حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم : لست هناكم ، ويذكر ذنبه الذي أصاب ، فيستحيي ربَّه - عز وجل - من ذلك ، ويقول: ولكن ائتوا نوحًا ؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض ، فيأتون نوحًا فيقول : لست هناكم ، ويذكر[٢] [خطيئة سؤاله][٣] [ربه ما ليس له به علم][٤] فيستحيي[٥] [ربَّه من ذلك ، ويقول : ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتونه فيقول : لست هناكم][٦] ، ولكن ائتوا موسىٰ : عبدًا كلمه الله وأعطاه التوراة . فيأتون موسىٰ فيقول : لست هناكم ، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحيي ربه من ذلك ، ولكن ائتوا عيسىٰ عبد الله ورسوله وكلمته وروحه . فيأتون عيسىٰ فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا : [عبدًا غفر الله له][٧] ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني »** .

قال الحسن هذا الحرف[٨] : **« فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين »** ، قال أنس : **« حتىٰ أستأذن علىٰ ربي ، فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت ساجدًا لربي ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني »** ، قال : **« ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، فأرفع رأسي ، فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه الثانية ، فإذا رأيت ربي وقعت - أو خررت ساجدًا لربي ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود في الثالثة ، فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجدًا لربي ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ،**

---

(٢٤٨) - أخرجه أحمد (١١٦/٣) . والبخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب قول الله « وعلم آدم الأسماء كلها (٤٤٧٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٣) (٣٢٥) (١٩٣) ، وابن ماجة - كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة (٤٣١٢) من طرق عن سعيد به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « خطيته سأله » ، سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ت : « فيستحي » ، سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : « عبد غفر له » .
[٨] - في خ : « الخوف » .

فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود في الرابعة فأقول : يا رب ، ما بقي إلا من حبسه القرآن » ، فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **فيخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة »** أخرجاه من حديث سعيد به وهكذا رواه الإمام[١] أحمد(٢٤٩) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، بطوله .

وقال الإمام أحمد(٢٥٠) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري ، عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : حدثني نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط ، إذ جاءني عيسىٰ - عليه السلام - فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون** » - أو قال : « **يجتمعون إليك** » - « **ويدعون اللَّه أن يفرق بين جميع الأمم إلىٰ حيث يشاء اللَّه ، لغمّ ما هم فيه ؛ فالخلق ملجمون بالعرق - فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة**[٢] **، وأما الكافر فيغشاه الموت - فقال : اانتظر حتىٰ أرجع إليك ، فذهب نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فقام تحت العرش ، فلقي ما لم يلق مَلَك مصطفى ، ولا نبي مرسل ، فأوحى اللَّه - عز وجل - إلىٰ جبريل : أن اذهب إلىٰ محمد ، وقل له : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فشفعت في أمتي : أن أخرجْ من كل تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا . فما زلت أتردد إلىٰ ربي - عز وجل - ، فلا أقوم منه مقامًا إلا شفعت ؛ حتىٰ أعطاني اللَّه - عز وجل - من ذلك أن قال : يا محمد ، أدخل من أمتك مِن خَلْق اللَّه - عز وجل - من شهد أن لا إله إلا اللَّه يومًا واحدًا مخلصًا ومات علىٰ ذلك »** .

(حديث بريدة رضي اللَّه عنه): قال الإمام أحمد بن حنبل(٢٥١) : حدثنا الأسود بن عامر ، أخبرنا أبو إسرائيل ، عن الحارث بن حصيرة ، عن ابن بريدة ، عن أبيه : أنه دخل علىٰ معاوية فإذا رجل يتكلم ، فقال بريدة : يا معاوية ، تأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم -

(٢٤٩) - أخرجه أحمد (٣/٢٤٧-٢٤٨) .

(٢٥٠) - أخرجه أحمد (٣/١٧٨) . وحرب بن ميمون صدوق روى له مسلم في صحيحه ، وباقي رجاله ثقات من رجال الشيخين .

(٢٥١) - أخرجه أحمد (٥/٣٤٧) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٨١) وقال : رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف كثير في أبي إسرائيل الملائي . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٩٤) (٢/ ٢٢٤) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] -

وهو يرىٰ أنه يتكلم بمثل ما قال الآخر - فقال بريدة : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما علىٰ الأرض من شجرة ومدرة** » . قال : أفترجوها[١] أنت يا معاوية ولا يرجوها عليّ رضي اللَّه عنه ؟ !

(حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه) قال الإمام أحمد(٢٥٢) : حدثنا عارم بن الفضل ، [ ][٢] حدثنا سعيد بن زيد ، حدثنا عليّ بن الحكم البناني ، عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : جاء ابنا مليكة إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالا : إن أمنا كانت تكرم الزوج ، وتعطف على الولد - قال : وذكر الضيف - غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ، فقال : « **أمكما في النار** » . قال : فأدبرا والسوء يُرىٰ في وجوههما ، فأمر بهما فردا ، فرجعا والسرور[٣] يرىٰ في وجوههما رجاء أن يكون[٤] قد حدث شيء[٥] ، فقال : « **أمي مع أمكما** » . فقال رجل من المنافقين : وما يغني هذا عن أمه شيئًا ، ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الأنصار - ولم أر رجلًا قط أكثر سؤالًا منه - يا رسول اللَّه ، هل وعدك ربك فيها أو فيهما ؟ قال : فظن أنه من شيء قد سمعه فقال : « **ما سألته[٦] ربي وما أطمعني فيه ، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة** » . فقال الأنصاري : يا رسول اللَّه ، وما ذاك المقام المحمود ؟ قال : « **ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة غُرْلًا[٧] فيكون أول من يكسى : إبراهيم عليه السلام فيقول : اكسوا خليلي ، فيؤتى بريطتين[٨] بيضاوين فيلبسهما ، ثم يقعده مستقبل العرش ، ثم أوتىٰ بكسوتي فألبسها ،**

(٢٥٢) - أخرجه أحمد (٣٩٨/١) . والطبراني في الكبير (١٠٠١٧) (٩٨/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٨) . والبزار (٢٥١/١) . من طريق سعيد بن زيد به . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٤/٢-٣٦٥) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٩) والطبراني (١٠٠١٨) من طريق الصعق بن حزن ، عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن ابن مسعود به . وقال البزار : « لا نعلمه يروى بهذا اللفظ من حديث علقمة عن عبد الله إلا من هذا الوجه ، وقد روى الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن عبد الله ، وأحسب أن الصعق غلط في هذا الإسناد » . وقال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وعثمان بن عمير هو ابن اليقظان » وتعقبه الذهبي بقوله « لا والله ، فعثمان ضعفه الدارقطني ، والباقون ثقات » والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٣٦٤/١٠-٣٦٥) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف » .

(*) تنبيه : تصحف في المطبوع من المسند « سعيد بن زيد » إلى « ثنا أبو سعيد ثنا ابن زيد » فليستدرك هناك .

[١] - في ز : « فترجوها » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثنا سعيد بن الفضل » .

[٣] - في ز : « والسوء » .

[٤] - في ز : « يكونان » .

[٥] - في ز : « بشيء » .

[٦] - في ز : « شاء الله » .

[٧] - في خ : غر .

[٨] - في ز : « بربطتين » .

فأقوم عن يمينه مقامًا لا يقومه أحد . فيغبطني فيه الأولون والآخرون ، ويفتح نهر[١] **من الكوثر إلىٰ الحوض** » فقال المنافقون : إنه ما جرىٰ ماء قط إلا علىٰ حال أو رَضراض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **حاله المسك ورضراضه التوم**(**) » فقال[٢] المنافق : لم أسمع كاليوم ؛ فإنه قلما [جرىٰ ماء علىٰ حال أو رضراض(*) إلا كان له نبته ؟ فقال الأنصاري : يا رسول الله ، هل له نبت ؟ قال : « **نعم ، قضبان الذهب** » . قال المنافق : لم أسمع كاليوم ؛ فإنه قلما][٣] ينبت[٤] قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر قال الأنصاري : يا رسول الله ، هل له ثمرة ؟ قال : « **نعم ، ألوان الجوهر ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، من شرب منه شربًا**[٥] **لا يظمأ بعده . ومن حرمه لم يروى**[٦] **بعده** ».

وقال أبو داود الطيالسي(٢٥٣) : حدثنا يحيىٰ بن سَلَمة بن كُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي الزّعْراء ، عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة ، فيقوم روح القدس جبريل ، ثم يقوم إبراهيم خليل الله ، ثم يقوم عيسىٰ أو موسىٰ - قال أبو الزعراء : لا أدري أيهما قال : ثم يقوم نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم رابعًا ، فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع ، وهو المقام المحمود الذي قال الله -عز وجل- : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

(حديث كعب بن مالك رضي الله عنه) : قال الإمام أحمد(٢٥٤) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن[٧]

(*) الحال : الطين . والرضراض : الحصى الصغير . (**) التُوم : الدُّرّ .

(٢٥٣) - أخرجه الطيالسي في مسنده (٣٨٩) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٧٦١) (٤١٣/٩،٤١٦) . والحاكم في المستدرك (٥٩٨/٤،٥٦٠) . وابن جرير في تفسيره (١٤٤/١٥) . من طريق سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل به مطولًا ومختصرًا . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بقوله : « ما احتجا بأبي الزعراء » . قلت : ولم يوثقه أيضًا إلا العجلي ، وهو معروف بتساهله . وقال فيه البخاري : لا يتابع على حديثه [التاريخ الكبير ٥٠/ترجمة ٧٢٠] . وذكره الهيثمي في المجمع (٣٣١/١٠:٣٣٣) وقال : « رواه الطبراني وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح وقول النبي - صلى الله عليه وسلم أنا أول شافع » .

(٢٥٤) - أخرجه أحمد (٤٥٦/٣) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤٧٩) (٣٩٩/١٤) . والطبراني في الكبير (١٤٢) (٧٢/١٩-٧٣) . وفي « الأوسط » (٨٧٩٧) (٣٣٦/٨) وفي « معجم الشاميين » (١٧٨٥) . والحاكم في المستدرك (٣٦٣/٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٤٧/١٥) . من طريق محمد بن حرب به . وأخرجه الطبراني (١٤٢) وابن جرير (١٤٦/١٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٤٤٩/١) =

---

[١] - في ز : « لهم » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يثبت » .
[٥] - في خ: « شربة » .
[٦] - في ت : « يروى » .
[٧] - في ز ، خ : « عن » .

عبد اللَّه بن [كعب بن مالك][١] ، عن كعب بن مالك ؛ قال[٢] : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي علىٰ تل ، ويكسوني ربي – عز وجل – حلة خضراء[٣] ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء اللَّه أن أقول ، فذلك المقام المحمود** » .

(حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه) : قال الإمام أحمد(٢٥٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبي الدرداء ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه ، فأنظر إلىٰ ما[٤] بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ، ومن خلفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك ، وعن شمالي مثل ذلك** » . فقال رجل : يا رسول اللَّه ؛ كيف تعرف أمتك من[٥] بين الأمم فيما بين نوح إلىٰ أمتك ؟ قال : « **هم غرّ محجلون من أثر الوضوء ، ليس أحد كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يُؤتَون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم تسعىٰ من[٦] بين أيديهم ذريتهم** » .

(حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه) : قال الإمام أحمد رحمه اللَّه(٢٥٦) : حدثنا يحيىٰ ابن سعيد ، حدثنا أبو حيان ، حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ؛ قال :

= وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٥) . من طريقين عن بقية بن الوليد عن الزبيدي به . وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥٤/٧) وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » ، (٣٨٠/١٠) وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح » وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢٥٥) – أخرجه أحمد (١٩٩/٥) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٣٠/١) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير باختصار ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف » . وذكره أيضًا (٣٤٧/١٠) وقال : « رواه أحمد والبزار باختصار عنه ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن لهيعة ، وهو ضعيف وقد وثق . وأخرجه أحمد أيضًا (١٩٩/٥) حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير أنه سمع من أبي ذر وأبي الدرداء فذكره بنحوه . وتابع ابن لهيعة : الليث بن سعد . أخرجه الحاكم (٤٨٧/٢) من طريق عبد الله بن صالح المصرى حدثني الليث بن سعد به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص . لكن عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ، صدوق كثير الغلط كما في التقريب .

(٢٥٦) – أخرجه أحمد (٤٣٥/٢ – ٤٣٦) وأخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الأنبياء ، باب : قول =

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – سقط من : ت .
[٣] – في ز ، خ : « حمراء » .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – سقط من : خ .
[٦] – سقط من : ت .

أُتي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بلحم ، فَرُفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - [فَنَهش منها نَهْشةً][١] ، ثم قال : « **أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذاك ؟ يجمع اللَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يُسْمعهم الداعي وينفُذُهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الهمّ[٢] والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض[٣] الناس لبعض : [ألا ترون إلىٰ ما أنتم فيه ؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم عز وجل ؟ فيقول بعض الناس لبعض][٤] : أبوكم آدم فيأتون آدم[٥] فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك اللَّه بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ماقد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُه ، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ نوح .**

فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ؛ أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض ، سماك[٦] اللَّه عبدًا شكورًا ، فاشفع[٧] لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ؛ ولن يغضب بعده مثله ، وإنه كانت لي دعوة علىٰ قومي ، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ؛ أنت نبي اللَّه وخليله من أهل الأرض ، [اشفع لنا إلىٰ ربك][٨] ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ماقد بلغنا ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبًالم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، فذكر كذباته . نفسي ! نفسي[٩] ! نفسي ! [اذهبوا إلى غيري][١٠] ، اذهبوا إلى موسى .

= الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ (٣٣٤٠) (٣٧١/٦) . ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٧) (١٩٤) (٨٠/٣ : ٨٤) . والترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في الشفاعة (٢٤٣٤) (٥٣٧/٤ : ٥٣٩) . من طرق عن أبي حيان به .

---

[١] - في ت : « فنهس منها نهسة » .
[٢] - في ت : « الغم » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ائتوا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « وسماك » .
[٧] - في خ : « اشفع » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ت .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

فيأتون موسىٰ عليه السلام فيقولون : يا موسىٰ ؛ أنت رسول اللَّه ، اصطفاك اللَّه برسالاته وبكلامه علىٰ الناس ، اشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسىٰ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد[١] قتلت نفسًا لم أومر بقتلها . نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ .

فيأتون عيسىٰ فيقولون : يا عيسىٰ ؛ أنت رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه - قال : هكذا هو- وكلمت الناس في المهد صبيًا[٢] ، فاشفع لنا إلىٰ[٣] ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسىٰ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن[٤] يغضب بعده مثله -ولم يذكر ذنبًا - اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

فيأتوني فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسول اللَّه وخاتم الأنبياء ، وقد[٥] غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي - عز وجل - ثم يفتح اللَّه عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه علىٰ أحد قبلي ، فيقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب[٦] ، أمتي أمتي . يارب ، أمتي ! يارب ، أمتي أمتي . فيقال : يا محمد ؛ أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب ، ثم قال[٧] : والذي نفس محمد بيده [لما بين المصراعين][٨] من مصاريع الجنة لكما[٩] بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبُصْرى . أخرجاه في الصحيحين .

وقال مسلم - رحمه اللَّه(٢٥٧) - : حدثنا الحكم بن موسىٰ ، حدثنا هِقْلُ بن زياد ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني عبد اللَّه بن فروخ ، حدثني أبو هريرة ؛ قال : قال

(٢٥٧) - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل ، باب : تفضيل نبينا - صلى الله عليه وسلم - على جميع الخلائق (٣) (٢٢٧٨) . وأبو داود كتاب السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧٣) حدثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد عن الأوزاعي به .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « ولم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « يارب » .
[٧] - في خ : « يقال » .
[٨] - في خ : « لما بين مصراعيه » .
[٩] - في خ : « كما » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق**[١] **عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع** » .

وقال ابن جرير(٢٥٨) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن داود بن يزيد الزّعافري[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ - سئل عنها - فقال : « **هي الشفاعة** » .

رواه الإمام أحمد عن وكيع و[٣]محمد بن عبيد ، عن داود ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله تعالىٰ : ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ ، قال : « **هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه** » .

وقال عبد الرزاق(٢٥٩) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عليّ بن الحسين ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة مدّ الله الأرض مدّ الأديم حتىٰ لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدمه** » ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **فأكون أول من يدعىٰ**[٤] ، **وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها ، فأقول أي**[٥] : **رب ؛ هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ . فيقول الله**[٦] **- تبارك وتعالىٰ - : صدق . ثم أشفع فأقول : يا رب ؛ عبادك عبدوك في أطراف الأرض** » . قال : فهو المقام المحمود . هذا حديث مرسل .

---

(٢٥٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٥/١٥) . وأخرجه أحمد (٤٤٤/٢ ، ٤٧٨) . والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل (٣١٣٧) والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٩٩) (٢٨١/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٧٢/٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٤) (٣٦٤/٢) . كلهم من طريق وكيع بن الجراح به . وأخرجه أحمد (٤٤١/٢ ، ٥٢٨) . والمروزي في زوائد زهد ابن المبارك (١٣١٢) . من طريق محمد بن عبيد قال : حدثنا داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا » قال : « والمقام الذي أشفع لأمتي فيه » . وقال الترمذي « هذا حديث حسن » . قلت : داود بن يزيد ضعيف ، وأبوه مقبول كما في « التقريب » ، وللحديث شواهد كثيرة منها حديث كعب بن مالك - تقدم (٣٣٩) وشواهد أخرى تأتي . والحديث حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٣٦٩) (٤٨٤/٥) .

(٢٥٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٢/١٥) . والحاكم في المستدرك (٥٧١/٤) . من طريقين عن عبدالرزاق عن معمر به . وتابع معمرًا على إرساله :

١- « يونس بن يزيد » . أخرجه الحاكم (٥٧١/٤) من طريقه عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن =

---

[١] - في خ : « تنشق » .
[٢] - في خ : « الدعافري » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في خ : « أدعى » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « الرب » .

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

قال الإمام أحمد(٢٦٠) : حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظَبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قال[١] : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله : ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا** ﴾ .

وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه ، وأراد الله قتال أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلىٰ المدينة ، فهو الذي قال الله - عز وجل - : ﴿ **[وقل رب][٢] أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** ﴾ .

= رجل من أهل العلم ولم يسمه .
٢ - صالح بن كيسان .
أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٠٣) (٢٨٢/١) من طريق إبراهيم بن سعد عنه عن الزهري به .
وقد وصله إبراهيم بن سعد عن الزهري عن علي بن الحسين عن جابر - رضي الله عنه - به . أخرجه الحاكم (٥٧٠/٤ - ٥٧١) . وقال : « حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد أرسله يونس ابن يزيد ، ومعمر بن راشد عن الزهري » . قلت : وإبراهيم بن سعد ثقة روى له الجماعة ، لكنه لم يكن ثبتًا في الزهري . كما قال الذهبي في كتابه « من تكلم فيه ، وهو موثق » : « إبراهيم بن سعد ثقة سمع من الزهري والكبار ، ينفرد بأحاديث تحتمل له ، ليس هو في الزهري بذاك الثبت » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢٦٠) - أخرجه أحمد (٢٢٣/١) وأخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٣٩) (٢٨٤/٥) . والحاكم في مستدركه (٣/٣) . والبيهقي في السنن (٩/٩) وفي دلائل النبوة (٥١٦/٢) . وابن جرير في تفسيره (١٤٨/١٥) . من طريق جرير به . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢٦١٨) (١٠٩/١٢) من طريق سفيان عن قابوس به . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥١٦/٢) من طريق سفيان عن قابوس بن أبي ظبيان عن ابن عباس به هكذا دون ذكر لأبيه . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . قلت : قابوس بن أبي ظبيان . ضعفه النسائي ، وقال أبو حاتم : وليس بالقوى . وضعفه ابن معين في رواية ، ووثقه في أخرى ، وقال ابن سعد: فيه ضعف لا يحتج به . وذكره ابن حبان في المجروحين وقال : كان رديء الحفظ يتفرد عن أبيه بما لا أصل له ربما رفع المراسيل وأسند الموقوف . وقال الدارقطني : « ضعيف ولكن لا يترك » ، ولينه ابن حجر في التقريب .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

و[١]قال قتادة : ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق** ﴾ ، يعني : [المدينة ﴿ **وأخرجني مخرج صدق** ﴾ يعني][٢] : مكة . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وهذا القول هو أشهر الأقوال .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **أدخلني مدخل صدق** ﴾ ، [يعني : الموت][٣] ، ﴿ **وأخرجني مخرج صدق** ﴾ ، يعني : الحياة بعد الموت . وقيل غير ذلك من الأقوال . والأول أصح ، وهو اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ **واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا** ﴾ ، قال الحسن البصري في تفسيرها : وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له[٤] ، وملك الروم وعز الروم وليجعلنه له .

وقال قتادة فيها : إن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم علم ألّا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطانا نصيرًا لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، لولا ذلك لأغار بعضهم علىٰ بعض فأكل شديدهم ضعيفهم .

و[٥] قال مجاهد : ﴿ **سلطانًا نصيرًا** ﴾ : حجة بينة .

واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة - وهو الأرجح - لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ؛ ولهذا قال[٦] تعالىٰ : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب** ﴾ وفي الحديث : « **إن الله [ليزع][٧] بالسلطان ما لا يزع بالقرآن** » . أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع .

وقوله : ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** ﴾ : تهديد ووعيد لكفار قريش ؛ بأنه[٨] قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية[٩] فيه ولا قبل لهم به ، وهو ما بعثه

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في خ : « يقول » .
[٧] - في ز : « لا يزع » .
[٨] - في ت : « فإنه » .
[٩] - في خ : « مزية » .

اللَّه به من القرآن والإيمان والعلم النافع ، وَزَهَق باطلُهم ، أي : اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا ثبات[١] له مع الحق ولا بقاء ، ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ .

وقال البخاري(٢٦١) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : دخل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب[٢] ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** ﴾ ﴿ **جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد** ﴾ .

وكذا رواه البخاري أيضًا في غير هذا الموضع ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، كلهم من طرق ، عن سفيان بن عيينة ، به .

وكذا رواه الحافظ أبو يعلىٰ(٢٦٢) : حدثنا زهير ، حدثنا شبابة ، حدثنا المغيرة ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر - رضي اللَّه عنه - قال : دخلنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا يعبدون من دون اللَّه ، فأمر بها رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأكبت لوجهها ، وقال : « **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** » .

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

---

(٢٦١) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : وقل جاء الحق وزهق الباطل (٤٧٢٠) وأخرجه البخاري أيضًا - كتاب المظالم ، باب : هل تكسر الدِّنان التي فيها خمر ، أو تخرَّق الزقاق (٢٤٧٨) (١٢١/٥) . وكتاب المغازي ، باب : أين ركز النبي - صلى الله عليه وسلم - الراية يوم الفتح (٤٢٨٧) ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير ، باب : إزالة الأصنام من حول الكعبة (٨٧) (١٧٨١) . والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل (٣١٣٨) . والنسائي في الكبرى كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله تعالى : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾ (١١٢٩٧) .

(٢٦٢) - لم أقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب المغازي ، باب : فتح مكة (٧) (٥٣٤/٨) حدثنا شبابة بن سوار به . وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤٣٦٤) (٢٤٨/٤) وعزاه هناك وفي «الفتح» (١٧/٨) إلى ابن أبي شيبة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر .

---

[١] - في ز ، خ : « ساق » .

[٢] - في خ : « صنم » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه الذي أنزله علىٰ رسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - أنه ﴿ **شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، أي : يذهب ما في القلوب من أمراض ؛ من شك ونفاق ، وشرك وزيغ وميل - القرآن يشفي من ذلك كله - وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه ؛ فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا[١] وتكذيبًا وكفرًا ، والآفة من الكافر لا من القرآن ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

[قال قتادة في قوله][٢] : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ : إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ، ﴿ **ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ . إنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ؛ فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

يخبر تعالىٰ عن نقص الإنسان من حيث هو ؛ إلا من عَصَمَ الله تعالىٰ ، في حالتي سرائه وضرائه ، بأنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية ، وفتح ورزق ونصر ، ونال ما يريد ، أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأىٰ بجانبه .

قال مجاهد : بعد عنَّا .

قلت : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ مسّه** ﴾ ، وقوله : ﴿ **فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم** ﴾ .

وبأنه إذا مسه الشر - وهو المصائب والحوادث والنوائب - ﴿ **كان يئوسًا** ﴾ . أي : قنط أن يعودَ يحصلُ له بعد ذلك خير ، كقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم**

---

[١] - في ز : « هدًا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قال تعالى في قوله تعالى » .

[٣] - في خ : « كما قال » .

نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ .

وقوله تعالىٰ : **﴿ قل كل يعمل علىٰ شاكلته ﴾** ، قال ابن عباس : علىٰ[١] ناحيته . وقال مجاهد : علىٰ[٢] حدته وطبيعته . وقال قتادة : علىٰ نيته . وقال ابن زيد : دينه .

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنىٰ ، وهذه الآية - والله أعلم - تهديد للمشركين ووعيد لهم ، كقوله تعالىٰ : **﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا علىٰ مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون ﴾** ؛ ولهذا قال : **﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلًا ﴾** أي : منا ومنكم ، وسيجزي كل عامل بعمله ، فإنه لا تخفىٰ[٣] عليه خافية .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قال الإمام أحمد(٢٦٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حرث في المدينة ، وهو متوكئ[٤] [على عسيب][٥] ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال بعضهم : لا تسألوه . قال : فسألوه عن الروح فقالوا : يا محمد ! ما الروح ؟ فما زال متوكئًا علىٰ العسيب ، قال : فظننت أنه يوحىٰ إليه ، فقال : **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه .

---

(٢٦٣) - أخرجه أحمد (١/٤٤٤ - ٤٤٥) وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم ، باب : قول الله تعالى : **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** (١٢٥) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب : سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح (٣٢) (٢٧٩٤) . والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بنى إسرائيل (٣١٤١) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : **﴿ ويسألونك عن الروح ﴾** (١١٢٩٩) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « يخفى » .

[٤] - في ز : « متكئ » .

[٥] - سقط من : ت .

وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية(٢٦٤) : عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : بينا أنا أمشي[١] مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ[٢] على عسيب إذ مرّ اليهود ، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح فقال[٣] : ما رابكم إليه . وقال بعضهم : لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه . فقالوا : سلوه ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي صلىٰ الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئًا ، فعلمت أنه يوحىٰ إليه ، فقمت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ....** ﴾ .

وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنيةٌ ، وأنها إنما أنزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة ، مع أن السورة كلها مكية ! وقد يجاب عن هذا بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه وحي بأنه يجيبهم عما سألوه[٤] بالآية المتقدم إنزالها عليه ، وهي هذه الآية : [﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ ، ومما يدل علىٰ نزول هذه الآية][٥] بمكة ما[٦] قال الإمام أحمد(٢٦٥) :

حدثنا قتيبة ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قالت قريش ليهود : أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح . فسألوه ، فنزلت : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر[٧] ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا** ﴾ . قالوا : أوتينا علمًا كثيرًا ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا . قال : وأنزل الله : ﴿ **قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد**

(٢٦٤) – أخرجه البخاري في التفسير (٤٧٢١) (٤٠١/٨) حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش به .

(٢٦٥) – أخرجه أحمد (٢٥٥/١) . والترمذي – كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بنى إسرائيل (٣١٤٠) (٢٨٤/٥) . والنسائي في الكبرى – كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي** ﴾ (١١٣١٤) (٣٩٢/٦ – ٣٩٣) من طريق قتيبة بن سعيد به . وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٥٠١) (٣٨٠/٤ – ٣٨١) . وعنه ابن حبان في صحيحه (٩٩) (٣٠١/١) . وأبو الشيخ في العظمة (٤٠٣) (٨٦٣/٣) . والحاكم في المستدرك (٥٣١/٢) . من طريقين عن ابن أبي زائدة به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

[١] – سقط من : خ .
[٢] – في ز : « متكئ » .
[٣] – في ز ، خ : « قال » .
[٤] – في خ : « سألوا » .
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] – في ز ، خ : « كما » .
[٧] – سقط من : خ .

كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا ﴾

وقد روىٰ ابن جرير(٢٦٦) ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الأعلىٰ ، عن داود ، عن عكرمة ؛ قال : سأل أهل الكتاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن الروح ، فأنزل اللَّه : **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** . [فقالوا : يزعم أنّا لم نؤت من العلم إلا قليلًا][١] ، وقد أوتينا التوراة ، وهي الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا . قال : فنزلت : **﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه ﴾** ، قال : ما أوتيتم من علم[٢] فنجاكم اللَّه به من النار فهو كثير طيب ، وهو في علم اللَّه قليل .

وقال محمد بن إسحاق(٢٦٧) ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ؛ قال : نزلت بمكة **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** ، [فلما هاجر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلىٰ المدينة أتاه أحبار يهود ، فقالوا[٣] : يا محمد ، ألم يبلغنا عنك أنك تقول : **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾**][٤] أفعنيتنا أم عنيت قومك ؟ فقال : « **كُلًّا قد عنيت** » . قالوا : إنك تتلو أنّا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هي في علم اللَّه قليل ، وقد آتاكم ما إن عملتم به استقمتم** » . وأنزل اللَّه : **﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه إن اللَّه عزيز حكيم ﴾** وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح هٰهنا على أقوال : أحدها : أن المراد أرواح بني آدم .

قال العوفي(٢٦٨) : عن ابن عباس في قوله : **﴿ ويسألونك عن الروح ﴾** الآية : وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أخبرنا عن الروح ، وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من اللَّه ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يُحِرْ إليهم شيئًا ، فأتاه جبريل فقال له : **﴿ قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾** ، فأخبرهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك ، فقالوا : من جاءك بهذا ؟ فقال : جاءني به جبريل من عند اللَّه . فقالوا له : واللَّه ما قاله لك إلا عدوٌّ لنا . فأنزل اللَّه : **﴿ قل من كان عدوًّا**

(٢٦٦) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٥) .

(٢٦٧) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٧) حدثني ابن حميد ، قال: ثنا سلمة قال : ثنا محمد بن إسحاق به .

(٢٦٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦١) إلى ابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في خ : « العلم » .

[٣] - في ت : « وقالوا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾الآية. وقيل: المراد بالروح هٰهنا جبريل. قاله قتادة، قال: وكان ابن عباس يكتمه.

وقيل: المراد به هٰهنا[١] مَلَك عظيم بقدر المخلوقات كلها. قال[٢] عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله: ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ يقول: الروح: ملك.

وقال الطبراني(٢٦٩): حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري، حدثنا وهب بن روق أبو هبيرة، حدثنا بشر بن بكر[٣]، حدثنا الأوزاعي، حدثنا عطاء، عن عبد الله بن عباس؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إن لله ملكًا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه: سبحانك حيث كنتَ** ». وهذا حديث غريب، بل منكر.

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٧٠) - رحمه الله -: حدثني عليّ، حدثني عبد الله، حدثني أبو هزان(*) يزيد بن سمرة صاحب قيسارية، عمن حدثه، عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال في قوله: ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾، قال[٤]: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون[٥] ألف لغة، يسبّح الله تعالى بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا[٦] يطير مع الملائكة

(٢٦٩) - أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٧٦) (١٩٥/١١). وفي الأوسط (٦٤٤٢) (٢٩٠/٦). وعنه وأبو نعيم في الحلية (٣١٨/٣). وذكره الهيثمي في المجمع (٨٥/١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: « تفرد به وهب بن روق »، قلت: ولم أر من ذكر له ترجمة. وقال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث الأوزاعي عن عطاء لم نكتبه إلا من حديث بشر بن بكر. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١٩٥٤) (١٨٣/٢).

(٢٧٠) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٦/١٥). وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٦٢). وأبو الشيخ في العظمة (٤٠٨) (٨٦٨/٣). وابن الأنباري في كتاب الأضداد (ص ٤٢٣). من طريقين عن أبي هزان يزيد بن سمرة به.

(*) تصحف في المطبوع من تفسير ابن جرير: « أبي هزان » إلى « أبي مروان » وكذلك تصحف في ز، خ، ت إلى « أبي نمران ».

« وأبو هزان » ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٢٣٠) (٢٣٧/٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١١٢٦) (٢٦٨/٩) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. وذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٧٢/٩)، وقال: « ربما أخطأ » - وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦١/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في خ: « قاله ».
[٣] - في خ: « بكير ».
[٤] - في خ: « قل ».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في خ: « ملك ».

إلىٰ يوم القيامة .

وهذا أثر غريب عجيب ، واللَّه أعلم .

وقال السهيلي : روي عن عليّ أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس ، لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يسبح اللَّه تعالىٰ بلغات مختلفة .

قال السهيلي : وقيل : المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم .

[وقيل : طائفة يرون الملائكة ولا تراهم ، فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم][١] .

وقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ ، أي : من شأنه ، ومما استأثر بعلمه دونكم ؛ ولهذا قال : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أي : وما أطلعكم من علمه إلّا على القليل ، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلّا بما شاء تبارك وتعالىٰ .

[والمعنىٰ : أن علمكم في علم اللَّه قليل ، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالىٰ ولم يطلعكم عليه ، كما أنه لم يطلعكم إلا علىٰ القليل من علمه تعالىٰ][٢] وسيأتي إن شاء اللَّه في قصة موسىٰ والخَضْر أن الخضر نظر إلىٰ عصفورٍ وقع علىٰ حافة السفينة ، فنقر في البحر نقرة - أي : شرب منه بمنقاره - فقال : يا موسىٰ ، ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم اللَّه إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر . أو كما قال صلوات اللَّه وسلامه عليه ؛ ولهذا قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

وقال السهيلي : قال بعض الناس : لم يجبهم عما سألوا ؛ لأنهم سألوا على وجه التعنت . وقيل : أجابهم . وعوّل السهيلي علىٰ أن المراد بقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ . أي : من شرعه ، أي : فادخلوا فيه ، وقد علمتم ذلك ؛ لأنه لا سبيل إلىٰ معرفة هذا من طبع ولا فلسفة ، وإنما يُنال من جهة الشرع . وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر ، واللَّه أعلم .

ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها ، وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء ، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر ، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس ، بشرط اتصالها بالبدن ، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم ، فهي إما نفس مطمئنة ، أو أمارة بالسوء . قال : كما أن الماء هو حياة الشجر ، ثم يُكسَب بسبب اختلاطه معها اسمًا خاصًا ؛ فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار إمّا مُضطارًا أو

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

خمرًا ، ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وهكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو ، وكذلك لا يقال للروح نفس[١] إلا باعتبار ما تئول إليه . فحاصل ما يقول أن الروح أصل النفس ومادتها ، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن ، فهي هي من وجه لا من كل وجه . وهذا معنى حسن ، والله أعلم .

قلت : وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها ، وصنفوا في ذلك كتبًا ، ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده في كتاب سمعناه في الروح .

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

قال ابن مسعود(٢٧١) - رضي الله عنه - : يطرق الناس ريح[٢] حمراء - يعني : في آخر الزمان - من قبل الشام ، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ...** ﴾ الآية .

(٢٧١) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٥٨) حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : ثنا إسحاق ابن يحيى عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود ... فذكره . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٠) (٣/٣٦٢) . ومن طريقه الطبراني في الكبير (٨٦٩٨) (٩/١٥٣) . عن الثوري عن أبيه عن المسيب بن رافع عن شداد بن معقل به مطولًا نحوه . وأخرجه عبد الرزاق أيضًا (٥٩٨٠ ، ٥٩٨١) . والطبراني كذلك (٨٦٩٨ ، ٨٧٠٠) . والحاكم في المستدرك (٤/٥٠٤) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٧) (٢/٣٥٦) . من طريقين عن عبد العزيز بن رفيع سمع شداد بن معقل سمع عبد الله بن مسعود يقول : إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ، وإن هذا القرآن الذي بين أظهركم وشك أن يرفع قالوا : كيف وقد أثبته الله في قلوبنا وأثبتناه في المصاحف قال : يسرى عليه ليلًا فيذهب ما =

[١] - في ز ، خ : « نفسًا » . [٢] - في خ : « بريح » .

ثم نبه تعالىٰ علىٰ شرف هذا القرآن العظيم ، فأخبر أنه تعالى لو اجتمعت الإنس والجن كلهم ، واتفقوا علىٰ أن يأتوا بمثل ما أنزله علىٰ رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا ؛ فإن هذا أمر لا يستطاع ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ، ولا مثال له ، ولا عديل له ؟!

وقد روىٰ محمد بن إسحاق(٢٧٢) ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد [بن جبير][١] - أو عكرمة - عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا له : إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به[٢] . فأنزل الله هذه الآية .

وفي هذا نظر ؛ لأن هذه السورة مكية ، وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ ، أي : بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ، ومع هذا ﴿ فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورًا ﴾ ، أي : جحودًا للحق[٣] وردًّا للصواب .

وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ
مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

= في قلوبكم ويرفع ما في المصاحف ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في المجمع (٥٥٠٥٤/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة » . وأخرجه الدارمي في سننه (٢٣٤٦) (٣١٥/٢) حدثنا عمرو بن عاصم ، ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : ليسرين على ذات ليلة ، ولا يترك آية في مصحف ، ولا في قلب أحد إلا رفعت . وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم . وأخرجه الدارمي أيضًا (٢٣٤٤) نحوه . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٦) (٣٥٥/٢) . من طريقين عن ناجية بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وقال البيهقي: « هذا ناجية بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » وليس له غير هذا » .

(٢٧٢) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٨/١٥) حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير قال : ثنا محمد بن إسحاق به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٥/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

قال ابن جرير(٢٧٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بُكَير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا سفيان بن حرب ، ورجلًا من بني عبد الدار ، وأبا البَختري أخا بني أسد ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد اللَّه بن أبي أمية ، وأمية بن خلف ، والعاصَ بن وائل ، ونُبَيهًا ومُنَبّهًا ابني الحجاج السَّهْمِيَّيْن اجتمعوا - أو من اجتمع منهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلىٰ محمد فكلموه وخاصموه حتىٰ تُعذرُوا فيه[١] . فبعثوا إليه : أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سريعًا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بَداء ، وكان عليهم حريصًا ، يحب رشدهم ، ويعز عليه عَنَتُهم ، حتىٰ جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ؛ إنا قد بعثنا إليك لنُعْذَر فيك ، وإنا واللَّه ما نعلم رجلًا من العرب أدخل علىٰ قومه ما أدخلت علىٰ قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقي من أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ! فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب [ ][٢] مالًا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالًا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب[٣] عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن : الرَّئِيّ - فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطب حتىٰ نبرئك منه ، أو نُعذرَ فيك .

فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ولا الشرفَ فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن اللَّه[٤] بعثني إليكم رسولًا ، وأنزل عليّ كتابًا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالة ربي ، ونصحت لكم ؛ فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر[٥] اللَّه ، حتى يحكم اللَّه[٦] بيني وبينكم** . أو كما قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه

(٢٧٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٦٤ : ١٦٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦٥ : ٣٦٧) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . وانظر سيرة ابن هشام (١/٣٠٦ : ٣٠٩) .

[١] - في ز ، خ : « إليه » .
[٢] - في ت : به .
[٣] - في خ : « غاب » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لحكم » .
[٦] - سقط من : خ .

وسلم تسليمًا .

فقالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادًا ، ولا أقل مالًا ، ولا أشد عيشًا منا ، فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضَيّقت علينا ، ولْيبسُط لنا بلادنا ، ولْيُفَجّر[١] فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا مَن مضىٰ من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم[٢] : قصيّ بن كلاب ؛ فإنه كان شيخًا صدوقًا ، فنسألهم[٣] عما تقول حق هو أم[٤] باطل ، فإن صنعت ما سألناك وصدّقوك صدقناك ، وعرفنا به[٥] منزلتك عند اللّٰه ، وأنه بعثك رسولًا كما تقول ! .

فقال لهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما بهذا بعثت ! إنما جئتكم من عند اللّٰه بما بعثني به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم[٦] ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر اللّٰه حتىٰ يحكم اللّٰه بيني وبينكم** » .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فاسأل ربك أن يبعث ملكًا يصدقك بما تقول[٧] ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لك جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبتغي ؛ فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتىٰ نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولًا كما تزعم .

فقال لهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن اللّٰه بعثني بشيرًا ونذيرًا ؛ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر اللّٰه حتىٰ يحكم اللّٰه بيني وبينكم** » .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك[٨] ؛ فإنّا لن نؤمن لك إلّا أن تفعل. فقال لهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ذلك إلىٰ اللّٰه إن شاء فعل بكم ذلك** » .

فقالوا : يا محمد ، أما[٩] علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك [ما تُراجعنا][١٠] به ، ويخبرك ما هو صانع

[١] - في ز ، خ : « وليجر » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « لنسألهم » .
[٤] - في خ : « أو » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « يقول » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « لما » .
[١٠] - في خ : « ما يراجعنا » .

في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتىٰ نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتىٰ تأتي بالله والملائكة قبيلًا .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته ، ابن عاتكة ابنة عبدالمطلب - فقال : يا محمد ، عرض عليك[١] قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أومن بك[٢] أبدًا حتىٰ تتخذ إلىٰ السماء سلمًا ، ثم ترقىٰ فيه وأنا أنظر حتىٰ تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة[٣] ، معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ أهله حزينًا أسفًا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأىٰ من مباعدتهم إياه .

وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي ، عن ابن إسحاق ، حدثني بعض أهل العلم ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر مثله سواء .

وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له ، لو[٤] علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادًا لأجيبوا إليه ، ولكن علم[٥] أنهم إنما يطلبون ذلك كفرًا وعنادًا ، فقيل للرسول : إن شئت أعطيناهم ما سألوا ، فإن كفروا عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب[٦] التوبة والرحمة . فقال : « **بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة** » . كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام(٢٧٤) أيضًا عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا * أو يلقىٰ إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها**

(٢٧٤) - تقدم (٢٠١،٢٠٢، ٢٠٣) .

[١] - في خ : « علينا » .
[٢] - في ز : « لك » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « علموا » .
[٦] - في خ : « أبواب » .

الأنهار ويجعل لك قصورًا * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرًا ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ الينبوع : العين الجارية ، سألوه أن يجري لهم عينًا[١] معينًا في أرض الحجاز هٰهنا وهٰهنا ، وهذا[٢] سهل يسير علىٰ اللّٰه تعالىٰ لو شاء[٣] لفعله ، ولأجابهم إلىٰ جميع ما سألوا وطلبوا ، ولكن علم أنهم لايهتدون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللّٰه ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **أو تسقط السماء كما زعمت** ﴾ ، أي : إنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه[٤] السماء وتَهِي ، وتُدْلي أطرافها ، فعجّل ذلك في الدنيا ، وأسقطها كسفًا ، [أي : قطعًا ، كقولهم : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ...** ﴾ الآية . وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا : ﴿ **أسقط علينا كسفًا**][٥] **من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ فعاقبهم الرب بعذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم ، وأما نبيّ الرحمة ونبيّ التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل إنظارهم وتأجيلهم لعل اللّٰه أن[٦] يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا ، وكذلك وقع ؛ فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، حتىٰ عبد اللّٰه بن أبي[٧] أمية الذي تبع النبي صلّىٰ اللّٰه عليه وسلم وقال له ما قال ، أسلم إسلامًا تامًّا ، وأناب إلىٰ اللّٰه عز وجل.

[وقوله تعالىٰ][٨] : ﴿ **أو يكون لك بيت من زخرف** ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود : (**أو يكون لك بيت من ذهب**) ﴿ **أو ترقىٰ في السماء** ﴾ ، أي : تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ، ﴿ **ولن نؤمن لرقيك حتىٰ تنزل علينا كتابًا نقرؤه** ﴾ ، قال مجاهد : أي : مكتوب فيه إلىٰ كل واحد واحد صحيفة : هذا كتاب من اللّٰه لفلان بن فلان ، تصبح موضوعة عند رأسه .

وقوله : ﴿ **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا** ﴾ أي : سبحانه وتعالىٰ وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته ؛ بل هو الفعال لما يشاء ، إن شاء أجابكم إلىٰ ما سألتم ، وإن شاء لم يجبكم ، وما أنا إلا رسول إليكم ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وقد فعلت ذلك ، وأمركم فيما سألتم إلىٰ اللّٰه عز وجل.

---

[١] - في خ : « عيونا » .
[٢] - في ت : وذلك .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال الإمام أحمد بن حنبل(٢٧٥) : حدثنا عليّ بن إسحاق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا يحيىٰ بن أيوب ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **عرض عليّ[١] ربي - عز وجل - ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك** » . ورواه الترمذي في «الزهد» عن سويد[٢] بن نصر ، عن ابن المبارك ، به . وقال : هذا حديث حسن ، وعليّ بن يزيد يضعف في الحديث .

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿**وما منع الناس**﴾ أي[٣] : أكثرهم ﴿**أن يؤمنوا**﴾ ويتابعوا الرسل إلّا استعجابهم من بعثة البشر رسلًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنىٰ الله والله غنيّ حميد** ﴾ وقال فرعون وملؤه[٤] : ﴿**أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون**﴾ ، وكذلك قالت[٥] الأمم لرسلهم : ﴿ **إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين** ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

ثم قال تعالىٰ منبهًا على لطفه ورحمته بعباده : إنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ، ليفقهوا عنه ويفهموا منه ، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ، ولو بعث إلىٰ البشر [ ][٦] رسولًا

---

(٢٧٥) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٤) . وهو عند ابن المبارك في «الزهد» في زوائد نعيم بن حماد (١٩٦) . ومن طريقه الترمذي كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٢٣٤٧) (٥/٤٩٧) .
والبغوي في شرح السنة (٤٠٤٤) (١٤/٢٤٦) . وأبو نعيم في الحلية (٨/١٣٣) . من طريقين عن عبيد الله ابن زحر به . وقال أبو نعيم : هذا الحديث لا أعلمه روى بهذا اللفظ إلا عن علي بن يزيد عن القاسم . قلت: وعلي بن يزيد هو ابن أبي زياد الألهاني : ضعيف ، وعبيد الله بن زحر مثله .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ : « يزيد » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ملئه » .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « رسولًا » .

من الملائكة، لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه، كما قال تعالى: ﴿ **لقد منَّ الله على المؤمنين إذا بعث فيهم رسولاً من أنفسهم** ﴾ [وقال تعالى: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾][١]، وقال تعالىٰ: ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾؛ ولهذا قال هٰهنا: ﴿ **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين** ﴾، أي: كما أنتم فيها، ﴿ **لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولاً** ﴾ أي: من جنسهم، ولما كنتم أنتم بشرًا بعثنا فيكم رسولاً[٢] منكم لطفًا ورحمة.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (٩٦)

يقول تعالىٰ مرشدًا نبيه صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الحجة علىٰ قومه في صدق ما جاءهم به: إنه شاهد عليّ وعليكم، عالم بما جئتكم به[٣]؛ فلو كنت كاذبًا لانتقم[٤] مني أشد الانتقام، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾.

وقوله: ﴿ **إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا** ﴾ أي: عليم بهم؛ بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية، ممن يستحق الشقاء والإضلال والإزاغة؛ ولهذا قال:

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٩٧)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه، وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ﴿ **ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه** ﴾، أي: يهدونهم، كما قال: ﴿ **من يهد الله فهو المهتد**[٥] **ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾

وقوله: ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم** ﴾ قال الإمام أحمد(٢٧٦): حدثنا ابن

(٢٧٦) - والحديث صحيح، أخرجه أحمد (١٦٧/٣). قلت: ونفيع هذا ابن الحارث، أبو داود الأعمي، متروك وكذبه ابن معين كما في التقريب لكن للحديث طريق أخر عن أنس صحيح وهو الأتي.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٢] - في ز: «رسلنا».

[٣] - سقط من: خ.

[٤] - في ز: «انتقم».

[٥] - في ز: «المهتدي».

نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن نفيع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل : يا رسول الله ؛ كيف يحشر الناس علىٰ وجوههم ؟ قال : « **الذي أمشاهم علىٰ أرجلهم قادر علىٰ[١] أن يمشيهم علىٰ وجوههم** » . وأخرجاه في الصحيحين(٢٧٧) .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٢٧٨) : [حدثنا يزيد][٢] ، حدثنا الوليد بن جُمَيع القرشي عن أبيه حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال : يا بني غفار[٣] ، قولوا ولا تحلفوا ؛ فإن الصادق المصدوق حدثني : أن الناس يحشرون علىٰ ثلاثة أفواج : فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة علىٰ وجوههم وتحشرهم إلىٰ النار » . فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما ، فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال : « **يلقي الله - عز وجل - الآفة[٤] علىٰ الظهر حتىٰ لا يبقى ظهر ، حتىٰ إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب ، فلا يقدر عليها** » .

وقوله : ﴿ **عميًا** ﴾ ، أي : لا يبصرون . ﴿ **وبكمًا** ﴾ ، يعني[٥] : لا ينطقون . ﴿ **وصمًا** ﴾ لا يسمعون . وهذا لا[٦] يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكمًا وعميًا وصمًا عن الحق ، فجوزوا في محشرهم بذلك[٧] أحوج ما يحتاجون إليه ، ﴿ **مأواهم** ﴾ ، أي : منقلبهم[٨] ومصيرهم ، ﴿ **جهنم كلما خبت** ﴾ ، قال ابن عباس : سكنت . وقال مجاهد : طفئت ، ﴿ **زدناهم سعيرًا** ﴾ ، أي : لهبًا ووهجًا وجمرًا ، كما

---

(٢٧٧) - أخرجه أحمد (٣/٢٢٩) والبخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانًا وأضل سبيلًا ﴾ (٤٧٦٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : يحشر الكافر على وجهه (٥٤) (٢٨٠٦) . والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : سورة الفرقان (١١٣٦٧) (٦/٤٢٠) من طريقين عن شيبان عن قتادة عن أنس فذكره .

(٢٧٨) - أخرجه أحمد (٥/١٦٤ - ١٦٥) . وأخرجه النسائي - كتاب الجنائز ، باب : البعث (٤/١١٦ - ١١٧) . والحاكم في المستدرك (٢/٣٦٧ - ٣٦٨) . والطبراني في الصغير (٢/١١٢ - ١١٣) .

من طريق الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري قال : ... فذكره .

وتعقبه الذهبي بقوله : « على شرط مسلم ، ولكنه منكر ، وقد قال ابن حبان في الوليد : فحش تفرد حتى بطل الاحتجاج به » . لكن وثقه ابن معين والعجلي ، وقال أحمد وأبو زرعة وأبو داود : « ليس به بأس » وقال أبو حاتم : صالح الحديث .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « ذر » .

[٤] - في ز : « الأئمة » .

[٥] - في ز : « بمعنى » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في خ : « في ذلك » .

[٨] - في ز : « مقيلهم » .

قال : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

يقول تعالىٰ : هذا الذي جازيناهم به - من البعث علىٰ العمىٰ والبكم والصمم - جزاؤهم الذي يستحقونه ، لأنهم كذبوا ﴿ بآياتنا ﴾ ، أي : بأدلتنا وحُججنا ، واستبعدوا وقوع البعث ، ﴿ وقالوا أإذا كنا عظامًا ورفاتًا ﴾ ، أي[١] : بالية نخرة ، ﴿ أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا ﴾ ، أي : بعد ما صرنا إلىٰ ما صرنا إليه من البلىٰ والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية ؟! فاحتج تعالىٰ عليهم ونبههم علىٰ قدرته علىٰ ذلك بأنه خلق السموات والأرض ، فقدرته علىٰ إعادتهم أسهل من ذلك ، كما قال : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ ، وقال : ﴿ أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتى بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ ، وقال : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ .

وقال هٰهنا : ﴿ أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض قادر علىٰ أن يخلق مثلهم ﴾ أي : يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرىٰ ويعيدهم كما بدأهم .

وقوله : ﴿ وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه ﴾ أي : جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلًا مضروبًا ، ومدة مقدرة لابد من انقضائها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ .

وقوله : ﴿ فأبىٰ الظالمون ﴾ [أي : بعد قيام الحجة عليهم][٢] ﴿ إلا كفورًا ﴾ ، إلا تماديًا في باطلهم وضلالهم .

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ لرسوله صلوات الله وسلامه عليه : قل لهم يا محمد : لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق .

قال ابن عباس وقتادة : أي : الفقر . أي : خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبدًا ؛ لأن هذا من طباعكم وسجاياكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكان الإنسان قتورًا** ﴾ ، قال ابن عباس وقتادة : أي : بخيلًا منوعًا . وقال الله تعالى : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يأتون الناس نقيرًا** ﴾ ، أي : لو أن لهم نصيبًا من ملك الله لما أعطوا أحدًا شيئًا ولا مقدار نقير ، والله تعالىٰ يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله[١] وهداه ؛ فإن[٢] البخل[٣] والجزع والهلع [صفة له][٤] كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا * إذا مسه الشر جزوعًا * وإذا مسه الخير منوعًا * إلا المصلين** ﴾ ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ، ويدل هذا علىٰ كرمه وجوده وإحسانه ، وقد جاء في الصحيحين(٢٧٩) : « **يد الله ملأىٰ ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه** »

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ
فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن
يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه بعث موسىٰ بتسع آيات بينات[٥] ، وهي الدلائل القاطعة علي صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلىٰ فرعون ، وهي : العصا ، واليد ، والسنين[٦] ، والبحر ،

(٢٧٩) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : وكان عرشه على الماء (٤٦٨٤) . ومسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٣٦ ، ٣٧) (٩٣٣) .والترمذي -كتاب التفسير ، باب : ومن سورة المائدة (٣٠٤٥) . وابن ماجة في المقدمة - باب : فيما أنكرت الجهمية (١٩٧) . من طريقين عن أبي هريرة مرفوعًا .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « بالبخل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « ولسانه » .

والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات . قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب : هي اليد ، والعصا ، والخمس في الأعراف ، والطمسة والحجر .

وقال ابن عباس أيضًا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هي يده ، وعصاه ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل[١] ، والضفادع ، والدم .

وهذا القول ظاهر جليّ حسن قوي ، وجعل الحسن البصري السنين ونقص الثمرات واحدة ، وعنده أن التاسعة هي : تلقف العصا ما يأفكون ، ﴿ **فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين** ﴾ ، أي : ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها ، ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا** ﴾ ، وما نجعت فيهم ، وكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا مثل[٢] ما سألوا وقالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ إلىٰ آخرها ؛ لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله ، كما قال فرعون لموسىٰ - وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات - قال : ﴿ **إني لأظنك ياموسىٰ مسحورًا** ﴾ قيل : بمعنىٰ ساحر . والله تعالىٰ أعلم .

فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة هٰهنا ، وهي المعنية في قوله تعالىٰ : [﴿ **وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولىٰ مدبرًا ولم يعقب يا موسىٰ لاتخف إني لا يخاف لديّ المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني غفور رحيم * وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلىٰ فرعون وقومه إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾][٣] فذكر هاتين الآيتين : العصا ، واليد ، وبين الآيات[٤] الباقيات[٥] في « **سورة الأعراف** » وفصّلها .

وقد أوتي موسىٰ - عليه السلام - آيات أخر كثيرة ، منها : ضربه الحجر بالعصا ، وخروج الأنهار[٦] منه ، ومنها تظليلهم الغمام ، وإنزال المنّ والسلوىٰ ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هٰهنا[٧] التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر ، وكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرًا وجحودًا . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٨](٢٨٠) :

(٢٨٠) - أخرجه أحمد (٢٣٩/٤) .وأخرجه أيضًا (٣٤٠/٤) . والترمذي - كتاب الاستئذان ، باب : ما جاء في قبلة اليد والرجل (٢٧٣٣) (٧٢/٥ - ٧٣) ، وكتاب التفسير (٣١٤٤) (٢٨٦/٥) . والنسائي =

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ت : « منك » .

[٣] - كذا ، وهي آية النمل رقم (١٠) قرأ آية القصص رقم (٣١،٣٢) ، وسقط منها « أن » .

[٤] - سقط من : ز ، خ . [٥] - في ت : « الباقية » .

[٦] - في خ : « الماء » . [٧] - في ز ، خ : « هذا » .

[٨] - سقط من : ت .

حدثنا يزيد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث ، عن صفوان بن عسال المرادي -رضي الله عنه- قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلىٰ هذا النبي حتىٰ نسأله عن هذه الآية : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ تسع آيات بينات** ﴾ ، فقال : لا تقل له نبي ؛ فإنه لو سمعك لصارت له أربع[١] أعين ، فسألاه ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تشركوا بالله شيئًا**[٢] ، **ولا تسرقوا ، ولاتزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريء إلىٰ ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة** » ، أو قال : « **لا تفروا من الزحف** » - شعبة الشاك - « **وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت** » . فقبلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبي و[٣] [قال : « **فما يمنعكما أن تتبعاني ؟** » . قالا : لأن داود - عليه السلام - دعا أن لا يزال من ذريته نبي][٤] إنا نخشىٰ إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

فهذا الحديث رواه هكذا الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به[٥] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهو حديث مشكل ، «**وعبد الله بن سلمة**» في حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات ؛ فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة علىٰ فرعون ، والله أعلم .

= كتاب تحريم الدم ، باب : السحر (١١١/٧ - ١١٢) . وفي الكبرى - كتاب المحاربة ، باب : السحر (٣٥٤١) (٣٠٦/٢ - ٣٠٧) . وكتاب السير ، باب : تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** ﴾ (٨٦٥٦) (١٩٨/٥ - ١٩٩) . وابن ماجه - كتاب الأدب ، باب : الرجل يقبل يد الرجل (٣٧٠٥) (١٢٢١/٢) مختصرًا . والطيالسي في مسنده (١١٦٤) .والطبراني في الكبير (٧٣٩٦) (٨٣/٨ - ٨٤) . والحاكم في المستدرك (٩/١) . والبيهقي في الكبرى (١٦٦/٨) وفي دلائل النبوة (٢٦٨/٦) . وأبو نعيم في الحلية (٩٧/٥ - ٩٨) . وابن جرير في تفسيره (١٧٢/١٥ ، ١٧٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٦/٨ - ٤٣٧) . من طرق عن شعبة به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وقال الحاكم: « حديث صحيح ، لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي لكن أعله المصنف ومن قبله . النسائي في الكبرى فقال : هذا حديث منكر . قال أبو عبد الرحمن : حكى عن شعبة قال : سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة فقال: تعرف وتنكر قال أبو عبد الرحمن ، وعبد الله بن سلمة الأفطس متروك الحديث ، قال أبو عبد الرحمن ، كان هذا الأفطس يطلب الحديث مع يحيى بن سعيد القطان ، وكان من أسنانه .ا.هـ . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٤) إلى سعيد بن منصور وأبي يعلي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في خ : « أربعة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

ولهذا قال موسىٰ لفرعون : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ ، أي : حججًا وأدلة علىٰ صدق ما جئتك به ، ﴿ **وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا** ﴾ ، أي : هالكًا . قاله مجاهد وقتادة . وقال ابن عباس : ملعونًا . وقال أيضًا هو والضحاك : ﴿ **مثبورًا** ﴾ ، أي : مغلوبًا . والهالك - كما قال مجاهد - يشمل هذا كله . قال عبد الله بن الزِّبَعْرَىٰ :

إِذْ أُجارِي الشيطان في سَنَنِ الغَيِّ   وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

[يعني : هالك][1] وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله : ﴿ **علمت** ﴾ ، وروي ذلك عن عليّ بن أبي طالب ، ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء علىٰ الخطاب لفرعون[2] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا فانظر كيف كان[3] عاقبة المفسدين** ﴾ .

فهذا كله مما يدل علىٰ أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره[4] من العصا ، واليد ، والسنين ، ونقص من الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، التي فيها حجج وبراهين علىٰ فرعون وقومه ، وخوارق ودلائل علىٰ صدق موسىٰ ووجود الفاعل المختار الذي أرسله .

وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث ؛ فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج علىٰ فرعون وقومه ، وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين علىٰ فرعون ؟! وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة ؛ فإن له بعض ما ينكر ، والله أعلم .

ولعل ذينك[5] اليهوديين إنما سألا عن[6] [العشر الكلمات][7] ، فاشتبه علىٰ الراوي [بالتسع الآيات][8] ، فحصل وهم في ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فأراد أن يستفزهم من الأرض** ﴾ ، أي : يخليهم[9] منها[10] ويزيلهم عنها ، ﴿ **فأغرقناه ومن معه جميعًا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض** ﴾ ، وفي هذا بشارة لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم بفتح مكة مع أن هذه السورة مكية[11] نزلت قبل

---

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[2] - في ز : « بفرعون » .
[3] - سقط من : ت .
[4] - في ز : « ذكرها » .
[5] - في خ : « دينك » .
[6] - في خ : « على » .
[7] - في خ : « العشر كلمات » .
[8] - في خ : « بالتسع آيات » .
[9] - في ز ، خ : « يجليهم » .
[10] - سقط من : خ .
[11] - سقط من : ز ، خ .

الهجرة ، وكذلك وقع ، فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلًا** ﴾ ؛ ولهذا أورث الله رسوله مكة فدخلها عنْوَة ، علىٰ أشهر القولين ، وقهر أهلها ، ثم أطلقهم حلمًا وكرمًا ، كما أورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها ، وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم[١] ، كما قال : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا** ﴾ ، أي : جميعكم أنتم وعدوكم .

قال ابن عباس ومجاهد ، وقتادة والضحّاك : ﴿ **لفيفًا** ﴾ أي : جميعًا .

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا (١٠٦) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد : أنه بالحق نزل ، أي : متضمنًا للحق كما قال تعالىٰ : ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه** ﴾ أي : متضمنًا[٢] علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه ، من أحكامه وأمره ونهيه .

وقوله : ﴿ **وبالحق نزل** ﴾ أي : وصل إليك - يامحمد - محفوظًا محروسًا ، لم يُشَب بغيره ، ولا زيد فيه ولا نقص منه ؛ بل وصل إليك بالحق ؛ فإنه نزل به شديد القوىٰ ، الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلىٰ .

وقوله : ﴿ **وما أرسلناك** ﴾ ، أي : يا محمد ، ﴿ **إلا مبشرًا ونذيرًا** ﴾ مبشرًا[٣] لمن أطاعك من المؤمنين ، و[٤]نذيرًا لمن عصاك من الكافرين .

وقوله : ﴿ **وقرآنًا فرقناه** ﴾ ، أما قراءة من قرأ بالتخفيف ، فمعناه : فصلناه[٥] من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة - من السماء الدنيا - ، ثم نزل مُفرقًا منجمًا علىٰ الوقائع إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس (٢٨١) أيضًا[٦] .

(٢٨١) - أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : سورة الفرقان (١١٣٧٢) (٦/٤٢١) . والحاكم في المستدرك (٢/٣٦٨) . وابن جرير في تفسيره (١٥/١٧٨) . ومن طريقين عن داود بن أبي هند=

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « متضمنة » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « فصلنا » .
[٦] - سقط من : ت .

و[١][عن ابن عباس][٢](٢٨٢) أيضًا أنه قرأ ﴿ فرّقناه ﴾ بالتشديد أي : أنزلناه[٣] آية آية ، مبينًا مفسرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ لتقرأه على الناس ﴾ ، أي : لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ، ﴿ على مكث ﴾ ، أي : مَهَل ، ﴿ ونزلناه تنزيلًا ﴾ أي : شيئًا بعد شيء .

﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكافرين بما[٤] جئتهم به من هذا القرآن العظيم : ﴿ آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ ، أي : سواء آمنتم به أم لا ، فهو حق في نفسه ، أنزله اللّٰه وَنوّه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة علىٰ رسله ، ولهذا قال : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ ، أي : من صالحي[٥] أهل الكتاب الذين يُمسكون بكتابهم ويقيمونه ، ولم يبدلوه ولا حرّفوه ، ﴿ إذا يتلىٰ عليهم ﴾ هذا القرآن ﴿ يخرّون للأذقان ﴾ ، جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه ﴿ سجدًا ﴾ ، أي : للّٰه -عز وجل- ، شكرًا علىٰ ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلًا أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه الكتاب ؛ ولهذا يقولون : ﴿ سبحان ربنا ﴾ ، أي : تعظيمًا وتوقيرًا علىٰ قدرته التامة ، وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم علىٰ ألسنة الأنبياء [المتقدمين عن بعثة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ ولهذا قالوا : ﴿ سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا][٦] ﴾ .

وقوله : ﴿ ويخرّون للأذقان يبكون ﴾ ، أي : خضوعًا للّٰه - عز وجل - وإيمانًا

= عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال : « ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا » وقرأ (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس ...) . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧١/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي.

(٢٨٢) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٧٨/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن ابن عباس به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧١/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « نزلناه » .
[٤] - غير واضحة في خ .
[٥] - في خ : « صالح » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وتصديقًا بكتابه ورسوله ، ويزيدهم الله[١] خشوعًا ، أي : إيمانًا وتسليمًا ، كما قال : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم** ﴾ . وقوله : ﴿ **ويخرّون** ﴾ : عطف صفة علىٰ صفة لا عطف سجود علىٰ سجود ، كما قال الشاعر :

إلىٰ الملك القَرْم وابن الهمام وليث الكتيبة في المُزْدَحم

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة للّٰه -عز وجل- المانعين من تسميته بالرحمن : ﴿ **ادعوا اللّٰه أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ** ﴾ ، أي : لا فرق بين دعائكم له باسم اللّٰه أو باسم[٢] الرحمن ؛ فإنه ذو[٣] الأسماء الحسنىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ إلىٰ أن قال[٤] : ﴿ **له الأسماء الحسنىٰ يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ .

وقد روى مكحول(٢٨٣) أن رجلًا من المشركين سمع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يقول في سجوده : « **يا رحمن يا رحيم** » فقال : إنه يزعم أنه يدعو واحدًا ، وهو يدعو اثنين . فأنزل اللّٰه هذه الآية ، وكذا روي عن ابن عباس(٢٨٤) ، رواهما ابن جرير .

وقوله : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ...** ﴾ الآية . قال الإمام أحمد(٢٨٥) :

---

(٢٨٣) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٨٢/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى عن الأوزاعى ، عن محكول به .

(٢٨٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٢/١٥) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن عبد اللّٰه بن واقد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس فذكره.

(٢٨٥) - أخرجه أحمد (٢٣/١ ، ٢١٥) . أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : « ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾» (٤٧٢٢) . ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة ، باب : التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة (١٤٥) (٤٤٦) . والترمذي =

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز ، خ : « اسم » .

[٣] - في خ : « ذوى » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية و[رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١] متوار بمكة : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ ، قال : كان إذا صلىٰ بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالىٰ [لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم] : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** [**ولا تخافت بها**][٢] ﴾ ، أي : بقراءتك ، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتىٰ يأخذوه عنك ، ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ .

أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس ، به . وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد : فلما هاجر إلىٰ المدينة سقط ذلك ، يفعل أيّ ذلك شاء .

وقال محمد بن إسحاق(٢٨٦) : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع[٣] من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فَرَقًا منهم ، فإن رأىٰ أنهم قد عرفوا أنه يستمع ، ذهب خشية أذاهم فلم يستمع . فإن خفض صوته صلىٰ الله عليه وسلم لم يستمع[٤] الذين يستمعون من قراءته شيئًا ، فأنزل الله : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ فلا تُسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم[٥] لعله يرعوي إلىٰ بعض ما يسمع فينتفع به ، ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ . وهكذا قال عكرمة ، والحسن البصري ، وقتادة : نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة .

وقال شعبة عن [أشعث بن][٦] سليم ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله بن

= كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة بني إسرائيل » (٣١٤٦) . والنسائي - كتاب الافتتاح ، باب : قوله عز وجل ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ (٢/١٧٧ - ١٧٨) .

(٢٨٦) - أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٧٤) (١١/٢٢٨) . وابن جرير في تفسيره (١٥/١٨٥) . من طريقين عن محمد بن إسحاق به . ومع تصريح ابن إسحاق بالسماع إلا أن الإسناد فيه نظر ، من قبل داود ابن الحصين فإنه ضعيف في عكرمة . قال علي بن المديني : ما روى عن عكرمة ، فمنكر الحديث . وقال أبو داود : أحاديثه عن عكرمة مناكير ، وأحاديثه عن شيوخه مستقيمة . [انظر تهذيب الكمال (٨/ ٣٨٠) ترجمة (١٧٥٣)] . وقال ابن حجر في التقريب : ثقة إلا في عكرمة . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٧٤) إلى ابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « هو » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في خ : « يسمع » .
[٤] - في ز ، خ : « غير معجمة » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أبي » .

مسعود(٢٨٧) : لم يُخافتْ بها مَنْ أسمع أذنيه .

قال[١] ابن جرير(٢٨٨) : حدثنا يعقوب، حدثنا ابن عُليَّة عن سلمة بن علقمة عن محمد ابن سيرين قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلىٰ فقرأ خفّض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي - عز وجل - وقد علم حاجتي . فقيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، قيل[٢] : أحسنت. فلما نزلت : ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا**﴾ ، قيل لأبي بكر : ارفع[٣] شيئًا ، وقيل لعمر : اخفض شيئًا .

وقال أشعث بن سوار(٢٨٩) عن عكرمة ، عن ابن عباس : نزلت في الدعاء . وكذا روىٰ الثوري ومالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة [- رضي الله عنها](٢٩٠)[٤] : نزلت في الدعاء. وكذلك[٥] قال مجاهد وسعيد بن جبير، وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير وقال الثوري : عن ابن[٦] عياش العامري ، عن عبد الله بن شداد قال(٢٩١) : كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي صلىٰ الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا[٧] إبلًا وولدًا.

(٢٨٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/١٥) من طرق عن شعبة به .

(٢٨٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٦/١٥) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦١٢) (٥٢٨/٢) من طريق ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين به .

ومحمد بن سيرين لم يدرك أبا بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - .

وزاد نسبته السيوطي في الدر (٣٧٤/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢٨٩) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٣/١٥) حدثنا الحسن بن عرفة ثنا عباد بن العوام عن أشعث بن سوّار به . وأشعث بن سوار ضعيف كما في التقريب .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٧٥/٤) إلى ابن أبي شيبة وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه .

(٢٩٠) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ (٤٧٢٣) (٤٠٥/٨) . ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة ، باب : التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسراء إذا خاف من الجهر (١٤٦) (٤٤٧) (٢١٧/٤) . من طريق زائدة بن قدامة ، ويحيى بن زكريا عن هشام بن عروة به . وأخرجه مالك في الموطأ - كتاب القرآن ، باب : العمل في الدعاء (٣٩) (١/ ١٩٠) مرسلًا . وأما طريق الثوري فأشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٥/٨) ولم يعزه لأحد .

(٢٩١) - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب صلاة التطوع والإمامة - باب : قوله تعالى : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ (٣٣٠/٢) . وابن جرير في تفسيره (١٨٤/١٥) . من طرق عن سفيان الثوري به . =

[١] - مكانها بياض في : ز ، في خ : « وروى » .

[٢] - في خ : « قال » .

[٣] - في ز : « ارتفع » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « كذا » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ .

قول آخر : قال ابن جرير(٢٩٢) : حدثنا أبو السائب ، حدثنا أبو[١] حفص بن غياث ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة -رضي الله عنها- : نزلت هذه الآية في التشهد : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ .

وبه قال حفص عن أشعث بن سوار[٢] عن محمد بن سيرين مثله(٢٩٣) .

قول آخر : قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، قال[٣] : لا تصلِّ مراءاة للناس[٤] ولا تدعها مخافة الناس . وقال الثوري عن منصور ، عن الحسن البصري : ﴿ ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، قال : لا تحسن[٥] علانيتها وتسيء سريرتها . وكذا رواه عن[٦] عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، به . وهشيم عن عوف ، عنه به . وسعيد عن قتادة ، عنه كذلك .

قول آخر: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وابتغ بين ذلك سبيلًا ﴾ . قال : أهل الكتاب يخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ، ويصيحون هم به وراءه ، فنهاه أن يصيح كما يصيح[٧] هؤلاء ، وأن يخافت كما يخافت القوم ، ثم كان السبيل الذي بين ذلك ، الذي سن له جبريل من الصلاة .

وقوله : ﴿ وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا ﴾ ، لمَّا أثبت تعالىٰ لنفسه الكريمة الأسماء الحسنىٰ ، نزّه نفسه عن النقائص فقال : ﴿ وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ﴾ ، بل هو اللَّه الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا

= وعبد الله بن شداد لم يدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – . قال أحمد بن حنبل : لم يسمع من النبي – صلى الله عليه وسلم – . وقال العجلي والخطيب البغدادي : هو من كبار التابعين وثقاتهم . [انظر جامع التحصيل للعلائي ت (٣٦٩) ، وتهذيب الكمال (٨٤/١٥) ت (٣٣٣٠)] . والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٤) إلى ابن المنذر .

(٢٩٢) – أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٧/١٥) وابن خزيمة في صحيحه (٧٠٧) (٣٥٠/١) . والحاكم في المستدرك (١٣٠/١) من طريق أبي كريب ثنا حفص بن غياث به . وصحح إسناده ووافقه الذهبي . وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٥/٨) إلى العمرى .

(٢٩٣) – أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٧/١٥) . وأشعث بن سوار ضعيف .

[١] – سقط من : ت .
[٢] – في ز ، خ : « بندار » .
[٣] – سقط من : خ .
[٤] – في خ : « الناس » .
[٥] – في ز : « تخش » .
[٦] – سقط من : ت .
[٧] – في ز : « يصيحون » .

أحد .

﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ ، أي : ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير ؛ بل هو تعالىٰ خالق الأشياء وحده ، لاشريك له ، ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له .

قال مجاهد في قوله : ﴿ولم يكن له وليٌ من الذل﴾ : لم يحالف أحدًا ولا يبتغي[١] نصر أحد .

﴿وكبّره تكبيرًا﴾ أي : عظّمه وأجلّه عمّا يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا .

قال ابن جرير(٢٩٤) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي : أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ وقل[٢] الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ﴾ الآية . قال : إن اليهود والنصارىٰ قالوا : اتخذ اللّه ولدًا ، وقال العرب : لبّيك لبيك[٣] لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء اللّه لذل ، فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا ﴾ .

وقال أيضًا(٢٩٥) : حدثنا بشر ، [حدثنا يزيد][٤] حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية[٥] : ﴿ الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرًا ﴾ ، الصغير من أهله والكبير .

قلت : وقد جاء في حديث أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم سماها آية العز(٢٩٦) ،

---

(٢٩٤) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٩/١٥) وأبو صخر هو حميد بن زياد المدني صدوق يهم كما في « التقريب » .

(٢٩٥) - وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨٩/١٥) . أخرج ابن أبي شيبة في المصنف - كتاب فضائل القرآن: باب : في الصبيان متى يتعلمون القرآن (٢٠٢/٧) حدثنا ابن عيينة عن عبد الكريم عن عمرو بن شعيب قال : كان الغلام إذا أفصح من بنى عبد المطلب علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية سبعًا.

(٢٩٦) - أخرجه أحمد (٤٣٩/٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠) ، والطبراني في الكبير (٤٢٩) (١٩٢/٢٠) . من =

---

[١] - في ت : « لم يبتغ » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٥] - سقط من : ز.

وفي بعض الآثار : أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة . والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٢٩٧) : حدثنا بشر بن سيحان[١] البصري ، حدثنا حرب بن ميمون ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة الرَّبَذي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويدي في يده ، فأتىٰ علىٰ رجل رث الهيئة فقال : « **أي فلان ، مابلغ بك ما أرىٰ ؟** » قال : السقم والضرّ يا رسول الله . قال : « **ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟** » قال : لا ، قال[٢] : ما يسرني بها أن شهدت معك بدرًا أو[٣] أحدًا . قال : فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال : « **وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟** » . قال : فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، إياي فعلمني . قال : « **فقل يا أبا هريرة : توكلت علىٰ الحي الذي لا يموت ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرًا﴾** . قال : فأتىٰ عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حسنت حالي ، قال : فقال لي : « **مهيم ؟** » . قال: قلت: يا رسول الله؛ لم[٤] أزل أقول الكلمات التي علمتني . إسناده ضعيف وفي متنه نكارة .

آخر تفسير سورة سبحان[٥]

☆ ☆ ☆

= طريق ابن لهيعة ، ورشدين بن سعد عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « آية العز : ﴿ **وقل الحمد لله ...**﴾ .وقال الهيثمي في المجمع (٥٥/٧) « رواه أحمد من طريقين في إحداهما رشدين بن سعد وهو ضعيف ، وفي الأخرى ابن لهيعة وهو أصلح منه وكذلك الطبراني » .

وقلت : وزبان بن فائد ضعيف أيضًا لا سيما في سهل بن معاذ . وتحرف في المطبوع من « مجمع الزوائد » : « معاذ بن أنس » إلى « أنس بن مالك » وهو خطأ فإن الحديث من مسند « معاذ بن أنس » . انظر « أطراف المسند » لابن حجر (٧١٢٤) (٢٨٧/٥) .

(٢٩٧) – أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٦٧١) (٢٣/١٢ – ٢٤) . ومن طريقه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٤٦) . وذكره الهيثمي في المجمع (٥٥/٧) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف » . وضعفه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٤١١) (٣٣٥/٢ – ٢٣٦) .

[١] – في خ : « سبحان » .
[٢] – سقط من : ز ، خ .
[٣] – في ز : « و » .
[٤] – في ز ، خ : « ألم » .
[٥] – في ت : « الإسراء » .

تفسير سورة الكهف وهي مكية

ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال .

قال[١] الإمام أحمد(١) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر ، فنظر فإذا ضبابة ، أو : سحابة ، قد غشيته ، فذكر ذلك للنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : « **اقرأ فلان ، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن** » ، أو : « **تنزلت للقرآن** » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به . وهذا الرجل الذي كان يتلو هو أسيد بن الحضير كما تقدم في تفسير سورة[٢] البقرة .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيىٰ ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال** » . رواه مسلم [وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي][٣] من حديث قتادة به ، و[٤] لفظ الترمذي : « **من حفظ الثلاث الآيات من أول الكهف** » و[٥] قال : حسن صحيح .

طريق أخرىٰ : قال أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث ، عن معدان ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال :

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨١،٢٨٤) . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٤) ، ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : نزول السكينة لقراءة القرآن (٢٤١) (٧٩٥) .

(٢) رجاله رجال الشيخين غير معدان بن أبي طلحة فمن رجال مسلم .

أخرجه أحمد (٦/٤٤٩) ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٢٥٧) (٨٠٩) ، وأبو داود -كتاب الملاحم : باب : خروج الدجال . (٤٣٢٣) . والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال (٦/٢٣٦) ، وكتاب فضائل القرآن ، باب : الكهف -(٨٠٢٥) (٥/١٥) بلفظ « من قرأ عشر آيات ...» ، والترمذي -كتاب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الكهف (٢٨٨٦) ، ولفظه « **من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف** ...» وقال : « حديث حسن صحيح » .

---

[١] - مكانها بياض في : ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - سقط من :ت .

« **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال** »(٣) ورواه مسلم أيضًا ، والنسائي ، من حديث قتادة به ، وفي لفظ للنسائي : « **من قرأ عشر آيات من الكهف** » ، فذكره .

حديث آخر : وقد رواه النسائي(٤) في « **اليوم والليلة** » عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن خالد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال** » ، فيحتمل أن سالمًا سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[١] بن فايد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورًا من قدمه إلىٰ رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نورًا ما بين الأرض إلى السماء** » . انفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وروىٰ الحافظ أبو بكر بن مردويه بإسناد له غريب ، عن خالد بن سعيد بن[٢] أبي مريم ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ سورة الكهف في[٣] يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلىٰ عنان السماء يضيء[٤] له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين** » .

وهذا الحديث في رفعه نظر ، وأحسن أحواله الوقف .

---

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٦/٦) ، وأخرجه مسلم في - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٤٤) (٨٠٩) ، والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال - (١٠٧٨٦) ، وأخرجه النسائي أيضًا رقم (١٠٧٨٥) بلفظ « من قرأ عشر آيات من الكهف ... » .

(٤) المصدر السابق حديث رقم (١٠٧٨٤) .

(٥) أخرجه أحمد (٤٣٩/٣) .

وتابع « ابن لهيعة » رشدين بن سعد عند الطبراني (١٩٧/٢٠) (٤٤٣) ورشدين ضعيف . والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٥٥/٧-٥٦) وقال : « رواه أحمد والطبراني وفي إسناد أحمد ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد يحسن حديثه » لكن شيخه زبان بن فائد ضعيف .

وكذا عزاه له المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥١٣/١) وقال : « إسناده لا بأس به » لكن المصنف رجح فيه الوقف .

---

[١] - في خ : « زيان » .

[٢] - في خ : « عن » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز : « يعني » .

وهكذا روىٰ الإِمام سعيد بن منصور في سننه : عن هشيم بن بشير ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجْلَز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين البيت العتيق .

هكذا وقع موقوفًا وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري .

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه(٦) عن أبي بكر محمد بن المؤمل : حدثنا الفضيل[١] بن محمد الشعراني ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا هشيم ، حدثنا أبو هاشم ، عن أبي مجْلَز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين الجمعتين** » ، ثم[٢] قال : هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي(٧) في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي : ورواه يحيىٰ بن كثير ، عن شعبة ، عن أبي هاشم بإسناده : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت[٣] له نورًا يوم القيامة** » .

وفي « **المختارة** »(٨) للحافظ الضياء المقدسي من حديث عبد اللّٰه بن [مصعب بن][٤] منظور بن زيد بن خالد الجهني ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن عليّ مرفوعًا : « **من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلىٰ ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال**

---

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٨/٢) (٣٣٩٢) . وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ورده الذهبي بقوله : « نعيم ذو مناكير » .

والحديث أخرجه الدارمي (٣٢٦/٢) (٤٣١٠) موقوفًا على أبي سعيد بلفظ : « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق » .

قال الألباني في الإرواء (٦٢٦) (٩٤/٣) : «وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين .... ثم هو وإن كان موقوفًا فله حكم المرفوع ، لأنه مما لا يقال بالرأي كما هو ظاهر .... »

وللحديث طرق وألفاظ أخرى عند الحاكم (٥٦٤/١،٥٦٥) ، (٥١١/٤) .

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الجمعة - باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقراءة سورة الكهف وغيرها (٢٤٩/٣) .

(٨) « المختارة » (٢/رقم ٤٢٩ ، ٤٣٠) وقال : « عبد الله بن مصعب ، لم يذكره البخاري ، ولا ابن أبي حاتم في كتابيهما » . ولم أهتد لترجمته في مصادر أخر والله أعلم .

---

[١] - في خ : « الفضل » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « كان » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عصم منه » .

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالىٰ يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتيمها ؛ فإنه المحمود علىٰ كل حال ، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة ؛ ولهذا حمد نفسه علىٰ إنزاله كتابه العزيز علىٰ رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله علىٰ أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور ، حيث جعله كتابًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا زيغ ، بل يهدي إلىٰ صراط مستقيم ، واضحًا بينًا جليًا ، نذيرًا للكافرين وبشيرًا للمؤمنين ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولم يجعل له عوجًا** ﴾ ، أي : لم يجعل فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلًا ، بل جعله معتدلًا مستقيمًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **قيمًا** ﴾ أي : مستقيمًا .

﴿ **لينذر بأسًا شديدًا من لدنه** ﴾ ، أي : لمن خالفه وكذبه[١] ولم يؤمن به ، ينذره ﴿ **بأسًا شديدًا** ﴾ : عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الأخرىٰ ، ﴿ **من لدنه** ﴾ ، أي : من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد ، ﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ ، أي : بهذا القرآن ، الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح ، ﴿ **أن لهم أجرًا حسنًا** ﴾ ، أي : مثوبة عند الله جميلة ، ﴿ **ماكثين فيه** ﴾ : في ثوابهم عند الله - وهو الجنة - خالدين فيه ، ﴿ **أبدًا** ﴾ دائمًا لا زوال له ولا انقضاء[٢] : ﴿ **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا** ﴾ ، قال ابن إسحاق : وهم مشركو العرب في قولهم : نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله .

﴿ **ما لهم به من علم** ﴾ ، أي : بهذا القول الذي افتروه وائتفكوه من علم ﴿ **ولا لآبائهم** ﴾ ، أي : أسلافهم[٣] .

﴿ **كبرت كلمة** ﴾ نصب على التمييز تقديره : كَبُرَتْ كلمتُهم هذه كلمةً .

---

[١] - في خ : « كذب » .

[٢] - بعده في ت : وقوله .

[٣] - في ت : « لأسلافهم » .

وقيل : علىٰ التعجب ، تقديره : أعظم بكلمتهم كلمة ، كما تقول : أكرم بزيد رجلًا . قاله[١] بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة (كبرت كلمةٌ) كما يقال : عَظُمَ[٢] قولك وعظم[٣] شأنك . والمعنىٰ علىٰ قراءة الجمهور أظهر ؛ فإن هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لإفكهم ؛ ولهذا قال : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ ، أي : ليس لها مستند سوىٰ قولهم ، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم ؛ ولهذا قال : ﴿ إن يقولون إلا كذبًا ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق(٩) سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال : حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، إلىٰ أحبار يهود[٤] بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله[٥] ؛ فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتىٰ قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال : فقالت لهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل ؛ فَرَوْا(*) فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه[٦] قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ، ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبل النضر وعقبة حتىٰ قدما علىٰ قريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها - فجاءوا رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا - فسألوه عما أمروهم به - فقال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أخبركم غدًا بما سألتم عنه » - ولم يستثن - فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا

(٩) أخرجه ابن هشام في « السيرة » (١/٣١١ ، ٣١٢) وابن جرير في تفسيره (١٥/١٩١ - ١٩٢) عن ابن إسحاق مطولًا .

(*) - روا : فعل أمر من رأي

[١] - في ز ، خ : « قال » .
[٢] - في ت : « عظيم » .
[٣] - في ت : « كبر » .
[٤] - في خ : « اليهود » .
[٥] - في خ : « بقولهم » .
[٦] - في ت : « فإنهم » .

يحدث الله إليه في ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتىٰ أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدًا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه ؟! وحتىٰ أحزنَ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم مكثُ الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل - عليه السلام - من عند الله - عز وجل - بسورة أصحاب الكهف ؛ فيها[١] معاتبته إياه علىٰ حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل : ﴿ **ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا** ﴾ .

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مسليًا رسوله[٢] صلوات الله وسلامه عليه في حزنه علىٰ المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ وقال : ﴿ **لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين** ﴾ باخع: أي : مهلك نفسك بحزنك عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلعلك باخع نفسك علىٰ آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث** ﴾ ، يعني : القرآن . ﴿ **أسفًا** ﴾ ، يقول : لا تهلك نفسك أسفًا .

قال قتادة : قاتل نفسك غضبًا وحزنًا عليهم .

وقال مجاهد : جزعًا .

والمعنىٰ [متقارب ، أي][٣] : لا تأسف عليهم ؛ بل أبلغهم رسالة الله ، فمن اهتدىٰ فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، فلا[٤] تذهب نفسك عليهم حسرات .

ثم أخبر تعالىٰ أنه جعل الدنيا دارًا فانية مُزَيَّنة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لا دار قرار ، فقال : ﴿ **إنا جعلنا ما علىٰ الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا** ﴾ .

قال قتادة(١٠) : عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه

(١٠) تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ١٦٥] .

[١] - في ز : « فيه » .
[٢] - في ت : « لرسوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .

قال : « **إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** » . ثم أخبر تعالىٰ بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالىٰ : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا** ﴾ ، [أي : وإنا لمصيّروها بعد الزينة إلىٰ الخراب والدمار ، فنجعل كل شيء عليها هالكًا ﴿ **صعيدًا جرزًا** ﴾ ، لا يُنْبِت ولا ينتفع به ، كما قال العوفي عن ابن عباس ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا**][١] ﴾ ، يقول : يهلك كل شيء عليها ويبيد . وقال مجاهد : صعيدًا جرزًا : بلقعًا .

وقال قتادة : الصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

وقال ابن زيد : الصعيد : الأرض التي ليس فيها شيء ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلىٰ الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا** ﴾ ، يعني : الأرض ، وإن ما عليها لفان وبائد ، وإن المرجع لإلىٰ الله ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترىٰ .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾

هذا إخبار [من الله تعالىٰ][٢] عن قصة أصحاب الكهف علىٰ سبيل الإجمال والاختصار ، ثم بسطها بعد ذلك ، فقال : ﴿ **أم حسبت** ﴾ ، يعني : يا محمد ، ﴿ **أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا** ﴾ ، أي : ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا ؛ فإن خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر والكواكب ، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف ، كما قال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا** ﴾ ، يقول : قد

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا** ﴾ يقول : الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم .

وقال محمد بن إسحاق : ما أظهرت من حججي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم .

[وأما الكهف : فهو الغار في الجبل ، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون . وأما الرقيم][١] : فقال[٢] العوفي : عن ابن عباس : هو واد قريب من أيلة . وكذا [قال عطية العوفي وقتادة ، وقال الضحاك] : أما الكهف فهو غار الوادي ، والرقيم اسم الوادي .

وقال مجاهد : الرقيم : كان بنيانهم . ويقول بعضهم : هو الوادى الذي فيه كهفهم .

وقال عبد الرزاق(١١) : أخبرنا الثوري ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **الرقيم** ﴾ ، قال[٣] : يزعم كعب أنها القرية .

وقال ابن جريج عن ابن عباس : الرقيم : الجبل الذي فيه الكهف .

وقال ابن إسحاق : عن عبد الله بن أبي نجيح ، [عن مجاهد][٤] ، عن ابن عباس قال : اسم ذلك الجبل بنجلوس .

وقال ابن جريج : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبّائي : أن[٥] اسم جبل الكهف بنجلوس ، واسم الكهف حيزم ، والكلب حمران .

وقال عبد الرزاق(١٢) : أنبأنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : [كل][٦] القرآن أعلمه ، إلا : حنانًا[٧] ، والأواه ، والرقيم .

---

(١١) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٧/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (١٩٨/١٥) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة .

(١٢) « التفسير » لعبد الرزاق (٣٩٧/٢) ومن طريقه ابن جرير (١٩٩/١٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في خ : كان ..

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - زيادة من تفسير ابن جرير .

[٧] - في ز : « حنان » .

وقال ابن جريج : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدري ما الرقيم ، أكتاب أم بنيان ؟

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : الرقيم : الكتاب .

وقال سعيد بن جبير : الرقيم[١] : لوح من[٢] حجارة ، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرقيم : الكتاب ، ثم قرأ : ﴿ **كتاب مرقوم** ﴾ . وهذا هو الظاهر من الآية ، وهو اختيار ابن جرير ، قال : الرقيم : فعيل بمعنى[٣] مرقوم ، كما يقال للمقتول : قتيل ، وللمجروح : جريح . والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا** ﴾ . يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه ، فهربوا منهم فلجئوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم ، فقالوا حين دخلوا - سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم - : ﴿ **ربنا آتنا من لدنك رحمة** ﴾ ، أي : هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا ، ﴿ **وهيئ لنا من أمرنا رشدًا** ﴾ ، أي : وقدر لنا من أمرنا هذا رشدًا ، أي : اجعل عاقبتنا رشدًا[٤] ، كما جاء في الحديث(١٣) : « **وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدًا** » ، وفي المسند(١٤) من حديث بُشر[٥] بن أبي أرطاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : « **اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة** » .

---

(١٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٤٨) (١٤٧/٦) والبخاري في الأدب المفرد (٦٣٩) ، وابن ماجه - كتاب الدعاء ، باب : الجوامع من الدعاء (٣٨٤٦) نحوه من حديث عائشة .
والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٢/٤) .

(١٤) أخرجه أحمد (١٨١/٤) ، وابن حبان في صحيحه (٩٤٩) ، والطبراني في الكبير (١١٩٦) (٣٣/٢) ، وفي « الدعاء » (٣/رقم ١٤٣٦) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/رقم ١٢٠٤) . والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣٠/١) ، (١٢٣/٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٤٣٨/٢) .
كلهم من طريق محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس يقول : سمعت أبي يقول : سمعت بسر بن أرطاة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول ... فذكره . =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - في ز : « رشد » .
[٥] - في ز : « بشر » .

وقوله : ﴿ فضربنا علىٰ آذانهم في الكهف سنين عددًا ﴾ ، أي : ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلىٰ الكهف ، فناموا سنين كثيرة ، ﴿ ثم بعثناهم ﴾ ، أي : من رقدتهم تلك ، وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها شيئًا يأكلونه ، كما سيأتي بيانه وتفصيله ؛ ولهذا قال : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين ﴾ ، أي [١] : المختلفين فيهم ، ﴿ أحصىٰ لما لبثوا أمدًا ﴾ ، قيل : عددًا . وقيل : غاية ؛ فإن الأمد الغاية كقوله[٢] :

* سبق الجواد إذا استولى على الأمد *

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٨١) وقال : « رواه أحمد والطبراني ... ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات » .

قلت : ومحمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس . ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/١٩٧) ت (١١١٠) وقال : سألت أبي عنه فقال : هو صالح لا بأس به ليس بمشهور . وقال الحافظ في « تعجيل المنفعة » (ت ٩٢٨) : « أورده النباتي في الضعفاء في ذيل الكامل » قال الذهبي في « الميزان » وما فيه مغمز ولعل مستند النباتي قول أبي حاتم ليس بمشهور . ففهم من ذلك أنه عند أبي حاتم مجهول ، وليس كذلك ، بل مراد أبي حاتم أنه لم يشتهر في العلم اشتهار غيره من أقرانه ....» وذكره ابن حبان في « الثقات » (٧/ ٣٨٥ ، ٣٨٦) .

وأما أبوه أيوب بن ميسرة .

فذكره البخاري في « التاريخ الكبير » (١/٤٢١ - ٤٢٢) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٢٥٧) (٩١٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، ووثقه ابن حبان في « الثقات » (٤/٢٧ - ٢٨) ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٩١) ، والطبرني في المعجم الكبير (٢/٣٣) (١١٩٧) وابن عدي في الكامل (٢/٤٣٨-٤٣٩) من طريق يزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، حدثني يزيد مولى بسر بن أبي أرطاة عن بسر بن أبي أرطاة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وسكت عنه الحاكم والذهبي . وقال ابن عدي في « الكامل » بعد أن ساق هذا الحديث وحديثًا آخر عن بسر بن أبي أرطاة : وبسر بن أبي أرطاة مشكوك في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف له إلا هذين الحديثين ، وأسانيده من أسانيد الشام ومصر ، ولا أرى بإسناد هذين بأسًا » .

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز . [٢] - سقط من : ز .

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (١٥) (١٦)

من هاهنا شرع في بسط القصة وشرحها ، فذكر تعالىٰ أنهم فتية - وهم الشباب - وهم أقبلُ للحق ، وأهدىٰ للسبيل من الشيوخ الذين قد عَتَوا وعَسَوا في دين الباطل ؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالىٰ ولرسوله صلىٰ الله عليه وسلم شبابًا ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا علىٰ دينهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالىٰ عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا .

قال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القِرَطَة(*) يعني : الحِلَق - فألهمهم الله رشدهم ، وآتاهم تقواهم ، فآمنوا بربهم ، أي : اعترفوا له بالوحدانية ، وشهدوا أنه لا إله إلا هو .

﴿ وزدناهم هدى ﴾ : استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة - كالبخاري(١٥) وغيره ، ممن ذهب إلىٰ زيادة الإيمان وتفاضله ، وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ وزدناهم هدى ﴾** ، كما قال تعالى : **﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾** وقال : **﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا ﴾** وقال : **﴿ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ﴾** إلى غير ذلك من[١] الآيات الدالة على ذلك .

وقد ذُكِر : أنهم كانوا علىٰ دين عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ، والله أعلم . والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ؛ فإنهم[٢] لو كانوا علىٰ دين النصرانية ؛ لما اعتنىٰ أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقد تقدم(١٦) عن ابن عباس أن قريشًا بعثوا إلىٰ أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء ، وعن خبر ذي القرنين ، وعن الروح ، فدل هذا علىٰ أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب ، وأنه متقدم علىٰ دين النصرانية ، والله أعلم .

(*) بكسر ثم فتح : جمع قرط ، وهو الحلق .

(١٥) انظر صحيح البخاري - كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١٥) (٢٢) (١/٧٢- فتح) .

(١٦) تقدم (١١) .

---

[١] - في خ : « في » . [٢] - في خ : « فإنه » .

وقوله : ﴿ وربطنا علىٰ قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴾ ، يقول تعالىٰ : وصبّرناهم[١] علىٰ مخالفة قومهم ومدينتهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة ؛ فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا[٢] من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمعًا[٣] في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها[٤] ، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له : دقيانوس ، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه .

فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك ، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ، ونظروا إلىٰ ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم ، عرفوا[٥] أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض ، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية ، وكان[٦] أول من جلس منهم أحدهم ، جلس تحت ظل شجرة ، فجاء الآخر فجلس عنده ، وجاء الآخر فجلس إليهما ، وجاء الآخر فجلس إليهم ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، [وجاء الآخر][٧] ، ولا يعرف واحد منهم الآخر ، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم علىٰ الإيمان .

كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري(١٧) تعليقًا من حديث يحيىٰ بن سعيد ، عن عمرة ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الأرواح جنودٌ مجندة ، فما[٨] تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » أخرجه مسلم في صحيحه(١٨) من حديث سهيل[٩] عن [أبيه عن][١٠] أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١٧) البخاري في صحيحه -كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب : الأرواح جنود مجندة (٢) - (٣٣٢٦) .
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٧٠/٦) : « وقد وصله الإسماعيلي من طريق سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ، ورويناه موصولاً في مسند أبي يعلى وفيه قصة في أوله ...» قلت : أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٣٨١) (٣٤٤/٧) . والبخاري في الأدب المفرد (٩٠٠) - باب الأرواح جنود مجندة .

(١٨) مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) ، باب : الأرواح جنود مجندة (٤٩) - (١٥٩) (٢٦٣٨) - (٢٨٤/١٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « صيرناهم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « مجتمع » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « فعرفوا » .
[٦] - في ت : « فكان » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - في ز : « ما » .
[٩] - في ت : « سهل » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والناس يقولون : الجنسية علة الضم .

والغرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه خوفًا منهم ، ولا يدري أنهم مثله ، حتىٰ قال أحدهم : تعلمون واللَّه يا قوم أنه ما[١] أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء ، فليظهر[٢] كل واحد منكم ما بأمره . فقال آخر : أما أنا فإني واللَّه[٣] رأيت ما قومي عليه ، فعرفت أنه باطل ، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده[٤] ولا يشرك به شيء[٥] هو اللَّه[٦] الذي خلق كل شيء السموات والأرض وما بينهما . فقال الآخر : وأنا واللَّه وقع لي كذلك . وقال الآخر كذلك ، حتىٰ توافقوا كلهم علىٰ كلمة واحدة ، فصاروا يدًا واحدة وإخوان صدق ، فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون اللَّه فيه ، فعرف بهم قومهم ، فوشوا بأمرهم إلىٰ ملكهم ، فاستحضرهم بين يديه ، فسألهم عن أمرهم وما هم عليه ، فأجابوه بالحق ودعوه إلىٰ اللَّه عز وجل ؛ ولهذا أخبر تعالىٰ عنهم بقوله : ﴿ **وربطنا علىٰ قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهًا** ﴾ - ولن لنفي التأبيد - أي[٧] : لا يقع منا هذا أبدًا ؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلًا . ولهذا قال عنهم : ﴿ **لقد قلنا إذًا شططًا** ﴾ أي : باطلًا وكذبًا وبهتانًا .

﴿ **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾ ، أي : هلَّا[٨] أقاموا علىٰ صحة ما ذهبوا إليه دليلًا واضحًا صحيحًا ؟ ! ﴿ **فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا** ﴾ ، يقولون : بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال : إن ملكهم لما دَعَوه إلىٰ الإيمان باللَّه أبىٰ عليهم وتهددهم وتوعدهم ، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم ، وأجّلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يراجعون[٩] دينهم الذي كانوا عليه . وكان هذا من لطف اللَّه بهم ؛ فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلىٰ الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة .

وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس : أن يفر العبد منهم خوفًا علىٰ دينه ، كما جاء في الحديث(١٩) « **يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنمًا يتبع بها شَعَف[١٠] الجبال**

(١٩) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان ، باب : من الدين الفرار من الفتن (١٩) ، وكتاب بدء الخلق ، =

[١] - في ز ، خ : « إنما » .
[٢] - في ز ، خ : « فليظهره » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « هذا » .
[٩] - في ز : « يراجعوا » .
[١٠] - في خ : « سعف » . وشعفة كل شيء : أعلاه . يريد رأس جبل من الجبال النهاية (٢/٤٨١) .

ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ، ففي هذه الحال تشرع العزلة عن[١] الناس ، ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع .

فلما وقع عزمهم علىٰ الذهاب والهرب من قومهم ، واختار اللّٰه تعالىٰ لهم ذلك ، وأخبر عنهم بذلك في قوله : ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا اللّٰه** ﴾ ، أي : وإذا[٢] فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير اللّٰه ، ففارقوهم أيضًا بأبدانكم ، ﴿ **فأووا إلىٰ الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته** ﴾ ، أي : يبسط عليكم رحمة يستركم بها[٣] من قومكم ، ﴿ **ويهيئ لكم من أمركم** ﴾ الذي أنتم فيه ﴿ **مرفقًا** ﴾ ، أي : أمرًا ترتفقون[٤] به . فعند ذلك خرجوا هُرَّابًا[٥] إلىٰ الكهف فآووا إليه ، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك ، فيقال : إنه لم يظفر بهم ، وعمّىٰ اللّٰه عليهم خبرهم ، كما فعل بنبيه محمد[٦] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وصاحبه الصديق حين لجأا إلىٰ غار ثور ، وجاء المشركون من قريش في الطّلب فلم يهتدوا إليه مع[٧] أنهم يمرون عليه ، وعندها قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حين رأىٰ جزع الصّديق في قوله : يا رسول اللّٰه ؛ لو أن أحدهم نظر إلىٰ موضع قدميه لأبصرنا !! فقال : « **يا أبا بكر ؛ ما ظنك باثنين اللّٰه ثالثهما ؟** »[٢٠] ، وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره اللّٰه إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن اللّٰه معنا فأنزل اللّٰه سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ وكلمة اللّٰه هي العليا واللّٰه عزيز حكيم** ﴾ فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف . وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ، ووقفوا[٨] علىٰ باب الغار الذي دخلوه ، فقالوا : ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم . فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ، فَفُعِل ذلك . وفي هذا[٩] نظر ، واللّٰه أعلم ؛ فإن اللّٰه تعالىٰ قد[١٠] أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيًا ،

= باب : خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، (٣٣٠٠) ، وكتاب المناقب ، باب علامات النبوة (٣٦٠٠) ، وكتاب الرقاق ، باب : العزلة راحة من خلاط السوء ، (٦٤٩٥) ، وكتاب الفتن ، باب التعرب في الفتنة (٧٠٨٨) .

(٢٠) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن اللّٰه معنا** ﴾ . (٤٦٦٣) . ومسلم - كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق =

---

[١] - في خ : « على » .
[٢] - في ت : « إذ » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « يرتفقون » .
[٥] - في خ : « هربًا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « ثم » .
[٨] - في ز ، خ : « وقفوا » .
[٩] - في ز ، خ : « هذه » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

كما قال تعالىٰ

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

هذا دليل علىٰ أن باب هذا الكهف من نحو الشمال ؛ لأنه تعالىٰ أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تَزْوَرّ عنه[١] ، ﴿ ذات اليمين ﴾ ، أي : يتقلص[٢] الفيء يمنة ، كما قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ﴿ تزاور ﴾ ، أي : تميل . وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تَقَلّص شعاعها بارتفاعها حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ؛ ولهذا[٣] قال : ﴿ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ ، أي : تدخل إلىٰ غارهم من شمال بابه ، وهو من ناحية المشرق ، فدل علىٰ صحة ما قلناه ، وهذا بَيِّنٌ لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب ، وبيانه : أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لما دخله منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ، ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالًا ، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع ، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلىٰ الغروب ، فتعين ما ذكرناه ، ولله الحمد .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ﴿ تقرضهم ﴾ : تتركهم .

وقد أخبر الله تعالىٰ بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أيّ البلاد من الأرض ؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالًا ؛ فتقدم عن ابن عباس أنه قال : هو[٤] قريب من أيلة . و[٥] قال ابن إسحاق : هو عند نِينَوَىٰ . وقيل : ببلاد الروم . وقيل : ببلاد البلقاء ، والله أعلم بأي بلاد الله هو ، ولو

= رضي الله عنه (٢٣٨١) من طريق حبان بن هلال ثنا همام ثنا ثابت ثنا أنس بن مالك ، أن أبا بكر الصديق حدثه ... فذكره . وأخرجه البخاري - كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم (٣٦٥٣) . وكتاب مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٣٩٢٢) من طريقين عن همام عن ثابت به .

[١] - في خ : « عند » .

[٢] - في ز : « تنقلص » .

[٣] - في خ : « وهذا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من ز ، خ .

كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا اللّٰه تعالىٰ ورسوله إليه ، فقد قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم[(٢١)] : « **ما تركت شيئًا يقربكم إلىٰ الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به** » ، فأعلمنا تعالىٰ بصفته ، ولم يعلمنا بمكانه ، فقال : ﴿ **وترىٰ الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم** ﴾ ، قال مالك ، عن زيد بن أسلم : تميل ، ﴿ **ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه** ﴾ ، أي : في متسع منه داخلًا بحيث لا تمسهم ؛ إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم ؛ قاله ابن عباس .

﴿ **ذلك من آيات اللّٰه** ﴾ ، حيث أرشدهم تعالىٰ إلىٰ هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقىٰ أبدانهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك من آيات اللّٰه** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **من يهد اللّٰه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ ، أي : هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلىٰ الهداية من بين قومهم ، فإنه من هداه اللّٰه اهتدىٰ[١] ، ومن

(٢١) **صحيح** . ورد هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق :

١ - حديث المطلب بن عبد الله بن حنطب .

أخرجه الشافعي في المسند (صـ٢٣٣) . وابن خزيمة في صحيحه (ج٣/رقم ١٠٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧/٢) (١١٨٥) . والبغوي في شرح السنة (٣٠٢/١٤-٣٠٣) (٤١١٠) .

من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن المطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ... فذكره مطولًا .

قال الألباني في « الصحيحة » (٤١٧/٤) (١٨٠٣) : « وهذا إسناد مرسل حسن» .

٢ - حديث عبد الله بن مسعود .

أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٠٣/١٤،٣٠٥) (٤١١١،٤١١٣) . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٢) (٢١٣٦) . وفي إسناده مجهول .

٣ - حديث أبي ذر .

أخرجه الطبراني في الكبير (١٥٥/٢،١٥٦) (١٦٤٧) .

من طريق ابن عيينة عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر مرفوعًا ... وفيه « ما بقي شيء يقرب من الجنة ، ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » .

وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٦/٨-٢٦٧) : « رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة » . وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣) .

٤ - وله طريق آخر عند عبد الرزاق في المصنف (٢٠١٠٠) (١٢٥/١١-١٢٦) عن معمر عن عمران صاحب له قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره مطولًا .

[١] - في ز ، خ : « أهدي » .

أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم ، لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلىٰ ، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقىٰ لها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود** ﴾ ، وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينًا ويفتح عينًا ، ثم يفتح هذه - ويطبق هذه وهو راقد - كما قال الشاعر :

ينامُ بإحدىٰ مُقْلَتَيه ويتقي بأخرىٰ الرزايا فهو يقظانُ نائمُ

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** ﴾ ، قال بعض السلف : يقلبون في العام مرتين .

قال : ابن عباس : لو لم يقلبوا[١] لأكلتهم الأرض .

وقوله : ﴿ **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة[٢] : الوصيد : الفناء .

وقال ابن عباس : بالباب . وقيل : بالصعيد ، وهو التراب . والصحيح أنه بالفناء - وهو الباب - ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة** ﴾ أى : مطبقة مغلقة . ويقال : و«صيد» ، و«أصيد»

ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب .

قال ابن جريج : يحرس[٣] عليهم الباب ، وهذا من سجيته وطبيعته ، حيث[٤] يربض ببابهم كأنه يحرسهم ، وكان جلوسه خارج الباب ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب - كما ورد في الصحيح - «ولا صورة»(٢٢)

(٢٢) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري من طرق :

[١] - في خ : « يتقلبون » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « تحرس » .

[٤] - في خ : « وحيث » .

«ولا جُنُب»(٢٣) ، ولا كافر ، كما ورد به[١] في الحديث الحسن .

وشملت كلبَهم بركتُهُم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال[٢] . وهذا فائدة صحبة الأخيار ؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن .

وقد قيل : إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه . وقيل : كان كلب طباخ الملك ، وكان قد وافقهم على الدين فصحبه[٣] كلبه ، فالله أعلم .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي(٢٤) ، حدثنا صدقة بن عمر الغساني ، حدثنا عباد المنقري ، سمعت الحسن البصري رحمه الله يقول : كان اسم

---

١ - حديث أبي طلحة .

أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق باب : « إذا قال أحدكم « آمين » ... (٣٢٢٥) ، وباب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ... ، (٣٣٢٢) . وكتاب المغازي (٤٠٠٢) ، وكتاب اللباس ، باب التصاوير (٥٩٤٩) . وباب من كره القعود على الصور (٥٩٥٨) .

٢ - حديث ابن عمر .

أخرجه البخاري - كتاب اللباس ، باب : لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة (٥٩٦٠) .

(٢٣) وأما حديث « الجنب » ، فقد ورد من حديث علي بن أبي طالب .

أخرجه أبو داود - كتاب الطهارة ، باب : في الجنب يؤخر الغسل ، (٢٢٧) ، (٥٨/١) وفي اللباس ، باب في الصور ، (٤١٥٢) (٧٢/٤-٧٣) .

والنسائي - كتاب الطهارة ، باب : « الجنب إذا لم يتوضأ » (١٤١/١) .

وكتاب الصيد - باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب - (١٨٥/٧) .

وابن ماجة - كتاب اللباس (٣٢) ، باب الصور في البيت (٤٤) ، (٣٦٥٠) (١٢٠٣/٢) وليس عنده ذكر الجنب .

من طرق عن شعبة عن علي بن مدرك قال : سمعت أبا زرعة بن عمرو يحدث عن عبد الله ابن نُجَي عن أبيه قال : سمعت عليًا ... فذكره .

قلت : عبد الله بن نجي قال الحافظ في « التقريب » : صدوق .

وأبوه نجي الحضرمي الكوفي ، ذكره ابن حبان في الثقات (٤٨٠/٥) ، وقال : لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، وقال العجلي في « الثقات » (صـ ٤٤٨) : « تابعي ثقة » . وفي التقريب : مقبول . وله شاهد من حديث ابن عباس . أخرجه البزار (٢٩٣٠/٣ كشف) .

(٢٤) ترجمة همام ساقطة من النسخة المخطوطة التي بين يدي الآن ، والعلم عند الله تعالى .

---

[١] - بعده في خ : في .

[٢] - في خ : « الحالة » .

[٣] - في ت : « فحبه » .

كبش إبراهيم : « **جرير** » ، واسم هدهد سليمان : « **عنقز** » ، واسم كلب أصحاب الكهف : « **قطمير** » ، واسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه : « **بهموت** » ، وهبط آدم - عليه السلام - بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدست بيسان ، والحية بأصبهان .

وقد تقدم عن شعيب [الجبئي][١] أنه سماه حمران .

واختلفوا في[٢] لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها ؛ بل هي مما ينهىٰ عنه ؛ فإن مستندها رجم بالغيب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا** ﴾ ، أي : إنه تعالىٰ ألقىٰ عليهم المهابة ، بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم ، لما ألبسوا من المهابة والذعر ، لئلا يدنو منهم أحد ولا[٣] تمسهم يد لامس ، حتىٰ يبلغ الكتاب أجله ، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالىٰ فيهم ، لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة ، والرحمة الواسعة .

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ : وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم ، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا ، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ؛ ولهذا تساءلوا بينهم : ﴿ **كم لبثتم** ﴾ ، أي : كم رقدتم ؟ ﴿ **قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم** ﴾، كأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار ، واستيقاظهم كان في آخر نهار ؛ ولهذا استدركوا فقالوا : ﴿ **أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم** ﴾ ، أي : اللَّه أعلم بأمركم ، وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فاللَّه أعلم .

---

[١] - في ت : « الجبائي » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ثم عدلوا إلىٰ الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلىٰ الطعام والشراب ، فقالوا : ﴿ فابعثوا أحدكم بِوَرِقكم ﴾ ، أي : فضتكم هذه ، وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من[١] منازلهم لحاجتهم إليها ، فتصدقوا منها وبقي منها ؛ فلهذا قالوا : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلىٰ المدينة** ﴾ ، أي : مدينتكم التي خرجتم منها ، والألف واللام للعهد .

﴿ **فلينظر أيها أزكىٰ طعامًا** ﴾ ، أي : أطيب طعامًا ، كقوله : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكىٰ منكم من أحد أبدًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ ومنه الزكاة التي تُطَيّب المال وتطهره . وقيل : أكثر طعامًا ، ومنه : زكا الزرع ، إذا كثر ، قال الشاعر :

قبائلنا سَبْعٌ وأنتم ثلاثةٌ ... وللسَّبْعُ أزكىٰ من ثلاث وأطيبُ

والصحيح الأول ؛ لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال ، سواء كان قليلًا أو كثيرًا . وقوله : ﴿ **وليتلطف** ﴾ ، أي : في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه ، يقولون : وَلْيَتَخَفَّ[٢] : كل ما يقدر عليه ، ﴿ **ولا يشعرن** ﴾ ، أي : يعلمن ﴿ **بكم أحدًا * إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم** ﴾ ، أي : إن علموا بمكانكم ، ﴿ **يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم** ﴾ ، يعنون أصحاب دقيانوس ، يخافون منهم أن يطلعوا علىٰ مكانهم ، فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلىٰ أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا ، وإن واتَوهم علىٰ العودة[٣] في الدين فلا فلاح لهم[٤] في الدنيا ولا في الآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولن تفلحوا إذًا أبدًا** ﴾ .

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم** ﴾ ، أي : أطلعنا عليهم الناس ، ﴿ **ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾ .

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة .

---

[١] - في خ : « في » .
[٢] - في خ : « واليتحف » .
[٣] - في خ : « العود » .
[٤] - في خ : « لكم » .

وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا : تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد . فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية علىٰ ذلك .

وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلىٰ المدينة في شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشي في غير الجادة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدينة ، وذكروا أن اسمها دقسوس ، وهو يظن أنه قريب العهد بها[١] ، وكان الناس قد تبدلوا قرنًا بعد قرن ، وجيلًا بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجاله

فجعل لا يرىٰ شيئًا من معالم البلد التي يعرفها ، ولا يعرف أحدًا من أهلها : لا[٢] خواصها ولا عوامها ، فجعل يتحير في نفسه ويقول : لعل بي جنونًا[٣] أو مسًا[٤] أو أنا حالم ، ويقول : والله ما بي شيء من ذلك ، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس علىٰ غير هذه الصفة ، ثم قال : إن تعجيل الخروج من هاهنا لأولىٰ لي . ثم عمد إلىٰ رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من النفقة ، وسأله أن يبيعه بها طعامًا ، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضَرْبها ، فدفعها إلىٰ جاره ، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون : لعل هذا قد وجد كنزًا . فسألوه عن أمره ، ومن أين له هذه النفقة ؟ لعله وجدها من كنز ، ومن أنت ؟ فجعل يقول : أنا من أهل هذه المدينة ، وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس . فنسبوه إلىٰ الجنون ، فحملوه إلىٰ وليّ أمرهم ، فسأله عن شأنه وعن أمره ، حتىٰ أخبرهم بأمره - وهو متحير في حاله وما هو فيه - فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلىٰ الكهف - مُتَوَلّي البلد وأهلها - حتىٰ انتهىٰ بهم إلىٰ الكهف فقال : دعوني حتىٰ أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي ، فيقال : إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه ، وأخفىٰ الله عليهم خبره ، ويقال : بل دخلوا عليهم ، ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم ، وكان مسلمًا فيما قيل واسمه تيدوسيس[٥] ، ففرحوا به وآنسوه[٦] الكلام ، ثم ودعوه وسلموا عليه ، وعادوا إلىٰ مضاجعهم ، وتوفاهم الله عز وجل ، فالله أعلم .

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فمروا بكهف في بلاد الروم فرأوا فيه عظامًا ، فقال قائل : هذه عظام أصحاب[٧] الكهف . فقال ابن عباس : لقد بليت عظامهم

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ولا » .
[٣] - في ز ، خ : « جنون » .
[٤] - في ز : « مس » ، خ : « شره » .
[٥] - في ز : « تبدوسيس » .
[٦] - في ز : « ووانسوني » .
[٧] - في ت : « أهل » .

من أكثر من ثلاثمائة سنة . رواه ابن جرير(٢٥) .

وقوله : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ ، أي : كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيئاتهم[١] أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ، ﴿ ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ ، أي : في أمر القيامة ، فمن مثبت لها ومن منكر ، فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم ، ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا ربهم أعلم بهم ﴾ ، أي : سُدُّوا عليهم باب كهفهم وذَرُوهم[٢] على حالهم ، ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدًا ﴾ .

حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين : أحدهما : أنهم المسلمون منهم .

والثاني : أهل الشرك منهم ، فالله أعلم .

والظاهر أن الذين[٣] قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ، ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال(٢٦) : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد** » يحذر ما فعلوا ، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها .

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

---

(٢٥) جزء من أثر طويل رواه ابن جرير (١٥/٢١٦ ، ٢١٧) عن عكرمة .

(٢٦) أخرجه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٢٣) (٥٣٢) . والنسائي في الكبرى - التفسير (٦/١١٢٣) مختصرًا من حديث جندب مرفوعًا « ..... **وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد** ...» . والحديث في صحيح البخاري دون ذكر « صالحيهم » .

أخرجه البخاري - كتاب الصلاة ، باب (٥٥) (٤٣٥ ، ٤٣٦) . وللفظة « صالحيهم » شاهد أيضًا عند البخاري . من حديث عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم - كنيسة رأتها بأرض الحبشة ... فيها تصاوير - فقال صلى الله عليه وسلم : « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ... » .

---

[١] - في خ : « بهيئتهم » .

[٢] - في خ : « ذرهم » .

[٣] - في ز : « الذي » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف ، فحكىٰ ثلاثة أقوال ، فدل علىٰ أنه لا قائل برابع ، ولما ضعف القولين الأولين بقوله : ﴿ رجمًا بالغيب ﴾ ، أي : قولًا[١] بلا علم ، كمن يرمي إلىٰ مكان لا يعرفه ، فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد ، ثم[٢] حكىٰ الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ ، دل علىٰ صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر .

وقوله : ﴿ قل ربي أعلم بعدّتهم ﴾ إرشاد إلىٰ أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلىٰ الله تعالىٰ ؛ إذ لا احتياج إلىٰ الخوض في مثل ذلك بلا علم ، لكن إذا أطلعنا علىٰ أمر قلنا به وإلا وقفنا .

وقوله : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ ، أي : من الناس . قال قتادة : قال ابن عباس : أنا من القليل الذي استثنىٰ الله عز وجل كانوا سبعة . وكذا روىٰ ابن جرير عن عطاء الخراساني عنه أنه كان يقول : أنا ممن استثنىٰ الله عز وجل ويقول : عدتهم سبعة(٢٧) .

[وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس][٣] : [﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ ، قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة][٤] ، فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس و[٥] أنهم كانوا سبعة ، وهو موافق لما قدمناه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن [عبد الله][٦] بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : لقد حدثت أنه كان علىٰ بعضهم من حداثة [سنه وَضَح][٧] الورِق .

قال ابن عباس(٢٩) : فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة الله يبكون[٨] ويستغيثون

(٢٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١٥) وكذا عبد الرزاق (٤٠٠/٢) عن قتادة به ، وانظر ما بعده .

(٢٨) تفسير ابن جرير (٢٢٦/١٥) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة ، وقتادة وعطاء الخراساني لم يسمعا من ابن عباس . وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢٧٩/٢) من طريق الضحاك عن ابن عباس ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس أيضًا ، لكن أفاد غير واحد أن بينهما سعيد بن جبير ، والأثر زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور » (٣٩٣/٤) إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وانظر ما بعده .

(٢٩) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٥/٦) (٦١١٣) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤٢٢/٤) ت (٢٠٤٩) من طريق يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس به . =

[١] - في ز : « قول » .
[٢] - في خ : « و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « محمد » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « سنة وصح » .
[٨] - في خ : « يبتلون » .

بالله ، وكانوا ثمانية نفر : مكسلمينا[١] وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ومجسيميلنينا[٢] ، وتمليخا ، ومرطوس[٣] ، وكشطونس ، وبيرونس[٤] ، وديموس[٥] ، ويطونس[٦] قالوش[٧] هكذا وقع في هذه الرواية ، ويحتمل هذا من كلام ابن إسحاق أو[٨] من بينه وبينه ؛ فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة ، وهو ظاهر الآية ، وقد تقدم عن شعيب الجبائي أن اسم كلبهم حمران ، وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله أعلم ؛ فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا** ﴾ ، أي : سهلًا هينًا ؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿ **ولا تستفت فيهم منهم أحدًا** ﴾ ، أي : فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه[٩] من تلقاء أنفسهم ﴿**رجمًا بالغيب**﴾ ، أي[١٠] : من غير استناد إلىٰ كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، فهو المقدَّم الحاكم علىٰ كل ما تقدمه من الكتب والأقوال .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

هذا إرشاد من الله لرسوله[١١] - صلوات الله وسلامه عليه - إلىٰ الأدب فيما إذا عزم علىٰ شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلىٰ مشيئة الله - عز وجل - علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، كما ثبت في الصحيحين(٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال :

= وقال العقيلي : أما الكلام الأول وهو قوله : « أنا من أولئك القليل » . فصحيح عن ابن عباس وأسماؤهم هذه فليست بمحفوظة عن ابن عباس . وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٧) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن أبي روق وهو ضعيف .

(٣٠) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد ، باب : من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩) ، وكتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، (٣٤٢٤) وكتاب النكاح ، باب : قول الرجل : لأطوفن الليلة على نسائي (٥٢٤٢) . وكتاب الأيمان والنذور ، باب ، كيف =

[١] - في ز : « مكيليمنينا » ، خ : « مكيليهنينا » .
[٢] - في خ : « مجسيليمنينا » .
[٣] - في ز : « مرطوس » ، خ : « مرطوش » .
[٤] - في خ : « بيزونس » .
[٥] - في ز ، « دنيمونس » ، خ : « دينموس » .
[٦] - في خ : « بطونس » .
[٧] - في خ : « قابوس » .
[٨] - في خ : « و » .
[٩] - في خ : « يلقونه » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز ، خ : « إلى رسوله » .

« قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة » - وفي رواية : « تسعين امرأة »، وفي رواية : « مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل اللّٰه ، فقيل له : - وفي رواية : فقال له[١] الملك : - قل : إن شاء اللّٰه . فلم يقل ، فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان » ، قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ! لو قال : إن شاء اللّٰه لم يحنث ، وكان دركًا لحاجته » وفي رواية : « ولقاتلوا في سبيل اللّٰه فرسانًا أجمعين[٢] »

وقد تقدم(٣١) في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف : « غدًا أجيبكم » فتأخر الوحي خمسة عشر يومًا ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنىٰ عن إعادته .

وقوله : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ ، قيل : معناه : وإذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له ، قاله أبو العالية ، والحسن البصري .

وقال هشيم(٣٢) : عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في الرجل يحلف قال : له أن يستثني ولو إلىٰ سنة . وكان يقول : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ في ذلك . قيل للأعمش : سمعته من[٣] مجاهد ؟ قال : حدثني به ليث بن أبي سليم ترىٰ[٤] ذهب كسائي هذا . ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الأعمش به .

ومعنىٰ قول ابن عباس : أنه يستثني ولو بعد سنة ، أي : إذا نسي [أن يقول في حلفه][٥] أو كلامه : إن شاء اللّٰه ، وذكر ولو بعد سنة ، فالسُّنَّة له أن يقول ذلك ليكون آتيًا بسنة الاستثناء حتىٰ لو كان بعد الحنث . قاله ابن جرير رحمه اللّٰه ونص علىٰ ذلك ، لا

= كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم (٦٦٣٩) ، وكتاب كفارات الأيمان ، باب الاستثناء في الأيمان (٦٧٢٠) ، وكتاب التوحيد ، باب : في المشيئة والإرادة (٧٤٦٩) . ومسلم - كتاب الأيمان ، باب : الاستثناء (١٦٥٤) من طرق عن أبي هريرة به .

(٣١) تقدم (١١) .

(٣٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٩/١٥) ثنا محمد بن هارون الحربي ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا هشيم به .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٨/١١) (١١٠٦٩) ، وفي « الأوسط» (١١٩/١) من طريق يحيى بن سليمان ، أنبا أبو معاوية ، ثنا الأعمش به . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا أبو معاوية، تفرد به يحيى » كذا قال ، وتابع أبا معاوية هشيم كما هنا . ورواه والحاكم في المستدرك =

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : « أجمعون » .
[٣] - في ت : « عن » .
[٤] - في ت : « يرى » .
[٥] - في خ : « في حقه أن يقول » .

أن يكون رافعًا لحنث اليمين ومسقطًا[١] للكفارة ، وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح ، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم .

وقال عكرمة : [﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أى : [إذا][٢] غضبت . وهذا تفسير باللازم .

وقد قال الطبراني(٣٣) : حدثنا أحمد بن يحيىٰ الحلواني ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلىٰ بن مسلم ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس : ﴿ **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله**][٣] **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ أن تقول : إن شاء الله .

وقال الطبراني(٣٤) : حدثنا محمد بن الحارث الجبيلي[٤] ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد العزيز بن حصين ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : [﴿ **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا * إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ أن تقول : إن شاء الله .

وروىٰ الطبراني أيضًا عن ابن عباس في قوله][٥] : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ الاستثناء ، فاستثن إذا ذكرت ، وقال[٦] : هي خاصة برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وليس لأحد منا أن يستثني إلا في صلة من يمينه ، ثم قال : تفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين .

= (٣٠٣/٤) (٧٨٣٣) من طريق علي بن مسهر ، عن الأعمش ، به . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٧) : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله ثقات » لكن تبين أن الأعمش دلسه ، حيث سمعه من ليث بن أبي سليم وهو مختلط ، ولم يتميز حديثه فترك ، والخبر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٤/٤) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٩/١٢) (١٢٨١٧) . والأوسط (٢٨٥/١) (٩٣٠) .

(٣٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٨/٧) (٦٨٧٢) ، وفي الصغير (٤١/٢) ، وأخرجه في « الكبير » (١١/ ٩٠) (١١١٤٣) ثنا الحسن بن جرير الصوري ، ثنا صفوان بن صالح ، به .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٥٦/٧) وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه عبد العزيز بن حصين وهو ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « مسقط » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « الجبلى » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « قيل » .

ويحتمل[١] في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالىٰ قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلىٰ ذكر الله ؛ [لأن النسيان منشؤه من الشيطان ، كما قال فتىٰ موسىٰ : ﴿ **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ وذِكْرُ الله تعالىٰ يطرد الشيطان ، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ، فَذِكْرُ الله][٢] تعالى سبب للذكر ، ولهذا قال : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وقل عسىٰ أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدًا** ﴾ ، أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه، وتوجه إليه فى أن يوفقك للصواب والرشد [فى ذلك][٣] ، وقيل غير ذلك فى تفسيره والله أعلم .

وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

هذا خبر من الله تعالىٰ لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم ، منذ أرقدهم الله إلىٰ أن بعثهم ، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان ، وأنه كان مقداره ثلاثمائة وتسع سنين بالهلالية[٤] ، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية ، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة[٥] بالقمرية إلىٰ الشمسية ثلاث سنين ، فلهذا قال بعد الثلاثمائة : ﴿ **وازدادوا تسعًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ أي : إذا[٦] سئلت عن لبثهم ، وليس عندك علم[٧] في ذلك و[٨] توقيف من الله تعالىٰ ، فلا تتقدم فيه بشيء ، بل قل في مثل هذا : ﴿ **الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض** ﴾ أي : لا يعلم ذلك إلا هو ، أو من أطلعه الله عليه من خلقه ، وهذا الذي قلناه : عليه غير واحد من علماء التفسير ؛ كمجاهد وغير واحد من السلف والخلف .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا** ﴾ هذا قول أهل

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « الهلالية » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز ، خ : « إنما » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

الكتاب ، وقد رده الله تعالىٰ بقوله : ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ ، قال : وفي قراءة عبد الله : (و قالوا ولبثوا) يعني أنه قاله الناس وهكذا قال - كما قال قتادة - مطرف بن عبد الله ، وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر ؛ فإن الذي بأيدي أهل الكتاب : أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع ، يعنون بالشمسية ، ولو كان الله قد حكىٰ قولهم لما قال : ﴿ **وازدادوا تسعًا** ﴾ وظاهر الآية : إنما هو من إخبار الله لا حكاية عنهم ، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلىٰ قراءة الجمهور فلا يحتج بها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **أبصر به وأسمع** ﴾ [أي : إنه لبصير بهم سميع لهم .

قال ابن جرير : وذلك في معنىٰ المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه][١] ! وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع ! لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء . ثم روى عن قتادة في قوله: ﴿ **أبصر به وأسمع** ﴾ : فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع. وقال ابن زيد : ﴿ **أبصر به وأسمع** ﴾ ، يرىٰ أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعًا بصيرًا .

وقوله : ﴿ **ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدًا** ﴾ أي : إنه تعالىٰ هو الذي له الخلق والأمر ، الذي لا معقب لحكمه ، وليس له وزير ولا نصير[٢] ، ولا شريك ولا مشير ، تعالىٰ وتقدس .

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ الله عليه وسلم بتلاوة كتابه العزيز ، وإبلاغه إلىٰ الناس ﴿ **لامبدل لكلماته** ﴾ أي : غير[٣] مغير لها ولا محرف ولا مُؤوّل .

وقوله : ﴿ **ولن تجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ، [عن مجاهد : ﴿ **ملتحدًا** ﴾ ، قال :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « نظير » .

[٣] - في ت : « لا » .

ملجأ . وعن قتادة : وليًا ولا مولىً][١] . قال ابن جرير : يقول[٢] و[٣] إن أنت يامحمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك ، أي[٤] فإنه لاملجأ لك من الله . كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ أي : سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة .

وقوله : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ أي : اجلس[٥] مع الذين يذكرون الله ، ويهللونه ويحمدونه ، ويسبحونه ويكبرونه ، ويسألونه بكرة وعشيًا ، من عباد الله ، سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، أو أقوياء أو ضعفاء . يقال : إنها نزلت في أشراف قريش ، حين طلبوا من النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ، ولا يجالسهم[٦] بضعفاء أصحابه ؛ كبلال وعمار وصهيب وخباب[٧] وابن مسعود ، وليفرد أولئك بمجلس [علىٰ حدة][٨] ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ [وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾][٩]

قال مسلم في صحيحه(٣٥) : حدثنا أبو[١٠] بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، عن إسرائيل ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن سعد - [هو][١١] ابن أبي وقاص - قال : **كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء ، لا يجترئون علينا . قال : وكنت أنا وابن مسعود ، ورجل من هذيل ، وبلال ، ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع في نفس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾** انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري .

---

(٣٥) أخرجه مسلم - كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه (٢٤١٣) (٤٥-٤٦) وانظر ما تقدم [سورة الأنعام / آية ٥٢] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : ويقول .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : م .
[٥] - في ز : « تجلس » ، خ : « يجلس » .
[٦] - في ز : « تجالسهم » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال الإمام أحمد(٣٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي التياح ، قال : سمعت أبا الجعد يحدث ، عن أبي أمامة ، قال : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ قاص يقص فأمسك ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قص ، فلأن أَقْعُد غدوة إلىٰ أن تشرق الشمسُ أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعَ رقابٍ** » .

وقال الإمام أحمد(٣٧) أيضًا : حدثنا هاشم[١] ، ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : سمعت كردوس بن قيس - وكان قاص العامة بالكوفة - يقول : أخبرني رجل من أصحاب بدر ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب** » . قال شعبة : فقلت : أي مجلس ؟ قال : كان قاصًا .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده(٣٨) : حدثنا محمد ، حدثنا يزيد بن أبان ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لأن[٢] أجالس قومًا يذكرون اللّٰه من صلاة الغداة إلىٰ طلوع الشمس أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس ، ولأن أذكر اللّٰه من صلاة العصر [إلىٰ غروب الشمس][٣] أحب إليّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل ، دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفًا** » . فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس أنس ، فبلغت ستة وتسعين ألفًا ، وهاهنا من يقول : أربعة من ولد إسماعيل ، واللّٰه ما قال إلا ثمانية ، دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفًا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٩) : حدثنا أحمد[٤] بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن عليّ بن الأقمر ، عن الأغر أبي مسلم - وهو الكوفي

---

(٣٦) أخرجه أحمد (٥/٢٦١) مطولًا ، وذكره المصنف هنا مختصرًا . وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/٣١٢) (٨٠١٣) من طريق النضر بن شميل ثنا شعبة به . وقال الهيثمي في المجمع (١/١٩٥) : « رجاله موثقون إلا أن فيه أبا الجعد عن أبي أمامة فإن كان هو الغطفاني فهو من رجال الصحيح ، وإن كان غيره فلم أعرفه » .

(٣٧) أخرجه أحمد (٣/٤٧٤) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٨٨ ، ٨٩) من طريق أبي النضر - هاشم - به ، وأخرجه أحمد أيضًا ثنا بهز ، ثنا شعبة به ، وذكره الهيثمي في المجمع (١/١٩٥) وقال : « رواه أحمد ، وفيه كردوس بن قيس وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٣٨) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (صـ٢٨١) (٢١٠٤) . ويزيد بن أبان هو الرقاشي أبو عمرو البصري القاص ضعيف .

(٣٩) قال الهيثمي في المجمع (٧/١٦٧) « رواه البزار متصلًا ومرسلًا ، وفيه عمرو بن ثابت أبو المقدام وهو متروك » .

---

[١] - في ز ، خ : « هشام » .
[٢] - في ز : « لابن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في خ: « محمد » .

- أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مر برجل يقرأ سورة الكهف ، فلما رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم سكت ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **[هذا المجلس][١] الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم** » .

هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر مرسلًا .

وحدثنا[٢] يحيىٰ بن المعلىٰ ، عن منصور ، حدثنا محمد بن الصلت ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن عليّ بن الأقمر ، عن الأغر[٣] عن أبي مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم و[٤] رجل يقرأ سورة الحِجْر أو سورة الكهف فسكت ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم** » .

وقال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا محمد بن بكر ، ثنا ميمون المَرَئي[٥] ، ثنا ميمون بن سياه ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ، لا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء : أن قوموا مغفورًا[٦] لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات** » تفرد به أحمد رحمه الله .

وقال الطبراني(٤١) : ثنا إسماعيل بن الحسن ، ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف ، قال : نزلت علىٰ

---

(٤٠) أخرجه أحمد (١٤٢/٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٤١٤١) (١٦٧/٧) ، والطبراني في الأوسط (١٥٥٦) (١٥٤/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧٩/١٠) .

« رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني في الأوسط وفيه ميمون المرئى وثقة جماعة وفيه ضعف ،وبقية رجال أحمد رجال الصحيح » .

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨) ، باب : فضل الإجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر (١١) - (٣٨) - (٢٦٩٩) ، (٣٤/١٧-٣٥) .

(٤١) وعزاه إلى الطبراني السيوطي في « الدر المنثور » (٣٩٧/٤) وزاد عزوه إلى ابن جرير وابن مردويه ، وهو عند ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/١٥) ثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/٧) وقال : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وقد ذكر الطبراني عبد الرحمن في الصحابة » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .
[٢] - في خ : « وحدثنا » .
[٣] - بعده في ز : عن .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « المراى » ، خ : « المرائى» .
[٦] - في ز : « مغفور » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ ، فخرج يلتمسهم ، فوجد قومًا [يذكرون الله تعالىٰ][١] ؛ منهم ثائر الرأس ، [وجاف الجلد][٢] ، [وذو الثوب الواحد][٣] ، فلما رآهم جلس معهم وقال : « **الحمد لله الذي جعل[٤] في أمتي من أمرني الله أن أصبر نفسي معهم** » .

عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة ، وأما أبوه[٥] فَمِنْ سادات الصحابة رضي الله عنهم .

وقوله : ﴿ **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ قال ابن عباس : ولا تجاوزهم[٦] إلى غيرهم يعني : تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة . ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا** ﴾ ، أي : شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿ **وكان أمره فرطًا** ﴾ ، أي : أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ، ولا تكن[٧] مطيعًا له ، ولا محبًّا لطريقته ، ولا تغبطه بما هو فيه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تمدَّنَّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقىٰ** ﴾ .

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وقل** ﴾ يا محمد للناس : هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولاشك ، ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ، ولهذا قال : ﴿ **إنا أعتدنا** ﴾ ، أي : أرصدنا ﴿ **للظالمين** ﴾ ، وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿ **نارًا أحاط بهم سرادقها** ﴾ ، أي : سورها .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ: « يذكر الله» .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وخاف الحدد » ، خ : « وخاف الحدود » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « والثواب الواخذ » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « أبو داود » .

[٦] - في خ : « تجاوزوهم » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

قال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **لسرادق النار أربعة جدر ، كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة** » وأخرجه الترمذي في صفة النار ، وابن جرير في تفسيره : من حديث دراج أبي السمح به [وقال ابن جريج : قال ابن عباس : ﴿ **أحاط بهم سرادقها** ﴾ ، قال : حائط من نار][١] .

وقال ابن جرير(٤٣) : حدثني الحسين بن نصر ، والعباس بن محمد ، قالا : حدثنا أبو عاصم ، عن عبد اللَّه بن أمية ، [حدثني محمد بن حُيَيّ بن يعلىٰ ، عن صفوان بن يعلىٰ ، عن يعلىٰ بن أمية][٢] قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **البحر هو جهنم** » . قال : فقيل له : [كيف ذلك ؟][٣] فتلا هذه الآية ، أو قرأ هذه الآية : ﴿ **نارًا أحاط بهم سرادقها** ﴾ ، ثم قال : واللَّه لا أدخلها أبدًا - أو : ما دمت حيًّا[٤] - لا[٥] تصيبني[٦] منها قطرة .

---

(٤٢) « المسند » (٢٩/٣) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣٨٩/٢) وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٩٣٦/٢) من طريق أبي خيثمة زهير بن حرب ، قال : ثنا الحسن بن موسى به .
وقال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح ، ابن لهيعة ذاهب الحديث ، قال أحمد : أحاديث دراج مناكير » .
وأخرجه ابن المبارك في مسنده (١٣١) ونعيم بن حماد في « زوائد الزهد » (٣١٦) - ومن طريق ابن المبارك أيضًا الترمذي ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار (٢٥٨٧) وابن جرير في تفسيره (٢٣٩/١٥) والبغوي في « شرح السنة » (٤٠٧) (٢٤٥/١٥) - أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو ابن الحارث عن دراج به وقال الترمذي : « هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقالٌ ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه » لكن تابعه عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث به أخرجه ابن جرير وصححه الحاكم (٦٠٠/٤ ، ٦٠١) من هذه الطريق ، ووافقه الذهبي .
فالحمل فيه على دراج ، فهو وإن كان صدوقًا إلا أن في حديثه عن أبي الهيثم ضعفا كما قال أبو داود وغيره . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٩٩/٤) إلى ابن أبي الدنيا « صفة النار » وابن أبي حاتم وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه .
(٤٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٩/١٥) .
والحديث أخرجه أحمد (٢٢٣/٤) . والبخاري في التاريخ الكبير (٧٠/١) ، (٤١٤/٤) . والحاكم في مستدركه (٥٩٦/٤) (٨٧٦٢) . والبيهقي في الكبرى (٣٣٤/٤) وفي البعث والنشور (٤٥٢) . وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٢) . كلهم من طريق أبي عاصم قال : ثنا عبد الله بن أمية ، قال : حدثني محمد بن حيى ، قال : حدثني صفوان بن يعلى عن أبيه مرفوعًا به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « لا » .
[٦] - في ز ، خ : « يصيبنى » .

وقوله : ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا ﴾ ، قال ابن عباس(٤٤) : المهل : ماء غليظ مثل دردي[١] الزيت[٢] .

وقال مجاهد : هو كالدم والقيح .

وقال عكرمة : هو الشيء الذي انتهى حره .

وقال آخرون : هو كل شيء أذيب .

وقال قتادة(٤٥) : أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود ، فلما[٣] انماع وأزبد قال : هذا أشبه شيء بالمهل .

وقال الضحاك : ماء جهنم أسود ، وهي سوداء وأهلها سود .

= وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد ، ومعناه أن البحر صعب كأنه جهنم . ووافقه الذهبي .

وذكره الهيثمي في المجمع (٣٨٩/١٠) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

قلت : محمد بن حيي : هذا ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٩) (١٣١٢) ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . ووثقه ابن حبان « الثقات » (٣٦٦/٧) وأعله الألباني بمحمد بن حيي هذا فكان من نصيب الضعيفة (١٠٢٣/٣) . والحديث زاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٤) إلى ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤٠/١٥) . وهناد في الزهد (١٨٥/٢) (٢٨٣) .

من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس به ، وعطية ضعيف ، وعلقه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير (٦٥) ، باب : سورة حم الدخان (٤٤) ، (٥٧٠/٨) .

وقال ابن حجر في الفتح : وصله ابن أبي حاتم من طريق مطرف عن عطية ، سئل ابن عباس عن المهل ....» .

وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٤) إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ولم يعزه للبخاري !

(٤٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٩/١٥-٢٤٠) مطولًا وفيه انقطاع ، فإن قتادة لم يسمع من ابن مسعود . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٤/٩) (٩٠٨٢) وهناد في الزهد (١٨٤/١-١٨٥) (٢٨٢) .

من طريق وكيع عن سلمة بن نبيط عن الضحاك عن ابن مسعود . أنه أذاب فضة من بيت المال ، ثم أرسل إلى أهل المسجد : من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا .

والضحاك هو ابن مزاحم قيل : إنه لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ، وهو صدوق كثير الإرسال =

[١] - في خ : « ردي » . والدردي : ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والدهان . الوسيط (٢٨٨/١) .

[٢] - في ز : « الزبيب » . [٣] - في ت : « فما » .

وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر ؛ فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها ، فهو أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : ﴿ **يشوي الوجوه** ﴾ أي : من حره ، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه ، حتىٰ يسقط جلد وجهه فيه ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٦) بإسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **ماء كالمهل – قال – كعكر الزيت ، فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه** » . وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جامعه : من حديث رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج به . ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين ، وقد تكلم فيه من قِبَل حفظه . هكذا قال ، وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم : عن حسن الأشيب ، عن ابن لهيعة ، عن دراج ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك ، وبقية بن الوليد(٤٧) : عن صفوان بن عمرو ، عن عبد[١] الله

= وفي طريق الطبراني السابق يحيى الحماني ، ولذلك أعله الهيثمي به كما في المجمع (١٠٨/٧) . فقال : « رواه الطبراني ، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف » . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٢٥) . والطبراني في الكبير (٢٥٤/٩) (٩٠٨٣) . كلاهما عن أبي معاوية عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن عبد الله به .

وعمرو بن ميمون وأبوه ثقتان ، ولكن ميمون وهو ابن مهران كان يرسل ، ولعل هذا من مرسلاته فإني لم أجد من صرح بسماعه من ابن مسعود .

(٤٦) أخرجه أحمد في « المسند » (٧٠/٣ ، ٧١) ثنا حسن بن موسى ، ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا به وأخرجه أسد بن موسى في « الزهد » (٢٧) ثنا ابن لهيعة به ، وأبو يعلى في مسنده (١٣٧٥/٢) ثنا زهير حسن بن موسى به ، وأخرجه ابن المبارك في مسنده (١٣٠) ومن طريق عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٣٠) والترمذي ، كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار (٢٥٨٤) والبغوي في « شرح السنة » (٤٤٠٧/١٥) – وهو في (زوائد نعيم بن حماد) (رقم ٣١٦) ومن طريقه الطبراني في « الأوسط » (٣١٣٧/٣) ، وأخرجه الترمذي أيضًا في « التفسير باب : ومن سورة سأل سائل » (٣٣٢٢) من طريق أبي كريب ثلاثتهم (ابن المبارك ونعيم وأبو كريب) عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح به . وقال الترمذي : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه » . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن عمرو إلا رشدين » كذا وقد توبع رشدين على هذا الإسناد فأخرجه ابن جرير (٢٣٩/١) وابن حبان (٧٤٧٣/١٦ – إحسان) و(٢٦١٢/٨ – موارد) والحاكم (٥٠١/٢) (٦٠٤/٤) ومن طريقه البيهقي في « البعث » (٥٥٠) من طريق عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي .

كذا قالا ورواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة ، كما قال أبو داود وغيره والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢٠/٤ – ٢٢١) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٧) تقدم تخريجه [سورة إبراهيم / آية ١٧] .

---

[١] – في ز : « عبيد » .

ابن بُشر[١]، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ﴾، قال: « يقرب إليه فيتكرهه، فإذا قرب منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شرب[٢] قطع أمعاءه، يقول الله تعالى: ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب ﴾.

وقال سعيد بن جبير: إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا[٣] منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن [مارًا مر][٤] بهم يعرفهم[٥] لعرف[٦] جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود » ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات القبيحة: ﴿ بئس الشراب ﴾، أي: بئس هذا شرابًا[٧]، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم ﴾ وقال تعالى: ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ أي: حارة، كما قال تعالى: ﴿ وبين حميم آن ﴾.

﴿ وساءت مرتفقًا ﴾ [أي: وساءت النار][٨] منزلًا، ومقيلًا، ومجتمعًا، وموضعًا للارتفاق، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إنها ساءت مستقرًا ومقامًا ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنّى بذكر[٩] السعداء: الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة، فلهم جنات عدن، والعدن: الإقامة.

﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ أي: من تحت غرفهم ومنازلهم، قال فرعون: ﴿ وهذه

[١] - في ز: « بشر ».
[٢] - في ت: « شربه ».
[٣] - في ز، خ: « فيأكلون ».
[٤] - في ز: « دمارًا »، خ: « دثارًا ».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في خ: « يعرف ».
[٧] - في ت: « الشراب ».
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٩] - في خ: « بحال ».

الأنهار تجري من تحتي﴾ الآية .

﴿ **يحلون** ﴾ أي : من الحلية ﴿ **فيها من أساور من ذهب** ﴾ ، وقال في المكان الآخر : ﴿ **ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير** ﴾ وفصله هاهنا فقال : ﴿ **ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق** ﴾ ، فالسندس : ثياب[١] رفاع[٢] رقاق كالقمصان وما جرىٰ مجراها . وأما الإِستبرق : فغليظ الديباج وفيه بريق .

وقوله : ﴿ **متكئين فيها علىٰ الأرائك** ﴾ : الاتكاء ، قيل : الاضطجاع ، وقيل[٣] : التربع في الجلوس ، وهو أشبه بالمراد[٤] هاهنا ، ومنه الحديث الصحيح(٤٨) : « **أما أنا فلا آكل متكئًا** » فيه القولان .

والأرائك : جمع أريكة : وهي السرير تحت الحَجَلة ، والحَجَلة : كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالباشخاناه[٥] ، والله أعلم.

قال عبد الرزاق(٤٩) : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ **علىٰ الأرائك** ﴾ ، قال : هي الحجال . قال معمر : وقال غيره : السرر في الحجال .

وقوله : ﴿ **نعم الثواب وحسنت مرتفقًا** ﴾ [أي : نعمت الجنة ثوابًا على أعمالهم ، ﴿ **وحسنت مرتفقًا** ﴾ أي : حسنت منزلًا ومقيلًا ومقامًا ، كما قال في النار : ﴿ **بئس الشراب وساءت مرتفقًا**][٦] ﴾ وهكذا[٧] قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله : ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾ ثم ذكر صفات المؤمنين فقال : ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلامًا * خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا** ﴾ .

---

(٤٨) أخرجه البخاري - كتاب الأطعمة ، باب : الأكل متكئًا ، (٥٣٩٨،٥٣٩٩) . وأبو داود -كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في الأكل متكئًا - (٣٧٦٩) . والترمذي - كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في كراهية الأكل متكئًا (١٨٣٠) . وابن ماجة - كتاب الأطعمة ، باب : الأكل متكئًا (٣٢٦٢) . وأحمد في مسنده (٣٠٨/٤-٣٠٩) من طريق علي بن الأقمر عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره .

(٤٩) « التفسير » لعبد الرزاق (٤٠٣/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢٤٣/١٥) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٠٣/٤) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد ولم يعزه إلى عبد الرزاق .

---

[١] - في ت : « لباس » .
[٢] - في خ : « رقاع » .
[٣] - في ز : « في » .
[٤] - في ز ، خ : « في المراد » .
[٥] - في ز : « بالبشخاناه » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « هذا » .

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى بعد ذكر[١] المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء، والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم[٢]، فضرب لهم مثلًا برجلين؛ جعل الله ﴿ **لأحدهما جنتين** ﴾، أي: بستانين من أعناب محفوفتين بالنخل، المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل[٣] من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، ولهذا قال: ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾، أي: أخرجت ثمرها ﴿ **ولم تظلم منه شيئًا** ﴾، [أي: ولم تنقص منه شيئًا][٤]، ﴿ **وفجرنا خلالهما نهرًا** ﴾، أي: والأنهار تخترق فيهما هاهنا وهاهنا.

﴿ **وكان له ثُمُرٌ** ﴾ قيل: المراد به المال.

روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: الثمار، وهو أظهر هاهنا، ويؤيده القراءة الأخرى: (**وكان له ثُمْر**) بضم الثاء وتسكين الميم، فيكون جمع ثمرة، كخشبة وخشب.

وقرأ آخرون ﴿ **ثَمَر** ﴾ بفتح الثاء والميم ﴿ **فقال** ﴾، أي: صاحب هاتين الجنتين[٥] ﴿ **لصاحبه وهو يحاوره** ﴾، أي: يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس: ﴿ **أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا** ﴾ أي: أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا.

قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر.

---

[١] - في خ: « ذكره ».
[٢] - في خ: « وأجسامهم ».
[٣] - في خ: « وفي كل ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - سقط من: خ.

وقوله : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ ، أي : بكفره ، وتمرده ، وتكبره ، وتجبره ، وإنكاره المعاد ﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا ﴾ وذلك اغترار منه ، لما رأىٰ فيها من الزروع والثمار والأشجار ، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ، ظن أنها لا تفنىٰ ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال : ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ ، أي : كائنة ، ﴿ ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا ﴾ ، أي : ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلىٰ الله ، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني مُحْظَى[١] عند ربي ، ولولا كرامتي[٢] عليه ما أعطاني هذا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ ولئن رجعت إلىٰ ربي إن لي عنده للحسنىٰ ﴾ وقال : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا ﴾ أي : في الدار الآخرة ، تألّىٰ علىٰ الله -عز وجل- وكان سبب نزولها في العاص بن وائل(٥٠) ، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما أجابه به صاحبه المؤمن ، واعظًا له ، وزاجرًا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار : ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلًا ﴾ ، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين ، وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ أي : كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية ، كل أحد يعلمها من نفسه ، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد ، وليس وجوده من نفسه ، ولا مستندًا إلىٰ شيء من المخلوقات ؛ لأنه

(٥٠) يأتي في تفسير [سورة مريم/ آية رقم ٧٧] .

[١] - في خ : « مخضى » . [٢] - في ز : « إكرامي » .

بمثابته ، فعلم إسناد إيجاده إلىٰ خالقه ، وهو اللّٰه لا إله إلا هو خالق كل شيء ، ولهذا قال : ﴿ لكنا هو اللّٰه ربي ﴾ أي : لكن[١] أنا لا أقول بمقالتك ، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿ ولا أشرك بربي أحدًا ﴾ ، أي : بل هو اللّٰه المعبود وحده لا شريك له .

ثم قال: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك [قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترني أقل منك مالاً وولدًا ﴾][٢] : [و هذا تحضيض][٣] وحث علىٰ ذلك ، ﴿ولولا إذ دخلت جنتك [قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترني أقل منك مالاً وولدًا ﴾ أي : هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها ، فحمد[٤] اللّٰه علىٰ ما أنعم به عليك ، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك ، وقلت ﴿ ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه ﴾ ، ولهذا قال بعض السلف : من أعجبه شيء من حاله ، أو ماله ، أو ولده فليقل : ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه . وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة .

وقد روي فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده(٥١) .

حدثنا جراح بن مخلد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عيسىٰ بن عون ، حدثنا عبد الملك بن زرارة ، عن أنس -رضي اللّٰه عنه- قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ما أنعم اللّٰه علىٰ عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول : ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه » فيرىٰ فيه آفة دون الموت » .وكان يتأول هذه الآية : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اللّٰه لا قوة إلا باللّٰه ﴾ .

قال الحافظ أبو الفتح الأزدي: عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس: لا يصح حديثه .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ؛ حدثني شعبة -

(٥١) إسناده ضعيف . وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٤١/٢) كما هنا وقال : « وفي صحته نظر » وكذا عزاه لأبي يعلى الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٥٠/٣) (٣٦٧٣) . والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر» (رقم ١) وأبو بكر بن السني في « عمل اليوم والليلة » (٣٥٧) والطبراني في « الأوسط » (٣٠١/٤) (٤٢٦١) ، (١٢٦/٦) (٥٩٩٥) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٩٨/٣ - ١٩٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩/٤-٩٠) (٤٣٦٩) ، (١٢٤/٤) (٤٥٢٥) . وفي « الأسماء والصفات » (٣٣٨/١ ، ٣٣٩) من طريق عمر بن يونس عن عيسى بن عون به . وقال الهيثمي في المجمع (١٤٣/١٠) : رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف .

(٥٢) إسناده ضعيف وصح من طرق أخرىٰ عن أبي هريرة .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وهلا تخصيص » . [٤] - في ز ، خ : « فحمدت » .

عن عاصم بن عبيد الله ، [عن عبيد][1] مولىٰ أبي رهم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله** » تفرد به أحمد .

وقد ثبت في الصحيح(٥٣) عن أبي موسىٰ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له : « **ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

وقال الإمام أحمد :(٥٤) حدثنا بكر بن عيسى ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بَلْج[2] ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال أبو هريرة : قال لي نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أبا هريرة ، [ألا][3] أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟** » قال : قلت : نعم ، فداك أبي وأمي ! قال : « **أن تقول : لا قوة إلا بالله** » - قال أبو بَلْج[4] : وأحسب أنه قال : « **فإن الله يقول : أسلم عبدي واستسلم** » . قال : فقلت لعمرو - قال أبو بَلْج[5] : قال عمرو : قلت لأبي هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : لا ، إنها في سورة الكهف : ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فعسىٰ ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة ، ﴿ **ويرسل عليها** ﴾ ، أي : علىٰ جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنىٰ ﴿ **حسبانًا من**

= أخرجه أحمد (٢/٤٦٩) . قلت : وهذا إسناد ضعيف . وعلته ، عاصم بن عبيد الله وهو ابن عاصم بن عمر بن الخطاب . قال البخاري وأبو حاتم : منكر الحديث . وقال النسائي : لا نعلم مالكًا روى عن إنسان ضعيف مشهور بالضعف إلا عاصم بن عبيد الله . وضعفه يحيى بن معين . [انظر تهذيب الكمال (١٣/ ٥٠٠) (٣٠١٤) . وشيخه عبيد هو ابن أبي عبيد مولى أبي رهم ، قال الحافظ في « التقريب » مقبول ، وقد صح الحديث من طرق أخرى عن أبي هريرة سيذكرها المصنف .

(٥٣) أخرجه البخاري - كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥) . وكتاب الجهاد ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢) . وفي الدعوات ، باب الدعاء إذا علا (٦٤٠٩) . وكتاب القدر ، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٦١٠) . وكتاب التوحيد ، باب « وكان الله سميعًا بصيرًا » (٧٣٨٦) .

(٥٤) أخرجه أحمد (٢/٣٣٥) ، (٢/٣٦٣) مختصرًا . وأبو بلج هو الفزاري اسمه يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم أو ابن أبي الأسود صدوق ربما أخطأ - قاله الحافظ في التقريب . والحديث أخرجه الطيالسي (٢٤٩٤) ، والحاكم (١/٢١) من طريق يحيى بن سليم أبي بلج عن عمرو بن ميمون به .
وقال الحاكم : « صحيح ولا يحفظ له علة » ووافقه الذهبي ، وأقرهما الألباني كما في الصحيحة (٤/٣٥) (١٥٢٨) . وله طرق أخرى عن أبي هريرة انظرها في « الصحيحة » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « بلخ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في ز : « بلخ » . [٥] - في ز ، خ : « بلخ » .

السماء ﴾ قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، ومالك عن الزهري : أي : عذابًا من السماء .

والظاهر : أنه مطر عظيم مزعج ، يقلع زرعها وأشجارها ، ولهذا قال : ﴿ **فتصبح صعيدًا زلقًا** ﴾ ، أي : بلقعًا ترابًا أملس ، لا يثبت فيه قدم .

وقال ابن عباس : كالجُرُز الذي لا ينبت شيئًا .

وقوله[١] : ﴿ **أو يصبح ماؤها غورًا** ﴾ ، أي : غائرًا في الأرض ، وهو ضد النابع[٢] الذي يطلب وجه الأرض ، فالغائر يطلب أسفلها[٣] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ ، أي : جار وسائح ، وقال هاهنا : ﴿ **أو يصبح ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا** ﴾ والغور : مصدر بمعنىٰ غائر ، وهو أبلغ منه ، كما قال الشاعر :

تظل جياده نوحًا عليه تقلده أعنتها صفوفًا

بمعنىٰ : نائحات عليه .

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ بأمواله أو بثماره علىٰ القول الآخر ، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما[٤] خوفه به المؤمن ؛ من إرسال الحسبان علىٰ جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل ، ﴿ **فأصبح يقلب كفيه علىٰ ما أنفق فيها** ﴾ ، قال[٥] قتادة : يصفق كفيه متأسفًا متلهفًا علىٰ الأموال التي أذهبها عليها ﴿ **ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا * ولم تكن له فئة** ﴾ ، أي : عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ، ﴿ **ينصرونه من دون الله وما كان منتصرًا * هنالك الولاية لله الحق** ﴾ اختلف القراء هاهنا ؛ فمنهم من يقف علىٰ قوله : ﴿ **وما كان منتصرًا هنالك** ﴾ ، أي : في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله ، فلا منقذ له منه ، ويبتدئ بقوله : ﴿ **الولاية لله الحق** ﴾ [ومنهم من يقف

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « التابع » .
[٣] - في ز : « أسفل » .
[٤] - في خ : « ما » .
[٥] - مكانها بياض في ز . وفي خ : « وقال » .

على : ﴿ **وما كان منتصرًا** ﴾ ويبتدئ بقوله : ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾][١] .

ثم اختلفوا في قراءة ﴿ **الولاية** ﴾ ؛ فمنهم من فتح الواو ، فيكون المعنىٰ : هنالك الموالاة[٢] لله ، أي : هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلىٰ اللّٰه ، وإلىٰ موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب ، كقوله : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** ﴾ ، وكقوله إخبارًا عن فرعون : ﴿ **حتىٰ إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ ومنهم من كسر الواو من ﴿ **الولاية** ﴾ أي : هنالك الحكم لله الحق ، ثم منهم من[٣] رفع ﴿ **الحق** ﴾ علىٰ أنه نعت للولاية ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا علىٰ الكافرين عسيرًا** ﴾ ومنهم من خفض القاف علىٰ أنه نعت لله عز وجل ، كقوله : ﴿ **ثم ردوا إلىٰ اللّٰه مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **هو خير ثوابًا** ﴾ ، أي : جزاء ﴿ **وخير عقبًا** ﴾ ، أي : الأعمال التي تكون لله - عز وجل - ثوابها خير ، وعاقبتها حميدة رشيدة ، كلها خير .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **واضرب** ﴾ يا محمد للناس ﴿ **مثل الحياة الدنيا** ﴾ ، في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿ **كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض** ﴾ ، أي : ما فيها من الحب فشب وحسن ، وعلاه الزهو[٤] والنور والنضرة ، ثم بعد هذا كله ﴿ **أصبح هشيمًا** ﴾ يابسًا ﴿ **تذروه الرياح** ﴾ ، أي : تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال ، ﴿ **وكان اللّٰه علىٰ كل شيء مقتدرًا** ﴾ ، أي : هو قادر علىٰ هذه الحال وهذه الحال ، وكثيرًا ما يضرب اللّٰه مثل الحياة الدنيا بهذا المثل ، كما [قال تعالىٰ][٥] في سورة يونس : ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت** ﴾ الآية ، وقال في سورة الزمر : ﴿ **ألم تر أن اللّٰه أنزل من**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « الولاية » .
[٣] - بعده في ز ، خ : قال .
[٤] - في خ ، ت : «الزهر» .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يجعله حطامًا إن في ذلك لذكرىٰ لأولي الألباب ﴾ ، وقال في سورة الحديد : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .

وفي[١] الحديث الصحيح(٥٥) : « الدنيا حلوة خضرة » .

وقوله : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ ، كقوله : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ أي : الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم[٢] والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ، ولهذا قال : ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملًا ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : ﴿ الباقيات الصالحات ﴾ : الصلوات الخمس .

وقال عطاء بن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عن الباقيات الصالحات : ما هي؟ فقال : هن[٣] لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [ ][٤] . رواه الإمام أحمد(٥٦) :

حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا حيوة ، أنبأنا أبو عقيل ، أنه سمع الحارث مولىٰ عثمان -رضي الله عنه- يقول : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ، فجاءه المؤذن ، فدعا بماء في إناء أظنه أنه سيكون فيه مدّ فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال : « من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلىٰ[٥] صلاة الظهر ، غفر له ما كان بينها وبين الصبح ، ثم صلىٰ العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ، ثم صلىٰ

(٥٥) تقدم هنا [/آية ٨]

(٥٦) تقدم تخريجه [سورة هود / آية ١١٤] .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ ، ت : « هي » .

[٤] - بعده في ت : العلي العظيم .

[٥] - في ز : « يصلي » .

المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ، ثم صلىٰ العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلىٰ صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهي الحسنات يذهبن السيئات » . قالوا : هذه الحسنات ، فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال : هي : لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . تفرد به .

وروىٰ مالك(٥٧) : عن عمارة بن عبد الله بن صياد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال محمد بن عجلان(٥٨) : عن عمارة ، قال : سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات ؟ فقلت : الصلاة والصيام . قال : لم تصب . فقلت : الزكاة والحج . فقال : لم تصب ، ولكنهن الكلمات الخمس : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال ابن جريج(٥٩) : [عن مجاهد][١] أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم[٢] ، عن نافع بن سرجس أنه أخبره : أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات ؟ قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر [وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن جريج : وقال عطاء ابن أبي رباح مثل ذلك][٣] .

---

(٥٧) **إسناده صحيح** .أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٤/١٥) (٢٥٥ - ٢٥٦) .
وعمارة بن عبد الله بن صياد ، أبو أيوب المدني ثقة فاضل ، وأبوه هو الذي كان يقال له : الدجال . قاله الحافظ في « التقريب » .

(٥٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٦/١٥) .

(٥٩) أخرجه ابن جرير (٢٥٥/١٥) ونافع بن سرجس كناه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/ت ٢٠٧١) : أبا سويد » وسأل أباه عنه فقال : « لا أعلم إلا خيرًا » وعبد الله بن عثمان : صدوق روى له مسلم والبخاري تعليقًا . والأثر أخرجه أيضًا البخاري في « التاريخ الكبير » [(٧٧/١)/ ترجمة محمد بن درهم المكي] من طريق خطاب بن عثمان ثنا إسماعيل - وهو ابن عياش - عن محمد بن درهم عن ابن عمر به ، ومحمد بن درهم ، قال الأزدي : ليس بشيء . وقال ابن معين : ليس به بأس . وذكره ابن شاهين في « الثقات » وهو مترجم في « لسان الميزان » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : الطبري .

[٢] - في خ : « خيثم » . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال عبد الرزاق[٦٠] : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ قال : لا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر ، والحمد لله ، وسبحان اللّه ؛ هن الباقيات الصالحات .

قال ابن جرير[٦١] : وجدت في كتابي : عن الحسن بن الصباح البزار ، عن أبي نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم « **سبحان اللّه ، والحمد لله ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر : مِنَ الباقيات الصالحات** » .

قال[٦٢] : وحدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، أن درّاجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **استكثروا من الباقيات الصالحات** » قيل : وما هي يا رسول اللّه ؟ قال : « **الملة** » . قيل : وما هي يا رسول اللّه ؟ قال : « **التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا**

---

(٦٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٥٥) قال : حدثنا الحسن بن يحيىٰ قال : أخبرنا عبد الرزاق ... فذكره .

(٦١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٥٥) . والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ثواب من سبح الله مائة وتسبيحة وتحميدة وتكبيرة (٢٠١) - (١٠٦٨٤) (٦/٢١٢) . والحاكم في مستدركه (١/٥٤١) (١٩٨٥) والطبراني في الأوسط (٤/٢١٩-٢٢٠) (٤٠٢٧) . وفي الصغير (١/١٤٥) وفي الدعاء (٣/١٦٨٢) والعقيلي في الضعفاء (٣/١٧-١٨) ت (٩٧٣) والبيهقي في الشعب (٢/٥٩٨) وألفاظهم متقاربة . كلهم من طريق عبد العزيز بن مسلم القَسْمَلي عن محمد بن عجلان عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري به .

وقال الطبراني في « الصغير » : لم يروه عن ابن عجلان إلا عبد العزيز بن مسلم ، تفرد به داود بن بلال ، وحفص بن عمر الحَوْضي . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٩٢) : « رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال - وهو الراوى عن عبد العزيز - وهو ثقة » وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢/٤٣٢) : « إسناده جيد قوي » .

(٦٢) **إسناده ضعيف** . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٥٥) .

وأخرجه أحمد (٣/٧٥) رقم (١١٧٣٠) وأبو يعلى (٢/١٣٨٤) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به .

والبغوي في « شرح السنة » (٥/١٢٨٢) من طريق عثمان بن صالح ، نا ابن لهيعة به . وأخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » كما في التحفة (٣/٤٠٦٦) ولم أقف عليه في المطبوع والله تعالى أعلم - وابن حبان في « صحيحه » (٣/٨٤٠) ، وهو في « الموارد » (٧/٢٣٣٢) ، والحاكم في « المستدرك » (١/٥١٢) ، وابن الكيكلدي في « جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها » (ص ٣٨) ، والطبري في تفسيره (١٥/٢٥٥) . من طريق ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن درّاجا أبا السمح حدثه ...فذكره . =

قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به .

وبه قال ابن وهب(٦٣) : أخبرني أبو صخر : أن عبد الله بن عبد الرحمن مولىٰ سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلىٰ محمد بن كعب القرظي ، فقال : قل له : القني عند زاوية القبر ، فإن لي إليك حاجة . قال : فالتقيا فسلم أحدهما علىٰ الآخر ، ثم قال سالم : ما تعد الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله ، وسبحان الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقال [له سالم : متىٰ جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال][١] : ما زلت أجعلها . قال : فراجعه مرتين ، أو ثلاثًا فلم ينزع ، قال : فأثبت[٢] . قال سالم : أجل فَأَثبتُ[٣] ، فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقول : « **عرج بي إلىٰ السماء ، فرأيت إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا جبريل ، مَنْ هذا معك ؟ فقال : محمد . فرحب بي وسهل ، ثم قال : مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة . فقلت : وما غراس الجنة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

= وقال الحاكم : « هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩٠/١٠) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى ..... وإسنادهما حسن »

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٠٨/٤) إلى سعيد بن منصور ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

ويشهد له : حديث النعمان بن بشير ، الآتي (٢٦٧/٤، ٢٦٨) .

وحديث عثمان بن عفان : المتقدم (٥١٣) (٧١/١) .

وحديث أبي هريرة عند النسائي في « عمل اليوم والليلة » من الكبرى (١٠٦٨٤/٦) . والطبراني في « الأوسط » (٤٠٢٧/٤) ، وفي « الصغير » (١٤٥/١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخه » (٣٣٦/٩) ، وصححه الحاكم (٥٤١/١) ووافقه الذهبي .

وانظر « الدر المنثور » (٤٠٨/٤، ٤٠٩) ، و« مجمع الزوائد » (٩٠/١٠-٩٦) .

(٦٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/١٥) وأخرجه أحمد في مسنده (٤١٨/٥) وابن حبان في صحيحه (١٠٣/٣) (٨٢١) . من طريق أبي صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أخبره عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : حدثني أبو أيوب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث ، ولم يذكرا فيه قصة سالم مع محمد بن كعب القرظي ، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠٠/١٠) وقال : « رواه أحمد ، والطبراني ... بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير عبد الله بن عبدالرحمن ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو ثقة ، لم يتكلم فيه أحد ، ووثقه ابن حبان » وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب » (٤٤٥/٢) .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٢٨١/٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « فأبيت » .

[٣] - في خ: « فأبيت » .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان بن بشير ، [عن النعمان بن بشير][١] قال : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء ، فرفع بصره إلىٰ السماء ، ثم خفض حتىٰ ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ، ثم قال : « **أما إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون ، فَمَنْ صدقهم بكذبهم ومالأهم علىٰ ظلمهم فليس مني ، ولا أنا منه ، ومَنْ لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يمالئهم علىٰ ظلمهم فهو مني وأنا منه ، ألا وإن سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر هنّ الباقيات الصالحات** » .

وقال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا عفان ، حدثنا أبان ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، عن زيد ، عن[٢] أبي سلام ، عن[٣] مولى [لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، أن][٤] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **بخ بخ ! لخمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده** » . وقال : « **بخ بخ ! لخمس من لقي الله مستيقنًا بهن دخل الجنة : يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، وبالجنة[٥] والنار ، وبالبعث بعد الموت ، وبالحساب** » .

وقال الإمام أحمد(٦٥) : حدثنا روح ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس -رضي الله عنه- [في سفر][٦] فنزل منزلًا ، فقال لغلامه : ائتنا بالسفرة[٧] نعبث بها . فأنكرت عليه ، فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها[٨] وأزمّها[٩] غير كلمتي هذه ، فلا تحفظوها عليّ واحفظوا ما أقول لكم : سمعت

---

(٦٤) أخرجه أحمد (٢٦٧/٤-٢٦٨) .

وذكره الهيثمي في المجمع (٢٥٠/٥) وقال : « رواه أحمد وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .
والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور مختصرًا (٤٠٨/٤) وزاد عزوه إلى سعيد بن منصور وابن مردويه .

(٦٥) أخرجه أحمد (٤٤٣/٣) ، (٢٣٧/٤) .

وأبو سلام هو ممطور الأسود الحبشي . ذكره العجلي في ثقاته (ت : (١٩٥٩) وقال : شامي تابعي ثقة . وذكره ابن حبان في « الثقات » .

وزيد الراوي عنه هو حفيده . قال أبو الحسن الدارقطني : زيد بن سلام بن أبي سلام عن جده ثقتان .
وقال الهيثمي في المجمع (٩١/١٠) : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والصحابي الذي لم يسم هو =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - في خ : « الجنة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « بالشفرة » .
[٨] - في خ : « أحطمها » .
[٩] - في ز ، خ : « وأرمها » .

رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إذا كنز الناس الذهب والفضة ، فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة علىٰ الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ، وأسألك لسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب** » .

= ثوبان » لكن نفى ابن معين وابن المديني وأحمد وغيرهم سماع ممطور أبي سلام من ثوبان .

والحديث أخرجه أيضًا أحمد (٣٦٦/٥) . من طريق هشام بن أبي عبد الله الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام به ، دون ذكر زيد بن سلام ، وهذا إسناد فيه انقطاع فإن يحيى لم يسمع من أبي سلام . قال يحيى بن معين : يحيى بن أبي كثير ، يقول : حدث أبو سلام ، ولم يلقه ولم يسمع منه شيئًا . وقال العجلي : لم يسمع منه يحيى بن أبي كثير .

وقال عبد الصمد بن عبد الوارث عن حرب بن شداد : قال لي يحيى بن أبي كثير : كل شيء عن أبي سلام فإنما هو كتاب .

والحديث أخرجه أيضًا النسائي في الكبرى - كتاب «عمل اليوم والليلة » باب ذكر حديث كعب بن عجرة في المعقبات . (٩٩٩٥) (٥٠/٦) . وابن أبي عاصم في السنة (٣٦٣/٢) ٧٨١) والطبراني في المعجم الكبير (٣٤٨/٢٢) (٨٧٣) وفي كتاب الدعاء أيضًا (١٦٨٠) (١٥٥٩/٣-١٥٦٠) . والحاكم في مستدركه (٥١١/١-٥١٢) . وصححه ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه (٨٣٣) (١١٤/٣-١١٥) وابن سعد في الطبقات (٣٠١/٧-٣٠٢) . من طريق عبد الله بن العلاء بن زبر وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر قالا : حدثنا أبو سلام قال : حدثني أبو سلمى ، راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره مقتصرًا على الجزء الأول من الحديث ، وألفاظهم متقاربة .

وأخرجه البزار في مسنده - كما في مختصر الزوائد للحافظ ابن حجر - (٢٠٩٢) (٤٠٠/٢) من طريق العباس بن عبد العظيم الباشاني ثنا زيد بن يحيى الدمشقي ثنا عبد الله بن العلاء بن زبر عن أبي سلام عن ثوبان .

وقال البزار : « لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، وإسناده حسن » . وقال الهيثمي في المجمع (٩١/١٠) : « رواه البزار وحسن إسناده إلا أن شيخه العباس بن عبد العظيم الباساني لم أعرفه » .

كذا وقع في المطبوع من المجمع « الباساني » - والصحيح أنه « الباشاني » بالشين المعجمة كما حققه الألباني في الصحيحة (٢٠٣/٣) .

وقال الألباني : « والوجه الأول عن ابن زبر عن أبي سلام عن أبي سلمى أصح من هذا وأشهر ، ولمتابعة ابن جابر له عليه ، ولذلك رجحت أن المولى الذي لم يسم في الرواية الثانية إنما هو أبو سلمى ، وليس ثوبان ، ولو ثبتت رواية البزار هذه لأمكن القول بأنه ثوبان أبو سلمى والله أعلم . وقد ذكر السيوطي في الجامع الكبير (٢/٣٨٧/١) أن أبا سلمى هذا اسمه حريث . فالله تعالى أعلم».

قلت : ووجدت متابعًا لشيخ البزار هذا . أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء (١٦٧٩) (١٥٥٩/٣) حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي ثنا إبراهيم بن عبد الله بن العلاء بن زبر ثنا أبي به .قلت : وهذا إسناد حسن ، ويمكن أن يرتقي إلى « صحيح لغيره » لطريق البزار السابق . وعلى هذا فمن الممكن أن يقال : إن أبا سلام روى الحديث عن « أبي سلمى الراعي » ، وثوبان ، والله أعلم .

ثم رواه أيضًا(٦٥) والنسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه.

وقال الطبراني(٦٦): حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثني أبي، حدثنا عمّي الحسين، عن يونس بن نفيع الجدلي، عن سعد بن جنادة -رضي الله عنه- قال: كنت في أول من أتىٰ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم من أهل الطائف، فخرجت من أهلي من السراة غُدوة، فأتيت منًى عند العصر، فتصاعدت في الجبل ثم هبطت، فأتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأسلمت، وعلمني: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و﴿ **إذا زلزلت** ﴾ وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقال: « **هن الباقيات الصالحات** ».

وبهذا الإسناد(٦٧): « **من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه، ثم قال: سبحان الله مائة مرة، والحمد لله مائة مرة، والله أكبر مائة مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، غفرت ذنوبه إلا الدماء؛ فإنها لا تبطل** ».

---

(٦٥) أخرجه أحمد (١٢٣/٤). وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - (٥٦/٧) - كتاب الدعاء، باب: « ما ذكر فيمن سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه ما يدعو به فعلمه ». وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٦) (٦/٧٧-٧٨). من طريق الأوزاعي به، ورجاله ثقات إلا أن حسان بن عطية لم يدرك شدادًا.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه - (٩٣٥) - (٢١٥/٣-٢١٦). وفي الموارد - (٢٤١٨) (٨/٦١٠٦٢). والطبراني في الكبير - (٧١٥٧) - (٣٤٥/٧)، وأبو نعيم في الحلية - (٢٦٦/١). من طريق هشام بن عمار؛ قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية عن أبي عبيد مسلم ابن مشكم قال: خرجت مع شداد بن أوس .... فذكره بنحوه قلت: وهذا إسناده ضعيف، وعلته سويد هذا فإنه ضعيف كما في التقريب.

وأخرجه أحمد (١٢٥/٤)، والترمذي - كتاب الدعوات، باب: (٢٣) - (٣٤٠٧) (٥/٤٤٣-٤٤٤) والطبراني في الكبير (٧١٧٥،٧١٧٦،٧١٧٧). من طرق عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي العلاء يزيد ابن عبد الله الشخير، عن الحنظلي أو عن رجل من بني حنظلة، عن شداد بن أوس ... فذكره.

وأخرجه النسائي - كتاب السهو، باب: نوع آخر من الدعاء - (٥٤/٣). والطبراني في الكبير (٧١٨٠) من طريق الجريري عن أبي العلاء عن شداد وأخرجه الحاكم (٥٠٨/١) من طريق عمر بن يونس بن القاسم اليمامي، عن عكرمة بن عمار قال: سمعت شدادًا أبا عمار يحدث عن شداد بن أوس به. وقال الحاكم: « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي.

(٦٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤٨٣) - (٦/٥١-٥٢). وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٦٩/٧) وقال: « رواه الطبراني وفيه الحسين بن الحسن العوفي وهو ضعيف ».

(٦٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤٨٤) - (٥٢/٦) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢/٢٦٦-٢٦٧) وقال: « رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، وهو ضعيف ».

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ ، قال : هي ذكر الله ؛ قول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله ، وصلىٰ الله علىٰ رسول الله ، والصيام ، والصلاة ، والحج ، والصدقة ، والعتق ، والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات التي تبقىٰ لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض .

وقال العوفى عن ابن عباس : هن الكلام الطيب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها(٦٨) . واختاره ابن جرير - رحمه الله - .

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن أهوال يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور العظام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تمور السماء مورًا * وتسير الجبال سيرًا** ﴾ ، أي : تذهب من أماكنها وتزول ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ وقال : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا** ﴾ يذكر[١] تعالىٰ أنه تذهب الجبال ،

---

(٦٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢٥٦/١٥) حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فذكره .

وقال ابن جرير فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة - تقدم برقم (١٣٣) - عن النبي صلى الله عليه وسلم - فإن ذلك بخلاف ما تظن - وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما ورد بأن قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات : ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ، وغيرها من أعمال البر أيضًا باقيات صالحات .

---

[١] - في خ : « يقول » .

وتساوىٰ[١] المهاد، وتبقىٰ الأرض ﴿ قاعًا صفصفًا ﴾ أي: سطحًا مستويًا لاعوج فيه ﴿ ولا أمتًا ﴾، أي: لا وادي ولا جبل، ولهذا قال تعالىٰ: [﴿ وترىٰ الأرض بارزة ﴾، أي: بادية ظاهرة، ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يواري أحدًا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم، لا تخفىٰ عليه منهم خافية.

قال مجاهد وقتادة][٢]: ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ لا خَمَرَ(*) فيها ولا غَيابة(**).

و[٣] قال قتادة: لا بناءَ ولا شَجَر.

وقوله: ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا ﴾، أي: وجمعناهم؛ الأولين منهم والآخرين، فلم نترك منهم أحدًا، لا صغيرًا ولا كبيرًا، كما قال: ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم ﴾ وقال: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾.

وقوله[٤]: ﴿ وعرضوا علىٰ ربك صفًا ﴾، يحتمل أن يكون المراد: أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفًّا واحدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ ويحتمل أنهم[٥] يقومون صفوفًا صفوفًا كما قال: ﴿ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ﴾.

وقوله: ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم[٦] علىٰ رءوس الأشهاد، ولهذا قال مخاطبًا لهم: ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدًا ﴾، أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن.

وقوله: ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير، والصغير والكبير، ﴿ فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ﴾، أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ﴿ ويقولون يا ويلتنا ﴾، أي: يا حسرتنا وويلنا علىٰ ما فرطنا في أعمارنا ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾، أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا عملًا وإن صغر إلا أحصاها، أى: ضبطها وحفظها.

(*) الخمر - بفتح الخاء والميم: كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.

(**) الغيابة: الجب، والوادي.

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز: «وقال».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - في ز: «أن».

[٦] - سقط من: ز، خ.

وروىٰ الطبراني(٦٩) بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلىٰ سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، من غزوة حنين ، نزلنا قفرًا من الأرض ليس فيه شيء ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **اجمعوا ، مَنْ وجد عودًا فليأت به ، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به** » . فما كان إلا ساعة حتىٰ جعلناه ركامًا ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب علىٰ الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة ؛ فإنها محصاة عليه** » .

وقوله : ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضرًا** ﴾ ، أي : من خير أو[١] شر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ أى : تظهر المخبآت والضمائر .

قال الإمام أحمد(٧٠) : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : [« **لكل غادر لواء يوم القيامة**][٢] [**يعرف به** » أخرجاه في الصحيحين ، وفي لفظ][٣] : [« **يُرفع لكل غادر لواء يوم القيامة**][٤] **عند استِه بقدر غَدْرَته ، يقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » .

وقوله : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ ، أي : فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعها ، ولا يظلم أحدًا من خلقه ، بل يغفر ويصفح ، ويرحم ، ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ، [ثم ينجي أصحاب المعاصي][٥] ، ويخلد فيها الكافرون[٦] ، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم ، قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا**

---

(٦٩) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤٨٥) (٥٢/٦) حدثني عبد الله بن ناجية ثنا محمد بن سعد العوفي بإسناده المتقدم -

وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٩٣/١٠) وقال : « رواه الطبراني وفيه نفيع أبو داود وهو ضعيف » قلت : في إسناده « يونس بن نفيع » وليس نفيع أبا داود كما قال الهيثمي رحمه الله تعالى ، والإسناد فيه « الحسين ابن الحسن بن عطية العوفي » وهو ضعيف .

(٧٠) أخرجه أحمد (١٤٢/٣،١٥٠) ، (٢٥٠/٣،٢٧٠) من طريق عفان حدثنا شعبة به . وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجزية والموادعة ، باب : إثم الغادر للبر والفاجر - (٣١٨٧). ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير ، باب : « تحريم الغدر » (١٧٣٧) . من طريقين عن شعبة به . وفي الباب عن أبي سعيد الخدري - عند مسلم (١٧٣٨) . وعبد الله بن مسعود وابن عمر عند البخاري (٣٦٨٦،٣١٨٨) .

---

[١] - في خ : « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « الكافرين » .

يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ ، وقال : **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين ﴾** . والآيات في هذا كثيرة .

وقال الإمام أحمد(٧١) : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيىٰ ، عن القاسم بن عبد الواحد المكي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي[١] ، فسرت عليه شهرًا حتىٰ قدمت عليه الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له : جابر علىٰ الباب . فقال : ابن عبد الله ؟ فقلت : نعم . فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني عنك[٢] أنك سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في القصاص ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه . فقال : سمعت[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : **« يحشر الله -عز وجل- الناس يوم القيامة- أو قال : العباد- عراة غرلًا بُهمًا »** . قلت[٤] : وما **« بهمًا ؟»** قال : ليس معهم شيء **« ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتىٰ أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند أحد[٥] من أهل النار حق حتىٰ أقصه منه ، حتىٰ اللطمة »** . قال : قلنا : كيف وإنما نأتي الله -عز وجل- عراة غرلًا بهمًا؟ قال: **«بالحسنات والسيئات»** .

وعن شعبة ، عن العوام بن مزاحم ، عن أبي عثمان ، عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة »** . رواه عبد الله ابن الإمام أحمد(٧٢) ، وله شواهد من وجوه أخر ، قد ذكرناها عند قوله تعالىٰ : **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا ﴾** وعند قوله تعالى : **﴿ إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾** .

---

(٧١) **إسناد حسن** ، أخرجه أحمد (٤٩٥/٣) ، والبخاري في الأدب المفرد - (٩٧٠) ، وفي خلق أفعال العباد (٥٩) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل به .

وذكره البخاري معلقًا في الصحيح - كتاب العلم ، باب : « الخروج في طلب العلم » - (١٧٣/١) . وله طرق أخرى عن جابر - انظر فتح الباري لابن حجر - (١٧٤/١) .

(٧٢) تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٣٩/ رقم ٤٧] .

---

[١] - في ز : « رحل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « فسمعته » .
[٤] - في خ : « فقلت » .
[٥] - في ت : « رجل » .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٥٠)

يقول تعالىٰ منبهًا بني آدم علىٰ عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم ، ومقرعًا لمن اتبعه منهم ، وخالف خالقه ومولاه ، الذي أنشأه وابتداه ، بألطاف رزقه غذاه ، ثم بعد هذا كله والىٰ إبليس ، وعادىٰ الله ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا** ﴾ ، أي : لجميع الملائكة كما تقدم تقريره في أول سورة البقرة ﴿ **اسجدوا لآدم** ﴾ أي : سجود تشريف وتكريم وتعظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فسجدوا إلا إبليس كان من الجن** ﴾ أي : خانه أصله ، فإنه خلق من مارج من نار ، وأصل خلق الملائكة من نور ، كما ثبت في صحيح مسلم(٧٣) عن عائشة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم** » . فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه ، وخانه الطبع عند الحاجة ، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة ، وتشبه بهم وتعبد وتنسك ، فلهذا دخل في خطابهم وعصىٰ بالمخالفة .

ونبه تعالىٰ هاهنا علىٰ أنه من الجن ، أي : علما[١] أنه خلق من نار ، كما قال : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ . قال الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم - عليه السلام - أصل البشر . رواه ابن جرير(٧٤) بإسناد صحيح .

وقال الضحاك عن ابن عباس: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة، يقال لهم[٢]

---

(٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة ، (٦٠) - (٢٩٩٦) . وانظر ما تقدم [سورة الأعراف/ آية ١٢/ ح ١٣ ، ١٤] .

(٧٤) **إسناده صحيح** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١) (٢٦٠/١٥) ، وأبو الشيخ في العظمة - (١١٤٥،١١٢٩) (١٦٩٠،١٦٨١/٥) . وابن الأنباري في الأضداد (ص٣٣٧) . من طريقين عن عوف الأعرابي عن الحسن البصري به .

---

[١] - سقط من ز. [٢] - في ت : « له » .

الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحارث، وكان خازنًا من خزان الجنة، وخلقت الملائكة من نور غير[١] هذا الحي. قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

وقال الضحاك أيضًا عن ابن عباس: كان إبليس من أشراف[٢] الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازنًا على الجنان، وكان له سلطان [السماء][٣] الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله: أنه رأى أن له بذلك شرفًا على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حيث أمره بالسجود لآدم ﴿ فاستكبر وكان من الكافرين ﴾.

قال ابن عباس: وقوله: ﴿ كان من الجن ﴾، أي: من خزان الجنان[٤]، [كما يقال للرجل: مكي، ومدني، وبصري، وكوفي. وقال ابن جريج، عن ابن عباس نحو ذلك.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: هو من خزان الجنة][٥]، وكان يدبر أمر السماء الدنيا. رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد به.

وقال سعيد بن المسيب: كان رئيس ملائكة سماء الدنيا.

وقال ابن إسحاق عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه[٦] عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علمًا، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون: حنًّا[٧].

وقال ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة، وشريك بن أبي نمر - أحدهما أو كلاهما - عن ابن عباس قال: إن من الملائكة قبيلة من الجن، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فسخط الله عليه، فمسخه شيطانًا رجيمًا، لعنه الله ممسوخًا. قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه، وإذا كانت في معصية فارجه.

وعن سعيد بن جبير أنه قال: كان من الجنانين الذين يعملون في الجنة.

---

[١] - في ز، خ: «من».
[٢] - في خ: «أشرف».
[٣] - سقط من ت.
[٤] - في ز: «الجنة».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «جنًّا».

وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه ؛ لمخالفته الحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لاتكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون[١] عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، كما لهذه الأمة من الأئمة العلماء ، والسادة الأتقياء ، والأبرار النجباء ، من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد ، الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه ، من ضعيفه من منكره ، وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي ، خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه[٢] ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل .

وقوله : ﴿ **ففسق عن أمر ربه** ﴾ ، أي : فخرج عن طاعة الله ؛ فإن الفسق : هو الخروج ، يقال[٣] : فسقت الرطبة ، إذا خرجت من أكمامها ، وفسقت الفأرة من جُحْرها ، إذا خرجت منه للعيث[٤] والفساد .

ثم قال تعالى مقرعًا وموبخًا لمن اتبعه وأطاعه : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني** ﴾ أي : بدلًا عني ؛ ولهذا قال : ﴿ **بئس للظالمين بدلًا** ﴾ .

وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ، ومصير كل من الفريقين ؛ السعداء والأشقياء في سورة يس : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون** ﴾ .

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

يقول تعالى : هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم ، لا يملكون شيئًا ، ولا أشهدتهم [خلقي للسموات][٥] والأرض ، ولا كانوا إذ ذاك موجودين ؛ يقول تعالى :

---

[١] - في ز : « يتقون » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - في ز : « للعبث » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « خلق السموات » .

أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ...** ﴾. الآية؛ ولهذا قال: ﴿ **وما كنت متخذ المضلّين عضدًا** ﴾ قال مالك: أعوانًا.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة علىٰ رءوس الأشهاد، تقريعًا لهم وتوبيخًا: ﴿ **نادوا شركائي الذين زعمتم** ﴾ أي: في دار الدنيا، ادعوهم اليوم ينقذونكم مما أنتم فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون** ﴾.

وقوله: [﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** ﴾، كما قال: ﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون** ﴾، وقال: ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **واتخذوا من [دون الله]**[١] **آلهة ليكونوا لهم عزًّا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾.

وقوله: ﴿ **وجعلنا بينهم موبقًا** ﴾ قال ابن عباس وقتادة وغير واحد: مهادًا.

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمرًا[٢] البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو قال: هو واد عميق، فرق به يوم القيامة بين أهل الهدىٰ وأهل الضلالة.

وقال قتادة ﴿ **مَوْبِقًا** ﴾: واديًا في جهنم.

وقال ابن جرير(٧٥): حدثني محمد بن سنان القزاز، حدثنا عبد الصمد، حدثنا يزيد بن

(٧٥) ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٦٥)، وأخرجه البيهقي في «البعث» (٤٧٢) من طريق علي بن المديني حدثنا عبد الصمد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤١٤) إلى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «دونه».
[٢] - في ز، خ: «عمر».

رهم[١] ، سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا بينهم موبقًا** ﴾ ، قال : واد في جهنم من قيح ودم .

وقال الحسن البصري : ﴿ **موبقًا** ﴾ : عداوة .

والظاهر من السياق هاهنا : أنه المهلك ، ويجوز أن يكون واديًا في جهنم أو غيره ، إلا أن الله تعالىٰ أخبر أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ، ولا وصول لهم إلىٰ آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا ، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة ، فلا خلاص لواحد من الفريقين إلىٰ الآخر ، بل بينهما مهلك ، وهول عظيم وأمر كبير .

وأمّا إن جعل الضمير في قوله : ﴿ **بينهما** ﴾ عائدًا إلىٰ المؤمنين والكافرين ، كما قال عبدالله ابن عمرو : إنه يفرق بين أهل الهدىٰ والضلالة به ، فهو كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ وقال : ﴿ **يومئذٍ يصدَّعون** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفىٰ بالله شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلىٰ الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ ، أي : أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها ، تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون[٢] ألف ملك ، فإذا رأىٰ المجرمون النار تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها ، ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم ، فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز .

وقوله[٣] : ﴿ **ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ ، أي : وليس لهم طريق يعدل بهم عنها ، ولا بد لهم منها .

قال ابن جرير(٧٦) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إن [الكافر يرىٰ][٤] جهنم ، فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة** » .

---

(٧٦) **إسناده ضعيف** ، ابن جرير في تفسيره - (٢٦٥/١٥) ورواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم ضعفها أبو داود وغيره ، وانظر ما بعده .

---

[١] - في م : « درهم » .
[٢] - في ز ، خ : « سبعين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الكافرين في » .

وقال الإمام أحمد(٧٧) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ينصب للكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا ، وإن الكافر ليرىٰ جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة** » .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ولقد بينا للناس في هذا القرآن ، ووضحنا لهم الأمور ، وفصلناها كي لا يضلوا عن الحق ، ويخرجوا عن طريق الهدىٰ ، ومع هذا البيان ، وهذا الفرقان ، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة ، والمعارضة للحق بالباطل ، إلا من هدىٰ اللّٰه ، وبصره لطريق النجاة .

قال الإمام أحمد(٧٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني علي بن الحسين ، أن حسين بن علي أخبره ، أن علي بن أبي طالب أخبره : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليلة ، فقال : « **ألا تصليان ؟** » فقلت : يا رسول اللّٰه ؛ إنما أنفسنا بيد اللّٰه ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إليّ شيئًا ، ثم سمعته وهو مولّ[١] يضرب فخذه يقول[٢] :

(٧٧) - **إسناده ضعيف** ، المسند حديث رقم (١١٧٣١) (٣/٧٥) . وأخرجه أبو يعلى (٢/١٣٨٥) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به . وابن حبان (٨/٢٥٨١ - موارد) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٩٧) . من طرق ثلاثة عن ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج به .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٣٩) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناده حسن على ما فيه من ضعف » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٤١٥) إلى ابن مردويه .

فائدة :

وقع هذا الحديث في « صحيح ابن حبان » - المطبوع - (١٦/٧٣٥٢) من طريق ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السمح حدثه عن ابن حُجَيْرة عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : فذكر هذا الحديث .

(٧٨) أخرجه أحمد (١/١١٢) و(١/٩١) من طريق آخر عن محمد بن مسلم الزهري به .

وابنه عبد الله في زياداته على المسند (١/٧٧) من طريق الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري بهذا الإسناد .

وأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التهجد ، باب : تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على =

[١] - في ز ، خ : « يقول » . [٢] - سقط من : خ .

﴿ **وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً** ﴾ . أخرجاه في الصحيحين .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

يخبر تعالىٰ عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه ، وتكذيبهم بالحق البين الظاهر ، مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات ، وأنه مامنعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا ، كما قال أولئك لنبيهم : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ وآخرون قالوا : ﴿ **ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين** ﴾ ، وقالت قريش : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ، ﴿ **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين** ﴾ إلى غير ذلك [من الآيات الدالة على ذلك][١] .

ثم[٢] قال : ﴿ **إلا أن تأتيهم سنة الأولين** ﴾ ، من غشيانهم بالعذاب ، وأخذهم عن آخرهم ، ﴿ **أو يأتيهم العذاب قبلًا** ﴾ أي : يرونه عيانًا مواجهة ومقابلة[٣] . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين** ﴾ ، أي : قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ، ومنذرين من كذبهم وخالفهم .

ثم أخبر عن الكفار بأنهم : يجادلون ﴿ **بالباطل ليدحضوا به** ﴾ ، أي : ليضعفوا به ﴿ **الحق** ﴾ الذي جاءتهم به الرسل ، وليس ذلك بحاصل لهم ﴿ **واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوًا** ﴾ ، أي : اتخذوا الحجج والبراهين ، وخوارق العادات التي بعث بها الرسل ، وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب ﴿ **هزوًا** ﴾ ، أي : سخروا منهم في ذلك ، وهو أشد التكذيب .

= صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ... (١١٢٧) (٣/١٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح - (٢٠٦) - (٧٧٥) . والنسائي - كتاب قيام الليل ، باب : الترغيب في قيام الليل - (٣/٢٠٥-٢٠٦،٢٠٦) من طرق عن الزهري به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ : وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها ، أي : تناساها وأعرض عنها ، ولم يصغ لها ، ولا ألقىٰ إليها بالًا ﴿ **ونسي ما قدمت يداه** ﴾ ، أي : من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة ﴿ **إنا جعلنا علىٰ قلوبهم** ﴾ أي : قلوب هؤلاء ﴿ **أكنة** ﴾ ، أي : أغطية وغشاوة ﴿ **أن يفقهوه** ﴾ ، أي : لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان ، ﴿ **وفي آذانهم وقرًا** ﴾ ، أي: صممًا معنويًا عن الرشاد ﴿ **وإن تدعهم إلىٰ الهدىٰ فلن يهتدوا إذًا أبدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وربك الغفور ذو الرحمة** ﴾ ، أي : و[١] ربك - يا محمد - غفور ذو رحمة واسعة ، ﴿ **لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة** ﴾ وقال : ﴿**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب**﴾ والآيات في هذا كثيرة .

ثم أخبر أنه يحلم ويستر ويغفر ، وربما هدىٰ بعضهم من الغي إلىٰ الرشاد ، ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد ، وتضع كل ذات حمل حملها ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا** ﴾ أي : ليس لهم عنه محيد ولا محيص ولا معدل .

وقوله : ﴿ **وتلك القرىٰ أهلكناهم لما ظلموا** ﴾ أي : الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿ **وجعلنا لمهلكهم موعدًا** ﴾ أي : جعلناه إلىٰ مدة معلومة ووقت معين ، لا يزيد ولا ينقص ، أي : وكذلك أنتم أيها المشركون ، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ، ولستم بأعز علينا منهم ، فخافوا عذابي ونذر .

---

[١] - سقط من خ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

سبب قول موسىٰ لفتاه - وهو يوشع بن نون - هذا الكلام أنه ذُكر له أن عبدًا من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط[١] به موسىٰ، فأحب الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك: ﴿لا أبرح﴾، [أي: لا أزال سائرًا][٢] ﴿حتىٰ أبلغ مجمع البحرين﴾ أي: [لا أزال سائرًا حتى أبلغ][٣] هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، قال الفرزدق:

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ببطحاء ذي قار عياب[٤] اللطائم

قال قتادة وغير واحد: وهما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما[٥] يلي المغرب.

وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة. يعني في أقصىٰ بلاد المغرب. فالله أعلم.

وقوله: ﴿أو أمضي حقبًا﴾ أي: ولو أني أسير حقبًا من الزمان.

قال ابن جرير(٧٩) - رحمه الله -: ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس: سنة. ثم روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الحقب ثمانون سنة. وقال مجاهد: سبعون خريفًا. وقال عليّ بن أبي طلحة: عن ابن عباس، قوله: ﴿أو أمضي حقبًا﴾،

---

(٧٩) انظر تفسير ابن جرير - (١٥/٢٧١).

---

[١] - في ز: «يحيط».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ.

[٤] - في ز: «عات».

[٥] - في خ، ت: «ما».

قال : دهرًا . وقال قتادة ، وابن زيد مثل ذلك .

وقوله : ﴿ **فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما** ﴾ ، وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه ، وقيل له : متىٰ فقدت الحوت فهو ثمة ، فسارا حتىٰ بلغا مجمع البحرين ، وهناك عين يقال لها عين الحياة ، فناما هنالك ، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء ، فاضطرب ، وكان في مكتل مع يوشع ، وطفر من المكتل إلىٰ البحر ، فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر ، وجعل يسير فيه ، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فاتخذ سبيله في البحر سربًا** ﴾ أي : مثل السرب في الأرض .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : صار أثره كأنه حجر.

وقال العوفي عن ابن عباس : جعل الحوت لا يمس شيئًا من البحر إلا ييس ، حتىٰ يكون[١] صخرة .

وقال محمد بن إسحاق(٨٠) : عن الزهري ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك : « **ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره، ثبت مكان الحوت الذي فيه ، فانجاب كالكوة حتىٰ رجع إليه موسىٰ فرأىٰ مسلكه فقال : ﴿ ذلك ماكنا نبغ ﴾** » .

وقال قتادة : سرب[٢] من الجر[٣] حتىٰ أفضىٰ إلىٰ البحر ، ثم سلك ، فجعل لايسلك فيه طريقًا إلا جعل ماء جامدًا .

وقوله : ﴿ **فلما جاوزا** ﴾ ، أي : المكان الذي نسيا الحوت فيه . ونسب النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذي نسيه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ وإنما يخرج من المالح في أحد القولين.

فلما ذهبا عن المكان الذي نسياه فيه مرحلة ﴿ **قال** ﴾ موسىٰ ﴿ **لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا** ﴾ أي : الذي جاوزا فيه المكان ﴿ **نصبًا** ﴾ ، يعني : تعبًا ﴿ **قال أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ قال قتادة : وقرأ ابن مسعود : [وما أنسانيه][٤] [أن أذكره][٥] [إلا الشيطان][٦] ؛ ولهذا

(٨٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧٣/١٥) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق به . وذكره السيوطي في الدر المنثور - (٤٢٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : « تكون » .

[٢] - في خ : « سربه » .

[٣] - في خ ، ت : « البر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « أن أذكركه » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

قال : ﴿ **واتخذ سبيله** ﴾ أي : طريقه ﴿ **في البحر عجبا * قال ذلك ما كنا نبغ** ﴾ أي : هذا هو[١] الذي نطلب ﴿ **فارتدا** ﴾ ، أي : رجعا ﴿ **علىٰ آثارهما قصصًا** ﴾ ، أي : طريقهما ﴿ **قصصًا** ﴾ ، أي : يقصان آثار مشيهما ، ويقفوان أثرهما .

﴿ **فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا** ﴾ ، وهذا هو الخضر - عليه السلام - كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بذلك .

قال البخاري(٨١) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، أخبرني سعيد ابن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نوفًا البكالي[٢] يزعم أن موسىٰ صاحب الخضر ليس هو موسىٰ صاحب بني إسرائيل ؟!

قال ابن عباس : كذب عدو الله ، حدثنا أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن موسىٰ قام خطيبًا في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال[٣] : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحىٰ الله إليه : إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك . فقال موسىٰ : يارب ؛ وكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتًا تجعله بمكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ . فأخذ حوتًا فجعله بمكتل ، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون - عليهما[٤] السلام - حتىٰ إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما ، واضطرب الحوت في المكتل ، فخرج منه فسقط في البحر ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سربًا ﴾** وأمسك الله عن الحوت جرية الماء ، فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتىٰ إذا كان من الغد قال موسىٰ لفتاه : ﴿ **آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا** ﴾ ولم يجد موسىٰ النصب حتىٰ جاوز المكان الذي أمره الله به ، قال له فتاه : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا** ﴾ قال : فكان للحوت سربًا ، ولموسىٰ وفتاه عجبًا ﴿ **فقال ذلك ما كنا نبغي فارتدا**

(٨١) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : « وإذ قال موسى لفتاه ... (٤٧٢٥) ، وأخرجه مسلم - كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر ، عليه السلام (١٧٠) - (٢٣٨٠) . وأبو داود - كتاب السنة ، باب : في القدر - (٤٧٠٧) مختصرًا ، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٣١٤٩) والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : « أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ... » (١١٣٠٨) - (٣٨٩/٦) . وأحمد في مسنده (١١٨/٥) . من طرق عن سفيان بن عيينة به .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « البكاي » .

[٣] - في خ ، ت : « قال » .

[٤] - في ت : « عليها » .

علىٰ آثارهما قصصًا ﴾ قال : فرجعا يقصان أثرهما [حتىٰ انتهيا إلىٰ الصخرة][١] ، فإذا رجل مسجًّى بثوب ، فسلم عليه موسىٰ ، فقال الخضر : وأنىٰ بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسىٰ . قال : موسىٰ بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدًا . **﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾** ، يا موسىٰ ، إني علىٰ علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت علىٰ علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه . فقال موسىٰ : **﴿ ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا ﴾** قال له الخضر : **﴿ فإن[٢] اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا ﴾** .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوه ، فعَرَفوا الخضر فحملوه[٣] بغير نول ، فلما ركبا في السفينة ، لم يَفْجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسىٰ : قد حملونا بغير نول ، فعمدت إلىٰ سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ ! **﴿ لقد جئت شيئًا إمرًا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا ﴾** » - قال : وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كانت[٤] الأولىٰ من موسىٰ نسيانًا** » . قال : « **وجاء عصفور فنزل علىٰ حرف السفينة ، فنقر في البحر نقرة[٥] ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر** .

ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان علىٰ الساحل ، إذا أبصر[٦] الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله ، فقال له موسىٰ : **﴿ أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا ﴾** قال : **﴿ ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾** قال : « **وهذه أشد من الأولىٰ ﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا * فانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض ﴾** قال : مائل[٧] . فقال الخضر بيده **﴿ فأقامه ﴾** فقال موسىٰ : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، **﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرًا * قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرًا ﴾** » فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **وددنا أن موسىٰ كان صبر ؛ حتىٰ يقص الله علينا من خبرهما** » .

قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ : (**وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا**) ، وكان يقرأ : (**وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين**) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « قال فإن » .

[٣] - في ز : « فحملوهم » .

[٤] - في خ ، ت : « فكانت » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « بصر » .

[٧] - في ز : « مائلًا » .

ثم رواه البخاري(٨٢) عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة ... فذكر نحوه وفيه: « **فخرج موسىٰ، ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت، حتىٰ انتهيا إلىٰ الصخرة، فنزلا عندها** »، قال: « **فوضع موسىٰ رأسه فنام** »، قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: « **وفي أصل الصخرة عين يقال لها: الحياة، لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين** ». قال: « **فتحرك، وانسل من [ ][١] المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ قال موسىٰ لفتاه: ﴿ آتنا غداءنا ﴾** ». كذا قال، وساق الحديث: « **ووقع عصفور علىٰ حرف السفينة، فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسىٰ: ما علمي، وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره** . وذكر تمامه بنحوه.

وقال البخاري(٨٣) أيضًا: حدثنا إبراهيم بن موسىٰ، حدثنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني يعلىٰ بن مسلم، وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما علىٰ صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال: سلوني. فقلت: أي أبا عباس - جعلني الله فداك - بالكوفة رجل قاص يقال له: نوف، يزعم أنه ليس بموسىٰ بني إسرائيل؟ أما عمرو فقال لي: قال: كذب عدو الله! وأما يعلىٰ فقال لي: قال ابن عباس: حدثني أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **موسىٰ رسول الله ذكر الناس يومًا، حتىٰ إذا فاضت العيون، ورقت القلوب، ولّىٰ، فأدركه رجل، فقال: أي رسول الله، هل في الأرض [أحد][٢] أعلم منك؟ قال: لا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم [إلىٰ الله][٣]، قيل: بلىٰ. قال: أي[٤] رب، وأين؟ قال: بمجمع البحرين. قال: أي[٥] رب، اجعل لي[٦] علمًا أعلم [ذلك به][٧]** ». [قال لي عمرو قال][٨]: **حيث يفارقك الحوت. وقال لي يعلىٰ: خذ حوتًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتًا فجعله في مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني حيث يفارقك الحوت. قال: ما كلفت كبيرًا. فذلك قوله: ﴿ وإذ قال موسىٰ لفتاه ﴾** يوشع بن نون - ليست عن[٩] سعيد بن

(٨٢) أخرجه البخاري - كتاب التفسير، باب « قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة » (٤٧٢٧) حدثني قتيبة بن سعيد حدثني سفيان بن عيينة به.

(٨٣) أخرجه البخاري - كتاب التفسير، باب: فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما .... » (٤٧٢٦).

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « تلك ».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: « إليه ».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ: « به ذلك ».
[٨] - في خ: « قال لي عمرو ».
[٩] - في خ، ت: « عند ».

جبير- قال : فبينا هو في ظلّ صخرة ، في مكان ثريان إذ تضرب الحوت وموسىٰ نائم ، فقال فتاه : لا أوقظه . حتىٰ إذا استيقظ نسي أن يخبره ، وتضرب الحوت حتىٰ [ ][١] دخل[٢] البحر ، فأمسك اللَّه عنه جزيَةَ الماء ، [حتىٰ كأن أثره][٣] في[٤] حجر .

[قال : فقال لي عمرو : هكذا كأن أثره في حجر][٥] ، وحلق بين إبهاميه والتي تليانهما[٦] . قال : ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا ﴾ قال[٧] : وقد قطع اللَّه عنك[٨] النصب - ليست هذه عن سعيد - أخبر **فرجعا فوجدا خضرًا** . قال : قال عثمان بن أبي سلمان : « **علىٰ طنفسة خضراء علىٰ كبد البحر** » . قال سعيد بن جبير : « **مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه ، وطرفه تحت رأسه** » . « **فسلم عليه موسىٰ فكشف عن وجهه ، وقال : هل بأرض من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسىٰ . قال : موسىٰ بني إسرائيل ؟ قال : نعم . قال : فما شأنك ؟ قال : جئتك لتعلمني مما علمت رشدًا . قال : يكفيك التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك ! يا موسىٰ ، إن لي علمًا لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علمًا لا ينبغي لي أن أعلمه . فأخذ طائر بمنقاره من البحر ، [فقال : واللَّه ما علمي وعلمك في جنب علم اللَّه ، إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر][٩] . حتىٰ إذا ركبا في السفينة وجدا [معابر صغارًا][١٠] ، تحمل أهل هذا الساحل إلىٰ هذا الساحل الآخر - عرفوه - فقالوا : عبد اللَّه الصالح** » - قال : فقلنا لسعيد : خضر ؟ قال : نعم - « **لا نحمله بأجر . فخرقها ووتد فيها وتدًا ، قال موسىٰ : ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا ﴾** » قال مجاهد : منكرًا « **﴿ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾** كانت الأولىٰ نسيانًا ، والوسطى شرطًا ، والثالثة عمدًا **﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا * فانطلقا ﴾** حتىٰ [ ][١١] لقيا غلامًا فقتله » قال يعلى: قال سعيد : وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا ، فأضجعه ثم ذبحه بالسكين ، فقال : **﴿ أقتلت نفسًا زكية ﴾** لم تعمل بالحنث ؟ وابن عباس قرأها : (زكيّة زاكيّة مُسْلِمَة) كقولك : غلامًا زكيًا . فانطلقا فوجدا جدارًا يريد أن ينقض فأقامه . قال سعيد[١٢] بيده هكذا ، ورفع يده فاستقام ، **﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجرًا ﴾** قال يعلىٰ : حسبت أن سعيدًا قال : فمسحه بيده فاستقام **﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجرًا ﴾** قال

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « إذا » .

[٢] - بعده في خ ، ت : في .

[٣] - في خ : « حتى إذا كان أثره حجر » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : ، خ « يليهما » . والمثبت من الصحيح . [٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « منه » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٠] - في ز : « مغائر صغائرا » ، خ : « مغاير صغاير » .

[١١] - ما بين المعكوفتين في ز : « إذا » .

[١٢] - سقط من : ز .

سعيد : أجرًا نأكله ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ وكان أمامهم ، قرأها ابن عباس : (أمامهم ملك) يزعمون عن غير سعيد أنه : هُدَد[١] بن بُدَد ، والغلام المقتول اسمه - يزعمون - حيسور[٢] . ﴿ ملك يأخذ كل سفينة غصبًا ﴾ فأردت إذا هي مرت به أن يدعها بعيبها ، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها ، ومنهم من يقول : سدوها بقارورة ، ومنهم من يقول : بالقار . ﴿ كان أبواه مؤمنين ﴾ وكان[٣] هو كافرًا ﴿ فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا ﴾ ، أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة ﴾ كقوله : ﴿ أقتلت نفسًا زكية ﴾ ، ﴿ وأقرب رحمًا ﴾ هما[٤] به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر . وزعم غير سعيد بن جبير : أنهما أبدلا جارية ، وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية .

وقال عبد الرزاق(٨٤) : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خطب موسى - عليه السلام - بني إسرائيل ، فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره مني . فأمر أن يلقى هذا الرجل ، فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق(٨٥) : عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة[٥] ، عن سعيد ابن جبير ، قال : جلست عند ابن عباس ، وعنده نفر من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس ؛ إن نوفًا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب : أن موسى النبي الذي طلب العالم إنما هو موسى بن ميشا . قال سعيد : فقال ابن عباس : أَنَوْفٌ يقول هذا [يا سعيد][٦] ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوفًا يقول ذلك . قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم . قال : كذب نوف . ثم قال ابن عباس : حدثني أُبيّ بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن موسى بني إسرائيل سأل ربه فقال : أي رب ؛ إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه . فقال له : نعم ، في عبادي من هو أعلم منك . ثم نعت له مكانه ، وأذن له في لقيه ، فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه حوت مليح ، قد قيل له : إذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك ، وقد أدركت حاجتك . فخرج موسى

(٨٤) « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٤٠٦) وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٧٧،٢٧٨) حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق به مطولًا ومختصرًا .

(٨٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٧٩) حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة قال : ثنا ابن إسحاق عن الحسن بن عمارة به . والحسن بن عمارة هو البجلي ، قال الحافظ في التقريب : متروك .

[١] - في ز ، خ : « هود » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : وكان هو .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « عيينة » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتىٰ جهده السير ، وانتهىٰ إلىٰ الصخرة ، وإلىٰ ذلك الماء ، وذلك الماء ماء الحياة ، من شرب منه خلد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا حيي ، فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي ، فاتخذ[١] سبيله في البحر سربًا ، فانطلقا فلما جاوزا مُنْقَلَبه[٢] ، قال موسىٰ لفتاه : ﴿ **آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا** ﴾ قال الفتىٰ - وذكر - : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا** ﴾ قال ابن عباس : فظهر موسىٰ علىٰ الصخرة ، حين[٣] انتهيا إليها ، فإذا رجل متلفف في كساء له ، فسلم موسىٰ ، فردّ عليه العالِم ، ثم قال له : ما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل ؟ قال له موسىٰ : جئتك لتعلمني مما علمت رشدًا ﴿ **قال إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ وكان رجلًا يعلم علم الغيب ، قد عُلِّمَ ذلك ، فقال موسىٰ : بلىٰ . قال : ﴿ **وكيف تصبر علىٰ ما لم تحط به خبرًا** ﴾ ، أي : إنما تعرف [ظاهر ما][٤] ترىٰ من العدل ، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم ﴿ **قال ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا** ﴾ وإن رأيت ما يخالفني . ﴿ **قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء** ﴾ [وإن أنكرته][٥] ﴿ **حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا** ﴾ [ ][٦] فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر ، يتعرضان الناس ، يلتمسان من يحملهما ، حتىٰ مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمرّ بهما [شيء][٧] من السفن أحسن ولا أكمل ولا أوثق منها ، فسأل أهلها أن يحملوهما فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها وَلَجَّتْ بهما مع أهلها ، أخرج منقارًا له ومطرقة ، ثم عمد إلىٰ ناحية منها فضرب فيها المنقار[٨] حتىٰ خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها ، فقال له موسىٰ - ورأىٰ[٩] أمرًا فظع به : - ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا قال لا تؤاخذني بما نسيت** ﴾ أي : بما[١٠] تركت من عهدك ﴿ **ولا ترهقني من أمري عسرًا** ﴾ ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتىٰ أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ، ولا أثرىٰ ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده وأخذ حجرًا فضرب به رأسه حتىٰ دمغه فقتله ، قال : فرأىٰ موسىٰ[١١] أمرًا فظيعًا لا صبر عليه : صبي صغير قتله لا ذنب له ﴿ **قال أقتلت نفسًا زكية** ﴾ ، [أي : صغيرة][١٢] ﴿ **بغير نفس لقد جئت شيئًا نكرًا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي**

---

[١] - في خ : « فأخذ » .
[٢] - في ز : « بمنقله » .
[٣] - في ز ، خ : حتى . والمثبت من تفسير الطبري .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ظاهرها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أي » .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ت : « بالمنقار » .
[٩] - في : « أي » .
[١٠] - في ت : « بما » .
[١١] - سقط من : خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

صبرًا * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا ﴾ ، أي : قد أَعْذَرتَ[١] في شأني .

﴿ **فانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض** ﴾ فهدمه ، ثم قعد يبنيه ، فضجر موسىٰ ممايراه يصنع من التكليف ، وما ليس له عليه صبر ، فقال : ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجرًا** ﴾ ، أي : قد استطعمناهم فلم يطعمونا ، وضفناهم فلم يضيفونا ، ثم قعدت تعمل من غير صنيعة ، ولو شئت لأعطيت عليه أجرًا في[٢] عمله .

﴿ **قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرًا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا** ﴾ و[٣] في قراءة أبيّ بن كعب : (كل سفينة صالحة) وإنما عبتها لأرده عنها ، فسلمت حين رأىٰ العيب الذي صنعت بها ﴿ **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري** ﴾ ، أي : مافعلته عن نفسي ﴿ **ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرًا** ﴾ وكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علمًا .

وقال العوفي(٨٦) : عن ابن عباس قال : لما ظهر موسىٰ وقومه علىٰ مصر ، أنزل قومه مصر[٤] ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل اللّٰه : أن ذكرهم بأيام اللّٰه . فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم اللّٰه من الخير والنعمة ، وذكرهم إذ نجاهم اللّٰه من آل فرعون ، وذكرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم اللّٰه في الأرض ، وقال : كلم اللّٰه نبيكم تكليمًا ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ محبة منه ، وآتاكم اللّٰه[٥] من كل ما سألتموه ، فنبيكم أفضل أهل الأرض ، وأنتم تقرءون التوراة . فلم يترك نعمة أنعمها عليهم إلا[٦] وعرفهم إياها ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هم كذلك يا نبي اللّٰه ، قد عرفنا الذي تقول ، فهل علىٰ الأرض أحد أعلم منك يا نبي اللّٰه ؟ [قال : لا][٧] فبعث اللّٰه جبرائيل إلىٰ موسىٰ - عليهما السلام - فقال : إن

---

(٨٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨١/١٥) حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي قال ثنا عمي ، قال : ثنا أبي عن أبيه (عطية العوفي) عن ابن عباس فذكره .

---

[١] - في ز : « عذرت » .
[٢] - في ز : « من » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الله يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلىٰ ، إن علىٰ شط البحر رجلًا هو أعلم منك[١] . قال ابن عباس : هو الخضر . فسأل موسىٰ ربه أن يريه إياه ، فأوحىٰ إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد علىٰ شط البحر حوتًا فخذه ، فادفعه إلىٰ فتاك ، ثم الزم شط البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فثَمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب . فلما طال سفر موسىٰ نبي الله ، ونصب فيه سأل فتاه - عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه - : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ لك ، قال الفتىٰ : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربًا فأعجب ذلك موسىٰ[٢] ، فرجع حتىٰ أتىٰ الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ، ويتبعه موسىٰ ، وجعل موسىٰ يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئًا من البحر إلا يبس حتىٰ يكون صخرة[٣] ، فجعل نبي الله يعجب من ذلك ، حتىٰ انتهىٰ به الحوت إلىٰ جزيرة من جزائر البحر ، فلقي الخضر بها فسلم عليه ، فقال الخضر : وعليكَ السلام ، وأنىٰ يكون السلام بهذه الأرض ؟ ومن أنت ؟ قال : أنا موسىٰ . فقال الخضر : أَصَاحِب بني إسرائيل ؟ [قال : نعم][٤] فرحب به ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك ﴿ **علىٰ أن تعلمن مما علمت رشدًا قال إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ يقول : لا تطيق ذلك . قال موسىٰ[٥] : ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا** ﴾ قال : فانطلق به وقال له : لا تسألني عن شيء أصنعه حتىٰ أبين لك شأنه . فذلك قوله : ﴿ **حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا** ﴾ .

وقال الزهري(٨٧) : عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تَمارىٰ هو والحرّ بن قيس بن حصن[٦] الفزاري في صاحب موسىٰ ؛ فقال ابن عباس : هو خضر ، فمر بهما أبيّ بن كعب ، فدعاه ابن عباس ، فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسىٰ الذي سأل السبيل إلىٰ لقيه ، فهل سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : بينا موسىٰ - عليه السلام - في ملإ من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان رجل أعلم منك ؟ قال : لا . فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ : بلىٰ ، عبدنا خضر . فسأل موسىٰ السبيل إلىٰ لقيه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه . فكان[٧]

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم ، باب : ما ذكر في ذهاب موسى - صلى الله عليه وسلم - في البحر إلى الخضر .... (٧٤) - (١٦٨/١) حدثني محمد بن غُرَيْر الزهري قال : حدثنا =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في ز : خ : « خضر » .
[٧] - في خ : « فإن » .

موسىٰ يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال فتىٰ موسىٰ لموسىٰ : ﴿ أرأيت إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت ﴾ قال موسىٰ : ﴿ ذلك ما كنا نبغ فارتدا علىٰ آثارهما قصصًا ﴾ فوجدا عبدنا خضرًا ، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن قيل موسىٰ - عليه السلام - لذلك الرجل[١] العالم وهو الخضر ، الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسىٰ ، كما أنه أعطىٰ موسىٰ من العلم ما لم يعطه الخضر ﴿ قال له موسىٰ هل أتبعك ﴾ سؤال بتلطف لا علىٰ وجه الإلزام والإجبار ، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم .

وقوله : ﴿ أتبعك ﴾ ، أي : أصحبك وأُرافقك ﴿ علىٰ أن تعلمن مما علمت رشدًا ﴾ ، أي : مما علمك الله[٢] شيئًا أسترشد به في أمري ؛ من علم نافع وعمل صالح ، فعندها ﴿ قال ﴾ الخضر لموسىٰ : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾ ، أي : أنت لا تقدر أن[٣] تصاحبني ؛ لما ترىٰ من الأفعال التي تخالف شريعتك ؛ لأني علىٰ علم من علم الله ما علمكه الله ، وأنت علىٰ علم من علم الله ما علمنيه الله ، فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه ، وأنت لا تقدر علىٰ صحبتي ﴿ وكيف تصبر علىٰ مالم تحط به خبرًا ﴾ فأنا أعرف أنك ستنكر عليَّ ما أنت معذور فيه ، ولكن ما اطلعت علىٰ حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك ﴿ قال ﴾ له موسىٰ : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابرًا ﴾ ، أي: علىٰ ما أرىٰ من أمورك ﴿ ولا أعصي لك أمرًا ﴾ ، أي : ولا أخالفك في شيء ، فعند ذلك شارطه الخضر - عليه السلام - ﴿ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء ﴾ ، أي : ابتداء ﴿ حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا ﴾ ، أي : حتىٰ أبدأك أنا به قبل أن تسألني .

قال ابن جرير(٨٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن

= يعقوب ابن إبراهيم قال : حدثني أبي عن صالح عن ابن شهاب - الزهري - به .

(٨٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٢٧٧) . وهارون بن عنترة هو ابن عبد الرحمن الشيباني . وثقه=

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ابن عباس ، قال : سأل موسىٰ ربه -عز وجل- فقال : [رب ؛ أي][١] عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال : فأي عبادك أقضىٰ ؟ قال : الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوىٰ . قال : أي رب ؛ أي[٢] عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلىٰ علمه ، عسىٰ أن يصيب كلمة تهديه إلىٰ هدًى ، أو ترده عن ردًى . قال : أي رب ؛ فهل في أرضك[٣] أحد أعلم مني ؟ قال : نعم . قال : فمن هو ؟ قال : الخضر . قال : فأين أطلبه ؟ قال : علىٰ الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت .

قال : فخرج موسىٰ يطلبه ، حتىٰ كان ما ذكر الله ، وانتهىٰ موسىٰ إليه عند الصخرة ، فسلم كل واحد منهما علىٰ صاحبه ، فقال له موسىٰ : إني أريد أن تصحبني . قال : إنك لن تطيق صحبتي . قال : بلىٰ . قال : فإن صحبتني ﴿ **فلا تسألني عن شيء حتىٰ أحدث لك منه ذكرًا** ﴾ قال : فسار به في البحر ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مجمع البحور ، وليس في الأرض[٤] مكان أكثر ماء منه ، قال : وبعث الله الخطاف ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقال لموسىٰ : كم ترىٰ هذا الخطاف رزأ من هذا الماء ؟ قال : ما أقل ما رزأ ! قال : يا موسىٰ ، فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقىٰ هذا الخطاف من هذا الماء . وكان موسىٰ قد حدث نفسه أن ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ، فمن ثم أمر أن يأتي الخضر . وذكر تمام الحديث في خرق[٥] السفينة ، وقتل الغلام ، وإصلاح الجدار ، وتفسيره له ذلك .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ وصاحبه وهو الخضر : أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا ، واشترط عليه ألّا يسأله عن شيء أنكره ، حتىٰ يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه ، فركبا في السفينة ، وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة ، وأنهم عرفوا

= أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به مستقيم الحديث . وأبوه عنترة بن عبد الرحمن وثقه أبو زرعة وذكره ابن حبان في « الثقات » ، ويعقوب هو ابن عبد الله أبو الحسن القُمّي ، صدوق يهم . وشيخ ابن جرير هو محمد بن حميد الرازي « حافظ ضعيف » .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « أي رب » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « الأرض » .
[٤] - في ز ، خ : « البحر » .
[٥] - في ت : « خرقه » .

الخضر فحملوهما بغير نول - يعني بغير أجرة - تكرمة للخضر ، فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولجحت ، أي : دخلت اللجة ، قام الخضر فخرقها ، واستخرج لوحًا من ألواحها ، ثم رقعها ، فلم يملك موسىٰ - عليه السلام - نفسه أن قال منكرًا عليه : ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها** ﴾ وهذه اللام لام العاقبة ، لا لام التعليل ، كما قال الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب

﴿ **لقد جئت شيئًا إمرًا** ﴾ قال مجاهد : منكرًا . وقال قتادة : عجبًا .

فعندها قال له الخضر مذكرًا بما تقدم من الشرط : ﴿ **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا** ﴾ ، يعني : وهذا الصنيع فعلته قصدًا ، وهو من الأمور التي اشترطت معك ألا تنكر عليّ فيها ؛ لأنك لم تحط بها خبرًا ، ولها داخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت ﴿ **قال** ﴾ أي : موسىٰ ﴿ **لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا** ﴾ ، أي[١] : لا تضيق عليّ وتشدد ، ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **كانت الأولىٰ من موسىٰ نسيانًا** »(٨٩) .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فانطلقا** ﴾ أي[٢] : بعد ذلك ﴿ **حتىٰ إذا لقيا غلامًا فقتله** ﴾ . وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرىٰ ، وأنه عمد إليه من بينهم ، وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم فقتله ، فروي أنه احتز[٣] رأسه ، وقيل : رضخه بحجر . [وفي رواية][٤] : اقتطفه بيده فالله أعلم .

فلما شاهد موسىٰ - عليه السلام - هذا أنكره أشد من الأول ، وبادر فقال : ﴿ **أقتلت نفسًا زكية** ﴾ ، أي : صغيرة لم تعمل الحنث ، ولا حملت إثمًا بعد فقتلته ؟ ! ﴿ **بغير نفس** ﴾ ، أي : بغير مستند لقتله ﴿ **لقد جئت شيئًا نكرًا** ﴾ أي : [ظاهر النكارة][٥]

---

(٨٩) تقدم برقم (٨٥) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « اجتز » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « وقيل » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ظاهرًا إنكاره » .

﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا ﴾ فأكد أيضًا في التذكار بالشرط الأول[١] ، فلهذا قال له موسىٰ : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها ﴾ ، أي : إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ﴿ فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ﴾ ، أي : قد أعذرت إليّ مرة بعد مرة .

قال ابن جرير(٩٠) : حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب ، قال : كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه ، [فقال ذات يوم][٢] : « رحمة الله علينا وعلىٰ موسىٰ ، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ، ولكنه قال : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذرًا ﴾ » . مثقلة[٣]

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عنهما : إنهما انطلقا بعد المرتين الأوليين ﴿ حتىٰ إذا أتيا أهل قرية ﴾ و[٤] روىٰ ابن جرير عن ابن سيرين : أنها الأيلة[٥] . وفي الحديث(٩١) : « حتى إذا أتيا أهل قرية لئامًا[٦] أي : بخلاء » ﴿ فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض ﴾ إسناد الإرادة هاهنا إلىٰ الجدار علىٰ سبيل الاستعارة ، فإن الإرادة في المحدثات بمعنىٰ الميل ، والانقضاض هو السقوط .

وقوله : ﴿ فأقامه ﴾ ، أي : فردّه[٧] إلىٰ حالة الاستقامة ، وقد تقدم في الحديث أنه ردّه

(٩٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢٨٨/١٥) . وأخرجه مسلم - كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر ، عليه السلام (١٧٢) - (٢٣٨٠) - (٢٠٨:٢٠٥/١٥) . من طريق المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه ، عن رَقَبَة عن أبي إسحاق به مطولاً .

(٩١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (١٧٢) - (٢٣٨٠) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « ذات يوم فقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : « الأبكة » .
[٦] - في ز : « لئام » .
[٧] - في خ : « رده » .

[بيده ، ودعمه][١] حتىٰ ردّ ميله ، وهذا خارق ، فعند ذلك قال موسىٰ له : ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجرًا** ﴾ ، أي : لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي ألّا تعمل لهم مجانًا ، ﴿ **قال هذا فراق بيني وبينك** ﴾ ، [أي : لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، فهو فراق بيني وبينك][٢] ﴿ **سأنبئك بتأويل** ﴾ أي بتفسير ﴿ **مالم تستطع عليه صبرًا** ﴾ .

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

هذا تفسير ما أشكل أمره علىٰ موسىٰ - عليه السلام - وما كان أنكر ظاهره ، وقد أظهر الله الخضر - عليه السلام - علىٰ باطنه ، فقال : إن[٣] السفينة إنما خرقتها لأعيبها ؛ [لأنهم كانوا يمرون بها علىٰ ملك من الظلمة ﴿ **يأخذ كل سفينة** ﴾ صالحة ، أي : جيدة ﴿ **غصبًا فأردت أن أعيبها** ﴾][٤] **لأرده عنها لعيبها ، فينتفع بها أصحابها من المساكين ، الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها ، وقد قيل : إنهم أيتام .**

[وقد] روىٰ ابن جريج(٩٢)[٥] عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي : أن اسم ذلك الملك هُدد بن بدد . وقد تقدم أيضًا في رواية البخاري(٩٣) ، وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص [بن إسحاق وهو][٦] من الملوك المنصوص عليهم في التوراة ، والله أعلم .

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه : جَيْسُور . وفي الحديث : عن ابن عباس ، عن أبيّ ابن كعب ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال[٧] : « **الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم**

(٩٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/٢) حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج قال : أخبرني وهب بن سليمان فذكره .

(٩٣) تقدم - (٨٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بيديه دعمه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « جرير » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن زبير » .

[٧] - سقط من : ز .

طبع كافرًا » . رواه ابن جرير(٩٤) : من[١] حديث أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس به ، ولهذا قال : ﴿ **فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا** ﴾ ، أي : يحملهما حبه على متابعته على الكفر .

قال قتادة : قد فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، [فليرض امرؤ][٢] بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب .

وصحَّ في الحديث(٩٥) : « **لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلّا كان خيرًا له** » . وقال تعالىٰ : ﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم** ﴾

[وقوله تعالىٰ] : ﴿ **فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا** ﴾ ، أي : ولدًا أزكىٰ من هذا ، وهما أرحم به منه . قاله ابن جريج .

وقال قتادة : أبر بوالديه . وقد تقدم أنهما بدلا جارية . وقيل : لما قتله الخضر كانت أمه حاملًا بغلام مسلم . قاله ابن جريج .

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة ؛ لأنه قال أولًا ﴿ **حتىٰ إذا أتيا أهل قرية** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **فكان لغلامين يتيمين في المدينة** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك** ﴾ ، ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ يعني : مكة والطائف .

(٩٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/١٦) حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عبد الجبار ابن عباس الهمداني عن أبي إسحاق به . وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٦١) . وأبو داود - كتاب السنة ، باب : في القدر - (٤٧٠٥،٤٧٠٦) والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٣١٥٠) . من طرق عن أبي إسحاق به .

(٩٥) تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ٩٥] و [سورة يونس / آية ١٢] و[سورة إبراهيم / آية ٥] .

[١] - في ز ، خ : « عن » . [٢] - في ز ، خ : « فرض أمر » .

ومعنىٰ الآية : أن هذا الجدار إنما أصلحه ؛ لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما .

قال عكرمة ، وقتادة ، وغير واحد : كان تحته مال مدفون لهما . وهذا ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله .

وقال العوفي عن ابن عباس : كان تحته كنز علم .

وكذا قال سعيد بن جبير . قال مجاهد : صحف فيها علم .

وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوي ذلك .

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور(٩٦) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا بشر بن المنذر ، حدثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي ، عن عياش[١] بن عباس القتباني[٢] ، عن ابن[٣] حجيرة ، عن أبي ذر -رضي الله عنه- [رفعه] قال : **إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه : لوح من ذهب مصمت [مكتوب فيه][٤] : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب ؟! وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟! وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل ؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله .**

بشر بن المنذر هذا ، يقال له : قاضي المصيصة . قال الحافظ أبو جعفر العقيلي : في حديثه وهم .

وقد روي في هذا آثار عن السلف . فقال ابن جرير في تفسيره(٩٧) : حدثني يعقوب ،

---

(٩٦) **ضعيف** ، أخرجه البزار في مسنده كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (١٤٧٩) (٢/٩١) وقال : « لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد » .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٥٦-٥٧) وقال : « رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي ولم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات » . قلت : بشر بن المنذر هو أبو المنذر الرملي ، قاضي المصيصة ، قال العقيلي في « الضعفاء» (١/١٤١ - ١٤٢) : « في حديثه وهم وقال أبو حاتم « الجرح والتعديل » (١/٣٦٧) : كان صدوقًا ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٨/١٤١) وهو مترجم في « لسان الميزان » وأما الحارث بن عبد الله هذا فلم أعرفه والله أعلم . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤/ ٤٢٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٩٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٦) .

---

[١] - في خ : « عباس » .
[٢] - في خ : « الغساني » .
[٣] - في خ : « أبي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة ، حدثنا سلمة[١] ، عن نعيم العنبري -وكان من جلساء الحسن- قال : سمعت الحسن - يعني البصري - يقول في قوله : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ قال : لوح [من ذهب][٢] مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ؟! وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ؟! وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وحدثني(٩٨) يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد الله بن عياش عن عمر[٣] مولى غفرة قال : إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ ، قال[٤] : كان لوحًا من ذهب مصمت مكتوبًا[٥] فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، عجب[٦] لمن عرف الموت[٧] ثم ضحك !! عجب[٨] لمن أيقن بالقدر ثم نصب !! عجب[٩] لمن أيقن بالموت ثم أمن !! أشهد ألّا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وحدثني(٩٩) أحمد بن حازم الغفاري ، حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية ، قالت : سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي ، يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ قال : سطران ونصف لم يتم الثالث : عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب ! وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل ! وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح ! وقد قال الله : ﴿ **وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ قالت : وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ، ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء ، وكان نساجًا .

وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ، وورد به الحديث المتقدم وإن صح ، لا ينافي قول عكرمة إنه[١٠] كان مالًا ؛ لأنهم ذكروا أنه كان لوحًا من ذهب وفيه مال جزيل ، أكثر ما زادوا أنه كان مودعًا فيه علم[١١] : وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم .

---

(٩٨) انظر المصدر السابق -
(٩٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٥/١٦) .

---

[١] - في ز : « مسلم » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز « غفير » ، خ : « عفير » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « مكتوب » .
[٦] - في خ : « عجبًا » .
[٧] - في خ : « النار » .
[٨] - في خ : « عجبًا » .
[٩] - في خ : « عجبًا » .
[١٠] - في ز : « إن » .
[١١] - في ز : « علمًا » .

وقوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ فيه[١] دليل على أن الرجل الصالح[٢] يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم[٣] في الدنيا، والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلىٰ أعلىٰ درجة في الجنة؛ لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن، ووردت به السنة.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاحًا. وتقدم أنه كان الأب السابع.

وقوله: ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما ﴾، هاهنا أسند الإرادة إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأن بلوغهما الحلم لايقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام: ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة ﴾ وقال في السفينة: ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ فالله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ﴾، أي[٤]: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ أي[٥]: لكني أُمرت به، ووُقِّفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر - عليه السلام - مع ما تقدم من قوله: ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾.

وقال آخرون: كان رسولًا.

وقيل: بل كان ملكًا. نقله الماوردي في تفسيره.

وذهب كثيرون إلىٰ أنه لم يكن نبيًا، بل كان وليًا، فالله أعلم.

وذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر: بَلْيا[٦] بن ملكان بن فالغ بن غابر بن شالخ ابن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قالوا: وكان يكنىٰ أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك. ذكره النووي في تهذيب الأسماء، وحكىٰ هو وغيره في كونه باقيًا إلىٰ الآن ثم إلىٰ يوم القيامة- قولين، ومال[٧] هو وابن الصلاح إلىٰ بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا[٨] عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث[٩]

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ز: «أم».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - في ز، خ: «بليا».
[٧] - في خ: «وقال».
[٨] - في ز: «آثار».
[٩] - في خ: «أحاديث».

التعزية ، وإسناده ضعيف .

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ ، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم [يوم بدر][١] : « **اللهم ؛ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** »(١٠٠) . وبأنه لم ينقل أنه[٢] جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، [ولا حضر عنده ، ولا قاتل معه ، ولو كان حيًّا لكان من أتباع النبي صلىٰ الله عليه وسلم][٣] وأصحابه ؛ لأنه - عليه السلام - كان مبعوثًا إلىٰ جميع الثقلين ؛ الجنّ[٤] والإنس ، وقد قال(١٠١) : « **لو كان موسىٰ وعيسىٰ حيين ما وسعهما إلا اتباعي** » . وأخبر قبل موته بقليل أنه لايبقىٰ ممن هو علىٰ وجه الأرض ، إلىٰ مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف ، إلىٰ غير ذلك من الدلائل .

قال الإمام أحمد(١٠٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام ابن منبه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم [في الخضر - قال][٥] : « **إنما سمي خضرًا لأنه جلس علىٰ فروة بيضاء ، فإذا هي تحته تهتز[٦] خضراء** » . ورواه أيضًا [عن][٧] عبد الرزاق .

وقد ثبت أيضًا[٨] في صحيح البخاري(١٠٣) عن همام ، عن أبي هريرة أن رسول الله

---

(١٠٠) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٧٦٣) (١٢/١٢١:١٢٥) وأبو داود - كتاب الجهاد ، باب : في فداء الأسير بالمال (٢٦٩٠) (٦١/٣) مختصرًا والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الأنفال » - (٣٠٨١) (٥/٢٥١-٢٥٢) . وأحمد (١/٣٠،٣٢) . من طرق عن عكرمة بن عمار قال : حدثنا أبو زميل سماك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال ... فذكر الحديث مطولاً في قصة يوم بدر .

(١٠١) قال الألباني الألباني في « حاشية العقيدة الطحاوية » : « هو حديث محفوظ دون ذكر عيسى فيه - انظر ما تقدم [سورة يوسف/ آية ٣] فإنه منكر عندي لم أره في شيء من طرقه وهي مخرجة في « الإرواء » (١٥٨٩) .

(١٠٢) أخرجه أحمد (٢/٣١٢) ، وأخرجه أيضًا - (٢/٣١٨) . والترمذي - كتاب التفسير ، باب : « ومن سورة الكهف » (٣١٥١) - (٥/٢٩٣) ، وابن حبان في صحيحه - (٦٢٢٢) (١٤/١٠٨-١٠٩) . من طريق عبد الرزاق عن معمر به . وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(١٠٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء ، باب : « حديث الخضر مع موسى عليهما السلام =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « بأنه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بالجن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من : ز .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إنما سمي الخضر ؛ لأنه[١] جلس علىٰ فروة فإذا هي تهتز [من خلفه][٢] خضراء** » .

والمراد بالفروة هاهنا : الحشيش اليابس ، وهو : الهشيم من النبات . قاله عبد الرزاق . وقيل : المراد بذلك وجه الأرض .

وقوله : ﴿ **ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرًا** ﴾ ، أي : هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا ، ولم تصبر حتىٰ أخبرك به ابتداء ، ولما أن فسره له وبينه ، ووضحه وأزال المشكل ، قال : ﴿ **تسطع** ﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قويًا ثقيلًا فقال : ﴿ **سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرًا** ﴾ فقابل الأثقل بالأثقل ، والأخف بالأخف ، كما قال : ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه** ﴾ وهو الصعود إلىٰ أعلاه ﴿ **وما استطاعوا له نقبًا** ﴾ وهو أشق من ذلك ، فقابل كلًا بما يناسبه لفظًا ومعنىٰ ، واللّٰه أعلم .

فإن قيل : فما بال فتىٰ موسىٰ ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب : أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسىٰ مع الخضر ، وذكر ما كان بينهما ، وفتىٰ موسىٰ معه تبع ، وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون ، وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسىٰ - عليهما السلام - وهذا يدلّ علىٰ ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال(١٠٤) :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثني ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتىٰ موسىٰ بذكر من حديث وقد كان معه ؟ فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتىٰ ، قال : شرب الفتىٰ من الماء فخلد[٣] ، فأخذه[٤] العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فإنها لتموج[٥] به إلىٰ يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب . إسناد ضعيف ، الحسن[٦] متروك ، وأبوه غير معروف .

= (٣٤٠٢) - (٤٣٣/٦) حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن همام به .

(١٠٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٢٨١/١٥) .

---

[١] - في خ : « أنه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : بلا إعجام « فحا » ، خ : « فحاز » .
[٥] - في ز : « تموج » .
[٦] - في خ : والحسن .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ويسئلونك** ﴾ [يا محمد][١] ﴿ **عن ذي القرنين** ﴾ ، أي : عن خبره . وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلىٰ أهل الكتاب ، يسألون منهم ما يمتحنون به النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : سلوه عن رجل طواف في الأرض . وعن فتية لا يدرىٰ ما صنعوا ، وعن الروح . فنزلت سورة الكهف .

وقد أورد ابن جرير(١٠٥) هاهنا والأموي في مغازيه حديثًا أسنده - وهو ضعيف - عن عقبة بن عامر أن نفرًا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداءً ، فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابًّا من الروم ، وأنه بنىٰ الإسكندرية ، وأنه علا به ملك[٢] في السماء ، وذهب به إلىٰ السد ، ورأىٰ أقوامًا وجوههم مثل وجوه الكلاب . وفيه طول ونكارة ، ورفعه لا يصح ، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل ، والعجب أن أبا زرعة الرازي -مع جلالة قدره- ساقه بتمامه في كتابه « **دلائل النبوة** » وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة[٣] أنه من الروم ، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني ، ابن فيليبس المقدوني الذي تؤرخ به الروم .

فأما الأول : فقد ذكر الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل - عليه[٤] السلام - أول ما بناه ، وآمن به واتبعه ، وكان معه الخضر عليه السلام .

وأما الثاني : فهو إسكندر بن فيليبس المقدوني اليوناني ، وكان[٥] وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف[٦] المشهور ، والله أعلم .

وهو الذي تؤرخ به[٧] من مملكته ملة الروم ، وقد كان قبل المسيح - عليه السلام - بنحو من ثلاثمائة سنة . فأما الأول المذكور في القرآن : فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرقي

---

(١٠٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/١٦) حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة ، قال : ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة ابن عامر ، فذكره .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في خ : « ملكًا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « عليهما » .
[٥] - في ز : « فكان » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « له » .

وغيره ، وأنه طاف مع الخليل بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم - عليه السلام - وقرب إلى الله قربانًا ، وقد ذكرنا طرفًا صالحًا[١] من أخباره في كتاب « **البداية والنهاية** » . بما فيه كفاية ، ولله الحمد .

قال وهب بن منبه : كان مَلِكًا ، وإنما سمي ذا القرنين ؛ لأن[٢] صفحتي رأسه كانتا من نحاس . قال : وقال بعض أهل الكتاب : لأنه ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين . وقال سفيان الثوري(١٠٦) عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، قال : سئل علي - رضي الله عنه - عن ذي القرنين؟ فقال : كان عبدًا [ناصحًا لله] - عزَّ وجلَّ - فَنَاصَحَه ، دعا قومه إلى الله ، فضربوه[٣] على قرنه فمات ، فأحياه الله ، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات ، فسمي ذا القرنين .

وكذا رواه شعبة(١٠٧) عن القاسم بن أبي بَزَّة عن أبي الطفيل سمع عليًا يقول ذلك .

ويقال : إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب ، من حيث يطلع قرن[٤] الشمس ويغرب .

وقوله : ﴿ **إنا مكنا له في الأرض** ﴾ ، أي : أعطيناه ملكًا عظيمًا ، متمكنًا فيه له من جميع ما يؤتى الملوك ؛ من التمكين ، والجنود ، وآلات الحرب والحصارات ؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ، ودانت له البلاد ، وخضعت له ملوك العباد ، وخدمته الأمم من العرب والعجم ؛ ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس : مشرقها ومغربها .

وقوله : ﴿ **وآتيناه من كل شيء سببًا** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : يعني علمًا .

وقال قتادة أيضًا في قوله : ﴿ **وآتيناه من كلِّ شيءٍ سببًا** ﴾ قال : منازل الأرض ، وأعلامها .

---

(١٠٦) إسناده صحيح ، أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٩/١٦) . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان به .

(١٠٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/١٦) حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة به .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « أن » .

[٣] - في ز ، : « فضرب » .

[٤] - في ز : « قرني » .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾ قال : تعليم الألسنة . قال[١] : كان لا يغزو قومًا إلا كلمهم بلسانهم .

وقال ابن لهيعة : حدثني سالم بن غيلان ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار : أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟!! فقال له كعب : إن كنت قلت ذلك فإن الله تعالىٰ يقول[٢] : ﴿ وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾

وهذا الذي أنكره معاوية -رضي الله عنه- علىٰ كعب الأحبار هو الصواب ، والحق مع معاوية في الإنكار ، فإن معاوية كان يقول عن كعب : إن كنا لنبلو عليه الكذب . يعني : فيما ينقله ، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحيفته ، ولكن الشأن في صحيفته أنها[٣] من الإسرائيليات ، التي غالبها مبدل مصحف ، محرف مختلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالىٰ ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ شيء منها بالكلية ، فإنه دخل منها علىٰ الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله : ﴿ وآتيناه من كل شيء سببًا ﴾ واستشهاده [بذلك][٤] علىٰ ما يجده في صحيفته ، من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق ؛ فإنه لا سبيل للبشر إلىٰ شيء من ذلك ، ولا إلىٰ الترقي في أسباب السموات ، وقد قال الله في حق بلقيس : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ أي : مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين ، يسر الله له الأسباب ، أي : الطرق[٥] والوسائل إلىٰ فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي ، وكسر الأعادي وكبت ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك ، قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببًا ، والله أعلم .

وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي(١٠٨) ، من طريق قتيبة ، عن أبي عوانة ، عن سماك ابن حرب ، عن حبيب بن حمار قال : كنت عند عليّ -رضي الله عنه- وسأله رجل عن ذي القرنين: كيف بلغ المشارق والمغارب ؟ فقال : سبحان الله ، سخر له السحاب ، وقدر له الأسباب ، وبسط له اليد .

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا

(١٠٨) « المختارة » (٢/٣٢) (رقم ٤٠٩) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : «قال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ ، ت : « في ذلك » .
[٥] - في ز : « الطريق » .

مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

[قال ابن عباس: ﴿ **فأتبع سببًا** ﴾ يعني بالسبب: المنزل. و][١] قال مجاهد: ﴿ **فأتبع سببًا** ﴾: منزلًا وطريقًا ما بين المشرق والمغرب.

وفي رواية عن مجاهد ﴿ **سببًا** ﴾ قال: طريقًا[٢] في[٣] الأرض.

وقال قتادة: أي أتبع منازل الأرض ومعالمها.

وقال الضحاك: ﴿ **فأتبع سببًا** ﴾ [أي: المنازل.

وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿ **فأتبع سببًا** ﴾][٤] قال: علمًا. وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلىٰ والسدي. وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك.

وقوله: ﴿ **حتىٰ إذا بلغ مغرب الشمس** ﴾ أي: فسلك طريقًا حتىٰ وصل إلىٰ أقصىٰ ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلىٰ مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدّة، والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم.

وقوله: ﴿ **وجدها تغرب في عين حمئة** ﴾ أي: رأىٰ الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، و[٥] هذا شأن كل من انتهىٰ إلىٰ ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي[٦] لا تفارق الفلك الرابع الذي[٧] هي مثبتة فيه لا تفارقه.

والحمأة مشتقة على إحدىٰ القراءتين[٨] من الحمأة، وهو: الطين، كما قال تعالىٰ: ﴿ **إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون** ﴾ أي: طين أملس. وقد تقدم بيانه.

وقال ابن جرير(١٠٩): حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثني نافع بن أبي نعيم،

(١٠٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١١/١٦).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في خ: « طرقي ».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: « التي ».
[٨] - في ز، خ: « الروايتين ».

سمعت عبد الرحمن الأعرج ، يقول : كان ابن عباس يقول : ﴿ **في عين حمئة** ﴾ ثم فسرها : ذات حمأة . قال نافع : وسئل عنها كعب الأحبار ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب : تغيب في طينة سوداء . وكذا روىٰ غير واحد عن ابن عباس . وبه قال مجاهد وغير واحد .

وقال أبو داود الطيالسي(١١٠) : حدثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصدع ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أقرأه : ﴿ **حمئة** ﴾ .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : (**وجدها تغرب في عين حامية**) يعني : حارة . وكذا قال الحسن البصري .

وقال[١] ابن جرير : والصواب أنهما قراءتان مشهورتان ، فأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

قلت : ولا منافاة بين معنييهما ، إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها ، وملاقاتها الشعاع بلا حائل ، و﴿ **حمئة** ﴾ : في ماء وطين أسود ، كما قال كعب الأحبار وغيره .

وقال ابن جرير(١١١) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام ، حدثني مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله ، قال : نظر رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم إلىٰ الشمس حين غابت فقال : « **في نار الله الحامية ، في نار الله الحامية ، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض** » .

قلت : ورواه الإمام أحمد(١١٢) عن يزيد بن هارون . وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ،

---

(١١٠) **صحيح** ،أخرجه أبو داود الطيالسي - (٥٣٦) . وأخرجه أبو داود - كتاب الحروف والقراءات ، (٣٩٨٦) (٣٤/٤) ، والترمذي - كتاب القراءات ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٢٩٣٤) (٥/ ١٧٣) من طريقين عن محمد بن دينار عن سعد بن أوس به . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والصحيح ما روى عن ابن عباس قراءته . ويروى أن ابن عباس وعمرو بن العاص اختلفا في قراءة هذه الآية وارتفعا إلى كعب الأحبار في ذلك ، فلو كانت عنده رواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لاستغنى بروايته ولم يحتج إلى كعب » .

(١١١) إسناده فيه جهالة ، أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٢/١٦) . وانظر ما بعده .

(١١٢) أخرجه أحمد (٢٠٧/٢) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » - (١٣٤/٨) وقال : رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات .
=

---

[١] - مكانها بياض في : ز .

ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١١٣) : حدثنا حجّاج بن حمزة ، حدثنا محمد - يعني : ابن بشر - حدثنا عمرو بن[١] ميمون ، أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف : (تغرب في عين حامية) قال ابن عباس : فقلت لمعاوية : ما نقرؤها إلا ﴿ حمئة ﴾ فسأل معاوية عبد الله بن عمرو : كيف تقرؤها ؟ فقال عبد الله : كما قرأتها . قال ابن عباس : فقلت لمعاوية : في بيتي نزل القرآن . فأرسل إلىٰ كعب فقال له : أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ [فقال له كعب : سل أهل العربية فإنهم أعلم بها ، وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة][٢] في ماء وطين ، وأشار بيده إلى المغرب .

قال ابن حاضر : لو أني عندكما أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في ﴿ حمئة ﴾ . قال ابن عباس : وإذًا ما هو ؟ قلت : فيما يؤثر من قول تُبّع ، فيما ذكر به ذا القرنين في تخلقه بالعلم واتباعه إياه :

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ من حكيم مرشد
[فرأىٰ مغيبَ][٣] الشمسِ عِندَ غُروبِها في عين ذي خُلُب وَثأْط حَرْمَد

قال ابن عباس : ما الخلب ؟ قلت : الطين بكلامهم . قال : ما الثاط ؟ قلت : الحمأة . قال : فما الحرمد ؟ قلت : الأسود . قال : فدعا ابن عباس رجلًا -أو غلامًا- فقال: اكتب ما يقول هذا الرجل .

وقال سعيد بن جبير : بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ : ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ فقال كعب : والذي نفس كعب بيده ، ما سمعت أحدًا[٤] يقرؤها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس ، فإنا نجدها في التوراة تغرب في مدرة سوداء .

وقال أبو يعلىٰ الموصلي(١١٤) : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا هشام بن يوسف ،

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٤٧) إلى ابن أبي شيبة وابن منيع وأبي يعلى وابن مردويه .

(١١٣) وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/١١) حدثنا الحسين بن الجنيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلم ، قال : ثنا إسماعيل بن علية عن عثمان بن حاضر به مختصرًا .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٤٥) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١١٤) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة - (٩٥٢) - (٤/١٤٤٠-١٤٤١) حدثنا أبو يعلى به ، وعزاه =

---

[١] - في خ : « يعني ابن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « فوجد مغار » .

[٤] - سقط من : ز .

قال : في تفسير ابن جريج ﴿ ووجد عندها قومًا ﴾ قال : مدينة لها اثنا عشر ألف باب ، لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب . [ ][١] .

وقوله : ﴿ ووجد عندها قومًا ﴾ أي : أمّة من الأمم ، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم .

وقوله : ﴿ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنًا ﴾ معنىٰ هذا أن اللَّه تعالىٰ مكنه منهم[٢] ، وحكمه فيهم ، وأظفره بهم ، وخيره : إن شاء قتل وسبىٰ ، وإن شاء منّ أو فدىٰ ، فعرف عدله وإيمانه ، فيما أبداه عدله وبيانه في قوله : ﴿ أمّا من ظلم ﴾ ، أي : من[٣] استمر علىٰ كفره وشركه بربه ﴿ فسوف نعذبه ﴾ قال قتادة : بالقتل . وقال السدي : كان يحمي لهم بقر النحاس ، ويضعهم فيها حتىٰ يذوبوا . وقال وهب بن منبه : كان يسلط[٤] الظُّلمة ، فتدخل أفواههم وبيوتهم ، وتغشاهم من جميع جهاتهم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ثم يرد إلىٰ ربه فيعذبه عذابًا نكرًا ﴾ ، أي : شديدًا بليغًا ، وجيعًا أليمًا ، [وفيه][٥] إثبات المعاد والجزاء .

وقوله : ﴿ وأما من آمن ﴾ ، أي : تابعنا علىٰ ما ندعوه إليه من عبادة اللَّه وحده لا شريك له ﴿ فله جزاء الحسنىٰ ﴾ أي : في الدار الآخرة عند اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿ وسنقول له من أمرنا يسرًا ﴾ قال مجاهد : معروفًا .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

يقول تعالىٰ : ثم سلك طريقًا فسار من مغرب الشمس إلىٰ مطلعها ، وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ، ودعاهم إلىٰ اللَّه -عز وجل- فإن أطاعوه وإلا أذلهم ، وأرغم آنافهم[٦] ، واستباح أموالهم وأمتعتهم ، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه علىٰ أهل الإقليم

= السيوطي في الدر المنثور - (٤٤٧/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فحدث الحسن عن سمرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم - سترًا أي : بناء لم يبين فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا إلى أسرابهم حتى تزول الشمس » .

[٢] - في ز ، خ : « فيهم » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « سليط » .

[٥] - في ت : « وفي هذا » .

[٦] - في ز : « أنافيهم » .

المتاخم لهم . وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفًا وستمائة سنة ، يجوب[١] الأرض طولها والعرض ، حتىٰ بلغ المشارق والمغارب.

ولما انتهىٰ إلىٰ مطلع الشمس من الأرض ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وجدها تطلع علىٰ قوم** ﴾ أي : أمة ﴿ **لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ ، أي : ليس لهم بناء يكنهم ، ولا[٢] أشجار تظلهم ولا تسترهم من حرّ الشمس .

قال سعيد بن جبير : كانوا حمرًا قصارًا ، مساكنهم الغيران ، أكثر معيشتهم من السمك .

وقال أبو داود الطيالسي(١١٥) : حدثنا سهل بن أبي الصلت ، سمعت الحسن ، وسئل عن قول الله تعالى : ﴿ **لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ ؟ قال : إن أرضهم لا تحمل البناء ، فإذا طلعت الشمس تَغَوروا في المياه ، فإذا غربت خرجوا يتراغون كما ترغىٰ البهائم . قال الحسن : هذا حديث سمرة .

وقال قتادة : ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئًا ، فهم إذا طلعت الشمس في أسراب ، حتىٰ إذا زالت الشمس خرجوا إلىٰ حروثهم ومعايشهم .

وعن سلمة بن كهيل أنه قال: ليس لهم أكنان، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم ، فلأحدهم أذنان [يفترش][٣] إحداهما ويلبس الأخرىٰ .

وقال عبد الرزاق(١١٦) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **وجدها تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ [قال : هم الزنج .

وقال ابن جريج في قوله : ﴿ **وجدها تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾][٤] ، قال : لم يبنوا فيها بناء قط ، ولم يبن عليهم فيها بناء قط ، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابًا[٥] لهم[٦] حتىٰ تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ، وذلك أن أرضهم

(١١٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٦) حدثني إبراهيم بن المستمر قال : ثنا سليمان بن داود أبو داود به . وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٧٠) - (١٤٧١/٤-١٤٧٢) من طريق نصر بن على حدثنا مسلم بن قتيبة ، حدثنا سهل السراج به . وليس عنده قول الحسن « هذا حديث سمرة » .

وأورده السيوطي في الدر المنثور - (٤٤٨/٤) وعزاه إلى البزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١١٦) « التفسير » لعبد الرزاق (٤١٢/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٦) حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق به .

[١] - في خ : « يحول » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يفرش » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « أسراباتهم » ، خ : « أسرباتهم » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

ليس فيها جبل . جاءهم جيش مرة ، فقال لهم أهلها : لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها . قالوا : لا نبرح حتىٰ تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيف[١] جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا . قال : فذهبوا هاربين في الأرض .

وقوله : ﴿ **كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا** ﴾ قال مجاهد ، والسدي : عِلمًا . أي : نحن مطلعون علىٰ جميع أحواله وأحوال جيشه ، لا يخفىٰ علينا منها شيء ، وإن تفرقت أممهم ، وتقطعت بهم الأرض ، فإنه تعالىٰ ﴿ **لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء** ﴾

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن ذي القرنين ﴿ **ثم أتبع سببًا** ﴾ أي : ثم[٢] سلك طريقًا من مشارق الأرض ﴿ **حتىٰ إذا بلغ بين السدين** ﴾ ، وهما جبلان متناوحان ، بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج علىٰ بلاد الترك ، فيعيثون فيهم فسادًا ، ويهلكون الحرث والنسل ؛ ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم - عليه السلام - كما ثبت في الصحيحين(١١٧) : « **إن الله تعالىٰ يقول : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك . فيقول : ابعث بعث النار . فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلىٰ الجنة . فحينئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها** » . فيقال : « **إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج** » .

(١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق ، باب : قوله عز وجل ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ (٦٥٣٠) . ومسلم - كتاب الإيمان ، باب قوله « يقول الله لآدم : أخرج بعث النار ... » (٣٧٩) - (٢٢٢) ، من طريقين عن جرير عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره .

[١] - في ز : « جيفة » .

[٢] - سقط من : خ .

وقد حكىٰ النووي - رحمه الله - في شرح مسلم عن بعض الناس ، أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم ، فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك ، فعلىٰ هذا يكونون مخلوقين من آدم ، وليسوا من حواء ، وهذا القول[١] غريب جدًا لا دليل عليه ؛ لا من عقل ، ولا من[٢] نقل ، ولا يجوز الاعتماد هاهنا علىٰ ما يحكيه بعض أهل الكتاب ؛ لما[٣] عندهم من الأحاديث المفتعلة ، والله أعلم .

وفي مسند الإمام أحمد(١١٨) عن سمرة ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك** » . فقال بعض العلماء : هؤلاء من نسل يافث أبي[٤] الترك . قال : إنما سموا هؤلاء تركًا ؛ لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة ، وإلا فهم أقرباء أولئك ، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة .

وقد ذكر ابن جرير(١١٩) هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا عجيبًا في سير ذي القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرىٰ له ، وفيه طول وغرابة ، ونكارة في أشكالهم وصفاتهم ، [وطولهم][٥] وقصر بعضهم وآذانهم . وروىٰ ابن أبي حاتم أحاديث غريبة في ذلك ، لا تصح أسانيدها ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا** ﴾ لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس .

﴿ **قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا** ﴾ قال ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس : أجرًا عظيمًا . يعني : أنهم[٦] أرادوا أن

(١١٨) أخرجه أحمد (٥/٩،١٠) ، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الصافات » . (٣٢٣٠،٣٢٣١) (٥/٣٤٠،٣٤١) . وكتاب المناقب ، باب : مناقب في فضل العرب - (٣٩٣١) - (٥/٦٨١) ، والطبراني في الكبير - (٧/٢٥٣-٢٥٤،٢٥٤) . والحاكم (٢/٥٤٦) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن عدي في الكامل - (٣/٩١٩) . كلهم من حديث الحسن عن سمرة بألفاظ متقاربة . وذكره الهيثمي في المجمع (١/١٩٨) من حديث عمران بن حصين وسمرة بن جندب وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . والحديث أورده الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٣٢١٤) .

(١١٩) تفسير ابن جرير (١٦/١٧:٢١) .

[١] - في ت : « قول » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « مما » .

[٤] - في ز : « أبو » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ .

يجمعوا[١] له من بينهم مالًا يعطونه إياه ؛ حتىٰ يجعل بينه وبينهم سدًّا ، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير : ﴿ **ما مكني فيه ربي خير** ﴾ أي : إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه ، كما قال سليمان عليه السلام : ﴿ **أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون** ﴾ ، وهكذا قال ذو القرنين : الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه ، ولكن ساعدوني ﴿ **بقوة** ﴾ ، أي : بعملكم وآلات البناء ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردمًا آتوني زبر الحديد** ﴾ والزبر : جمع زبرة ، وهي القطعة منه . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة : وهي كاللبنة ، يقال : كل لبنة زنة[٢] قنطار بالدمشقي ، أو تزيد عليه .

﴿ **حتىٰ إذا ساوىٰ بين الصدفين** ﴾ أي: وضع بعضها[٣] على بعض من الأساس ، حتىٰ إذا حاذىٰ به رءوس الجبلين طُولًا وعرضًا ، واختلفوا في مساحة[٤] عرضه وطوله علىٰ أقوال ﴿ **قال انفخوا** ﴾ أي : أجج عليه النار حتىٰ صار كله نارًا[٥] ﴿ **قال آتوني أفرغ عليه قطرًا** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي : هو النحاس . وزاد بعضهم : المذاب . ويستشهد بقوله تعالىٰ : ﴿ **وأسلنا له عين القطر** ﴾ ولهذا يشبه بالبرد[٦] المحبر .

قال ابن جرير(١٢٠) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رجلًا قال : يا رسول الله ؛ قد رأيتُ سدَّ يأجوج ومأجوج . قال : « **انعته لي** » . قال : كالبرد المحبر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : « **قد رأيته** » . هذا حديث مرسل .

وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه ، ووجه معه جيشًا سرية ؛ لينظروا إلى السدِّ ويعاينوه ، وينعتوه له إذا رجعوا ، فتوصلوا من بلاد إلىٰ بلاد ، ومن ملك إلى ملك ، حتىٰ وصلوا إليه ، ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس ، وذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا ، وعليه أقفال عظيمة ، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك ، وأن عنده حرسًا من الملوك المتاخمة له ، وأنه عال منيف شاهق ، لا يستطاع ، ولا ما حوله من الجبال ، ثم رجعوا إلىٰ بلادهم ، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين ، وشاهدوا أهوالًا وعجائب[٧]

---

(١٢٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/١٦) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٥١/٤) إلى ابن مردويه .

---

[١] - في خ : « بعض » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « بعضه » ، خ : « بعض » .
[٤] - في ز : « مساحته » .
[٥] - في ز : « نانًا » .
[٦] - في ز ، خ : « البرد » .
[٧] - في ز : « عجائبًا » .

[ثم قال تعالى].

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يأجوج ومأجوج : إنهم ما قدروا علىٰ أن يصعدوا فوق هذا السد ، ولا قدروا علىٰ نقبه من أسفله ، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه ، قابل كلًّا بما يناسبه ، فقال : ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا** ﴾ وهذا دليل علىٰ أنهم لم يقدروا علىٰ نقبه ، ولا علىٰ شيء منه .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٢١) :

حدثنا روح ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، حدثنا أبو رافع ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ، حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه[١] غدًا. فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتىٰ إذا بلغت مدتهم ، وأراد الله أن يبعثهم علىٰ الناس ، [حفروا حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس][٢] قال الذي عليهم : ارجعوا ، فستحفرونه غدًا إن شاء الله . ويستثني ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون علىٰ الناس ، فينشفون المياه ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون سهامهم[٣] إلىٰ السماء ، [فترجع وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء][٤] ، فيبعث الله عليهم نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها** » . قال رسول الله صلىٰ الله

---

(١٢١) أخرجه أحمد (٢/٥١٠-٥١١،٥١١) ، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الكهف » - (٣١٥٣) (٥/٢٩٣-٢٩٤) . وابن ماجه - كتاب الفتن ، باب : فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج - (٤٠٨٠) - (٢/١٣٦٤-١٣٦٥) . وابن حبان في صحيحه - (٦٨٢٩) - (١٥/٢٤٢-٢٤٣) . والحاكم (٤/٤٨٨) وابن جرير في تفسيره (١٦/٢١) . من طرق عن قتادة ثنا أبو رافع به . وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » . وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال البوصيري في الزوائد : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » . وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة - (١٧٣٥) - (٤/٣١٣) وأجاب على استنكار المصنف له فراجعه إن شئت .

---

[١] - في ز : « لنستحفرونه » ، خ : « تستحقرون » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « بسهامهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم ودمائهم** » . ورواه أحمد أيضًا عن حسن - هو ابن موسىٰ الأشيب[١] - عن سفيان ، عن قتادة به . وكذا رواه [الإمام][٢] ابن ماجة عن أزهر بن مروان ، عن عبد الأعلىٰ ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : حدث أبو رافع . وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة ، عن قتادة ، ثم قال : غريب . لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وهذا إسناد جيد قوي ، ولكن في رفعه نكارة ؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه ؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته ، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار : أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه ، حتىٰ لايبقىٰ منه إلا القليل[٣] ، فيقولون : غدًا نفتحه ، فيأتون من الغد وقد عاد كما كان ، فيلحسونه حتىٰ لايبقىٰ منه إلا القليل ، فيقولون كذلك ، ويصبحون وهو[٤] كما كان[٥] ، فيلحسونه ويقولون : غدًا نفتحه ، ويلهمون أن يقولوا : إن شاء الله ، فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه . وهذا متجه[٦] ، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب ؛ فإنه كثيرًا ما كان يجالسه ويحادثه[٧] ، فحدث [به][٨] أبو هريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، والله أعلم .

ويؤكد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ، ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد(١٢٢) :

حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، [عن زينب بنت أبي سلمة ، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن أمها أم حبيبة][٩] ، عن زينب بنت جحش زوج النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال سفيان : أربع نسوة - قالت : استيقظ النبي صلىٰ الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه ، وهو يقول : « **لا إله إلا الله ! ويل للعرب من شر قد اقترب !**

---

(١٢٢) **صحيح** ، أخرجه أحمد - (٦/٤٢٨) . ومسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠) ، والترمذي - كتاب الفتن ، باب : « ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج » . (٢١٨٧) . وابن ماجه - كتاب الفتن ، باب : « ما يكون من الفتن » - (٣٩٥٣) من طريق سفيان بن عيينة به .

فائدة : قوله « عن أم حبيبة» سقط من المطبوع من « سنن ابن ماجه » انظر « تحفة الأشراف » - (١٥٨٨٠) - (١١/٣٢٢) . =

---

[١] - في خ : « الأشهب » .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : « القيل » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في خ : « قال » .
[٦] - في ز : « فتحه » .
[٧] - في ت : « يحدثه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » . وحلق - قلت : يا رسول الله ؛ أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « **نعم ، إذا كثر الخبث** » .

هذا حديث صحيح ، اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث الزهري ، ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة وأثبتها مسلم ، وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد ؛ منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ، ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروي بعضهن عن بعض ، ثم كل منهن صحابية ، ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان رضي الله عنهن .

[وقد روى نحو هذا عن أبي هريرة - رضي الله عنه][١]

فقال البزار : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا وهيب[٢] ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا** » وعقد التسعين[٣] . وأخرجه البخاري ومسلم(١٢٣) : من حديث وهيب به .

وقوله : ﴿ **قال هذا رحمة من ربي** ﴾ أي : لما بناه ذو القرنين ﴿ **قال هذا رحمة من ربي** ﴾ أي : بالناس ، حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلًا يمنعهم من العيث في الأرض والفساد ﴿ **فإذا جاء وعد ربي** ﴾ أي : إذا اقترب الوعد الحق ﴿ **جعله دكاء** ﴾ أي : ساواه[٤] بالأرض . تقول العرب : ناقة دكاء ، إذا كان ظهرها مستويًا لا سنام لها ، وقال تعالى : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا** ﴾ أي : مساويًا للأرض .

وقال عكرمة في قوله : ﴿ **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء** ﴾ قال : طريقًا كما كان .

﴿ **وكان وعد ربي حقًا** ﴾ : [أي][٥] كائنًا[٦] لا محالة .

= وأخرجه أحمد (٦/٤٢٨) . وأخرجه البخاري - كتاب الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٦) . ومسلم (١/٢) (٢٨٨٠) من طريق الزهري ، عن عروة بن الزبير عن زينب أم سلمة عن أم حبيبة فذكرته ، ليس فيه « حبيبة بنت أم حبيبة » .

(١٢٣) أخرجه البخاري - كتاب الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج . (٣٣٤٧) ، ومسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : « اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨١) من طريقين عن وهيب به .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ - في هذا الموضع والموضع الآتي : « وهب » .

[٣] - في ز : « تسعين » .

[٤] - في ز ، خ : « واساه » .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في ز : « كائن » .

وقوله : ﴿ وتركنا بعضهم ﴾ ، أي : الناس ﴿ يومئذ ﴾ ، أي[١] : يوم يدك هذا السد ، ويخرج هؤلاء ، فيموجون في الناس ، ويفسدون على الناس أموالهم ، ويتلفون أشياءهم ، وهكذا قال السدي في قوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ ، قال : ذاك حين يخرجون على الناس . وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال ، كما سيأتي بيانه عند قوله : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا ﴾ قال ابن زيد في قوله : ﴿ تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ قال : هذا أول يوم القيامة ﴿ثم نفخ في الصور﴾ على أثر ذلك ﴿فجمعناهم جمعًا﴾ .

وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ [ ][٢] أي : يوم القيامة يختلط الإنس والجن .

روى ابن جرير(١٢٤) عن محمد بن حميد ، عن يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة ، عن شيخ من بني فزارة في قوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ ، قال : إذا ماج الإنس والجن ، قال إبليس : أنا أعلم لكم علم هذا الأمر . فيظعن إلى المشرق[٣] فيجد الملائكة قد قطعوا[٤] الأرض ، ثم يظعن إلى المغرب فيجد الملائكة بطنوا الأرض ، فيقول : ما من محيص . ثم يظعن يمينًا وشمالاً إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة بطنوا الأرض ، فيقول : ما من محيص . فبينما هو كذلك إذ عرض له طريق كالشراك ، فأخذ عليه هو وذريته ، فبينما هم عليه إذ هجموا على النار ، فأخرج الله خازنًا من خزان النار ، فقال : يا إبليس ؛ ألم تكن لك المنزلة عند ربك ؟ ! ألم تكن في[٥] الجنان ؟ ! فيقول : ليس هذا يوم عتاب ، لو أن الله فرض عليّ فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه . فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة . فيقول : ماهي ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار . فيتلكأ عليه ، فيقول به وبذريته بجناحيه[٦] فيقذفهم في النار ، فتزفر النار زفرة ، لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه .

---

(١٢٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٢٨-٢٩) . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » - (٤/٤٥٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال إذا ماج ، ماج الجن الإنس » .

[٣] - في ز : « الشرق » .

[٤] - في خ : « قد بطنوا » .

[٥] - في خ : « لك » .

[٦] - في ز : « بجناحه » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم(١٢٥) من حديث يعقوب القمي به . [ثم][١] رواه من وجه آخر عن يعقوب ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾ ، قال : الجن والإنس يموج بعضهم في بعض .

وقال الطبراني(١٢٦) : حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصفهاني ، حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أرسلوا لأفسدوا علىٰ الناس معايشهم ، ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا ، وإن من ورائهم ثلاث أمم : تاويل وتاريس[٢] ومنسك** » .

هذا حديث غريب ، بل منكر ضعيف .

وروىٰ النسائي(١٢٧) : من حديث شعبة ، عن النعمان بن سالم ، عن [ابن][٣] عمرو بن

---

(١٢٥) وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٤٥٤/٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(١٢٦) لم أهتد إليه بهذا الإسناد هكذا ، ولعله في الجزء المفقود من « المعجم الكبير » . والحديث عند الطيالسي في مسنده (٢٢٨٢) وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨٥٩٨) (٢٦٧/٨) حدثنا منتصر بن محمد ثنا الوليد بن شجاع ثنا أبي عن زياد بن خيثمة : حدثني أبو إسحاق به . وذكره المؤلف في « البداية والنهاية » (١٣١/٢) وقال : « حديث غريب جدًا ، وإسناده ضعيف ، وفيه نكارة شديدة » .

وقال الهيثمي في « المجمع » - (٩/٨) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات » .

قلت : وهب بن جابر - وهو الخيواني - وإن وثقه ابن معين والعجلي وابن حبان فقد جهله ابن المديني والنسائي ، وقال الذهبي : « لا يكاد يعرف ، تفرد عنه أبو إسحاق » .

وأخرجه ابن جرير في تفسيره - (٨٨/١٧) من طريق سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو ، موقوفًا عليه .

وأخرجه أيضًا - (٨٩/١٧) من طريق معمر عن أبي إسحاق أن عبد الله بن عمرو ... فذكره موقوفًا عليه . ومن طريق شعبة موقوفًا صححه الحاكم (٤٩٠/٤) ووافقه الذهبي . ووهب بن جابر إنما أخرج له أبو داود والنسائي فحسب .

والحديث زاد نسبته السيوطي في الدر المنثور - (٤٥٠/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في البعث وابن مردويه وابن عساكر . وله شاهد بإسناد رجاله ثقات من حديث ابن مسعود . أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٨٢٨) - (٢٤٠/١٥-٢٤١) .

(١٢٧) أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : سورة الأنبياء - قوله تعالى ﴿ حتى إذا =

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في خ : « وتايس » .
[٣] - سقط من ت .

أوس ، عن أبيه ، عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعًا : **« إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا ، وشجر يلقحون[١] ما شاءوا ، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا »** .

وقوله : **﴿ ونفخ في الصور ﴾** والصور كما جاء في الحديث : قرن ينفخ فيه ، والذي ينفخ فيه إسرافيل - عليه السلام - كما تقدم في الحديث بطوله(١٢٨) ، والأحاديث فيه كثيرة .

وفي الحديث عن عطية ، عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعًا(١٢٩) : **« كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ، واستمع[٢] متى يؤمر »** . قالوا : كيف نقول[٣] ؟ قال : **« قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا »** .

وقوله : **﴿ فجمعناهم جمعًا ﴾** ، أي : أحضرنا الجميع للحساب ، **﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾** ، **﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا ﴾** .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ

= فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ (١١٣٣٤) (٤٠٨/٦) حدثنا أبو داود نا سهل بن حماد ، نا شعبة به . وابن عمرو بن أوس لا يعرف ، ولم يذكر فيه جرح ولا تعديل ، ولم يرو عنه غير النعمان بن سالم .

وعزاه ابن حجر في الفتح - (١٠٩/١٣) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، والحديث في « ضعيف الجامع » - (٢٠٢٧) (٢٠٣/١) .

(١٢٨) تقدم في حديث الصور ، وقد تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٧٣] .

(١٢٩) حديث ابن عباس تقدم تخريجه [سورة آل عمران / آية ١٧٣] أما حديث أبي سعيد الخدري . فأخرجه أحمد (٧٣،٧/٣) . والترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في شأن الصور (٢٤٣١) (٥٣٦/٤) وفي التفسير - باب : سورة الزمر - (٣٢٤٣) (٣٤٧/٥) وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر البعث - (٤٢٧٣) (١٤٢٨/٢) بنحوه ، والحميدي - (٧٥٤) - (٣٣٢/٢-٣٣٣) وابن المبارك في الزهد - (١٥٩٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠٥/٥) مختصرًا (١٣٠/٧،٣١٢) من طرق عن عطية العوفي عن أبي سعيد ، وقال الترمذي : « حديث حسن » أي لغيره ، فإن عطية ضعيف إلا أنه قد توبع عليه - تابعه أبو صالح .

أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠٨٤) (٣٣٩/٢-٣٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (٨٢٣)(١٠٥/٣) =

[١] - في خ : « يلتحون » . [٢] - في ز : « اسمع » .

[٣] - في ز : « يقولوا » .

أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يفعله بالكفار يوم القيامة : إنه يعرض عليهم جهنم ، أي : يبرزها لهم ويظهرها ؛ ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ؛ ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم .

وفي صحيح مسلم(١٣٠) عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يؤتىٰ بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**[١] »

ثم قال مخبرًا عنهم : ﴿ **الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري** ﴾ . أي : تغافلوا وتعاموا وتصامّوا[٢] عن قبول الهدىٰ ، واتباع الحق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **وكانوا لا يستطيعون سمعًا** ﴾ ، أي : لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ، ثم قال : ﴿ **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾ ، أي : اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينتفعون بذلك ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا** ﴾ ولهذا أخبر الله تعالىٰ أنه قد[٣] أعدّ لهم جهنم يوم القيامة منزلًا .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

= والحاكم (٤/٥٥٩) ، وابن أبي الدنيا في « الأهوال » - (٥٠) . وصححه الألباني في الصحيحة - (١٠٧٩) (٣/٦٦) .

(١٣٠) أخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ... (٢٨٤٢) . والترمذي - كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة النار - (٢٥٧٣) (٤/٦٠٤) من طريق شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود ... فذكره .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « تصامموا » .
[٣] - سقط من : ز .

قال البخاري(١٣١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو ، عن مصعب قال : سألت أبي - يعني سعد بن أبي وقاص - : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً** ﴾ أهم الحرورية ؟ قال : لا ، هم اليهود والنصارىٰ ، أما اليهود فكذبوا محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأما النصارىٰ كفروا بالجنة ، وقالوا[١] : لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه . وكان سعد -رضي اللَّه عنه- يسميهم الفاسقين .

وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية .

ومعنىٰ هذا عن عليّ -رضي اللَّه عنه- أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية ، كما تشمل اليهود والنصارىٰ وغيرهم ، لا أنها نزلت في هؤلاء علىٰ الخصوص ولا هؤلاء ، بل هي[٢] أعم من هذا ، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارىٰ ، [وقبل وجود الخوارج][٣] بالكلية ، وإنما هي عامة في كل من عبد اللَّه علىٰ غير طريقة مرضية ، يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطيء ، وعمله مردود . كما قال تعالى : ﴿ **وجوه يومئذٍ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارًا حامية** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا** ﴾ .

وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قل هل ننبئكم** ﴾ أي : نخبركم ﴿ **بالأخسرين أعمالاً** ﴾ ثم فسرهم فقال : ﴿ **الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : عملوا أعمالاً باطلة علىٰ غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴿ **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا** ﴾ أي : يعتقدون أنهم علىٰ شيء ، وأنهم مقبولون محبوبون .

وقوله : ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه** ﴾ ، أي : جحدوا آيات اللَّه في الدنيا ، وبراهينه التي أقام علىٰ وحدانيته وصدق رسله ، وكذبوا بالدار الآخرة ، ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا** ﴾ ، أي : لا نثقل موازينهم ؛ لأنها خالية من[٤] الخير .

قال البخاري(١٣٢) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا

---

(١٣١) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً** ﴾ (٤٧٢٨) .
والنسائي في الكبرى - كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ **هل ننبئكم .....** ﴾ (١١٣١٣) .
(١٣٢) أخرجه البخاري - كتاب التفسير ، باب : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه =

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « وقيل وجود الجوارح » .
[٤] - في خ : « عن » .

المغيرة ، حدثني أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة** » . وقال : « **اقرءوا إن شئتم : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾** » . وعن يحيىٰ ابن بكير ، عن مغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد مثله .

هكذا ذكره عن يحيىٰ بن بكير معلقًا ، وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ بن بكير[١] به .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن صالح مولىٰ التوأمة ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يؤتىٰ بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها** » . قال : وقرأ : **﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾** .

وكذا رواه ابن جرير(١٣٤) : عن أبي كريب ، عن أبي الصلت ، عن ابن أبي الزناد[٢] ، عن صالح مولىٰ التوأمة ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا . فذكره بلفظ البخاري سواء .

وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(١٣٥) : حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا عون ابن عمارة[٣] ، حدثنا هشام بن حسان ، عن واصل ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له ، فلما قام علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يا بريدة ، هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة**

= فحبطت أعمالهم » - (٤٧٢٩) . ومسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥) .

(١٣٣) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان - (٥٦٧٠) (٣٤/٥) ، وابن عدي في الكامل - (٢٢٣٥/٦) . من طريق سعيد بن منصور ثنا محمد بن عمار المؤذن ، مؤذن مسجد المدينة ، أخبرني صالح مولى التوأمة به . وصالح مولى التوأمة ضعفه أبو زرعة والنسائي ، وقال مالك : « ليس بثقة » وقال ابن معين في رواية : « ليس بقوي في الحديث » ووثقه في رواية أخرى ، وذلك إذا روى عنه القدماء كابن أبي ذئب وابن جريج وغيرهما والرواية التى هنا ليست من هذا الباب ، وبالله التوفيق .

(١٣٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٥/١٦) عن أبي كريب عن أبي الصلت عن ابن أبي الزناد به ، وانظر ما قبله .

(١٣٥) أخرجه البزار - كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (١١٧٧) (٦٥٠/١) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٨/٥) وقال : « رواه البزار وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف ».

---

[١] - في ز : « طير » . [٢] - في خ : « الدنيا » .

[٣] - في ز ، خ : « عامر » .

وزنًا » . ثم قال : تفرد به واصل مولىٰ أبي عنبسة وعون بن عُمَارة ، وليس بالحافظ ولم يتابع عليه .

وقد قال [ابن] جرير أيضًا(١٣٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن شمر[١] عن أبي يحيىٰ ، عن كعب قال : يؤتىٰ يوم القيامة [برجل عظيم][٢] طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا : ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا** ﴾ ، أي : إنما جازيناهم بهذا الجزاء جهنم ؛ بسبب كفرهم ، واتخاذهم آيات الله ورسله هزوًا ، استهزءوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده السعداء ، وهم الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدقوهم فيما[٣] جاءوا به بأن لهم جنات الفردوس .

قال مجاهد : الفردوس هو : البستان بالرومية .

وقال كعب والسدي والضحاك : هو البستان الذي فيه شجر الأعناب . وقال أبو أمامة : الفردوس : سرة الجنة .

وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها . وقد روي هذا مرفوعًا من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **الفردوس : ربوة الجنة و[٤] أوسطها وأحسنها** »(١٣٧) .

(١٣٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٥/١٦) .

(١٣٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٨/١٦) ، والطبراني في الكبير - (٦٨٨٦) (٢٥٨/٧) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » - (١١) - (٣٨/١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة به . وهذا إسناد ضعيف ، لضعف سعيد وعنعنة الحسن وقتادة ، وتابع قتادة « إسماعيل بن مسلم عن الحسن به . أخرجه ابن جرير في تفسيره - (٣٨/١٦) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٧/٤) إلى ابن أبي حاتم والبزار . وذكره الهيثمي في « المجمع (٤٠١/١٠) وقال : « رواه الطبراني والبزار باختصار وأحد أسانيد الطبراني وثقوا وفي بعضهم ضعف » وصححه الألباني في الصحيحة بشواهده (٢٠٠٣) (٩/٥) . حيث إن له شاهدًا من حديث أنس ابن مالك وهو الآتي .

[١] - في ز ، خ : « سمرة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بعظيم » .

[٣] - في ز : « بما » .

[٤] - سقط من خ .

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا ؛ وروي عن قتادة ، عن أنس بن مالك مرفوعًا بنحوه(١٣٨) ؛ وقد نقله ابن جرير ، رحمه اللَّه .

وفي الصحيحين(١٣٩) : « **إذا سألتم اللَّه الجنة فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

وقوله : ﴿ **نزلًا** ﴾ أي : ضيافة ، فإن النزل هو الضيافة .

وقوله : ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : مقيمين ساكنين فيها[١] ، لا يظعنون عنها أبدًا ﴿ **لا يبغون عنها حولًا** ﴾ أي : لا يختارون غيرها ، ولا يحبون سواها ، وكما قال الشاعر :

فحَلّتْ[٢] سُوَيدَا القلب لا أنا باغيًا سواها ولا عن حبِّها أتحول

وفي قوله : ﴿ **لا يبغون عنها حولًا** ﴾ تنبيه على رغبتهم فيها ، وحبهم لها ، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أنه يسأمه و[٣] يمله ، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي ، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولًا ولا [انتقالًا ولا][٤] ظعنًا[٥] ولا رحلة ولا بدلًا[٦] .

قُلْ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

---

(١٣٨) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة المؤمنون » . (٣١٧٤) - (٣٠٦/٥) . وأحمد في مسنده - (٢٦٠/٣) ، وابن جرير في تفسيره - (٣٨/١٦) . من طريق قتادة عن أنس ، فذكر قصة حارثة وفيه « يا أم حارثة .... والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها » وقال الترمذي : « حسن صحيح » .

لكن قال الألباني في الصحيحة (٤٢٧/٤) ... وهذه الزيادة « والفردوس ربوة .... » التي عند الترمذي شاذة لا تثبت في الحديث عن أنس ، والراجح أنها مدرجة فيه كما بينتها رواية أحمد ، لكن يشهد له حديث سمرة بن جندب .. قلت : وأصل حديث أنس عند البخاري - كتاب الجهاد ، باب : « من أتاه سهم غرب فقتله » - (٢٨٠٩) (٢٦٠٢٥/٦) دون هذه الزيادة .

(١٣٩) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد ، باب : « درجات المجاهدين في سبيل الله ... (٢٧٩٠) - (٦/ ١١) من حديث أبي هريرة . ولم أقف عليه عند مسلم ، والعلم عند الله تعالى .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « نحلت » .

[٣] - في خ : « أو » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « ضيقا » .

[٦] - في ز ، خ : « بديلًا » .

يقول تعالىٰ : ﴿ قل ﴾ يا محمد : [ ][١] لو كان ماء[٢] البحر مدادًا للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالة[٣] عليه ، لنفد البحر قبل أن [يفرغ من][٤] كتابة ذلك ﴿ ولو جئنا بمثله مددًا ﴾ ، أي : بمثل البحر آخر ، ثم آخر ، وهلم جرًّا ، بحور تمده ويكتب بها ، لما نفدت كلمات اللَّه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه إن اللَّه عزيز حكيم ﴾ .

قال الربيع بن أنس : إن مثل علم العباد كلهم في علم اللَّه ، كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل اللَّه ذلك : ﴿ قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا ﴾ .

يقول[٥] : لو كان البحر مدادًا ، والشجر [كله أقلامًا][٦] ، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر ، و[٧] بقيت كلمات اللَّه قائمة لا يفنيها شيء ؛ لأن أحدًا لا يستطيع[٨] أن يقدر قدره ، ولا يثني عليه كما ينبغي ، حتىٰ يكون هو الذي يثني علىٰ نفسه ، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول[٩] ، إن مثل نعيم الدنيا ؛ أولها وآخرها ، في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها[١٠] .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

روىٰ الطبراني(١٤٠) من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عمرو بن قيس الكوفي ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان ، أنه قال : هذه آخر آية أنزلت .

يقول تعالىٰ لرسوله محمد صلوات اللَّه وسلامه عليه : ﴿ قل ﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين

(١٤٠) أخرجه الطبراني في الكبير - (٩٢١) (٣٩٢/١٩) . وابن جرير في تفسيره - (٤٠/١٦) . وقال الهيثمي في « المجمع » - (١٧/٧) . « رواه الطبراني ورجاله ثقات » . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » - (٤٦٣/٤) إلى ابن جرير وابن مردويه دون الطبراني .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « قل » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز : « والدلالات » .
[٤] - في ز ، خ : « تفرغ » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « كلها أقلام » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز : « يقول » .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

برسالتك إليهم : ﴿ إنما أنا بشر مثلكم ﴾ ، فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به ، فإني لا أعلم الغيب فيما[١] أخبرتكم به من الماضي ؛ عما سألتم من قصة أصحاب الكهف ، وخبر ذي القرنين ، مما هو مطابق[٢] في نفس [الأمر ، لولا][٣] ما أطلعني الله عليه ، وأنا أخبركم ﴿ أنما إلهكم ﴾ الذي أدعوكم إلىٰ عبادته ﴿ إله واحد ﴾ لا شريك له ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي : ثوابه وجزاءه الصالح ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ وهو[٤] : ما كان موافقًا لشرع الله ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ وهو ، الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان[٥] ركنا العمل المتقبل ؛ لابد أن يكون خالصًا لله ، صوابًا علىٰ شريعة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(١٤١) من حديث معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن طاوس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني أقف المواقف أريد وجه الله ، وأحب أن يرىٰ موطني . فلم يرد عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئًا[٦] ، حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ .

وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد .

وقال الأعمش(١٤٢) : حدثنا حمزة أبو[٧] عمارة مولىٰ بني هاشم ، عن شهر بن حوشب قال : جاء رجل إلىٰ عبادة بن الصامت فقال : أنبئني عما أسألك عنه : أرأيت رجلًا يصلي يبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويصوم يبتغي[٨] وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويتصدق يبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ، ويحج ويبتغي وجه الله ، ويحب أن يحمد ؟ فقال عبادة : ليس له شيء ؛ إن الله تعالىٰ يقول : أنا خير شريك[٩] ، فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه .

---

(١٤١) وأخرجه الحاكم - (٤/٣٢٩-٣٣٠) ، وابن جرير في تفسيره - (١٦/٤٠) من طريقين عن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥٨) إلى عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص والطبراني .

(١٤٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره - (١٦/٤٠) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش به . وشهر بن حوشب ضعيف .

---

[١] - في ز : « مما » .
[٢] - في ز : « المطابق » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ت : « أي » .
[٥] - في خ : « هذا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : «وأبو » .
[٨] - في ز : « ويبتغي » .
[٩] - في ز : « شرك » .

وقال الإمام أحمد(١٤٣) : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، ثنا كثير بن زيد ، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فنبيت عنده تكون له الحاجة ، أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا ، فكثر المحتسبون وأهل النوب فكنا نتحدث ، فخرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **ما هذه النجوىٰ ؟ [ألم أنهكم عن النجوىٰ ؟** » قال][١] : فقلنا : تبنا إلىٰ الله ، أي نبي الله ، إنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه . فقال : « **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟** » قال : قلنا : بلىٰ . قال : « **الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل** » .

وقال الإمام أحمد(١٤٤) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد - يعني ابن بهرام - قال : قال شهر بن حوشب : قال ابن غنم : لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء ، لقينا عبادة بن الصامت ، فأخذ يميني بشماله ، وشمال أبي الدرداء بيمينه ، فخرج يمشي بيننا ونحن نتنجىٰ[٢] ، والله أعلم بما نتناجىٰ[٣] ، فقال عبادة بن الصامت : إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما ، لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين - يعني من وسط قرأ[٤] القرآن ، علىٰ لسان محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه

(١٤٣) المسند (١١٢٦٨) (٣/٣٠) إسناده ضعيف من أجل ربيح بن عبد الرحمن وكثير بن زيد . وكثير بن زيد ؛ قال أبو زرعة : صدوق فيه لين . وقال النسائي : ضعيف . وعن ابن معين : ليس به بأس . وعنه : ثقة . وقال ابن المديني : صالح وليس بقوي . وقال ابن عدي : لم أر بحديثه بأسًا . وفي التقريب: صدوق يخطئ . وربيح بن عبد الرحمن . مقبول . والحديث أخرجه ابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : الرياء والسمعة ، (٤٢٠٤) . والحاكم في المستدرك (٤/٣٢٩) مختصرًا ، من طريق كثير بن زيد به .
وقال البوصيري في الزوائد : إسناده حسن ، وكثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » - مقتصرًا على قصة النجوى (١/٣٢٠) وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون . و(٩/٢٥) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور - (٤/٤٦٠) إلى الحكيم الترمذي والبيهقي . .

(١٤٤) أخرجه أحمد (٤/١٢٥-١٢٦) ، وأخرجه الطيالسي في مسنده (١١٢٠) ومن طريقه الطبراني في الكبير - (٧١٣) - (٧/٣٣٧-٣٣٨) . والحاكم في مستدركه - (٤/٣٢٩) والبيهقي في الشعب - (٦٨٣٣) (٥/٣٣٧-٣٣٨) ، وابن عدي في الكامل - (٤/١٣٥٧) . من طريق عبد الحميد بن بهرام ، ثنا شهر بن حوشب به مختصرًا .
وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٢٢٣-٢٢٤) مطولًا وقال : «رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وثقه أحمد وضعفه غير واحد ، وبقية رجاله ثقات » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « نتناجى » .
[٣] - بعدها في خ : به .
[٤] - في ز : « قراء » .

ونزل[١] عند منازله لا يحور[٢] فيكم[٣] إلا كما يحور[٤] رأس الحمار الميت . قال : فبينما نحن كذلك ، إذ طلع شداد بن أوس - رضي الله عنه - وعوف بن مالك فجلسا إلينا ، فقال شداد : إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لَما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من الشهوة الخفية والشرك** » . فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : اللهم غفرًا ! أولم يكن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد[٥] حدثنا : « **أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب** » ، وأما الشهوة[٦] الخفية فقد عرفناها ، هي شهوات الدنيا ؛ من نسائها ، وشهواتها ، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد ؟ فقال شداد أرأيتكم[٧] لو رأيتم رجلًا يصلي لرجل ، أو يصوم لرجل ، [أو يتصدق له أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا : نعم ، والله إنه من صلى لرجل][٨] ، أو صام له[٩] ، أو[١٠] تصدق له لقد[١١] أشرك . فقال شداد : فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من صلىٰ يرائي فقد أشرك ، ومن صام[١٢] يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك** » .

فقال[١٣] عوف بن مالك عند ذلك : أفلا يعمد الله إلىٰ ما ابتغي به وجهه من ذلك العمل كله ، فيقبل ما خلص له ، ويدع ما أشرك به ؟ فقال شداد عند ذلك : فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي ، من أشرك بي شيئًا فإن حَشْده[١٤] عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك[١٥] به ، و[١٦] أنا عنه غني** » .

(طريق أخرىٰ[١٧] لبعضه) قال الإمام أحمد(١٤٥) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني عبد

(١٤٥) أخرجه أحمد (١٢٤/٤) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٧١٤٤) (٣٤١/٧) ، والحاكم (٣٣٠/٤) . من طريق عبد الواحد بن زيد أخبرنا عبادة بن نسى به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ورده الذهبي بقوله : عبد الواحد متروك . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٦٠/٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي .

[١] - في خ : « ونزله » .
[٢] - في خ : « يجوز » .
[٣] - في ز ، خ : « منكم » .
[٤] - في خ : « تجوز » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « الشهوات » .
[٧] - في ز : « رأيتكم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « وإن » .
[١١] - في ز : « فقد » .
[١٢] - في خ : « صلى » .
[١٣] - في ت: « قال» .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - في خ : « يشرك » .
[١٦] - سقط من : ز .
[١٧] - سقط من : ز ، خ .

الواحد بن زياد ، أخبرنا عبادة بن نسي ، عن شداد بن أوس -رضي اللَّه عنه- أنه بكىٰ فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : شيء سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، [يقول : فذكرته][١] فأبكاني ، سمعت رسول اللَّه يقول : « **أتخوف علىٰ أمتي الشرك والشهوة الخفية** » . قلت : يا رسول اللَّه ؛ أتشرك أمتك [من بعدك][٢] ؟ قال : « **نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ، ولا حجرًا ولا وثنًا ، ولكن يراءون بأعمالهم ، والشهوة الخفية : أن يصبح أحدهم صائمًا ، فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه** » . ورواه ابن ماجة(١٤٦) من حديث الحسن بن ذكوان ، عن عبادة بن نسي به . وعبادة فيه ضعف ، وفي سماعه من شداد نظر .

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الحسين[٣] بن عليّ بن جعفر الأحمر ، حدثنا عليّ بن ثابت ، حدثنا قيس بن[٤] أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يقول اللَّه يوم القيامة : أنا خير شريك ، فمن[٥] أشرك بي أحدًا فهو له كله** » .

وقال الإِمام أحمد(١٤٧) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت العلاء يحدث ،

---

(١٤٦) أخرجه ابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : الرياء والسمعة - (٤٢٠٥) (١٤٠٦/٢) حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ثنا روّاد بن الجراح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان به نحوه .

وقال البوصيري في الزوائد : « في إسناده عامر بن عبد الله لم أر من تكلم فيه ، وباقي رجال الإسناد ثقات » .

قلت : عامر هذا استظهر ابن حجر في « التهذيب » أن يكون هو ابن يساف اليمامي ، فإذا كان كذلك فقد وثقه ابن معين في رواية البرقي ، وفي رواية الدُّوريّ قال : « ليس بشيء » وقال أبو داود : « ليس به بأس ، رجل صالح » وقال العجلي : يكتب حديثه ، وفيه ضعف ، وقال ابن عدي : منكر الحديث عن الثقات « ومن ضعفه يكتب حديثه » وشيخه الحسن بن ذكوان ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن المديني ، وبهما يعل الحديث دون عبادة بن نسيٍّ فقد وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنسائي . وقال البخاري : عبادة بن نسى الكندي سيدهم ، وقال أبو حاتم : لا بأس به . وقال أبو عبيد الآجرى : « سألت أبا داود عنه ، فقال : سألت يحيى عنه فقال « لا تسأل عنه من النبل» . [راجع تهذيب الكمال (ت٣١١٠) (١٩٤/١٤)] . وقال ابن حجر في « التقريب » : ثقة فاضل . ولكن مع ثقته ، فإنه كان كثيرًا ما يرسل فقال العلائي في جامع التحصيل - (ت٣٣٤) : « عبادة بن نسي روى عن معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وجماعة غيرهم وأكثر من ذلك مراسيل .

(١٤٧) **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (٣٠١/٢) ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٨)(٦٨٠٦٧/٢)=

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « الحسن » .
[٤] - سقط من : ز ، خ : « عن » .
[٥] - في خ : « من » .

عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال : « **أنا خير الشركاء ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، وهو للذي أشرك** » . تفرد به من هذا الوجه .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤٨) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن عمرو ، عن محمود بن لبيد ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **الرياء ، يقول اللّٰه يوم القيامة إذا جزىٰ الناس بأعمالهم : اذهبوا إلىٰ الذين**[١] **كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء** » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٤٩) : حدثنا محمد بن بكر ، أخبرنا عبد الحميد - يعني ابن جعفر - أخبرني أبي ، عن زياد بن ميناء ، عن أبي سعيد[٢] بن أبي فضالة الأنصاري [وكان من الصحابة][٣] قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إذا جمع اللّٰه الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم لا ريب فيه ، نادىٰ مناد : من كان أشرك في عملٍ عمله لله أحدًا ، فليطلب ثوابه من عند غير اللّٰه ، فإن اللّٰه أغنىٰ الشركاء عن الشرك** » .

وأخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث [محمد بن][٤] بكر - وهو البرساني - به .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(١٥٠) : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا بكار ، حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبي بكرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من سَمَّع**(*) **سَمَّع اللّٰه به ، ومن راءىٰ راءىٰ اللّٰه به** » .

= من طريق محمد بن جعفر به . وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير اللّٰه (٤٦) - (٢٩٨٥) - (١٥٦/١٨) . وابن ماجه - كتاب الزهد - باب : « الرياء والسمعة » ، (٤٢٠٢) (١٤٠٥/٢) من طريقين عن العلاء بن عبد الرحمن به .

(١٤٨) تقدم [سورة يوسف/آية ١٠٧/ رقم ١٤٤،١٤٥] .

(١٤٩) تقدم تخريجه [سورة يوسف / آية١٠٧/ رقم ١٤٣] .

(١٥٠) أخرجه أحمد (٤٥/٥) . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٥/١٠-٢٢٦) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني وأسانيدهم حسنة » .

(*) سَمَّع فلانٌ بعمله : إذا أظهره ليُسْمَع . نهاية [٤٠٢/٢]

[١] - في ز : « الذي » .

[٢] - في خ : « سعد » .

[٣] - في ت : أنه .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد(١٥١) : حدثنا معاوية ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [أنه][١] قال : « **من يرائي يرائي الله به ، ومن يسمِّع يسمِّع الله به** » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد(١٥٢) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن شعبة ، حدثني عمرو ابن مرة ، قال : سمعت رجلًا في بيت أبي عبيدة ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر ، أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من سمَّع الناس بعمله سمع الله به ، سامع خَلْقه وصغّره وحقّره** » . [قال] فذرفت عينا عبد الله .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٥٣) : حدثنا عمرو[٢] بن يحيىٰ الأيلي ، حدثنا الحارث بن غسان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلىٰ الله

---

(١٥١) **إسناده ضعيف ، ومتنه صحيح** وهو في المسند حديث (١١٣٧٣) (٣/٤٠) .
وأخرجه الترمذي – كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الرياء والسمعة (٢٣٨٢) وقال : « حديث حسن صحيح من هذا الوجه » . وأبو يعلى في مسنده (١٠٥٩) (٢/٣٢٣) . من طريق أبي كريب حدثنا معاوية ابن هشام به . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الزهد ، باب : كلام الحسن البصري (١١٥) (٨/٢٦٧) ، وعنه ابن ماجه في الزهد ، باب : الرياء والسمعة (٤٢٠٦) من طريق بكر بن عبد الرحمن ثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن العوفي به . وهذا إسناد أشد ضعفًا من سابقه . وقد صح متن الحديث ، فأخرجه البخاري في الرقاق ، باب : الرياء والسمعة (٤٦٩٩) . ومسلم في الزهد والرقائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله (٢٩٨٧) . وابن ماجه في الزهد ، باب : الرياء والسمعة (٤٢٠٧) ويأتي من حديث جندب بن عبد الله البجلي .

(١٥٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٢،١٩٥،٢١٢،٢٢٣-٢٣٤) سمى الرجل في إحدى الروايات « أبا يزيد » .
وأخرجه البغوي في شرح السنة (٤١٣٨) (١٤/٣٢٥-٣٢٦) . من طريق عبد الله بن المبارك عن شعبة به .
وأبو نعيم في الحلية (٤/١٢٣-١٢٤) ، (٥/٩٩) والطبراني في الأوسط (٤٩٨٤) (٥/١٧٢-١٧٣) من طريق أبان بن تغلب عن عمرو بن مرة عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو فذكره . وقال أبو نعيم : « غريب من حديث أبان بن تغلب عن عمرو عن خيثمة » .
وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٢٥) وقال : « رواه الطبراني في الكبي والأوسط بنحوه .... ورواه أحمد باختصار .... وسمى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن ، فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح » .
وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (١/٣١) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » بأسانيد أحدها صحيح ، والبيهقي »

(١٥٣) وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٤/٤٦٠) وزاد نسبته إلى البيهقي .

---

[١] – سقط من خ .
[٢] – في ز : « محمد » .

عليه وسلم : « **تعرض أعمال بني آدم بين يدي اللّه - عز وجل - يوم القيامة في صحف مختومة [ ][١] ، فيقول اللّه : ألقوا هذا واقبلوا هذا . فتقول الملائكة : يارب ؛ واللّه مارأينا منه إلا خيرًا . فيقول : إن عمله كان لغير وجهي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي** » . ثم قال : الحارث بن غسان روىٰ عنه جماعة ، وهو بصري ليس به بأس .

قال ابن وهب(١٥٤) : حدثني يزيد بن عياض ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن عبد اللّه ابن قيس الخزاعي ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت اللّه حتىٰ يجلس** » .

وقال أبو يعلىٰ(١٥٥) : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن دينار ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عوف بن مالك ، عن ابن مسعود -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من أحسن الصلاة حيث[٢] يراه الناس ، وأساءها حيث يخلو ، فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل** » .

وقال ابن جرير(١٥٦) : حدثنا أبو عامر[٣] إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن عياش ، حدثنا عمرو بن قيس الكندي ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ وقال : إنها آخر آية نزلت من القرآن .

وهذا أثر مشكل ، فإن هذه الآية [ ][٤] آخر سورة الكهف ، والكهف كلها مكية ، ولعل معاوية أراد : أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها ، ولا يغير حكمها ، بل هي مثبتة محكمة ، فاشتبه ذلك علىٰ بعض الرواة ، فروىٰ بالمعنىٰ ما فهمه ، واللّه أعلم .

---

(١٥٤) ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٦/١٠) وقال : « رواه الطبراني وفيه يزيد بن عياض وهو متروك ». وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٥٥) (٢٣٠/٦) وحكم عليه بالوضع .

(١٥٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥١١٧) (٥٤/٩) . وأخرجه البيهقي في الكبرى - كتاب الصلاة ، باب : الترغيب في تحسين الصلاة (٢٩٠/٢) من طريق زائدة عن إبراهيم الهجري به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٢٤/١٠) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف » . وأورده الحافظ في « المطالب العالية » (٣٢٠٠) (١٨٣/٣) وقال : « حديث حسن » وجاء في الحاشية [قال البوصيري : رواه إسحاق وأبو يعلى بإسناد حسن] وضعفه الألباني في ضعيف الجامع - (٥٣٦١) (٥/ ١٥٢) .

(١٥٦) تقدم - (١٤٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « مختمة » .

[٢] - في خ : « حتى » .

[٣] - في ز : « عمرو » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « هى » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٥٧) : حدثنا محمد بن علي بن الحسن[١] بن شقيق ، حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا أبو قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من قرأ في ليلة : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ كان له من نور من عَدن أبين[٢] إلى مكة[٣] ، حشوة الملائكة». غريب جدًا .

آخر سورة الكهف ، ولله الحمد

(١٥٧) أخرجه البزار - كما في مختصر الزوائد لابن حجر - (٢١٢٦) (٤١٩/٢) .
وقال : « لا نعلمه مرفوعًا إلا عن عمر بهذا الإسناد وأبو قرة تفرد عنه النضر »
قال ابن حجر : قد وثق ، وصح سماع سعيد من عمر .
وأخرجه الحاكم (٣٧١/٢) من طريق إسحاق أنبأنا النضر بن شميل به نحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله : « أبو قرة ، فيه جهالة ولم يضعف » .
وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٩/١٠) وقال : « رواه البزار وفيه أبو قرة الأسدي لم يرو عنه غير النضر ابن شميل ، وبقية رجاله ثقات » .
وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤٦٣/٤) إلى ابن راهويه وابن مردويه والشيرازي في « الألقاب » .

[١] - في ز ، خ : « الحسين » .
[١] - أبين - بوزن أحمر - قرية على جانب البحر ، قرب اليمن ، وقيل : هو اسم مدينة «عدن» . النهاية (٢٠/١)
[٢] - سقط من : ز ، خ .

[تفسير] سورة مريم [وهي مكية]

وقد روىٰ محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أمِّ سلمة(١) وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود(٢) في قصة الهجرة إلىٰ أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- قرأ صدر هذه السورة علىٰ النجاشي وأصحابه .

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

أما [ ][١] الحروف المقطعة فقد تقدم [ ][٢] في أول سورة البقرة .

وقوله : ﴿ **ذكر رحمة ربك** ﴾ أي : هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا .

وقرأ[٣] يحيىٰ بن يعمر: [ذكّرَ رحمةَ ربك عبده زكريا] . [و][٤] ﴿ **زكريا** ﴾ : يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيًا عظيمًا من أنبياء بني إسرائيل ، و[٥] في صحيح البخاري(٣) : أنه كان نجارًا ، و[٦] أنه كان يأكل من عمل يديه[٧] في النجارة . وقوله : ﴿ إذ

(١) - السيرة النبوية لابن هشام (٣٤٧/١) وما بعدها .

(٢) - المسند (٤٦١/١) . وقال الهيثمي في المجمع (٢٧/٦) : رواه الطبراني وفيه خديج بن معاوية وثقه أبو حاتم ، وقال في بعض حديثه ضعف ، وضعفه ابن معين وغيره ، وبقيه رجاله ثقات .

(٣) - أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب : من فضائل زكريا عليه السلام ، حديث (٢٣٧٩/١٦٩) (١٩٦/١٥) . وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : الصناعات ، حديث (٢١٥٠) (٧٢٧/٢) . كلاهما من حديث أبي هريرة دون ذكر : وأنه كان يأكل من عمل يده في نجارة . **ولم نجده في البخاري** .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : الكلام على .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في خ : « قراءة » .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « أي » .
[٧] - في ت : « يده » .

نادىٰ[١] ربه نداءً خفيًا ﴾ قال بعض المفسرين : إنما أخفى دعاءه ؛ لئلا ينسب في طلب الولد إلىٰ الرعونة لكبره . حكاه الماوردي .

وقال آخرون : إنما أخفاه ؛ لأنه أحب إلىٰ الله . كما قال قتادة(٤) في هذه الآية : ﴿ إذ نادىٰ ربه نداء خفيًا ﴾ : إن الله يعلم القلب التقي ، ويسمع الصوت الخفي .

وقال بعض السلف : قام من الليل - عليه السلام - وقد نام أصحابه ، فجعل يهتف بربه يقول خُفية : يارب يارب يارب . فقال الله له[٢] : لبيك لبيك لبيك .

﴿ قال رب إني وهن العظم مني ﴾ أي : ضعفت وخارت القوىٰ ﴿ واشتعل الرأس شيبًا ﴾ أي : اضطرم[٣] المشيب في السواد . كما قال ابن دريد في مقصورته

إمَّا تَرَىٰ رَأْسِي حاكَىٰ لونُه طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أذيالِ الدُّجَى
واشْتَعَلَ المبْيَضُ في[٤] مُسْوَدِّه مِثْلَ اشتعَالِ النَّار في جَمْر الغضا

والمراد من هذا : الإخبار عن الضعف والكبر ، ودلائله الظاهرة والباطنة .

وقوله : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيًا ﴾ أي : ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء ، ولم تردَّني قط فيما سألتك .

وقوله : ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الياء من ﴿ الموالي ﴾ علىٰ أنه مفعول ، وعن الكسائي أنه سكن الياء ، كما قال الشاعر :

كأن أيديَهُنَّ في القاعِ القرق[٥] أيدي جَوَارٍ يتعاطين الورق

[وقال الآخر][٦] :

فتىٰ لويباري الشّمس ألْقَتْ قناعها أو القَمَرَ السّاري لألقىٰ المقالدا

ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي[٧] :

تغاير الشِّعرُ منه إذْ سهرتُ له حتىٰ ظَنَنْتُ قوافيه سَتَقْتَتِلُ

---

(٤) - أخرجه الطبري (٤٥/١٦) .

---

[١] - في ز : « ناداه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « اصطرم » .
[٤] - في ز : « من » .
[٥] - في خ : « القربى » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال مجاهد وقتادة والسدي(٥) : أراد بالمولى العصبة ، وقال أبو صالح(٦) : الكلالة .

وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان(٧) - رضي الله عنه - أنه كان يقرؤها : ﴿ **وإني خفَّت الموالي من ورائي** ﴾ بتشديد الفاء[١] ، بمعنىٰ : قلَّت عَصَباتي من بعدي .

وعلىٰ القراءة الأولىٰ وجه خوفه : أنه خشي أن يتصرفوا من[٢] بعده في الناس تصرفًا سيئًا ، فسأل الله ولدًا يكون نبيًا من بعده ؛ ليسوسهم بنبوته وما يوحىٰ إليه[٣] ، فأجيب في ذلك ، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلة ، وأجل قدرًا من أن يشفق علىٰ ماله إلىٰ ما هذا حده : أن يأنف من وراثة عصباته له ، ويسأل أن يكون له ولد فيحوز ميراثه دونهم ، هذا وجه .

الثاني : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان نجّارًا ، يأكل من كسب يديه[٤] ، ومثل هذا لا يجمع مالًا ، ولاسيما الأنبياء - عليهم السلام - فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا .

الثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين(٨) من غير وجه[٥] ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا نورث ، ما تركنا فهو[٦] صدقة** » . وفي رواية عند الترمذي(٩) بإسناد صحيح : « **نحن معشر الأنبياء - لا نورث** » . وعلىٰ هذا فتعين حمل قوله : ﴿ **فهب لي من لدنك وليًا * يرثني** ﴾ علىٰ ميراث النبوة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ويرث من آل يعقوب** ﴾ كقوله : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ ، أي : في النبوة ، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة ، إذ من المعلوم المستقر في جميع

(٥) - أخرجه عنهم الطبري (٤٧/١٦) .
(٦) - أخرجه الطبري (٤٧/١٦) .
(٧) - أخرجه الطبري (٤٧/١٦) .
(٨) - أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب : فرض الخمس حديث (١٩٦/٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨) حديث (٣٠٩٤) . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير في باب : حكم الفيء ، حديث (١٥٧/٤٩) كلاهما من حديث عمر رضي الله عنه . وهو متفق عليه أيضًا من حديث عائشة رواه البخاري (١١٢٨) ومسلم ٧٧ - (٧١٨) . ومن حديث أبي بكر الصديق رواه البخاري (٣٧١١) ومسلم (١٧٥٩) .
(٩) - أخرجه الترمذي في كتاب السير ، باب : ما جاء في تركة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٦١٠) من حديث أبي بكر بلفظ الصحيحين .

[١] - في ز ، خ : « الياء » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ت : « يده » .
[٥] - في ت : « وجهه » .
[٦] - سقط من : خ .

الشرائع والملل - أن الولد يرث أباه ، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها ، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث : « **نحن معاشر الأنبياء - لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة** » .

قال مجاهد(١٠) في قوله : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ كانت[١] وراثته علمًا ، وكان زكريا من ذريَّة يعقوب .

وقال هشيم : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح(١١) في قوله : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ قال : يكون نبيًّا كما كانت آباؤه أنبياء .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن(١٢) : يرث نبوته وعلمه .

وقال السدي(١٣) : يرث نبوتي ، ونبوة آل يعقوب .

وعن مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ **ويرث من آل يعقوب** ﴾ قال : [نبوتهم .

وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح(١٤) في قوله : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ قال][٢] : يرث مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة . وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة(١٥) أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثه؟! ويرحم الله لوطًا إن كان ليأوي إلىٰ ركن شديد !** » .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جابر بن نوح ، عن مبارك - هو ابن فضالة - عن الحسن قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثه ماله[٣] حين يقول : ﴿ فهب لي من لدنك وليًّا * يرثني ويرث من**

---

(١٠) - أخرجه الطبري (١٦/٤٨) .

(١١) - أخرجه الطبري (١٦/٤٨) .

(١٢) - أخرجه الطبري (١٦/٤٨) ، وعزاه السيوطي (٤/٤٦٧) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(١٣) - أخرجه الطبري (١٦/٤٨) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٦٧) إلى ابن أبي حاتم .

(١٤) - أخرجه الطبري (١٦/٤٨) .

(١٥) - أخرجه الطبري (١٦/٤٨) .

(١٦) - تفسير الطبري (١٦/٤٨) .

---

[١] - في ز ، خ : « كان » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : «قاله » .

آل يعقوب ﴾ » . وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ واجعله رب رضيًا ﴾ أي : مرضيًا عندك وعند خلقك ، تحبه وتحببه إلىٰ خلقك ، في دينه وخلقه .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾

هذا الكلام يتضمن محذوفًا ، وهو : أنه أجيب إلىٰ ما سأل في دعائه ، فقيل : ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيىٰ ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيىٰ مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين ﴾ .

وقوله : ﴿ لم نجعل له من قبل سميًا ﴾ قال قتادة وابن جريج وابن زيد(١٧) : أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم .

واختاره ابن جرير رحمه الله .

وقال مجاهد(١٨) : ﴿ لم نجعل له من قبل سميًا ﴾ أي : شبيهًا - [أخذه من معنىٰ قوله : ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا ﴾ أي : شبيهًا][١] .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٩) : أي : لم تلد العواقر قبله مثله . وهذا دليل علىٰ أن زكريا - عليه السلام - كان لا يولد له ، وكذلك امرأته كانت عاقرًا من أول عمرها ، بخلاف إبراهيم وسارة - عليهما السلام - فإنهما إنما تعجبا من البشارة بإسحاق على كبرهما لا لعقرهما ؛ ولهذا قال : ﴿ أبشرتموني علىٰ أن مسني الكبر فبم تبشرون ﴾ مع أنه قد كان ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة ، وقالت امرأته : ﴿ يا ويلتىٰ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ .

---

(١٧) - أخرجه عنهم الطبري (١٦/٥٠) .

(١٨) - أخرجه الطبري (١٦/٤٩) ، وزاد السيوطي نسبته إلى أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد وابن المنذر (٤/٤٦٨) .

(١٩) - أخرجه الطبري (١٦/٤٩) ، وزاد السيوطي نسبته (٤/٤٦٨) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾

هذا تعجب من زكريا - عليه السلام - حين أجيب إلىٰ ماسأل وبشر بالولد ، ففرح فرحًا شديدًا ، وسأل عن كيفية ما يولد له ، والوجه الذي يأتيه منه الولد ، مع[١] أن امرأته عاقر لا تلد من أول عمرها مع كبرها ، ومع[٢] أنه قد كبر وعتا ، أي : عَسَا عظمه ونحُل ، ولم يبق فيه لقاح ولا جماع. والعرب تقول للعود إذا يبس : عتا يعتو عتيًّا وعتوًّا ، وعسىٰ يعسو عسوًّا وعسيًّا .

وقال مجاهد(٢٠) : ﴿عتيًّا﴾ بمعنى نحول العظم. وقال ابن عباس(٢١) وغيره : ﴿عتيًّا﴾ يعني الكبر. والظاهر أنّه أخصّ من الكبر.

وقال ابن جرير(٢٢) : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لقد علمت السنة كلها ، غير أني لا أدري أكان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقرأ في الظهر والعصر أم لا ، ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف : **﴿وقد بلغت من الكبر عتيًّا﴾** أو عسيًّا .

ورواه الإمام أحمد(٢٣) عن سريج[٣] بن النعمان. وأبو داود عن زياد بن أيوب ، كلاهما عن هشيم ، به .

﴿قال﴾ أي الملك مجيبًا لزكريا عما استعجب منه ﴿كذلك قال ربك هو عليّ

(٢٠) - أخرجه الطبري (٥١/١٦) ، وزاد السيوطى نسبته في الدر (٤٦٨/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
(٢١) - أخرجه الطبري (٥١/١٦) ، والحاكم (٣٧٢/٢) بنحوه ، وسكت عليه ، وضعفه الذهبي ، وقال : قال أحمد بن حنبل : محمد بن زياد اليشكري الطحان كذاب خبيث يضع الحديث ، وابن شجاع من ضعفاء المراوزة .
(٢٢) - أخرجه الطبري (٥١/١٦) .
(٢٣) - أخرجه أحمد (١/ ٢٥٧، ٢٥٨) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : القراءة في الظهر والعصر ، حديث (٨٠٩) (٢١٤/١) طرفه الأول .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « مع » .
[٣] - في خ : « شريح » .

هين ﴾ أي : إيجاد الولد منك و[١]من زوجتك هذه لا من غيرها ﴿ هين ﴾ أي : يسير سهل على الله .

ثم ذكر له ما هو أعجب [ ][٢] مما سأل عنه ، فقال : ﴿ **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا** ﴾ .

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

يقول تعالى مخبرًا عن زكريا - عليه السلام - أنه ﴿ **قال رب اجعل لي آية** ﴾ أي : علامة ودليلًا على وجود ما وعدتني ؛ لتستقر نفسي ، ويطمئن قلبي بما وعدتني ، كما قال إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ ، ﴿ **قال آيتك** ﴾ أي : علامتك ﴿ **ألَّا تكلم الناس ثلاث ليال سويًّا** ﴾ ، أي : أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال ، وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة .

قال ابن عباس ومجاهد ، وعكرمة ووهب ، والسدي ، وقتادة(٢٤) ، وغير واحد : اعتقل لسانه من غير مرض .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٢٥) : كان يقرأ ويسبح ، ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٦) : ﴿ **ثلاث ليال سويًّا** ﴾ أي : متتابعات .

والقول الأول عنه ، وعن الجمهور أصح ، كما قال تعالى في آل عمران : ﴿ **قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألَّا تكلم الناس ثلاثة أيام إلَّا رمزًا واذكر ربك كثيرًا وسبح**[٣]

(٢٤) - أخرجه عنهم الطبري (١٦/٥٢ - ٥٣) .

(٢٥) - أخرجه الطبري (١٦/٥٢) ، وزاد السيوطى نسبته في الدر (٤/٤٦٩) إلى ابن أبي حاتم .

(٢٦) - أخرجه الطبري (١٦/٥٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « منه » .

[٣] - في خ : « وسبح بحمد ربك » وهي زيادة ليست في المصحف العثماني .

بالعشي والإبكار﴾ .

وقال مالك عن زيد بن أسلم(٢٧) : ﴿ **ثلاث ليال سويًا** ﴾ من غير خرس .

وهذا دليل علىٰ أنه لم يكن[١] يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها ﴿ **إلا رمزًا** ﴾ أي : إشارة ؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **فخرج علىٰ قومه من المحراب** ﴾ أي : الذي بشر فيه بالولد ﴿ **فأوحىٰ إليهم** ﴾ أي : أشار إشارة خفية سريعة ﴿ **أن سبحوا بكرة وعشيًا** ﴾ أي : موافقة له [ ][٢] فيما أمر به[٣] في هذه الأيام الثلاثة ، زيادة علىٰ أعماله و[٤] شكرًا لله علىٰ ما أولاه .

قال مجاهد : ﴿ **فأوحىٰ إليهم** ﴾ أي : أشار . وبه قال وهب(٢٨) ، وقتادة(٢٩) .

وقال مجاهد(٣٠) في رواية عنه : ﴿ **فأوحىٰ إليهم** ﴾ أي : كتب لهم في الأرض . وكذا قال السدي(٣١) .

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

وهذا أيضًا تضمن محذوفًا تقديره : أنه وجد هذا الغلام[٥] المبشر به ، وهو : يحيىٰ عليه السلام ، وأن الله علمه الكتاب ، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والأحبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيرًا ، فلهذا نوه بذكره ، وبما أنعم به[٦] عليه وعلىٰ والديه ، فقال : ﴿ **يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة** ﴾ ،

(٢٧) - أخرجه الطبري (١٦/٥٢) .
(٢٨) - أخرجه الطبري (١٦/٥٣) .
(٢٩) - أخرجه الطبري (١٦/٥٣) .
(٣٠) - أخرجه الطبري (١٦/٥٤) .
(٣١) - أخرجه الطبري (١٦/٥٤) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أي » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « الكلام » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

أي[١] : تعلم الكتاب ﴿ **بقوة** ﴾ ، أي : بجد ، وحرص ، واجتهاد ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًا** ﴾ أي : الفهم والعلم ، والجد والعزم ، والإقبال على الخير ، والإكباب عليه ، والاجتهاد فيه ، وهو صغير حدث .

قال عبد الله بن المبارك : قال معمر(٣٢) : قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب . قال : ما للعب خلقنا[٢] . قال فلهذا أنزل الله : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٣) : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ يقول : ورحمة من عندنا . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك(٣٤) . وزاد : لا يقدر عليها غيرنا . وزاد قتادة(٣٥) : رحم بها زكريا .

و[٣]قال مجاهد(٣٦) : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ : وتعطفًا من ربه عليه .

وقال عكرمة(٣٧) : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ [قال : محبة عليه . وقال ابن زيد(٣٨) : أما الحنان فالمحبة . وقال عطاء بن أبي رباح(٣٩) ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾][٤] قال : تعظيمًا من لدنا .

وقال ابن جريج(٤٠)[٥] : أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس قال : لا والله ، لا[٦] أدري ما ﴿ **حنانًا** ﴾ .

---

(٣٢) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) ، وزاد السيوطي نسبته (٤٧٠/٤) إلى أحمد في الزهد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي وابن عساكر .

(٣٣) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) ، وزاد السيوطي نسبته (٤٧١/٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٤) - أخرجه عنهم الطبري (٥٥/١٦) .

(٣٥) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) .

(٣٦) - أخرجه الطبري (٥٥/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧١/٤) إلى عبد بن حميد .

(٣٧) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

(٣٨) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

(٣٩) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

(٤٠) - أخرجه الطبري (٥٦/١٦) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ت : « خلقت » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « جرير » .

[٦] - في ت : « ما » .

وقال ابن جرير(٤١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، سألت سعيد بن جبير ، عن قوله : ﴿ **وحنانًا من لدنا** ﴾ فقال : سألت عنها ابن عباس فلم يُحر(*)[١] فيها شيئًا ، والظاهر من هذا السياق أن : ﴿ **وحنانًا** ﴾ معطوف علىٰ قوله : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيًا** ﴾ أي[٢] : وآتيناه الحكم وحنانًا ، وزكاة ، أي : وجعلناه ذا حنان وزكاة . فالحنان : هو المحبة في شفقة وميل ، كما تقول العرب : حنت الناقة علىٰ ولدها ، وحنت المرأة علىٰ زوجها ، ومنه سميت المرأة حَنّة من الحنَّة ، وحنَّ الرجلُ إلى وطنِه ، ومنه التعطُّف والرحمة . كما قال الشاعر :

تَحَنَّنْ[٣] عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ ... فإن لكُلّ مقام مقالا

وفي المسند للإمام أحمد(٤٢) عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يبقىٰ رجل في النار ينادي ألف سنة : ياحنان يامنان** » .

وقد يثنىٰ ، ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها . كما قال طرفة .

أبا منذرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ[٤] بَعْض الشَّرِّ أَهْوَنُ من بَعض

وقوله : ﴿**وزكاة**﴾ معطوف علىٰ ﴿**وحنانًا**﴾ ، فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب .

وقال قتادة : الزكاة العمل الصالح .

وقال الضحاك ، وابن جريج : العمل الصالح الزكي .

---

(٤١) - لم أجده عند ابن جرير بهذا اللفظ ، لكن ذكره السيوطي (٤٧١/٤) ، وعزاه إليه .

(٤٢) - المسند (٢٣٠/٣) (١٣٤٣٥) ، قال : ثنا حسن بن موسى ، ثنا سلام - يعني ابن مسكين - عن أبي ظلال ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن عبدًا في جهنم ، لينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ، قال : فيقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام : اذهب فائتني بعبدي هذا ، فينطلق جبريل ، فيجد أهل النار مكبين يبكون ، فيرجع إلى ربه ، فيخبره ، فيقول : ائتني به ، فإنه في مكان كذا وكذا ، فيجيء به ، فيوقفه على ربه عز وجل ، فيقول له : يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك ، فيقول : أي رب شر مكان ، وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدي ، فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها ، فيقول : دعوا عبدي** » . سلام بن مسكين ، قال أحمد : ثقة ، كثير الحديث . وأبو ظلال ، اسمه هلال بن أبي هلال القسملي ، أو ابن أبي مالك ، وهو ابن ميمون ، وقيل غير ذلك في اسم أبيه ، مشهور بكنيته ، قال ابن معين : أبو ظلال ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان =

(*) أي : لم يردَّ جوابًا .

[١] - في خ : « يجد » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « تعطف » .

[٤] - في ز ، خ : « حنانك » .

وقال العوفي عن ابن عباس(٤٣) : ﴿ وزكاة وكان تقيًا ﴾ : طهر فلم يعمل بذنب .

وقوله : ﴿ وبرًا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًا ﴾ لما ذكر تعالىٰ طاعته لربه ، وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى ، عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ، ومجانبته عقوقهما قولًا وفعلًا [أمرًا][١] ونهيًا ؛ ولهذا قال : ﴿ ولم يكن جبارًا عصيًا ﴾ ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له علىٰ ذلك : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا ﴾ أي : له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال .

وقال سفيان بن عيينة : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد ، فيرىٰ نفسه خارجًا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرىٰ قومًا لم يكن عاينهم ، ويوم يبعث فيرىٰ نفسه في محشر عظيم . قال : فأكرم الله فيها يحيىٰ بن زكريا ، فخصه بالسلام عليه ، فقال : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا ﴾ . رواه ابن جرير(٤٤) عن أحمد بن منصور المروزي[٢] عن صدقة بن الفضل عنه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة(٤٥) في قوله : ﴿ جبارًا عصيًا ﴾ قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من أحد يلقىٰ الله يوم القيامة إلا ذا ذنب ، إلا يحيىٰ بن زكريا** » . قال قتادة(٤٦) [عن الحسن قال : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : «](*) **ما أذنب ولا هَمَّ بامرأة**[٣] . مرسل .

وقال محمد بن إسحاق(٤٧) : عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : حدثني ابن العاص ، أنه سمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [ ][٤] قال : « **كل بني آدم يأتي**

= مغفلاً يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . وفي التقريب ضعيف - روى له البخاري تعليقًا ، وأبو داود .

(٤٣) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) .

(٤٤) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨ ، ٥٩) .

(٤٥) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) ، وعزاه السيوطي (٤/٤٧١) إلى عبد الرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤٦) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) .

(٤٧) - أخرجه الطبري (١٦/٥٨) ، والحاكم (٢/٣٧٣) ، وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وزاد الحاكم : ثم دلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يده إلى الأرض فأخذ عودًا صغيرًا =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في ز : « المروذي » .

(*) ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . وأثبتناه من تفسير عبد الرزاق .

[٣] - في ز : « بامرٍ » ، خ : « أمر » . [٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه » .

يوم القيامة وله ذنب ، إلا ما كان من يحيىٰ بن زكريا » . ابن إسحاق هذا مدلس ، وقد عنعن هذا الحديث ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا عليّ بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **مامن أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ ، أو هَمَّ بخطيئة ، ليس يحيىٰ بن زكريا ، وما ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متىٰ** » . وهذا أيضًا ضعيف ؛ لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة ، والله أعلم .

وقال سعيد بن أبي عروبة[١] ، عن قتادة : أن الحسن[٢](٤٩) قال : إن يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام التقيا ، فقال له عيسىٰ : استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر : استغفر لي فأنت خير مني . فقال له عيسىٰ : أنت خير مني ؛ سلمت علىٰ نفسي وسلم الله عليك . فعُرِفَ والله فضلهما[٣] .

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾

= ثم قال : « وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود ، ولذلك سماه الله سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين » .

(٤٨) - أخرجه أحمد (١/٢٥٤ - ٢٩١ ، ٢٩٢ - ٢٩٥ - ٣٠١ - ٣٢٠) ولم يُذكر يونس بن متى في المصادر الثلاثة الأخيرة .

(٤٩) - أخرجه الطبري (١٦/٥٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٣) ، وعزاه إلى عبد الرزاق وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

[١] - في خ : « عروة به » .

[٢] - في ت : « حسنًا » .

[٣] - في ز ، خ : « فضلها » .

لما ذكر تعالىٰ قصة زكريا - عليه السلام - وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدًا زكيًا طاهرًا مباركًا ، عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسىٰ - عليهما السلام - منها من غير أب ، فإن بين القصتين[١] مناسبة ومشابهة ، ولهذا ذكرهما في آل عمران وهاهنا ، وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين[٢] ؛ لتقارب ما بينهما في المعنىٰ ؛ ليدل عباده علىٰ قدرته وعظمة سلطانه ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، فقال : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم** ﴾ وهي : مريم بنت عمران ، من سلالة داود - عليه السلام - وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالىٰ قصة ولادة أمها لها في سورة[٣] آل عمران ، وأنها نذرتها[٤] محررة ، أي : تخدم مسجد[٥] بيت المقدس ، وكانوا يتقربون بذلك[٦] ﴿ **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا** ﴾ ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة ، فكانت إحدىٰ العابدات الناسكات ، المشهورات بالعبادة العظيمة ، والتبتل والدءوب ، وكانت في كفالة زوج أختها - وقيل : خالتها - زكريا ، نبي بني إسرائيل إذ ذاك ، وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم ، ورأىٰ لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره ؛ ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنّىٰ لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ فذكر أنه كان يجد عندها ثمر[٧] الشتاء في الصيف ، وثمر[٨] الصيف في الشتاء ، كما تقدم بيانه[٩] في سورة[١٠] آل عمران ، فلمّا أراد الله تعالىٰ - وله الحكمة والحجة البالغة - أن يوجد منها عبده ورسوله عيسىٰ - عليه السلام - أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام ﴿ **انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ أي : اعتزلتهم وتنحت عنهم ، وذهبت إلىٰ شرق[١١] المسجد المقدس .

قال السدي : لحيض أصابها . وقيل : لغير ذلك ، قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس(٥٠) قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلىٰ البيت والحج إليه ، وما صرفهم عنه إلا قيل ربك : ﴿ **فانتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ قال : خرجت مريم مكانًا شرقيًا ، فصلوا قبل مطلع الشمس . رواه ابن أبي(٥١) حاتم ، وابن

(٥٠) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٤٧٧) .

[١] - في ز ، خ : « القضيتين » .
[٢] - في ز ، خ : « القضيتين » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « ولدتها » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « ذلك » .
[٧] - في ز ، خ : « ثمرة » .
[٨] - في ز ، خ : « وثمرة » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في خ : « شرقي » .

جرير[٥٢] .

وقال ابن جرير[٥٣] أيضًا : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس قال : إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارىٰ المشرق قبلة ؛ لقول الله تعالىٰ : ﴿ **فانتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ واتخذوا ميلاد عيسىٰ قبلة .

وقال قتادة[٥٤] : ﴿ **مكانًا شرقيًا** ﴾ شاسعًا متنحيًا .

وقال محمد بن إسحاق : ذهبت بقلتها [تستقي من][١] الماء .

وقال نوف البكالي : اتخذت لها منزلًا تتعبد فيه ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **فاتخذت من دونهم حجابًا** ﴾ أي : استترت منهم وتوارت ، فأرسل الله تعالىٰ إليها جبريل - عليه السلام - ﴿ **فتمثل لها بشرًا سويًا** ﴾ أي : علىٰ صورة إنسان تام كامل .

قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة[٥٥] ، وابن جريج[٥٦] ، ووهب بن منبه[٥٧] ، والسدي[٥٨] في قوله[٢] : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا** ﴾ يعني : جبريل عليه السلام .

وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن ؛ فإنه تعالىٰ قد قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب[٥٩] قال : إن روح عيسىٰ - عليه السلام - من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم -

(٥٢) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥٣) - أخرجه الطبري (١٦/٥٩) .

(٥٤) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٦ ، ٤٧٧) وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وزاد فيه « قبل المشرق » .

(٥٥) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٠) إلى ابن أبي حاتم .

(٥٦) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥٧) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) .

(٥٨) - أخرجه الطبري (١٦/٦٠) بنحوه .

(٥٩) - أخرجه الحاكم (٢/٣٧٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

[١] - ما بين المعكوفين في ت : « لتستقي » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

عليه السلام - وهو الذي تمثل لها بشرًا سويًّا . أي : روح عيسىٰ ، فحملت الذي خاطبها ، وحَلَّ في[١] فيها . وهذا في غاية الغرابة والنكارة ، وكأنه إسرائيلي .

﴿ **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا** ﴾ أي : لما تبدى لها الملك في صورة بشر ، وهي[٢] في مكان منفرد ، وبينها وبين قومها حجاب خافته ، وظنت أنه يريدها علىٰ نفسها ، فقالت : ﴿ **إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا** ﴾ أي : إن كنت تخاف اللَّه ، تذكيرًا له باللَّه ، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل ، فخوفته أولًا بالله عز وجل .

قال ابن جرير : حدثني أبو كريب ، حدثنا أبو بكر عن عاصم قال : قال أبو وائل(٦٠) - وذكر قصة مريم - فقال : قد علمت أن التقي ذو نهية حين قالت : ﴿ **إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا قال إنَّما أنا رسول ربك** ﴾ .

أي : فقال لها الملك مجيبًا لها ومزيلًا ما حصل عندها من الخوف علىٰ نفسها : لست مما تظنين ، ولكني رسول ربك ، أي : بعثني اللَّه إليك ، ويقال : إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقًا ، وعاد إلىٰ هيئته ، وقال : (**إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلامًا زكيًا**) .

[هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء(*) . وقرأ الآخرون(**) : ﴿ **لأهب لك غلامًا زكيًا** ﴾][٣] وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنىٰ صحيح ، وكل تستلزم الأخرىٰ .

﴿ **قالت أنَّى يكون لي غلام** ﴾ أي[٤] : فتعجبت مريم من هذا ، وقالت : كيف يكون لي غلام ، أي : علىٰ أي صفة يوجد هذا الغلام مني ، ولست بذات زوج ، ولا يتصور مني الفجور ؛ ولهذا قالت[٥] : ﴿ **ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا** ﴾ والبَغِيُّ : هي الزانية ؛ ولهذا جاء في الحديث نهىٰ[٦] عن مهر البغي ﴿ **قال كذلك قال ربك هو عليّ هين** ﴾ أي : فقال لها الملك مجيبًا لها عما سألت : إن اللَّه قد قال : إنه سيوجد منك غلامًا ، وإن لم يكن لك بعل ، ولا توجد منك فاحشة ، فإنه علىٰ ما يشاء قادر ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولنجعله آية**

(٦٠) - أخرجه الطبري (١٦/٦١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « هو » .

(*)وهي كذلك قراءة نافع في رواية ورش ، والحلواني عن قالون .

(**) وهم : عبد اللَّه بن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « قال » .

[٦] - في ت : « النهى » .

للناس﴾ أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوع[١] في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية، الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فلا إله غيره ولا رب سواه.

وقوله: ﴿ورحمة منّا﴾ أي: ونجعل هذا الغلام - رحمة من الله - نبيًّا من الأنبياء، يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين**﴾ أي: يدعوا إلى عبادة الله ربه في مهده وكهولته.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم - دُحَيْم -[٢] حدثنا مروان، حدثنا العلاء بن الحارث الكوفي، عن مجاهد(٦١) قال: قالت مريم - عليها السلام -: كنت إذا خلوت حدثني عيسى، وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر.

وقوله: ﴿وكان أمرًا مقضيًّا﴾ يحتمل أن هذا من [تمام][٣] كلام جبريل لمريم، يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدرته ومشيئته، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد[٤]، صلى الله عليه وسلم، وأنه كنى بهذا عن النفخ في فرجها، كما قال تعالى: ﴿**ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**﴾ وقال: ﴿**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا**﴾. قال محمد بن إسحاق(٦٢): ﴿**وكان أمرًا مقضيًّا**﴾ أي: إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد. واختار هذا [ ][٥] ابن جرير في تفسيره، ولم يحك غيره، والله أعلم.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

(٦١) - أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو نعيم، كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٧٩).
(٦٢) - أخرجه الطبري (١٦/٦٢).

[١] - في ز، خ: «تنوع».
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت: أيضًا.

يقول تعالىٰ مخبرًا عن مريم : إنها لما قال لها جبريل عن اللّٰه تعالىٰ ما قال ، أنها استسلمت لقضاء اللّٰه تعالىٰ ، فذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل - عليه السلام - عند ذلك ، نفخ في جيب درعها ، فنزلت النفخة حتىٰ ولجت في الفرج ، فحملت بالولد بإذن اللّٰه تعالىٰ ، فلما حملت [به][١] ضاقت ذرعًا ، [به][٢] ولم تدر ماذا تقول للناس ، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به ، غير أنها أفشت سرها[٣] ، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا عليه السلام ، وذلك أن زكريا - عليه السلام - كان قد سأل اللّٰه الولد فأجيب إلىٰ ذلك ، فحملت امرأته ، فدخلت عليها مريم ، فقامت إليها فاعتنقتها ، وقالت أشعرت يا مريم أني حبلىٰ ؟ فقالت لها مريم : وهل علمت أيضًا أني حبلىٰ . وذكرت لها شأنها ، وما كان من خبرها ، وكانوا بيت إيمان وتصديق ، ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم ، تجد الذي في جوفها[٤] يسجد للذي في بطن مريم ، أي : يعظمه ويخضع له ، فإن السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعًا ، كما سجد ليوسف أبواه[٥] وإخوته ، وكما أمر اللّٰه الملائكة أن تسجد[٦] لآدم - عليه السلام - ولكن حرم في ملتنا هذه ؛ تكميلًا لتعظيم جلال الرب تبارك وتعالىٰ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين قال : قرئ علىٰ الحارث بن مسكين وأنا أسمع [ ][٧] أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه اللّٰه : بلغني أن عيسىٰ ابن مريم ويحيىٰ بن[٨] زكريا - عليهما السلام - ابنا خالة ، وكان حملهما جميعًا معًا ، فبلغني أن أم يحيىٰ قالت لمريم : إني أرىٰ أن ما في بطني يسجد لما في بطنك . قال مالك : أرىٰ ذلك لتفضيل عيسىٰ - عليه السلام - لأن اللّٰه جعله يُحيي الموتىٰ ويبرئ الأكمه والأبرص .

ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسىٰ - عليه السلام - فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر ، و[٩] قال عكرمة : ثمانية أشهر قال : ولهذا لا يعيش ولد لثمانية أشهر .

وقال ابن جريج : أخبرني المغيرة [بن عثمان][١٠] بن عبد اللّٰه الثقفي ، سمع ابن

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « بطنها » .
[٥] - في ز ، خ : « أباه » .
[٦] - في ت : « يسجدوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قال » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « عن غنية » .

عباس ، وسئل عن حَبَل[١] مريم ؟ قال : لم يكن إلا أن حملت فوضعت[٢] .

وهذا غريب ، وكأنه[٣] [أخذه][٤] من ظاهر قوله تعالىٰ : ﴿ **فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا فأجاءها المخاض إلىٰ جذع النخلة** ﴾ فالفاء وإن كانت للتعقيب ، لكن تعقيب كل شيء بحسبه ، كقوله[٥] تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا** ﴾ فهذه الفاء للتعقيب بحسبها .

وقد ثبت في الصحيحين(٦٣) أن بين كل صفتين أربعين يومًا ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن اللَّه أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ فالمشهور الظاهر - واللَّه علىٰ كل شيء قدير - : أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل ، عليها[٦] وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها ، يخدم معها البيت المقدس ، يقال له : يوسف النجار ، فلما رأىٰ ثقل بطنها وكبره ، أنكر ذلك من أمرها ، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ، ودينها وعبادتها ، ثم تأمّل ما هي فيه ، فجعل أمرها يجوس في فكره ، لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه علىٰ أن عَرَّضَ لها في القول ، فقال : يا مريم ، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي عليّ . قالت : وما هو ؟ قال : هل يكون قط شجر من غير حب ، وهل يكون زرع من غير بذر ، وهل يكون ولد من غير أب ؟ فقالت : نعم - وفَهِمَتْ ما أشار إليه - أما[٧] قولك : هل يكون شجر من غير حب ، وزرع من غير بذر : فإن اللَّه قد[٨] خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ، ولا بذر ، و[هل خلقٌ يكون][٩] من غير أب : فإن اللَّه تعالىٰ قد خلق آدم من غير أب ولا أم . فصدقها وسلم لها حالها .

(٦٣) - أخرجه البخاري في كتاب : « بدء الخلق » ، باب : ذكر الملائكة حديث (٣٢٠٨) (٦/٣٠٣) وأطرافه في (٣٣٣٢ - ٦٥٩٤ - ٧٤٥٤) . ومسلم في كتاب : القدر ، حديث (٢٦٤٣/١) (١٦/٢٩٢) وما بعدها ، من حديث ابن عباس بلفظ « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اللَّه ملكًا يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ، ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة » . واللفظ للبخاري .

[١] - في ت : « حمل » .
[٢] - في ز ، خ : « وضعت » .
[٣] - في خ : « وكأن » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : مأخوذ .
[٥] - في خ : « كما قال » .
[٦] - في ت : « بها » .
[٧] - في ز ، خ : « إنما » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « هل يكون ولد » .

ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة ، انتبذت منهم (مكانًا قصيًّا) ، أي : قاصيًا منهم بعيدًا عنهم ؛ لئلا تراهم ولا يروها .

قال محمد بن إسحاق : فلما حملت به ، وملأت قلتها ورجعت ، استمسك عنها الدم ، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد ؛ من الوصب(*) والتوحم[١] وتغير اللون ، حتى فطر لسانها ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا ، وشاع الحديث في بني إسرائيل ، فقالوا : إنما صاحبها يوسف ، ولم يكن معها[٢] في الكنيسة غيره ، وتوارت من الناس ، واتخذت من دونهم حجابًا ، فلا يراها أحد ولا تراه .

وقوله : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ [أي : فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة][٣] [وهي][٤] نخلة في المكان الذي تَنَحَّتْ إليه .

وقد اختلفوا فيه، فقال السدي[٥](٦٤) : كان شرقيَّ محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس .

وقال وهب بن منبه(٦٥) : ذهبت هاربة ، فلما كانت بين الشام ، وبلاد مصر ضربها الطلق .

وفي رواية عن وهب(٦٦) كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس، في قرية هناك يقال لها « بيت لحم » .

قلت : وقد تقدم في أحاديث الإسراء ؛ من رواية النسائي عن أنس(٦٧) -رضي الله

---

(٦٤) - أخرجه الطبري (٦٣/١٦) بنحوه .

(٦٥) - أخرجه الطبري (٦٤/١٦) .

(٦٦) - أخرجه الطبري (٦٥/١٦) .

(٦٧) - أخرجه النسائي (٢٢٢/١) كتاب الصلاة ، باب : فرض الصلاة ، وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - واختلاف ألفاظهم فيه ، وطرفه « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل ... » الحديث ، وقد تقدم في أول الإسراء .

(*) الوصب : الوجع والتعب .

[١] - في ت : « الترحم » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٥] - في ت : « الأسدي » .

عنه - والبيهقي عن شداد بن أوس(٦٨) - رضي الله عنه - أن ذلك ببيت لحم ، فالله أعلم .

وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ، ولا تشك فيه النصارىٰ : أنه ببيت لحم ، وقد[١] تلقاه الناس ، وقد ورد به الحديث إن صح .

وقوله تعالىٰ إخبارًا عنها : ﴿ **قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ - فيه دليل علىٰ جواز تمني الموت عند الفتنة ، فإنها عرفت أنها ستبتلىٰ وتمتحن بهذا المولود ، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه علىٰ السداد ، ولا يصدقونها في خبرها ، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة ، تصبح عندهم - فيما يظنون - عاهرة زانية ، فقالت : ﴿ **يا ليتني مت قبل هذا** ﴾ أي : قبل هذا الحال ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ أي : لم أخلق ولم أك شيئًا . قاله ابن عباس(٦٩) .

وقال السدي(٧٠) : قالت وهي تطلق من الحبَل استحياء من الناس : ياليتني مت قبل هذا الكرب ، الذي أنا فيه ، والحزن بولادتي المولود من غير بعل . ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ نُسي فترك طلبه ، كخرق الحيض [التي][٢] إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر[٣] . وكذلك[٤] كل شيء نسي وترك فهو نَسْيٌ . وقال قتادة : ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ أي : شيئًا لا يعرف[٥] ولا يذكر ولا يدرىٰ من أنا .

وقال الربيع بن أنس(٧١) : ﴿ **وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ : وهو السقط .

وقال ابن زيد(٧٢) : لم أكن شيئًا قط .

وقد قدمنا الأحاديث الدالة علىٰ النهي عن تمني الموت إلا عند الفتنة ، عند قوله :

---

(٦٨) - أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣٥٦/٢) . وطرفه : « قلنا : يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف أسرى بك ؟ قال : صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة » الحديث وقد تقدم بتمامه في سورة الإسراء .

(٦٩) - أخرجه الطبري (٦٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨١/٤) وعزاه إلى ابن المنذر.

(٧٠) - أخرجه الطبري (٦٦/١٦) .

(٧١) - أخرجه الطبري (٦٧/١٦) ، وعزاه السيوطي (٤٨٢/٤) إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٧٢) - أخرجه الطبري (٦٧/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ز ، خ : « يتذكر » .

[٤] - في ز ، خ : « ولذلك قال » .

[٥] - سقط من : خ .

﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

قرأ بعضهم[*] : (مَنْ تَحْتَهَا) بمعنىٰ الذي تحتها . وقرأ آخرون : ﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ على أنه حرف جر .

واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو ؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس[٧٣] : ﴿ فناداها من تحتها ﴾ جبريل ، ولم يتكلم عيسىٰ حتىٰ أتت به قومها . وكذا قال سعيد بن جبير[٧٤] والضحاك[٧٥] ، وعمرو بن ميمون[٧٦] والسدي[٧٧] وقتادة[٧٨] : إنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام ، أي : ناداها من أسفل الوادي .

وقال مجاهد[٧٩] : ﴿ فناداها من تحتها ﴾ قال : عيسىٰ ابن مريم . وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة[٨٠] قال : قال الحسن[٨١] : هو ابنها . وهو إحدىٰ الروايتين عن سعيد بن

(٧٣) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .
(٧٤) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٢/٤) .
(٧٥) - أخرجه الطبري (٦٧/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد .
(٧٦) - أخرجه الطبري (٦٧/١٦ - ٦٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد .
(٧٧) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .
(٧٨) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .
(٧٩) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
(٨٠) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) .
(٨١) - أخرجه الطبري (٦٨/١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٤) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(*) هذه قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وقراءة كسر ميم « مِن تحتها » قراءة نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم .

جبير(٨٢) أنه ابنها ، قال : أو لم تسمع اللّه يقول : ﴿ **فأشارت إليه** ﴾ ؟ واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره .

وقوله : ﴿ **أن لا تحزني** ﴾ أي : ناداها قائلًا : لا تحزني . ﴿ **قد جعل ربك تحتك سريًا** ﴾ [قال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب(٨٣) : ﴿ **قد جعل ربك تحتك سريًا** ﴾][١] قال : الجدول . وكذا قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٨٤) : السريُّ : النهر . وبه قال عمرو بن ميمون(٨٥) : نهر تشرب منه .

وقال مجاهد(٨٦) : هو النهر بالسريانية .

وقال سعيد بن جبير(٨٧) : السري : النهر الصغير بالنبطية .

وقال الضحاك(٨٨) : هو النهر الصغير بالسريانية .

وقال إبراهيم النخعي(٨٩) : هو النهر الصغير .

وقال قتادة(٩٠) : هو الجدول بلغة أهل الحجاز .

وقال [وهب بن منبه][٢](٩١) : السري هو ربيع الماء .

---

(٨٢) - أخرجه الطبري (١٦/٦٨) .

(٨٣) - أخرجه الطبري (١٦/٦٩) والحاكم (٢/٣٧٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٥٤) ، وقال : رواه الطبراني في الصغير وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف .

(٨٤) - أخرجه الطبري (١٦/٦٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٣) وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر بنحوه .

(٨٥) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٣) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨٦) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٣) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٧) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٣) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٨٨) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٣) بنحوه ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨٩) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٣) وعزاه إلى عبد بن حميد بنحوه .

(٩٠) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) .

(٩١) - أخرجه الطبري (١٦/٧٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « قتادة » .

وقال السدي(٩٢) : هو النهر . واختار هذا القول ابن جرير ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع ؛ فقال الطبراني(٩٣) : حدثنا أبو شعيب الحراني ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الله البابلتي[١] ، حدثنا أيوب بن نهيك ، سمعت عكرمة مولىٰ ابن عباس ، [يقول][٢] : [سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] يقول : « **إن السري الذي قال الله لمريم : ﴿ قد جعل ربك تحتك سريًا ﴾** نهر أخرجه الله لتشرب[٤] منه » . وهذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه ، وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي[٥] ، قال فيه أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث . وقال أبو الفتح الأزدي : متروك الحديث .

وقال آخرون : المراد بالسري عيسىٰ - عليه السلام - وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر ، وهو إحدىٰ الروايتين عن قتادة(٩٤) ، وقول عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم(٩٥) ، والقول الأول أظهر ؛ ولهذا قال بعده : **﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾** أي : وخذي إليك بجذع النخلة ، قيل : كانت يابسة . قاله ابن عباس(٩٦) . وقيل : مثمرة .

قال مجاهد(٩٧) : كانت عجوة . وقال الثوري عن أبي داود[٦] نفيع الأعمىٰ : كانت صرفانة(*)[٧] . والظاهر أنها كانت شجرة ، ولكن لم [تكن في إبان][٨] ثمرها ، قاله وهب

(٩٢) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) .

(٩٣) - أخرجه الطبراني (٣٤٦/١٢) حديث (١٣٣٠٣) .
قال الهيثمي في المجمع (٥٨/٧) : رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف .

(٩٤) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن عساكر .

(٩٥) - أخرجه الطبري (٧٠/١٦) .

(٩٦) - أخرجه الطبري (٧١/١٦) .

(٩٧) - أخرجه الطبري (٧٢/١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري في المصاحف .

---

[١] - في ت : « البابلي » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في خ : « تشرب » .

[٥] - في ت : « الحبلي » .

[٦] - في ز ، خ : « الأسود » .

[٧] - في ز ، خ : « صوفانه » .

(*) الصَّرَفان : ضَرْبٌ من أجود التمر وأوزنه .

[٨] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « بيأن » .

ابن منبه ، ولهذا امتن عليها بذلك ، أن[١] جعل عندها طعامًا وشرابًا فقال : ﴿ **تساقط عليك رطبا جنيًا * فكلي واشربي وقري عينًا** ﴾ أي : طيبي نفسًا ؛ ولهذا قال عمرو[٢] بن ميمون(٩٨) : ما من شيء خير للنفساء[٣] من التمر والرطب . و[٤] تلا هذه الآية الكريمة.

و[٥] قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا شيبان ، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، عن عروة بن رويم ، عن علي بن أبي طالب(٩٩) قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أكرموا عمتكم النخلة ؛ فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام ، وليس من الشجر شيء يلقح غيرها** ».

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أطعموا نساءكم الولَدَ : الرُّطَبَ ، فإن لم يكن رطب فتمر ، وليس من الشجر[٦] شجرة أكرم علىٰ الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران** » . هذا حديث منكر جدًا ، ورواه أبو يعلىٰ(١٠٠) عن شيبان ، به .

وقرأ بعضهم(*) [قوله][٧] : ﴿ **تساقط** ﴾ بتشديد السين ، وآخرون بتخفيفها(**) ، وقرأ أبو نهيك : ﴿ **تسقط عليك رطبًا جنيًا** ﴾ وروىٰ أبو إسحاق عن البراء أنه قرأها : ﴿ **يسّاقط**[٨] ﴾ أي : الجذع . والكل متقارب .

---

(٩٨) - أخرجه الطبري (٧٢/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٤/٤ ، ٤٨٥) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٩٩) - أخرجه أبو يعلى (٣٥٣/١) حديث (٤٥٥) . وأبو نعيم في الحلية (١٢٣/٦) . والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٥٦/٤) . وابن عدي في الكامل (٢٤٢٤/٦) . والباغندي . كلهم من طريق مسروق بن سعيد التيمى عن عبد الرحمن الأوزاعى عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب ، به .
قال ابن عدي : هذا حديث عن الأوزاعي منكر ، وعروة بن رويم عن علي ليس بالمتصل ، ومسروق بن سعيد غير معروف ، لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث .
وأعله العقيلي بمسروق بن سعيد .
وقال الألباني في الضعيفة (٢٦٣) : موضوع .

(١٠٠) - أخرجه أبو يعلى (٣٥٣/١) حديث (٤٥٥) وانظر السابق .

---

[١] - في ت : « بأن » .
[٢] - في ز ، خ : « عمر » .
[٣] - في ز ، خ : « للنساء » .
[٤] - في ت : « ثم » .
[٥] - في خ : « ولهذا » .
[٦] - في ت : « الشجرة » .
(*) وهم : عبد الله بن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي .
[٧] - سقط من : ت .
(**) وهو حمزة . وعن عاصم مثلُ القراءتين .
[٨] - في ز ، خ : « تتساقط » .

وقوله : ﴿ **فإما ترين من البشر أحدًا** ﴾ أي : مهما رأيت من أحد ﴿ **فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا** ﴾ المراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك ؛ لأن المراد به القول اللفظي ؛ لئلا ينافي ﴿ **فلن أكلم اليوم إنسيًا** ﴾ .

قال أنس بن مالك(١٠١) في قوله : ﴿ **إني نذرت للرحمن صومًا** ﴾ أي[١] : صمتًا . وكذا قال ابن عباس(١٠٢) والضحاك(١٠٣) ، وفي رواية عن أنس(١٠٤) : صومًا وصمتًا ، وكذا قال قتادة وغيرهما . والمراد : أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد(١٠٥) .

قال [أبو إسحاق][٢] ، عن حارثة[٣] قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ قال أصحابه : حلف ألَّا يكلم الناس اليوم . فقال عبد الله بن مسعود : كلم الناس وَسلِّمْ عليهم ، فإنما تلك امرأة علمت أن أحدًا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج - يعني بذلك : مريم عليها السلام - ليكون عذرًا لها إذا سئلت . رواه ابن أبي حاتم(١٠٦) وابن جرير(١٠٧) رحمهما الله .

وقال عبد الرحمن بن زيد(١٠٨) : لما قال عيسىٰ لمريم : ﴿ **لا تحزني** ﴾ قالت : وكيف لا أحزن وأنت معي ، لا ذات زوج ولا مملوكة ، أي شيء عذري عند الناس ؟ ﴿ **ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا** ﴾ قال لها عيسىٰ : أنا أكفيك الكلام ﴿ **فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا** ﴾ قال : هذا كله من كلام عيسىٰ لأمه . وكذا قال وهب(١٠٩) .

---

(١٠١) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٥/٤) وعزاه إلى الفريابي وعبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه .

(١٠٢) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٥/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن الأنباري .

(١٠٣) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) .

(١٠٤) - أخرجه الطبري (٧٤/١٦) .

(١٠٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٥/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(١٠٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٥/٤) .

(١٠٧) - أخرجه الطبري (٧٥/١٦) .

(١٠٨) - أخرجه الطبري (٧٥/١٦) .

(١٠٩) - أخرجه الطبري (٧٥/١٦) بنحوه .

---

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن » .

[٣] - في ز ، خ : « جارية » .

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ
هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا
دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ
وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك ، وألّا تكلم أحدًا من البشر ، فإنها ستكفىٰ أمرها ، ويقام بحجتها ، فسلمت لأمر الله عز وجل ، واستسلمت لقضائه ، وأخذت[١] ولدها ﴿ **فأتت به قومها تحمله** ﴾ فلما رأوها كذلك أعظموا[٢] أمرها ، واستنكروه جدًّا ، و﴿ **قالوا يامريم لقد جئت شيئًا فريًّا** ﴾ أي : أمرًا عظيمًا . قاله مجاهد(١١٠) وقتادة(١١١) والسدي(١١٢) وغير واحد .

وقال ابن أبي حاتم(١١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن [ ][٣] سليمان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن نوف البكالي ، قال : وخرج قومها في طلبها . وكانت من أهل بيت نبوة وشرف ، فلم يحسوا منها شيئًا ، فرأوا[٤] راعي بقر ، فقالوا : أرأيت فتاة كذا وكذا نعتها[٥] . قال : لا ، ولكني رأيت الليلة من بقري

(١١٠) - أخرجه الطبري (٧٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(١١١) - أخرجه الطبري (٧٧/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٦/٤) وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(١١٢) - أخرجه الطبري (٧٧/١٦) .

(١١٣) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧٩/٤ ، ٤٨٠) ، وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد في حديث طويل بنحوه .

[١] - في ت : « فأخذت » .
[٢] - في خ : « أعلموا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أبي » .
[٤] - في ت : فلقوا .
[٥] - في ز ، خ : « بعينها » .

ما لم أره منها قط . قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتها الليلة[١] سُجَّدًا[٢] نحو هذا الوادي . قال عبد الله بن زياد : وأحفظ عن سيار أنه قال : رأيت نورًا ساطعًا . فتوجهوا حيث قال لهم ، فاستقبلتهم مريم ، فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها ، فجاءوا حتىٰ قاموا عليها وقالوا: ﴿ **يامريم لقد جئت شيئًا فريًا** ﴾ أمرًا عظيما ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ أي : [يا][٣] شبيهة هارون في العبادة ﴿ **ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا** ﴾ أي : أنت من بيت طيب طاهر ، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة ، فكيف صدر هذا منك ؟ .

قال علي بن أبي طلحة والسدي(١١٤) : قيل لها : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ أي : أخي موسىٰ ، وكانت من قبيلته[٤] ، كما يقال للتميمي : يا أخا تميم ، وللمضري : يا أخا مضر .

وقيل : نسبت إلىٰ رجل صالح كان فيهم اسمه هارون ، فكانت تتأسىٰ[٥] به في الزهادة والعبادة .

وحكى ابن جرير(١١٥) عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجرٍ كان فيهم ، يقال له هارون . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير(١١٦) .

وأغرب من هذا كله ؛ ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين الهسنْجَاني[٦]، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا المفضل[٧] بن فضالة ، حدثنا أبو صخر ، عن القرظي في قول الله عز وجل : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ قال : هي أخت هارون لأبيه وأمه ، وهي أخت موسىٰ أخي هارون التي قصت أثر موسى ﴿ **فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون** ﴾ .

وهذا القول خطأ محض ؛ فإن الله تعالىٰ قد ذكر في كتابه أنه قفىٰ بعيسىٰ بعد الرسل ، فدل علىٰ أنه آخر الأنبياء بعثًا ، وليس بعده إلا محمد ، صلوات الله وسلامه عليهما[٨] ، ولهذا ثبت في [الصحيح عند][٩] البخاري عن أبي هريرة(١١٧) -رضي الله عنه - عن

(١١٤) - أخرجه الطبري (٧٨/١٦) .
(١١٥) - ذكره الطبري (٧٨/١٦) .
(١١٦) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(١١٧) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ حديث (٣٤٤٢) (٤٧٧/٦) وطرفه في (٣٤٤٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « تسجد » .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ت : « نسله » .
[٥] - في ز ، خ : « تقاس » .
[٦] - في خ : « الهنجناني » .
[٧] - في ز ، خ : « الفضل » .
[٨] - في ز ، خ : « عليه » .
[٩] - في ت : « صحيح » .

رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **أنا**[١] **أولىٰ الناس بابن مريم** [ ][٢] ؛ **إلا**[٣] **أنه ليس بيني وبينه نبي** » .

ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي ، لم يكن متأخرًا عن الرسل سوىٰ محمد ، ولكان قبل سليمان وداود ؛ فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسىٰ -عليهما السلام- في قوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الملإ من بني إسرائيل من بعد موسىٰ إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** ﴾ فذكر[٤] القصة إلىٰ أن قال : ﴿ **وقتل داود جالوت ...** ﴾ الآية .

والذي جرَّأ[٥] القرظي علىٰ هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسىٰ وبني إسرائيل من البحر ، وإغراق فرعون وقومه ، قال : وكانت مريم بنت عمران أخت موسىٰ وهارون النبيين[٦] - تضرب بالدفّ هي والنساء معها ، يسبحن الله ويشكرنه علىٰ ما أنعم به علىٰ بني إسرائيل ؛ فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسىٰ ، وهي[٧] هفوة وغلطة شديدة ، بل هي باسم هذه ، وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم ، كما[٨] قال الإمام أحمد(١١٨) :

حدثنا عبد الله بن إدريس ، سمعت أبي يذكر[٩] ، عن سماك ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة قال : بعثني رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ نجران ، فقالوا : أرأيت[١٠] ما تقرءون[١١] ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ وموسىٰ قبل عيسىٰ بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم** » . انفرد بإخراجه مسلم(١١٩) والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن سماك به . وقال الترمذي : حسن صحيح

---

(١١٨) - أخرجه أحمد (٤/٢٥٢) .

(١١٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الآداب ، باب : النهي عن التكني بأبي القاسم ، وبيان ما يستحب من الأسماء حديث (٩/٢١٣٥) (١٤/١٦٥) . والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم ، حديث (٣١٥٥) (٥/٢٩٥) . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ حديث (١١٣١٥) (٦/٣٩٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « إن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لأنا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « وذكر » .
[٥] - في ز ، خ : « حد » .
[٦] - في ز ، خ : « النبيه » .
[٧] - في ت : « وهذه » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ت : « يذكره » .
[١٠] - في ز ، خ : « رأيت » .
[١١] - في ز : « يقولون » ، في خ : « تقولون » .

غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس .

وقال ابن جرير(١٢٠) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين قال : نبئت أن كعبًا قال : إن قوله : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ ليس بهارون أخي موسىٰ . قال : فقالت له عائشة : كذبت . قال : يا أم المؤمنين ، إن كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قاله فهو أعلم وأخبر ، وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتت. وفي هذا التاريخ نظر.

وقال ابن جرير(١٢١) أيضًا : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ **يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًا** ﴾ . قال : كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ، ولا يعرفون بالفساد ، [ومن الناس من يعرفون بالصلاح][١] ويتوالدون به ، [وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به][٢] ، وكان هارون مصلحًا محببًا في عشيرته ، وليس بهارون أخي موسىٰ ، ولكنه هارون آخر . قال : وذكر لنا أنه[٣] شيع جنازته يوم مات أربعون ألفًا ، كلهم يسمىٰ[٤] هارون من بني إسرائيل.

وقوله : ﴿ **فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا** ﴾ أي : إنهم لما استرابوا في أمرها ، واستنكروا[٥] قضيتها ، وقالوا لها ما قالوا ، معرضين بقذفها ، ورميها بالفرية ، وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة ، فأحالت الكلام عليه ، وأشارت لهم إلىٰ خطابه وكلامه ، فقالوا متهكمين بها ، ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم : ﴿ **كيف نكلم من كان في المهد صبيًا** ﴾ .

[قال ميمون بن مهران(١٢٢) : ﴿ **فأشارت إليه** ﴾ قالت : كلِّموه . فقالوا : علىٰ ماجاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيًا !][٦] وقال السدي(١٢٣) : لما أشارت إليه غضبوا ، وقالوا : لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها .

---

(١٢٠) - تفسير الطبري (١٦/٧٧) .

(١٢١) - أخرجه الطبري (١٦/٧٧) .

(١٢٢) - أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٤/٤٨٧) .

(١٢٣) - أخرجه الطبري (١٦/٧٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أن »

[٤] - في ز : « يسمون » .

[٥] - في خ : « فاستنكروا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا﴾ أي : مَنْ هو موجود في مهده ، في حال صباه وصغره ، كيف يتكلم ؟ ﴿ قال إني عبد اللَّه ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالىٰ ، وبرأ الله عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه .

وقوله : ﴿ آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة ، قال نوف البكالي(١٢٤) : لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه ، فنزع الثدي من فمه ، واتكأ علىٰ جنبه الأيسر ، وقال : [﴿ إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ مادمت حيًا ﴾ .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني : رفع أصبعه السبابة فوق منكبه ، وهو يقول][١] : ﴿ إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ الآية .

وقال عكرمة(١٢٥) : ﴿آتاني الكتاب﴾ أي : قضى أن[٢] يؤتني الكتاب فيما مضى[٣] .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٦) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد - [هو العطار][٤] - عن عبد العزيز بن زياد ، عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : كان عيسىٰ ابن مريم قد درس الإنجيل وأحكمه[٥] وهو[٦] في بطن أمه ، فذلك قوله : ﴿ إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ .

يحيى بن سعيد العطار الحمصي ، متروك .

وقوله : ﴿ وجعلني مباركًا أينما كنت ﴾ قال مجاهد(١٢٧) ، وعمرو[٧] بن قيس ،

---

(١٢٤) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٠) وعزاه إلى عبد اللَّه بن أحمد في زوائد الزهد في حديث طويل .

(١٢٥) - أخرجه الطبري (١٦/٨٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٧) وعزاه إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(١٢٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٤٨٧) .

(١٢٧) - أخرجه الطبري (١٦/٨١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٨٧) ، وعزاه إلى عبد اللَّه بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « أنه » .

[٣] - في ت : « قضى » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « وأحكمها » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « عمر » .

والثوري(١٢٨) : وجعلني معلمًا للخير . وفي رواية عن مجاهد(١٢٩) : نفّاعًا .

وقال ابن جرير(١٣٠) : حدثني سليمان بن عبد الجبار ، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنيس[١] المخزومي ، سمعت وهيب بن الوَرْد مولى بني مخزوم قال[٢] : لقي عالم عالمًا هو فوقه في العلم ، فقال له : يرحمك اللَّه ! ما الذي أعلن من عملي ؟ قال : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ فإنه دين اللَّه الذي بعث به[٣] أنبياءه إلىٰ عباده ، وقد أجمع الفقهاء علىٰ قول اللَّه : ﴿ وجعلني مباركًا أينما كنت ﴾ وقيل : ما بركته[٤] ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان .

وقوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيًا ﴾ كقوله تعالىٰ لمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين ﴾ وقال عبد الرحمن بن القاسم ، عن مالك بن أنس في قوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيًا ﴾ قال : أخبره ما[٥] هو كائن من أمره إلىٰ أن يموت . ما أبيَنها لأهل القدر !.

وقوله : ﴿ وبرًا بوالدتي ﴾ أي : و[٦]أمرني ببر والدتي ، ذكره بعد طاعة الله ربه ؛ لأن اللَّه تعالىٰ كثيرًا مايقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾ وقال : ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير ﴾

وقوله : ﴿ ولم يجعلني جبارًا شقيًا ﴾ أي : ولم يجعلني جبارًا مستكبرًا عن عبادته وطاعته ، وبر والدتي ، فأشقىٰ بذلك .

قال[٧] سفيان الثوري(١٣١) : الجبار الشقي : [ ][٨] الذي يقبل على الغضب[٩] .

وقال بعض السلف : لا تجد أحدًا عاقًا لوالديه إلا وجدته جبارًا شقيًا ثم قرأ : ﴿ وبرًا

(١٢٨) - أخرجه الطبري (٨١/١٦) .
(١٢٩) - أخرجه الطبري (٨٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤) وعزاه إلى البيهقي في الشعب ، وابن عساكر .
(١٣٠) - أخرجه الطبري (٨١/١٦) .
(١٣١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « حنيس » ، خ : « حبيس » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « فيه » .
[٤] - في ز ، خ : « تركته » .
[٥] - في ت : « بما » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - بياض في (ز) ، سقط من : خ .
[٨] - ما بين المعكوفين في ت : « هو » .
[٩] - في ز ، خ : « غضب » .

بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا ﴾ ، قال : ولا تجد سيئ[١] الملكة إلا وجدته مختالًا فخورًا ، [ثم قرأ : ﴿ وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا ﴾][٢].

وقال قتادة(١٣٢) : ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتىٰ ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبىٰ للبطن الذي حملك[٣] ، [وطوبىٰ للثدي][٤] الذي أرضعت به . فقال نبي الله عيسىٰ - عليه السلام - مجيبها[٥] : طوبىٰ لمن تلا كتاب[٦] الله ، فاتبع ما فيه ولم يكن جبارًا شقيًا .

وقوله : ﴿ والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا ﴾ إثبات منه لعبوديته لله عز وجل ، وأنه مخلوق من خلق الله ، يحيىٰ ويموت ، ويبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي[٧] هي أشق ما يكون علىٰ العباد ، صلوات الله وسلامه عليه .

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ لرسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : ذلك الذي قصصنا عليك من خبر عيسىٰ - عليه السلام - ﴿ قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ أي : يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به : ولهذا قرأ الأكثرون(*) (قولُ الحق) برفع قول ، وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر ﴿ قولَ الحق ﴾ .

وعن ابن مسعود أنه قرأ : (ذلك عيسى ابن مريم قال الحقَّ) .

والرفع أظهر إعرابًا ، ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾

(١٣٢) - أخرجه الطبري (٨٢/١٦) .

[١] - في خ : « شيء » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « حملتك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « والثدي » .
[٥] - في ت : « يجيبها » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
(*) أصحاب قراءة الرفع هم : ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي .

ولما ذكر تعالىٰ أنه خلقه عبدًا نبيًّا ، نزّه نفسه المقدسة وقال[١] : ﴿ **ما كان للَّه أن يتخذ من ولد سبحانه** ﴾ أي : عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون[٢] المعتدون علوًّا كبيرًا ﴿ **إذا قضىٰ أمرًا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ أي : إذا أراد شيئًا فإنما يأمر به فيصير كما يشاء ، كما قال : ﴿ **إن مثل عيسىٰ عند اللَّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن اللَّه ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ أي : ومما أمر به عيسىٰ قومه وهو[٣] في مهده[٤] ، أن أخبرهم إذ ذاك أن اللَّه ربه وربهم ، وأمرهم بعبادته ، فقال : ﴿ **فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ أي : هذا الذي جئتكم به عن اللَّه صراط مستقيم ، أي: قويم ، من اتبعه رشد وهدي ، ومن خالفه ضل وغوىٰ .

وقوله : ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ أي : اختلفت[٥] أقوال أهل الكتاب في عيسىٰ ، بعد بيان أمره ووضوح حاله ، وأنه عبده ورسوله ، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه ، فصممت طائفة [ ][٦] - وهم جمهور اليهود عليهم لعائن اللَّه ! - علىٰ أنه ولد زنية ، وقالوا : كلامه هذا سحر . وقالت طائفة أخرىٰ : إنما تكلم اللَّه . وقال آخرون : هو ابن اللَّه ، وقال آخرون : ثالث ثلاثة . وقال آخرون : بل هو عبد اللَّه ورسوله . وهذا هو[٧] قول الحق ، الذي أرشد اللَّه إليه المؤمنين ، وقد روي [نحو هذا] عن عمرو بن ميمون ، وابن جريج ، وقتادة(١٣٣) ، وغير واحد من السلف والخلف .

قال عبد الرزاق(١٣٤) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون** ﴾ قال : اجتمع بنو إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم[٨] عالمهم ، فامتروا في عيسىٰ حين رفع ؛ فقال أحدهم : هو اللَّه هبط إلىٰ الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ، ثم صعد إلىٰ السماء - وهم اليعقوبيّة - فقال الثلاثة : كذبت . ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه . قال : هو ابن اللَّه - وهم النسطورية - فقال الاثنان : كذبت . ثم قال أحد الاثنين للآخر : قل فيه . قال : هو ثالث ثلاثة ؛ اللَّه إله ،

---

(١٣٣) - أخرجه الطبري (٨٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤) بنحوه ، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن أبي حاتم .

(١٣٤) - أخرجه عبد الرزاق كما في الدر المنثور (٤٨٨/٤) .

---

[١] - في ت : « فقال » .
[٢] - في خ : « الكاملون » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « مهدهم » .
[٥] - في ز : « اختلف » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « منهم » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وهو إله ، وأمه إله[١] - وهم الإسرائيلية ملوك النصارىٰ عليهم لعائن الله ! - قال الرابع : كذبت ، بل[٢] هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته - وهم المسلمون - فكان لكل رجل منهم أتباع علىٰ ما قالوا ، فاقتتلوا فظهر علىٰ المسلمين ، فذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ﴾ . وقال قتادة(١٣٥) : وهم الذين قال الله : ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ قال : اختلفوا فيه فصاروا أحزابًا .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم(١٣٦) عن ابن عباس ، وعن عروة بن الزبير ، وعن بعض أهل العلم ، قريبًا من ذلك . وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم ؛ أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم ، فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا ، فاختلفوا في عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - اختلافًا متباينًا ، فقالت كل شرذمة فيه قولًا ، فمائة تقول فيه قولًا ، وسبعون تقول فيه قولًا آخر ، وخمسون تقول فيه شيئًا آخر ، ومائة وستون تقول شيئًا ، ولم يجتمع علىٰ مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم ، اتفقوا علىٰ قول وصمموا عليه ، ومال إليهم[٣] الملك ، وكان فيلسوفًا ، فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم ، فوضعوا له الأمانة الكبيرة ، بل هي الخيانة العظيمة ، ووضعوا له كتب القوانين ، وشرعوا له أشياء ، وابتدعوا بدعًا كثيرة ، وحرفوا دين المسيح وغيَّروه ، فابتنىٰ حينئذ لهم[٤] الكنائس الكبار في مملكته كلها ؛ بلاد الشام ، والجزيرة ، والروم ، فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثنتي عشر ألف كنيسة ، وبنت أمه هيلانة قُمَامة علىٰ المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي تزعم اليهود والنصارىٰ أنه المسيح ، وقد كذبوا ، بل رفعه الله إلىٰ السماء .

وقوله : ﴿ **فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** ﴾ تهديد ووعيد شديد لمن كذب علىٰ الله ، وافترىٰ ، وزعم أن له ولدًا ، ولكن أنظرهم تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة ، وأجلهم حلمًا وثقة بقدرته عليهم ؛ [فإنه الذي][٥] لا يعجل علىٰ من عصاه ، بل كما جاء في الصحيحين(١٣٧) : « [**إن الله**][٦] **ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » . ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم**

(١٣٥) - أخرجه الطبري (٨٦/١٦) .

(١٣٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٨٨/٤ ، ٤٨٩) بنحوه .

(١٣٧) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ حديث (٤٦٨٦) (٣٥٤/٨) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب =

[١] - في خ : « إليه » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « فإنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « فإن الله » .
[٦] - في ز : « إنه » ، خ : « فإنه » .

شديد﴾ . وفي الصحيحين(١٣٨) أيضًا عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **لا أحد أصبر علىٰ أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم** » .

وقد قال الله تعالى : **﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير﴾** وقال تعالى : **﴿ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾** ولهذا قال هاهنا : **﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾** أي : يوم القيامة .

وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق علىٰ صحته(١٣٩) ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من شهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله**[١] ، **وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** » .

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار [يوم القيامة][٢] : إنهم يكونون[٣] أسمَع شيء وأبصره ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾** ، أي : يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئًا ، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب ، لكان نافعًا لهم ومنقذًا من عذاب الله ، ولهذا

=: تحريم الظلم ، حديث (٢٥٨٣/٦١) (٢٠٥/١٦ ، ٢٠٦) .

(١٣٨) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : الصبر على الأذى ، حديث (٦٠٩٩) وطرفه في (٧٣٧٨) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ، حديث (٤٩ ، ٢٨٠٤/٥٠) .

(١٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قوله تعالى : **﴿ إذ قالت الملائكة يامريم ﴾** إلى قوله : **﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾** ، حديث (٣٤٣٥) (٤٧٤/٦) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ، حديث (٢٨/٤٦) (٣١٠/١ ، ٣١١) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

قال : ﴿ **أسمع بهم وأبصر** ﴾ أي : ما أسمعهم وأبصرهم ﴿ **يوم يأتوننا** ﴾ يعني : يوم القيامة ﴿ **لكن الظالمون اليوم** ﴾ أي : في الدنيا ﴿ **في ضلال مبين** ﴾ أي : لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدىٰ لا يهتدون ، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ أي : أنذر الخلائق يوم الحسرة ﴿ **إذ قضي الأمر** ﴾ أي : فصل بين أهل الجنة وأهل النار ، ودخل كل إلىٰ ما صار إليه مخلدًا فيه ﴿ **وهم** ﴾ أي : اليوم ﴿ **في غفلة** ﴾ عما أنذروا به [يوم الحسرة والندامة][١] ﴿ **وهم لا يؤمنون** ﴾ أي : لا يصدقون به .

قال الإمام أحمد(١٤٠) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبّون فينظرون**[٢] ، **ويقولون : نعم ، هذا الموت . قال : فيقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبّون فينظرون**[٣] ، **ويقولون : نعم ، هذا الموت . قال : فيؤمر**[٤] **به فيذبح ، قال : ويقال : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت** » . قال : ثم قرأ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة** ﴾ وأشار بيده . قال : « **أهل الدنيا في غفلة الدنيا** » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الأعمش به ، ولفظهما قريب من ذلك . وقد روىٰ هذا الحديث الحسن[٥] بن عرفة ، حدثني أسباط بن محمد ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة(١٤١) مرفوعًا مثله ، وفي

---

(١٤٠) - أخرجه أحمد (٩/٣) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ حديث (٤٧٣٠) (٤٢٨/٨) . ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء حديث (٤٠ ، ٢٨٤٩/٤١) .

(١٤١) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦) من طريق عبيد بن أسباط بن محمد قال : ثنا أبي . مثل طريق ابن كثير وإسناده صحيح . وقد أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ، حديث (٦٥٤٥) (٤٠٦/١١) مختصرًا من طريق أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة ، به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « فيؤتى » . [٥] - في ز : « المسند » .

سنن ابن ماجة وغيره، من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة(١٤٢) بنحوه. وهو في الصحيحين(١٤٣) عن ابن عمر. ورواه ابن جريج قال: قال ابن عباس(١٤٤): فذكر من قبله نحوه، ورواه أيضًا عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير(١٤٥) يقول في قصصه: يؤتىٰ بالموت كأنه دابة، فيذبح والناس ينظرون. وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل، حدثنا أبو الزعراء[١]، عن عبد الله - هو ابن مسعود(١٤٦) - في قصة ذكرها. قال: فليس نفس إلا وهي تنظر إلىٰ بيت في الجنة وبيت في النار، وهو يوم الحسرة، [فيرىٰ أهل النار البيت الذي كان قد أعده الله لهم لو آمنوا فيقال لهم: لو آمنتم وعملتم صالحاً كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة. فتأخذهم الحسرة][٢]. قال: ويرى أهل الجنه البيت الذى في النار، فيقال: لولا أن من الله عليكم.

وقال السدي عن زياد، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود في قوله: ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر** ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، أتي بالموت في صورة كبش أملح، حتىٰ يوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، فلا يبقىٰ أحد في أهل عليين، ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادىٰ: يا أهل النار، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، فلا يبقىٰ أحد في ضحضاح من نار، ولا في أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادى [ ][٣]: يا أهل الجنة هو الخلود أبد الآبدين، [ويا أهل النار هو الخلود أبد الآبدين][٤]. فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتًا من فرح لماتوا[٥]، ويشهق

(١٤٢) - أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب: صفة النار، حديث (٤٣٢٧) (١٤٤٧/٢). قال البوصيرى في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه وله شاهد وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد. والحديث عند البخاري مختصرًا من حديث أبي هريرة برقم (٦٥٤٥).

(١٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، حديث (٦٥٤٤) (٤٠٦/١١). ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث (٢٨٥٠/٤٢) بلفظ: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لاموت، ويا أهل النار لا موت كل خالد بما هو فيه».

(١٤٤) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦).

(١٤٥) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦).

(١٤٦) - أخرجه الطبري (٨٨/١٦).

[١] - في ز: «المرعاء».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: «منادي».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٥] - في ز، خ: «ماتوا».

أهل النار شهقة لو كان أحد ميتًا من شهقة لماتوا[١] . فذلك قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر** ﴾ يقول : إذا ذبح الموت رواه ابن أبي حاتم(١٤٧) في تفسيره ، وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٤٨) في قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عباده .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(١٤٩) في قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ قال : يوم القيامة ، وقرأ : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب الله** ﴾ وقوله : ﴿ **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون** ﴾ يخبر تعالىٰ أنه الخالق المالك المتصرف ، وأن الخلق كلهم يهلكون ، ويبقىٰ هو تعالىٰ وتقدس ، ولا أحد يدعي ملكًا ولا تصرفًا ، بل هو الوارث لجميع خلقه ، الباقي بعدهم ، الحاكم فيهم ، فلا تظلم نفس شيئًا ، ولا جناح بعوضة ، ولا مثقال ذرة .

قال ابن أبي حاتم(١٥٠) : ذكر هدبة بن خالد القيسي ، حدثنا حزم بن أبي حزم القطعي[٢] ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد ؛ فإن الله كتب علىٰ خلقه حين[٣] خلقهم الموت ، فجعل مصيرهم إليه ، وقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته علىٰ خلقه إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا
لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **واذكر في الكتاب إبراهيم** ﴾ واتله علىٰ

(١٤٧) - أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٤/٤٩٠) .
(١٤٨) - أخرجه الطبري (١٦/٨٨) .
(١٤٩) - أخرجه الطبري (١٦/٨٨) .
(١٥٠) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٤٩٠) .

[١] - في ز : « ماتوا » .
[٢] - في ز ، خ : « البطعي » . [٣] - في خ : « يوم » .

قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن - الذين هم من ذريته ، ويدعون أنهم علىٰ ملته ، وقد[١] كان صديقًا نبيًّا - مع أبيه ، كيف نهاه عن عبادة الأصنام ، فقال : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا** ﴾ أي : لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررًا .

﴿ **يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني** ﴾ يقول : وإن[٢] كنت من صلبك ، وتراني[٣] أصغر منك ؛ لأني ولدك ، فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله علىٰ ما لم تعلمه أنت ، ولا اطلعت عليه ، ولا جاءك بعد ﴿ **فاتبعني أهدك صراطًا سويًّا** ﴾ أي: طريقًا مستقيمًا موصلًا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المرهوب .

﴿ **يا أبت لا تعبد الشيطان** ﴾ أي : لا تطعه[٤] في عبادتك هذه الأصنام ، فإنه هو الداعي إلىٰ ذلك ، والراضي به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا** ﴾

وقوله : ﴿ **إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا** ﴾ أي : مخالفًا مستكبرًا[٥] عن طاعة ربه ، فطرده وأبعده ، فلا تتبعه تَصِر مثله .

﴿ **يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن** ﴾ أي : علىٰ شركك وعصيانك لما أمرك به ﴿ **فتكون للشيطان وليًّا** ﴾ يعني : فلا يكون لك مولى ولا ناصرًا ولا مغيثًا إلا إبليس ، وليس إليه ولا إلىٰ غيره من الأمر شيء ، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تالله لقد أرسلنا إلىٰ أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم** ﴾ .

يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾
قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جواب أبي إبراهيم [لولده إبراهيم][٦] فيما دعاه إليه أنه قال :

---

[١] - في ز : « هو » .
[٢] - في ز ، خ : « فإن » .
[٣] - في ز ، خ : « ترى أني » .
[٤] - في ز : « تطيعه » .
[٥] - في خ : « متكبرًا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ﴾ يعني : [إن كنت لا][١] تريد عبادتها ولا ترضاها ، فانته عن سبها وشتمها وعيبها ، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك ، وهو قوله : ﴿ لأرجمنك ﴾ قاله ابن عباس ، والسدي ، وابن جريج ، والضحاك(١٥١) وغيرهم وقوله : ﴿ واهجرني مليًا ﴾ قال مجاهد(١٥٢) ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير(١٥٣) ، ومحمد بن إسحاق(١٥٤) : يعني دهرًا[٢] .

وقال الحسن البصري(١٥٥) : زمانًا طويلًا ، وقال السدي(١٥٦) : ﴿واهجرني مليًا﴾ قال : أبدًا .

وقال عليّ بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس(١٥٧) ﴿ واهجرني مليًا ﴾ قال : سويًّا سالمًا ، قبل أن تصيبك[٣] مني عقوبة . وكذا قال الضحاك ، وقتادة ، وعطية الجدلي(١٥٨) ، وأبو[٤] مالك ، وغيرهم واختاره ابن جرير. فعندها قال إبراهيم لأبيه : ﴿ سلام عليك ﴾ كما قال تعالىٰ في صفة المؤمنين [ ][٥] : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ ومعنىٰ قول إبراهيم لأبيه : ﴿ سلام عليك ﴾ يعني : أما أنا فلا ينالك مني مكروه ، ولا أذىٰ ، وذلك لحرمة الأبوة ﴿ سأستغفر لك ربي ﴾ ، أي : ولكن سأسأل اللَّه تعالى فيك[٦] أن يهديك ويغفر ذنبك ﴿ إنه كان بي حفيًا ﴾ قال[٧] ابن عباس(١٥٩) وغيره(١٦٠) : لطيفًا . أي : في أن هداني لعبادته والإِخلاص له .

(١٥١) - أخرجه عنهم الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٢) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٣) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٤) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٥) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٦) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) .
(١٥٧) - أخرجه الطبري (٩١/١٦) من طريق علي بن أبي طلحة . وأخرجه (٩٢/١٦) من طريق العوفي .
(١٥٨) - أخرجه عنهم الطبري (٩٢/١٦) .
(١٥٩) - أخرجه الطبري (٩٢/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩١/٤) وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
(١٦٠) - أخرجه الطبري (٩٢/١٦) من طريق عبد الرحمن بن زيد نحوه .

[١] - في ز : « أما » ، خ : « إما » .
[٢] - في ز : « زهدًا » .
[٣] - في ز ، خ : « يصيبك » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وقال » .
[٦] - في ز : « قبل » .
[٧] - في خ : « وقال » .

وقال قتادة ومجاهد(١٦١) وغيرهما ﴿ **إنه كان بي حفيًا** ﴾ قال : عوَّده[١] الإجابة .

وقال السدي (الحفي) الذي يهتم بأمره .

وقد استغفر إبراهيم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لأبيه مدة طويلة ، وبعد أن هاجر إلىٰ الشام وبنى المسجد الحرام ، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله : ﴿ **ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ﴾ وقد استغفر المسلمون لقراباتهم[٢] وأهلهم من المشركين في ابتداء الإسلام ، وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك ، حتىٰ أنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون اللّٰه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا باللّٰه وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من اللّٰه من شيء** ﴾ الآية . يعني : إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالىٰ أن إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو للّٰه تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم** ﴾ وقوله : ﴿ **وأعتزلكم وما تدعون من دون اللّٰه وأدعو ربي** ﴾ أي : أجتنبكم وأتبرأ منكم ، ومن آلهتكم التي تعبدونها [من دون اللّٰه][٣] ﴿ **وأدعو ربي** ﴾ أي : وأعبد ربي وحده لا شريك له ﴿ **عسىٰ أن لا أكون بدعاء ربي شقيًا** ﴾ وعسىٰ هذه موجبة لا محالة ، فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ : [فلما اعتزل][٤] الخليل أباه وقومه في اللّٰه ، أبدله اللّٰه من هو خير منهم ، وهب له إسحاق ويعقوب ، يعني ابنه وابن إسحاق ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ويعقوب نافلة** ﴾ وقال : ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ ولا[٥] خلاف أن إسحاق والد

(١٦١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩١/٤) ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « وعوّده » .

[٢] - غير واضحة في (ز) ، خ : « لآبائهم و » . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « ولما اعتزلهم » . [٥] - في خ : « وقال ولا » .

يعقوب ، وهو نص القرآن في سورة البقرة : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** ﴾ ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب ، أي[١] جعلنا له نسلًا وعقبًا أنبياء ، أقر الله بهم عينه في حياته ، ولهذا قال : ﴿ **وكلًا جعلنا نبيًا** ﴾ فلو لم يكن يعقوب قد[٢] نبئ في حياة إبراهيم ، لما اقتصر عليه ، ولذكر[٣] ولده يوسف ؛ فإنه نبي أيضًا ، كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث المتفق علىٰ صحته(١٦٢) ، حين سئل عن خير الناس ، فقال : « **يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله** » وفي[٤] اللفظ الآخر : « **إن الكريم ابنَ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم : يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** »(١٦٣) وقوله : ﴿ **ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٦٤) : يعني الثناء الحسن . وكذا قال السدي ومالك بن أنس .

وقال ابن جرير(١٦٥) : إنما قال : ﴿ **عليًا** ﴾ ؛ لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

---

(١٦٢) - أخرجه البخاري في كتاب : « أحاديث الأنبياء » باب : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ ، حديث (٣٣٧٤) ، (٣٣٨٣) (٤١٤/٦ - ٤١٧) .
وفي كتاب التفسير ، باب : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ ، حديث (٤٦٨٩) (٨/ ٣٦٢) .

ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : فضائل يوسف عليه السلام ، حديث (١٦٨/٢٣٧٨) (١٥/١٩٤) بنحوه .

(١٦٣) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يوسف ، حديث (٣١١٦) (٥/ ٢٧٣ ، ٢٧٤) ، وقال : حديث حسن .

(١٦٤) - أخرجه الطبري (٩٣/١٦) .

(١٦٥) - ينظر الطبري (٩٣/١٦) .

---

[١] - في ت : « أن » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « ذكر » .

[٤] - في خ : « ومن » .

لما ذكر تعالىٰ إبراهيم الخليل وأثنىٰ عليه ، عطف بذكر الكليم ، فقال : ﴿ **واذكر في الكتاب موسىٰ إنه كان مخلصًا** ﴾ قرأ بعضهم(*) : بكسر اللام من الإخلاص في العبادة .

قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي لبابة[١] قال : قال الحواريون : يا روح الله ، أخبرنا عن المخلص لله . قال : الذي يعمل لله ، لا يحب أن يحمده الناس .

وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفى ، كما قال تعالى : ﴿ **إني اصطفيتك على الناس** ﴾ .

﴿ **وكان رسولًا نبيًا** ﴾ جمع الله[٢] له بين الوصفين ، فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة ، وهم : نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلىٰ سائر الأنبياء[٣] أجمعين .

وقوله : ﴿ **وناديناه من جانب الطور** ﴾ أي : الجبل ﴿ **الأيمن** ﴾ أي : من جانبه الأيمن من موسىٰ ، حين ذهب[٤] يبتغي من تلك[٥] النار جذوة ، رآها تلوح فقصدها ، فوجدها في جانب الطور الأيمن منه ، عند شاطئ الوادي ، فكلمه الله تعالىٰ ، ناداه وقربه وناجاه .

قال ابن جرير(١٦٦) : حدثنا ابن بشار[٦] ، حدثنا يحيىٰ - هو القطان - ، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب[٧] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ **وقربناه نجيًا** ﴾ ، قال[٨] أدنى حتى سمع صريف القلم .

وهكذا قال مجاهد(١٦٧) وأبو العالية(١٦٨)

---

(١٦٦) - أخرجه الطبري (١٦/٩٤) .

(١٦٧) - أخرجه الطبري (١٦/٩٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٩٢) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات بنحوه .

(١٦٨) - أخرجه الطبري (١٦/٩٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٩٢) إلى عبد بن حميد .

(*) كسر اللام في (مخلِصًا) قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، والمفضل عن عاصم . وقراءة الفتح لحمزة ، والكسائي .

[١] - في ز : « ثمامة » ، خ : « تمامة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « أنبياء الله » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « ذلك » .

[٦] - في خ : « يسار » .

[٧] - في ز ، خ : « يسار » .

[٨] - سقط من : ز .

وغيرهم(١٦٩). يعنون صريف القلم بكتابة التوراة.

وقال السدي(١٧٠): ﴿ وقربناه نجيًا ﴾ قال: أدخل في السماء فكلم. وعن مجاهد(١٧١) نحوه.

و[١] قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(١٧٢): ﴿ وقربناه نجيًا ﴾ [ ][٢]: نجا بصدقه.

وقال ابن أبي حاتم(١٧٣): حدثنا عبد الجبار بن عاصم، حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن أبي الواصل، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن [معد يكرب][٣] قال: لما قرَّب اللَّه موسىٰ نجيًّا بطور سيناء، قال: يا موسىٰ، إذا خلقت لك قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة تعين علىٰ الخير، فلم أخزن[٤] عنك من الخير شيئًا، ومن أخزن[٥] عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئًا.

وقوله: ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًا ﴾ أي: وأجبنا سؤاله وشفاعته في[٦] أخيه، فجعلناه نبيًّا، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ﴾ [ ][٧] وقال[٨]: ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ وقال: ﴿ فأرسل إلىٰ هارون * ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون ﴾؛ ولهذا قال بعض السلف: ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا، أعظم من شفاعة موسىٰ في

(١٦٩) - انظر تفسير الطبري: (٩٥/١٦).

(١٧٠) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٩٢/٤).

(١٧١) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) بلفظ: « بين السماء السابعة والعرش سبعون ألف حجاب، حجاب نور وحجاب ظلمة، وحجاب نور وحجاب ظلمة، وحجاب نور وحجاب ظلمة، وحجاب نور وحجاب ظلمة، فما زال موسى يقرب حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال: رب أرني أنظر إليك ».
والأثر عزاه السيوطي (٤٩٢/٤) إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة، والبيهقي في الأسماء والصفات.

(١٧٢) - أخرجه الطبري (٩٥/١١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٧٣) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٩٢/٤).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ: « قال ».
[٣] - في خ: « معدى كرب ».
[٤] - في ز: « أحزن ».
[٥] - في ز: « أحزن ».
[٦] - في ز، خ: « إلى ».
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ: « إلى أن ».
[٨] - سقط من: خ.

هارون أن يكون نبيًّا ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ .

قال ابن جرير(١٧٤) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس قوله : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ قال : كان هارون أكبرَ من موسىٰ ولكن أراد وهب له نبوته .

وقد ذكره ابن أبي حاتم(١٧٥) معلقًا عن يعقوب ، وهو ابن إبراهيم الدورقي به .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا (٥٥) ﴾

هذا ثناء من اللَّه تعالىٰ علىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- وهو والد عرب الحجاز كلهم ، بأنه ﴿ **كان صادق الوعد** ﴾ .

قال ابن جريج(١٧٦) : لم يعد ربه عدة إلا أنجزها . يعني : ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاها حقها .

وقال ابن جرير(١٧٧) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي - عليه السلام - وعد رجلًا مكانًا أن يأتيه ، فجاء ونسي الرجل ، فظل به إسماعيل ، وبات حتىٰ جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا ؟ قال : لا . قال : إني نسيت . قال : لم أكن لأبرح حتىٰ تأتيني . فلذلك : ﴿ **كان صادق الوعد** ﴾ .

وقال سفيان الثوري : بلغني أنه أقام في ذلك المكان ينتظره حولًا حتىٰ جاءه .

وقال [ابن شوذب] : بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع سكنًا .

وقد روىٰ أبو داود(١٧٨) في سننه ، وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه « مكارم

---

(١٧٤) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) .

(١٧٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) . وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(١٧٦) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٤) إلى ابن المنذر .

(١٧٧) - أخرجه الطبري (٩٥/١٦) .

(١٧٨) - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في العِدَةِ ، حديث (٤٩٩٦) (٢٩٩/٤) . أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢) . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (١٠٦٢) .

الأخلاق » من طريق إبراهيم بن طهمان عن [بديل بن ميسرة][١] ، [ ][٢] عن عبد الكريم - يعني : ابن عبد الله بن شقيق - عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : « بايعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبل أن يبعث ، فبقيت له عليَّ بقية ، فوعدته[٣] أن آتيه بها في مكانه ذلك ، قال : فنسيت[٤] يومي والغد ، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك ، فقال لي : « **يا فتىٰ ، لقد شققت عليَّ ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك** » . لفظ الخرائطي ، وساق آثارًا[٥] حسنة في ذلك .

ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب « **معرفة الصحابة** » بإسناده : عن إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الكريم به[٦] .

وقال بعضهم : إنما قيل له : ﴿**صادق الوعد**﴾ لأنه قال لأبيه : ﴿**ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾ فصدق في ذلك .

فصدْقُ الوعدِ من الصفات الحميدة[٧] ، كما أن خُلْفَه من الصفات الذميمة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** »(١٧٩) .

ولما كانت هذه صفات المنافقين ، كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين ؛ ولهذا أثنىٰ الله علىٰ عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ، وكذلك كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، صادق الوعد أيضًا ، لا يعد أحدًا شيئًا إلا وفّىٰ له به ، وقد أثنىٰ علىٰ أبي[٨] العاص ابن الربيع زوج ابنته زينب[٩] فقال : « **حدثني فصدقني ، ووعدني فوفىٰ لي**(١٨٠) » ولما

(١٧٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق ، حديث (٣٣) (٨٩/١) ، وأطرافه في (٢٦٨٢ - ٢٧٤٩ - ٦٠٩٥) .
ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق ، حديث (٥٩/١٠٧) (٦٢/٢) .

(١٨٠) - أخرجه البخاري في كتاب : فرض الخمس ، باب : ما ذكر في درع النبي - صلى الله عليه وسلم - وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ، حديث (٣١١٠) (٢١٢/٦ ، ٢١٣) ، وفي كتاب فضائل الصحابة ، باب : ذكر أصهار النبي - صلى الله عليه وسلم =

[١] - في خ : « عبد الله بن مرة » .
[٢] - في ز : « عن عبد الله بن مرة » .
[٣] - في ز : « فوعدنيه » .
[٤] - في ز ، خ : « نسيت » .
[٥] - في ز : « إنما رأى » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « الجميلة » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ز ، خ : « في بيت » .

توفي النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال الخليفة أبو بكر الصديق : من كان له عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عِدَة أو دَيْن فليأتني أنجز له . فجاءه جابر بن عبد اللَّه فقال : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان قال : « **لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا** » . يعني[١] : ملء كفيه ، فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابرًا ، فغرف بيديه من المال ، ثم أمره بِعَدِّهِ ، فإذا هو خمسمائة درهم ، فأعطاه مثليها معها(١٨١) .

وقوله : ﴿ **وكان رسولًا نبيًا** ﴾ في هذا دلالة علىٰ شرف إسماعيل علىٰ أخيه إسحاق ؛ لأنه إنما وصف بالنبوّة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوّة والرسالة ، وقد ثبت في صحيح مسلم(١٨٢) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ...** » وذكر تمام الحديث فدلّ علىٰ صحة ما قلناه .

وقوله : ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا** ﴾ هذا أيضًا من الثناء الجميل ، والصفة الحميدة ، والخلة السديدة ، حيث كان مثابرًا علىٰ طاعة ربه - عز وجل - آمرًا بها لأهله ، كما قال تعالىٰ لرسوله : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ أي : مروهم بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر ، ولا تدعوهم هملًا ؛ فتأكلهم النار يوم القيامة .

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رحم اللَّه رجلًا قام من الليل فصلّى ، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء . رحم اللَّه**

= منهم العاص بن الربيع ، حديث (٣٧٢٩) (٧/٨٥) .

ومسلم في فضائل الصحابة ، باب : فضائل فاطمة بنت النبي - عليه الصلاة والسلام - حديث (٩٥ ، ٢٤٤٩/٩٦) (١٦/٥ ، ٦) .

والحديث فيه قصة خطبة علي ﷺ ابنة أبي جهل على فاطمة .

(١٨١) - أخرجه البخاري في كتاب : الكفالة ، باب : من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع ، حديث (٢٢٩٦) (٤/٤٧٤) ، وأطرافه في (٢٥٩٨ - ٢٦٨٣ - ٣١٣٧ - ٣١٦٤ - ٤٣٨٣) .

ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : ما سئل رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - شيئًا قط فقال : لا وكثرة عطائه ، حديث (٦٠ ، ٢٣١٤/٦١) (١٥/١٠٦ ، ١٠٧) .

(١٨٢) - لم أجده في مسلم بهذا اللفظ ، والذي رواه مسلم في كتاب : الفضائل ، باب : فضل نسب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث (٢٢٧٦) (١٥/٥٢) من حديث واثلة =

---

[١] - سقط من : خ .

امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبىٰ [نضحت في وجهه الماء][١]». أخرجه أبو داود(١٨٣) وابن ماجة.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين، كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**». رواه أبو داود(١٨٤)، والنسائي(١٨٥)، وابن ماجة(١٨٦) واللفظ له.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)﴾

وهذا ذكر إدريس - عليه السلام - بالثناء عليه، بأنه كان صديقًا نبيًّا، وأن الله رفعه مكانًا عليًّا، وقد تقدم في الصحيح(١٨٧): أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مر به في ليلة الإسراء، وهو في السماء الرابعة.

وقد روىٰ ابن جرير(١٨٨) هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا، فقال[٢]: حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ، أنبأنا ابن وهب، أخبرني جرير بن حازم، عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يَسَاف، قال: سأل ابن عباس كعبًا - وأنا حاضر - فقال له: ما

=ابن الأسقع يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

(١٨٣) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: قيام الليل، حديث (١٣٠٨) (٣٣/٢). وفي باب الحث على قيام الليل، حديث (١٤٥٠) (٧٠/٢). وأخرجه ابن ماجة في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، حديث (١٣٣٦) (٤٢٤/١). وقال الألباني في صحيح أبي داود (١١٥٨ - ١٢٨٧)، وصحيح ابن ماجة (١٠٩٩): حسن صحيح.

(١٨٤) - أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: قيام الليل، حديث (١٣٠٨) (٣٣/٢).
وقال الألباني في صحيح أبي داود (١١٥٨): حسن صحيح.

(١٨٥) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب: قيام الليل، باب: ثواب من استيقظ وأيقظ امرأته فصليا، حديث (١٣١) (٤١٣/١).

(١٨٦) - أخرجه ابن ماجة في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، حديث (١٣٣٥) (٤٢٤/١).
وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم (١٠٩٨).

(١٨٧) - تقدم في أول سورة الإسراء.

(١٨٨) - أخرجه الطبري (٩٦/١٦).

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكررة في: خ.

[٢] - في خ: «فقد».

قول الله - عز وجل - لإدريس : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ فقال كعب : أما إدريس فإن الله أوحىٰ إليه : إني أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن يزداد عملًا ، فأتاه خليل له من الملائكة فقال : إن الله أوحى إليّ[١] كذا وكذا ، فكلم لي ملك الموت [فليؤخرني حتى أزداد عملًا][٢] فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلىٰ السماء ، فلما كان في السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرًا ، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هو ذا علىٰ ظهري . قال ملك الموت : فالعجب ! بعثت وقيل لي : اقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك . فذلك [قول الله][٣] : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ .

و[٤]هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة ، والله أعلم .

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر ؛ عن ابن عباس : أنه سأل كعبًا ، فذكر نحو ما تقدم ، غير أنه قال لذلك[٥] الملك : هل لك أن تسأله - يعني : ملك الموت - كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل - وذكر باقيه[٦] - وفيه : أنه لما سأله عما بقي من أجله ؛ قال : لا أدري حتىٰ أنظر . ثم نظر ، ثم[٧] قال : إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين . فنظر الملك [ ][٨] تحت جناحه إلىٰ إدريس ، فإذا هو قد قبض - عليه السلام - وهو لا يشعر به .

ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدريس كان خياطًا ، فكان لا يغرز إبرة إلا قال : سبحان الله ، فكان يمسي حين يمسي ، وليس في الأرض أحد أفضل عملًا منه . وذكر بقيته كالذي قبله ، أو نحوه . وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد(١٨٩) في قوله : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًا ﴾ [قال : إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسىٰ][٩] .

[وقال سفيان عن منصور ، عن مجاهد(١٩٠)][١٠] [في قوله][١١] : ﴿ ورفعناه مكانًا

(١٨٩) - أخرجه الطبري (٩٦/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(١٩٠) - أخرجه الطبري (٩٧/١٦) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « يزداد عملي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « قوله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « ذلك » .
[٦] - في ز : « ما فيه » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلى » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عليًا ﴾ قال : السماء الرابعة .

وقال العوفي عن ابن عباس(١٩١) : ﴿ **ورفعناه مكانًا عليًا** ﴾ قال : رفع إلى السماء السادسة فمات بها . وهكذا قال الضحاك بن مزاحم .

قال[١] الحسن(١٩٢) وغيره في قوله : ﴿ **ورفعناه مكانًا عليًا** ﴾ قال : الجنّة .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى : هؤلاء النبيون – وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط ، بل جنس الأنبياء عليهم السلام ، استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس – ﴿ **الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين من ذرية آدم** ﴾ الآية .

قال السدي(١٩٣) وابن جرير(١٩٤) رحمه اللَّه : [فالذي[٢] عنى به من ذرية [آدم : إدريس ، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح : إبراهيم][٣] والذي عنى به من ذرية][٤] إبراهيم : إسحاق ويعقوب وإسماعيل ، والذي عنى به من ذرية إسرائيل : موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم .

قال ابن جرير(١٩٥) : ولذلك[٥] فرّق أنسابهم ، وإن كان يجمع جميعهم آدم ؛ لأن فيهم مَن ليس مِنْ ولد من كان مع نوح في السفينة ، وهو إدريس ، فإنه جد نوح .

قلت : هذا هو الأظهر : أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل : إنه

---

(١٩١) – أخرجه الطبري (١٦/٩٦) .
(١٩٢) – أخرجه الطبري (١٦/٩٧) .
(١٩٣) – أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/٤٩٨) .
(١٩٤) – ينظر تفسير الطبري (١٦/٩٧) .
(١٩٥) – ينظر تفسير الطبري (١٦/٩٧) .

---

[١] – سقط من : ز .
[٢] – في ز : « والذي » .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] – في ز ، خ : « كذلك » .

من أنبياء بني إسرائيل ، أخذًا من حديث الإسراء ، حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح . ولم يقل : والولد الصالح ، كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرنا[١] ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي[٢] حبيب ، عن عبد الله بن محمد : أن إدريس أقدم من نوح ، بعثه الله إلى قومه ، فأمرهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويعملوا ما شاءوا ، فأبوا ، فأهلكهم الله عز وجل .

[ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء ، أنها كقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء]**[٣] **إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى**[٤] **وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلًّا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم** ﴾ إلى قوله[٥] : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرًا إن هو إلا ذكرى للعالمين** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وكلم الله موسى تكليمًا** ﴾ وفي صحيح البخاري(١٩٦) ، عن مجاهد : أنه سأل ابن عباس أفي « ص » سجدة ؟ قال : نعم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ فنبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم ، قال : وهو منهم . يعني : داود .

وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ **إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدًا وبكيًّا** ﴾ أي : إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه ، سجدوا لربهم خضوعًا واستكانة ، وحمدًا وشكرًا على ما هم فيه من النعم العظيمة .

و« البُكي » : جمع باك فلهذا أجمع العلماء على شرعية[٦] السجود هاهنا اقتداءً بهم واتباعًا لمنوالهم .

---

(١٩٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده** ﴾ حديث (٤٦٣٢) (٨/٨٩٤) .

---

[١] - في خ : « أخبرني » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « أن قال » .

[٦] - في ز : « شرعة » .

قال سفيان الثوري(١٩٧) : عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر قال : قرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - [ ][١] سورة مريم فسجد ، وقال : هذا السجود ، فأين البُكِيّ ؟ يريد : البكاء .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(١٩٨) ، وسقط من روايته ذكر[٢] « أبي معمر » فيما رأيت ، فالله[٣] أعلم .

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾

ولما ذكر تعالىٰ حزب السعداء ، وهم الأنبياء عليهم السلام ، ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره ، المؤدين فرائض الله ، التاركين لزواجره ذكر أنه ﴿ **خلف من بعدهم خلف** ﴾ أي : قرون أخر ﴿ **أضاعوا الصلاة** ﴾ - وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ؛ لأنها عماد الدين وقوامه ، وخير أعمال العباد - وأقبلوا علىٰ شهوات الدنيا وملاذها[٤] ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فهؤلاء سيلقون غيًّا ، أي : خسارًا يوم القيامة .

وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة هاهنا ؛ فقال قائلون : المراد بإضاعتها تركها بالكلية . قاله محمد بن كعب القرظي ، وابن زيد بن أسلم ، والسدي، واختاره ابن جرير ، ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة ، كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن الشافعي : إلىٰ تكفير تارك الصلاة ؛ للحديث : « **بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة** »(١٩٩) والحديث الآخر: « **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** »(٢٠٠) . وليس هذا محل بسط هذه المسألة .

(١٩٧) - أخرجه الطبري (٩٨/١٦) .

(١٩٨) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(١٩٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، حديث (٨٢/١٣٤) (٩٢/٢ ، ٩٣) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢٠٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء في ترك الصلاة ، حديث (٢٦٢١) =

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « عند » .

[٢] - في خ : « ذكره » .

[٣] - في خ : « والله » .

[٤] - في خ : « ولذاتها » .

وقال[١] الأوزاعي : عن موسىٰ بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة(٢٠١) في قوله : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة** ﴾ قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركًا كان كفرًا .

وقال وكيع : عن المسعودي[٢] ، عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد ، عن ابن مسعود(٢٠٢) : أنه قيل له : إن اللَّه يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ و﴿ **علىٰ صلاتهم دائمون** ﴾ و﴿ **علىٰ صلاتهم يحافظون** ﴾ قال ابن مسعود : علىٰ[٣] مواقيتها . قالوا[٤] : ما كنا نرىٰ ذاك إلا علىٰ الترك ؟ قال : ذلك الكفر .

وقال مسروق[٥](٢٠٣) : لا يحافظ أحد علىٰ الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفي إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن .

وقال الأوزاعي : عن إبراهيم بن يزيد : أن عمر بن عبد العزيز(٢٠٤) قرأ : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾ ثم قال : لم تكن إضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد(٢٠٥) : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحي أمة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ينزو بعضهم علىٰ بعض في الأزقة[٦] . وكذا روىٰ ابن جريج[٧] عن مجاهد(٢٠٦) مثله[٨] .

= (١٥/٥) والنسائي (٢٣١/١ - ٢٣٢) كتاب الصلاة ، باب : الحكم في تارك الصلاة . وابن ماجة في كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء فيمن ترك الصلاة ، حديث (١٠٧٩) (٣٤٢/١) . من حديث بريدة . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

(٢٠١) - أخرجه الطبري (٩٨/١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢٠٢) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

(٢٠٣) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

(٢٠٤) - أخرجه الطبري (٩٨/١٦ - ٩٩) .

(٢٠٥) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

(٢٠٦) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦) .

---

[١] - بياض في : ز .

[٢] - في ز : « السعودي » .

[٣] - في ز : « حل » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - في خ : « ابن مسعود » .

[٦] - في ز : « الأرقة » .

[٧] - في ز : « جرير » .

[٨] - في ز : « منكم » .

وروى جابر الجعفي(٢٠٧) عن مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح: أنهم من هذه الأمة يعنون في آخر الزمان.

وقال ابن جرير(٢٠٨): حدثني الحارث، حدثنا الحسن الأشيب، حدثنا شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد: **﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾** قال: هم في هذه الأمة، يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق، لا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون الناس في الأرض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو[١] عبد الرحمن المقرئ[٢]، حدثنا حيوة[٣]، حدثنا بشير بن أبي عمرو الخولاني، أن الوليد بن قيس حدثه، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[٤]: « **يكون خلف بعد ستين سنة، أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيًا، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن، ومنافق، وفاجر** ». قال بشير: قلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المؤمن مؤمن به، والمنافق كافر به، والفاجر يأكل[٥] به.

وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ به(٢٠٩).

وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا عيسى بن يونس، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن مالك، عن[٦] أبي الرجال: أن عائشة كانت ترسل بالشيء صدقة لأهل الصفة، وتقول: لا تعطوا منه بربريًا ولا بربرية، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **هم الخلف الذين قال الله تعالى**

---

(٢٠٧) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦).

(٢٠٨) - أخرجه الطبري (٩٩/١٦).

(٢٠٩) - أحمد (٣٨/٣) (١١٣٥٦). بشير بن أبي عمرو: هو أبوالفتح المصري الخولاني؛ قال الحافظ في التقريب: ثقة، والوليد بن قيس روى عنه أكثر من واحد. وثقه ابن حبان والعجلي، وقال ابن حجر « مقبول ». والحديث أخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٦١٠)، وابن حبان في « صحيحه » (٧٧٥) (٣٢/٣)، وابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: قراءة القرآن حديث (٧٥٥) (٣٢/٣). والحاكم في « المستدرك » (٣٧٤/٢)، (٥٤٧/٤) وعنه، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦٢٦) (٢/ ٥٣٣)، وفي « دلائل النبوة » (٤٦٥/٦)، من طريق عبد الله بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ به. وقال الحاكم: « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي. وله طريق أخرى عن أبي سعيد بمعناه عند أبي نصر المروزي=

---

[١] - في خ: « ابن مسعود ».
[٢] - في ز، خ: « الهدلي ».
[٣] - في ز: « حبرة ».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في خ: « يتأكل ».
[٦] - في ز: « بن ».

[فيهم][١] : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ﴾ »(٢١٠) . هذا حديث غريب .

وقال أيضًا : حدثني أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن[٢] الضحاك ، حدثنا الوليد ، حدثنا حَرِيز[٣] ، عن شيخ من أهل المدينة : أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قوله : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ الآية ، قال : هم أهل الغرب[٤] ، يملكون وهم شر من ملك .

وقال كعب الأحبار: والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله -عز وجل- شرابين للقهوات تراكين للصلوات ، لعابين بالكعبات ، رقادين عن العتمات ، مفرطين في الغدوات ، تراكين[٥] للجمعات[٦] ، قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا ﴾ .

وقال الحسن البصري: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات[٧] .

وقال أبو الأشهب العطاردي : أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود [-عليه السلام -][٨] يا داود ؛ حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة ، وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته عليَّ أن أحرمه طاعتي .

وقال الإمام أحمد(٢١١) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني[٩] أبو السمح[١٠] التميمي ، عن أبي قبيل ، أنه سمع عقبة[١١] بن عامر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إني

= في « قيام الليل » (ص ١٢٨) ، وأبي عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) . والبغوى في شرح السنة (١١٨٢) (٤٣٩/٤) . وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٥٨) (٤٦٢/١) .

(٢١٠) - أخرجه الحاكم (٢٤٤/٢) وصححه ، لكن تعقبه الذهبي بأن فيه عبيد الله وهو مختلف في توثيقه ، وقال مالك : لا أعرفه ، ثم هو منقطع .

(٢١١) - أخرجه أحمد (١٥٥/٤ - ١٥٦) (١٧٤٦٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « جرير » .

[٤] - في ز : « العرب » .

[٥] - في ز ، خ : « تاركين » .

[٦] - في خ : « للجماعات » .

[٧] - في ز : « الضعات » ، خ : « الصنعات » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٩] - في خ : « حدثنا » .

[١٠] - بياض في : ز ، سقط من : خ .

[١١] - في ز ، خ : « عبد الله » .

أخاف على أمتي اثنتين : القرآن واللبن[١] ، أما اللبن[٢] فيتبعون الريف ، ويتبعون الشهوات ، ويتركون الصلوات ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون ، فيجادلون به المؤمنين » .

ورواه عن حسن بن موسى(٢١٢) ، عن ابن لهيعة ، حدثنا أبو قبيل ، عن عقبة ، به مرفوعًا بنحوه تفرد به .

وقوله : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٢١٣) : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ أي : خسرانًا .

وقال قتادة(٢١٤) : شرًا . وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحاق عن أبي إسحاق ، السبيعي ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود(٢١٥) : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ قال : واد في جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم .

وقال الأعمش : عن زياد ، عن أبي عياض(٢١٦) في قوله : ﴿ **فسوف يلقون غيًا** ﴾ قال : واد في جهنم من قيح ودم .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢١٧) : حدثني عباس بن أبي طالب ، حدثنا محمد بن زياد ابن زيار[٣] ، حدثنا شرقي بن قُطَامِيّ[٤] ، عن لقمان بن عامر الخزاعي قال : جئت أبا أمامة صُدَيّ[٥] بن عجلان الباهلي فقلت : حدثنا حديثًا سمعته[٦] من رسول الله صلى الله عليه

(٢١٢) - أخرجه أحمد (١٥٥/٤) (١٧٤٦٦) .

(٢١٣) - أخرجه الطبري (١٠٠/١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١٤) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم بمعناه .

(٢١٥) - أخرجه الطبري (١٠٠/١٦) . وهناد في الزهد (١٨٣/١) حديث (٢٧٦) مختصرًا . والطبراني (٢٥٩/٩) حديث (٩١١١) ، (٩١٠٦ - ٩١١٣) مثله ونحوه . والحاكم (٣٧٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٤) وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد ابن حميد ، والبيهقي في البعث والنشور . قال الهيثمى في المجمع (٥٨/٧) : رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه .

(٢١٦) - أخرجه هناد في الزهد (١٨٣/١) حديث (٢٧٦) . وأبو نعيم في زيادات الزهد ص (٩٦) رقم (٣٣٣) بنحوه .

(٢١٧) - أخرجه الطبري (١٠٠/١٦) .

[١] - في ز ، خ : « الكنى » .

[٢] - في ز ، خ : « الكنى » .

[٣] - في خ : « زيان » .

[٤] - في ز : « قطاني » ، خ : « قطان » .

[٥] - في ز ، خ : « حدثني » .

[٦] - في ز ، خ : « سمعه » .

وسلم . قال : فدعا بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف**[١] **بها من شفير جهنم ، ما بلغت قعرها خمسين خريفًا ، ثم تنتهي**[٢] **إلىٰ غي وأثام** » . قال : قلت : وما غي وأثام ؟ قال[٣] : بئران[٤] في أسفل جهنم ، يسيل فيهما صديد أهل النار ، وهما اللتان[٥] ذكر الله في كتابه : ﴿ **أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾ وقوله في الفرقان : ﴿ **ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا** ﴾ . هذا حديث غريب ورفعه منكر .

وقوله : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾ أي : إلا من رجع عن ترك الصلوات[٦] ، واتباع الشهوات ، فإن الله يقبل[٧] توبته ، ويحسن عاقبته ، ويجعله من ورثة جنة النعيم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا** ﴾ وذلك لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، وفي الحديث الآخر : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** »(٢١٨) ؛ ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئًا ، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص[٨] لهم مما عملوه بعدها[٩] ؛ لأن ذلك[١٠] ذهب هدرًا ، وترك نسيًا ، وذهب مجانًا ، من كرم الكريم ، وحلم الحليم .

وهذا الاستثناء هاهنا : كقوله في سورة الفرقان : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا * إلا من تاب وءامن وعمل عملًا صالحًا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾

جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾

---

(٢١٨) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : ذكر التوبة ، حديث (٤٢٥٠) (١٤٢٠/١) .=

---

[١] - في ز : « يدف » .
[٢] - في خ : « ينتهى » .
[٣] - مكررة في خ .
[٤] - في ز : « نيران » .
[٥] - في ز : « اللذان » .
[٦] - في ز ، خ : « الصلاة » .
[٧] - في ز ، خ : « يتقبل » .
[٨] - في ز ، خ : « فنقص » .
[٩] - في ز ، خ : « قبلها » .
[١٠] - في ز : « ذاك » ، خ : « هذا » .

يقول تعالىٰ: الجنات التي يدخلها[١] التائبون من ذنوبهم هي: ﴿ جنات عدن ﴾ أي: إقامة، ﴿ التي وعد الرحمن عباده ﴾ بظهر الغيب، أي: هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه، وذلك لشدة إيقانهم وقوة إيمانهم.

وقوله: ﴿ إنه كان وعده مأتيًا ﴾ تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره، فإن اللَّه لا يخلف الميعاد ولا يبدله، كقوله: ﴿ و[٢]كان وعده مفعولًا ﴾ أي: كائنًا[٣] لا محالة.

وقوله هاهنا: ﴿ مأتيًا ﴾ أي: العباد صائرون إليه وسيأتونه.

ومنهم من قال: ﴿ مأتيًا ﴾ بمعنىٰ آتيًا؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، كما تقول[٤] العرب: أتت عليَّ خمسون سنة، وأتيت علىٰ خمسين سنة[٥]، كلاهما بمعنى وقوله: ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ﴾ أي: [ ][٦] هذه [الجنات ليس][٧] فيها كلام ساقط تافه لا معنىٰ له، كما قد يوجد في الدنيا.

وقوله: ﴿ إلّا سلامًا ﴾ استثناء منقطع، كقوله: ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيما إلّا قيلًا سلامًا سلامًا ﴾.

وقوله: ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا ﴾ أي: في مثل وقت البكرات ووقت العشيّات لا أن هناك [ليلًا أو نهارًا][٨]، ولكنهم في أوقات تتعاقب، يعرفون مضيها بأضواء وأنوار، كما قال الإمام أحمد(٢١٩):

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « أول زمرة[٩] تلج الجنة صورهم [علىٰ صورة][١٠] القمر ليلة البدر، لا

= والبيهقي (١٠/١٥٤) كتاب الشهادات، باب: شهادة القاذف. وأبو نعيم في الحلية (٤/٢١٠). والطبراني في الكبير (١٠/١٨٥) حديث (١٠٢٨١). والقضاعي في مسند الشهاب (١/٩٧) حديث (١٠٨). كلهم من طريق أبي عبيدة بن عبد اللَّه عن عبد اللَّه بن مسعود وأبو عبيدة هذا ثقة لكن لا يصح سماعه من أبيه كذا في التقريب (٨٢٣١). قال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٠٣): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، وبنحو ذلك قال الألباني في الضعيفة (٦١٥).

(٢١٩) - أخرجه أحمد (٢/٣١٦).

[١] - في ز، خ: « يدخل إليها ».
[٢] - في ز، خ: « إنه ».
[٣] - في ز: « كائن ».
[٤] - في خ: « قالت ».
[٥] - في خ: « صلاة ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: « في ».
[٧] - في خ: « الجنان وليس ».
[٨] - في ز، خ: « ليل أو نهار ».
[٩] - في ز، خ: « صورة ».
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

يصقون فيها ولا يتمخطون فيها ،ولا يتغوطون ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم[١] [ ][٢] **الألوّة ، ورشحهم المسك ، ولكل [واحد منهم]**[٣] **زوجتان ، يرىٰ مخ ساقيهما من وراء اللحم ؛ من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم علىٰ قلب واحد ، يسبحون اللّٰه بكرة وعشيًّا**[٤] » . أخرجاه في الصحيحين(٢٢٠) ، من حديث معمر به .

وقال الإمام أحمد(٢٢١) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن [ ][٥] ابن إسحاق ، حدثني الحارث بن فضيل الأنصاري ، عن محمود بن لبيد الأنصاري ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **الشهداء علىٰ بارق نهر**[٦] **بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا** ﴾ قال : مقادير الليل والنهار .

وقال ابن جرير(٢٢٢) : حدثنا عليّ بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سألت زهير[٧] ابن محمد عن قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا** ﴾ قال : ليس في الجنة ليل ، هم في نور أبدًا ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وبفتح الأبواب .

وبهذا الإسناد(٢٢٣) عن الوليد بن مسلم ، عن خليد[٨] ، عن الحسن البصري ، وذكر أبواب الجنة فقال : أبواب يرىٰ ظاهرها من باطنها ، فتكلم وتكلم ، فتُهَمْهِم[٩] : انفتحي ... انغلقي ....، فتفعل .

---

(٢٢٠) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٥) (٣١٨/٦) وأطرافه في (٣٢٤٦ - ٣٢٥٤ - ٣٣٢٧) . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًّا ، حديث (٢٨٣٤/١٧) (٢٥٣/١٧) .

(٢٢١) - أخرجه أحمد (٢٦٦/١) .

(٢٢٢) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .

(٢٢٣) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .

---

[١] - في خ : « محامرهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « منهما » .

[٤] - في ز : « عشية » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « موسى » .

[٦] - في ز : « شهر » .

[٧] - في ز : « رهين » .

[٨] - في ز : « خليل » ، خ : « الخليل » .

[٩] - في ز : « فيفهمهم » ، خ : « يفهمهم » .

وقال قتادة (٢٢٤) في قوله : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ فيها ساعتان ؛ بكرة وعشي، ليس ثَمّ[١] ليل ولانهار ، وإنما هو ضوء ونور .

وقال مجاهد(٢٢٥) : ليس بكرة ولاعشيًا ، ولكن[٢] يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

وقال الحسن(٢٢٦) وقتادة(٢٢٧) وغيرهما(٢٢٨) : كانت العرب ، الأنْعَم فيهم من يتغدىٰ ويتعشىٰ ، ونزل القرآن علىٰ ما في أنفسهم من النعيم[٣] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ .

وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد ، عن هشام ، عن الحسن : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا** ﴾ قال : البكور يرد علىٰ العشي ، والعشي يرد علىٰ البكور ، ليس فيها ليل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا سليم[٤] بن منصور بن عمار ، حدثني أبي ، حدثنا محمد بن زياد قاضي أهل شمشاط[٥] عن عبد الله بن حُدير[٦] عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللّه عليه وسلم - قال : « **ما من غداة من غدوات الجنة - وكل الجنة غدوات - إلا أنه يزف إلىٰ ولي اللّه فيها زوجة من الحور العين ، أدناهن التي خلقت من الزعفران** »(٢٢٩) .

قال أبو محمد : هذا حديث منكر .

وقوله[٧] : ﴿ **تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًا** ﴾ أي : هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة ، هي التي[٨] نورثها عبادنا المتقين ، وهم المطيعون للّه - عز

(٢٢٤) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .
(٢٢٥) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) . وهناد في الزهد (٧٢/١) حديث (٥٩) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢٢٦) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(٢٢٧) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) .
(٢٢٨) - أخرجه الطبري (١٠٢/١٦) عن يحيى .
(٢٢٩) - أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٣٩/٦) ، وقال : لا يعرف هذا إلا لمنصور بهذا الإسناد .

[١] - في ز ، خ : « لهم » .
[٢] - في خ : « وإنما » .
[٣] - في ز : « النعم » .
[٤] - في ز ، خ : « سليمان » .
[٥] - في ز : « سمساط » .
[٦] - في ز ، خ : « جرير » .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وجل - في السراء والضراء ، والكاظمون[١] الغيظ ، والعافون[٢] عن الناس ، وكما[٣] قال[٤] تعالىٰ في أول سورة المؤمنين : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (٦٥)

قال الإمام أحمد(٢٣٠) : حدثنا يعلىٰ ووكيع قالا : حدثنا عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لجبريل[٥] : « **ما يمنعك أن تزورنا[٦] أكثر مما تزورنا ؟** » قال : فنزلت : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

انفرد بإخراجه البخاري(٢٣١) ، فرواه عند تفسير هذه الآية : عن أبي نعيم ، عن عمر بن ذر ، به . ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير : من[٧] حديث عمر بن ذر ، به . وعندهما زيادة في آخر الحديث . فكان ذلك الجواب لمحمد ، صلى الله عليه وسلم(٢٣٢) .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٣٣) : احتبس جبريل عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فوجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك وحزن ، فأتاه جبريل فقال[٨] : يا محمد ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًا** ﴾.

---

(٢٣٠) - أخرجه أحمد (٢٣١/١ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٣٥٧) .

(٢٣١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ حديث (٤٧٣١) (٨/ ٤٢٨) .

(٢٣٢) - أخرجه أحمد بهذه الزيادة (٣٥٧/١) . والبخاري في كتاب التوحيد ، باب : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** ﴾ ، حديث (٧٤٥٥) (٤٤٠/١٣) .

(٢٣٣) - أخرجه الطبري (١٠٣/١٦) من طريق عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس ، وعطية ضعيف =

---

[١] - في ز ، خ : « الكاظمين » .
[٢] - في ز ، خ : « العافين » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وقال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « تزونا » .
[٧] - في ز ، خ : « في » .
[٨] - في ت : « وقال » .

وقال مجاهد(٢٣٤) : لبث جبريل عن محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم اثنتي[١] عشرة ليلة ، ويقولون : قُلِيَ[٢] ، فلما جاءه ، قال : « **يا جبريل ، لقد رثت[٣] عليَّ ، حتىٰ ظن المشركون كل ظن** » . فنزلت : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** [**له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك**][٤] **وما كان ربك نسيًا** ﴾ ، قال : وهذه الآية كالتي في الضحىٰ .

وكذلك قال الضحاك(٢٣٥) بن مزاحم ، وقتادة(٢٣٦) ، والسدي ، وغير واحد : إنها نزلت في احتباس جبريل .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال : أبطأ جبريل النزول علىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أربعين يومًا ، ثم نزل ، فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما نزلت حتىٰ اشتقت إليك** » . فقال له جبريل : بل أنا كنت إليك أشوق ، ولكني مأمور . فأوحي إلىٰ جبريل أن قل له : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ الآية . رواه ابن أبي حاتم - رحمه اللّٰه - وهو غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد قال : أبطأت[٥] الرسل علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم أتاه جبريل فقال له : « **ما حبسك يا جبريل ؟** » فقال له[٦] جبريل : وكيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ، ولاتُنقُّون براجمكم ، ولا تأخذون شواربكم ، ولا تستاكون؟ ثم قرأ: ﴿**وما نتنزل إلّا بأمر ربك**﴾ إلى آخر الآية .

وقد قال الطبراني(٢٣٧) : حدثنا أبو عامر النحوي ، حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن [الدمشقي] ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، أخبرني ثعلبة بن مسلم ، عن أبي [ ][٧] كعب مولىٰ ابن عباس ، [عن ابن عباس][٨] ، عن النبي صلىٰ

= وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٤) وعزاه إلى ابن مردويه .

(٢٣٤) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) .

(٢٣٥) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) .

(٢٣٦) - أخرجه الطبري (١٠٣/١٦ ، ١٠٤) .

(٢٣٧) - أخرجه الطبراني (٤٣٢/١١) حديث (١٢٢٢٤) .

[١] - في خ : « اثنتا » .
[٢] - في ز ، خ : « أقل » .
[٣] - في ز : « رتت » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «إلى قوله» .
[٥] - في ز : « أبطت » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الله عليه وسلم : أن جبريل أبطأ عليه ، فذكر له ذلك ، فقال : وكيف وأنتم لا تستنون ، ولا تُقَلِّمون أظفاركم ، ولا تقصون شواربكم ، ولا تُنَقُّون رواجبكم(*)[١] .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٢٣٨) عن أبي اليمان ، عن إسماعيل بن عياش به ونحوه.

وقال الإمام أحمد(٢٣٩) : حدثنا سيار[٢] ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا المغيرة بن حبيب ختن[٣] مالك بن دينار ، حدثني شيخ من أهل المدينة ، عن أم سلمة قالت : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أصلحي لنا المجلس ، فإنه ينزل ملك إلىٰ الأرض لم ينزل إليها قط** » .

وقوله : ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا** ﴾ قيل : المراد بـ : ﴿ **ما بين أيدينا** ﴾ : أمر الدنيا ، ﴿ **وما خلفنا** ﴾ : أمر الآخرة ﴿ **وما بين ذلك** ﴾ : ما بين النفختين . هذا قول أبي العالية(٢٤٠) وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير(٢٤١) ، وقتادة في رواية عنهما ، والسدي(٢٤٢) ، والربيع بن أنس(٢٤٣) .

وقيل : ﴿ **ما بين أيدينا** ﴾ ما نستقبل من أمر الآخرة ﴿ **وما خلفنا** ﴾ أي : ما مضىٰ من الدنيا ﴿ **ومابين ذلك** ﴾ أي : ما بين الدنيا والآخرة . يروىٰ نحوه عن ابن عباس(٢٤٤) ، وسعيد بن جبير(٢٤٥) ،

---

(٢٣٨) - أخرجه أحمد (٣٤٣/١) .

(٢٣٩) - أخرجه أحمد (٢٩٦/٦) .

(٢٤٠) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) . وهناد (١٩٦/١) حديث (٣١٩) في الزهد ، لكن هذا الأخير اقتصر على تفسير ما بين ذلك أنها ما بين النفختين .

(٢٤١) - أخرجه هناد في الزهد (١٩٦/١) حديث (٣١٨) أنه سئل عن هذه الآية فلم يجب قال السدي : فسمعنا أنه ما بين النفختين .

(٢٤٢) - أخرجه هناد (١٩٦/١) حديث (٣١٨) أنه ما بين النفختين .

(٢٤٣) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) . وهناد في الزهد .

(٢٤٤) - أخرجه الطبري (١٠٤/١٦) دون قوله : وما بين ذلك ... إلخ .

(٢٤٥) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(*) الرواجب : هي ما بين عقد الأصابع من داخل ، واحدها راجبة . والبراجم : العقد المتشنجة في ظاهر الأصابع . نهاية [٢/ ١٩٧] .

[١] - في ز : « براجمكم » .

[٢] - في ز : « شيبان » . [٣] - في ز ، خ : « عن » .

والضحاك(٢٤٦) ، وقتادة(٢٤٧) ، وابن جريج(٢٤٨) ، والثوري ، واختاره ابن جرير أيضًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وما كان ربك نسيًا** ﴾ قال مجاهد(٢٤٩) : معناه ما نسيك ربك .

وقد تقدم عنه أن هذه الآية كقوله : ﴿ **والضحىٰ والليل إذا سجىٰ * ما ودعك ربك وما قلىٰ** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يزيد[١] بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا محمد ابن عثمان[٢] - يعني : أبا الجماهر - حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عاصم بن رجاء بن حَيْوة ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء يرفعه قال : « **ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه[٣] فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسىٰ شيئًا** » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما كان ربك نسيًا** ﴾(٢٥٠) .

وقوله : ﴿ **رب السمٰوات والأرض وما بينهما** ﴾ [أي : خالق ذلك ومدبره ، والحاكم فيه ، والمتصرف الذي لامعقب لحكمه][٤] ﴿ **فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس(٢٥١) : هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا[٥] .

(٢٤٦) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٥) مثل رواية ابن عباس .

(٢٤٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٤) .

(٢٤٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٥) .

(٢٤٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٥) .

(٢٥٠) - أخرجه البزار في كتاب العلم ، باب : اتباع القرآن ، حديث (١٢٣) (١/٧٨) . وفي التفسير ، باب : سورة مريم حديث (٢٢٣١) (٣/٥٨) وفي الأطعمة باب : فيما يحل وما يحرم حديث (٢٨٥٥) (٣/٣٢٥) . والدارقطني في كتاب الزكاة ، باب : الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها ، حديث (١٢) (٢/١٣٧) . والبيهقي (١٠/١٢) كتاب الضحايا ، باب : ما لم يذكر تحريمه ولا كان في معنى ما ذكر تحريمه مما يؤكل أو يشرب . والحاكم (٢/٣٧٥) وصححه ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٦) ، وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون ، وقال (٧/٥٨) : رواه البزار ورجاله ثقات . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢٥١) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « زيد » .

[٢] - في ز ، خ : « عباس » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « شبهًا » .

وكذلك قال مجاهد(٢٥٢) ، وسعيد بن جبير ، وقتادة(٢٥٣) ، وابن جريج(٢٥٤) وغيرهم .

وقال عكرمة عن ابن عباس(٢٥٥) : ليس أحد يسمَّىٰ[١] الرحمن غيره تبارك وتعالىٰ ، وتقدس اسمه .

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان أنه يتعجب ، ويستبعد إعادته بعد موته ، كما قال تعالىٰ : **﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد ﴾** وقال : **﴿ أولم ير الإنسان أنَّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾** وقال هاهنا : **﴿ ويقول الإنسان أئذا مامت لسوف أخرج حيًّا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا ﴾** [يستدل تعالىٰ بالبداءة علىٰ الإعادة ، يعني أنه تعالىٰ قد[٢] خلق الإنسان ولم يك شيئًا][٣] ، أفلا يعيده وقد صار شيئًا ، كما قال تعالىٰ : **﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾** .

وفي الصحيح(٢٥٦) : « **يقول اللَّه تعالىٰ : كذبني ابن[٤] آدم ، ولم يكن له أن يكذبني ، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني ؛ أما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني**

(٢٥٢) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦) .
(٢٥٣) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦) .
(٢٥٤) - أخرجه الطبري (١٠٦/١٦) .
(٢٥٥) - أخرجه الحاكم (٣٧٥/٢) . والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣/١ - ١٤٤) حديث (١٢٢ ، ١٢٣) . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(٢٥٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير في سورة : **﴿ قل هو اللَّه أحد ﴾** باب (١) ، (٢) ، حديث (٤٩٧٤ - ٤٩٧٥) (٧٣٩/٨) من حديث أبي هريرة وفي تفسير سورة البقرة ، باب : (٨) حديث (٤٤٨٢) (١٦٨/٨) من حديث ابن عباس - رضي اللَّه عنه - .

[١] - في ز : « تسمى » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ .

كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ[١] من آخره ، وأما أذاه إياي فقوله : إن لي ولدًا ، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد » .

وقوله : ﴿ **فوربك لنحشرنهم والشياطين** ﴾ أقسم الرب تبارك وتعالىٰ بنفسه الكريمة ، أنه لابد أن يحشرهم جميعًا ، وشياطينهم[٢] الذين كانوا يعبدون من دون اللّٰه ﴿ **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا** ﴾ .

قال العوفي عن ابن عباس(٢٥٧) : يعني قعودًا ، كقوله : ﴿ **وترىٰ كلَّ أمة جاثية** ﴾ .

وقال السدي في قوله : ﴿ **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا** ﴾ يعني : قيامًا ، وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله[٣] . وقوله : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة** ﴾ يعني من كل أمة . قاله مجاهد(٢٥٨) . ﴿ **أيهم أشد علىٰ الرحمن عتيًا** ﴾ .

قال الثوري عن [علي بن الأقمر عن أبي الأحوص][٤] ، عن ابن مسعود(٢٥٩) قال : يحبس الأول علىٰ الآخر ، حتىٰ إذا تكاملت العدة[٥] أتاهم جميعًا ، ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرمًا ، وهو قوله : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علىٰ الرحمن عتيًا** ﴾ .

وقال قتادة(٢٦٠) : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علىٰ الرحمن عتيًا** ﴾ قال : ثم لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم[٦] في الشر . وكذا قال ابن جريج ، وغير واحد من السلف . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا ادَّاركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾

وقوله : ﴿ **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولىٰ بها صليًا** ﴾ « ثم » هاهنا لعطف الخبر علىٰ

(٢٥٧) - أخرجه الطبري (١٠٧/١٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٤) إلى ابن أبي حاتم.
(٢٥٨) - أخرجه الطبري (١٠٧/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٤) إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي .
(٢٥٩) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور .
(٢٦٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « عليه » .
[٢] - في خ : « شياطينهم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « عن أبي وعن أبي الأحوص » .
[٥] - في ز : « الغرة » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

الخبر ، والمراد : أنه تعالىٰ أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلىٰ بنار جهنم ، ويخلد فيها ، وبمن[١] يستحق تضعيف[٢] العذاب ، كما قال في الآية المتقدمة : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ .

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)

قال الإمام أحمد(٢٦١) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا غالب بن سليمان ، عن كثير ابن زياد البُرْساني[٣] ، عن أبي سمية قال : اختلفنا في الورود ؛ فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم : يدخلونها جميعًا ، ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله ، فقلت له : إنا اختلفنا في الورود . فقال : يردونها جميعًا - وقال سليمان بن[٤] مرة : يدخلونها جميعًا - وأهوىٰ بأصبعيه إلىٰ أذنيه ، وقال : صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا يبقىٰ بر ولا فاجر إلّا دخلها ، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم ، ثم ينجّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًا** » . غريب ولم يخرجوه .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية ، عن بكار[٥] بن أبي مروان ، عن خالد ابن معدان(٢٦٢) قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا[٦] الورود علىٰ النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة .

وقال عبد الرزاق(٢٦٣) : عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته ، فبكىٰ ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : رأيتك تبكي فبكيت . قال : إني ذكرت قول الله -عز وجل- : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا ؟ وفي رواية : وكان مريضًا.

---

(٢٦١) - أخرجه أحمد (٣/٣٢٨ - ٣٢٩) .

(٢٦٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٩) .

(٢٦٣) - أخرجه الطبري (١٦/١١٠) ، وقال : حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق ... إلخ بمثل ما ذكره المصنف .

---

[١] - في ز ، خ : « من » .
[٢] - في خ : « بضعيف » .
[٣] - في ز : « البوساني » ، خ : « البوساتي » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - كأنها « بكان » : في ز ، خ : « مكان » .
[٦] - في ز : « بارئنا » .

وقال ابن جرير(٢٦٤) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن[١] يمان ، عن مالك بن مِغْوَل ، عن أبي إسحاق : كان أبو ميسرة إذا أوىٰ[٢] إلىٰ فراشه قال : يا ليت أمي لم تلدني . ثم يبكي، فقيل : ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال : أخبرنا أنّا واردوها ، ولم نخبر أنّا صادرون عنها .

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري(٢٦٥) قال : قال رجل لأخيه : هل[٣] أتاك بأنك[٤] وارد النار ؟ قال : نعم . [قال : هل]‌[٥] أتاك أنك صادر عنها[٦] ؟ قال : لا . قال : ففيم الضحك ؟ [قال : فما رُؤي ضاحكا حتىٰ لحق بالله]‌[٧] .

وقال عبد الرزاق أيضًا : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول . فقال نافع : لا . فقرأ ابن عباس : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ وردوا أم لا ، وقال : ﴿**يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار**﴾ أورَدَ هو أم لا ؟ أما[٨] أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرىٰ الله مخرجك منها بتكذيبك . فضحك نافع(٢٦٦) .

وروىٰ ابن جريج ، عن عطاء قال : قال أبو راشد الحروري - وهو نافع بن الأزرق(٢٦٧) - : ﴿ **لا يسمعون حسيسها** ﴾ . فقال ابن عباس : ويلك ، أمجنون أنت ؟ أين قوله : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار** ﴾ ، ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ ، ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ؟ والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالمًا ، وأدخلني الجنة غانمًا .

وقال ابن جرير(٢٦٨) : حدثني محمد بن عبيد المحاربي[٩] ، حدثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد الله ، عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس ؛ فأتاه رجل يقال له :

---

(٢٦٤) - أخرجه الطبري (١٦/١١٠) .
(٢٦٥) - أخرجه الطبري (١٦/١١٢) .
(٢٦٦) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٨ - ١٠٩) .
(٢٦٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٩) .
(٢٦٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٠٨ - ١٠٩) .

---

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - في ز : « آوى » .
[٣] - في ت : « فهل » .
[٤] - في ت : « أنك » .
[٥] - في ز ، خ : « فقال فهل » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : « الحاري » .

أبو راشد - وهو نافع بن الأزرق - فقال له : يا بن عباس ، أرأيت قول اللَّه : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ ؟ . قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر هل نصدر عنها أم لا ؟ وقال أبو داود الطيالسي(٢٦٩) : قال شعبة : أخبرني عبد اللَّه بن السائب ، عمن سمع ابن عباس يقرؤها : (**وإن منهم إلا واردها**) يعني : الكفار .

وهكذا روىٰ عمر بن الوليد الشَّنِّي[١] : أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (**وإن منهم إلا واردها**) قال : وهم : الظلمة ، كذلك كنا نقرؤها . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير(٢٧٠) .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٧١) قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ يعني : البر والفاجر ، ألم[٢] تسمع إلىٰ قول اللَّه لفرعون : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾ . ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ ؟ فسمىٰ الورود علىٰ[٣] النار دخولًا وليس بصادر . و[٤]قال الإمام أحمد(٢٧٢) : حدثنا عبد الرحمن ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود - ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يرد الناس النار[٥] كلهم ، ثم يصدرون عنها بأعمالهم** » .

ورواه الترمذي[٦](٢٧٣) عن عبد[٧] بن حميد ، عن[٨] عبيد اللَّه ، عن [ ][٩] إسرائيل ، عن السدي به . ورواه من طريق شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود موقوفًا .

هكذا وقع [ ][١٠] هذا الحديث هٰهنا مرفوعًا ، وقد رواه أسباط ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : يرد الناس جميعًا الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم ، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ،

---

(٢٦٩) - أخرجه الطبري (١١٠/١٦) قال : حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داود ... إلخ مثل ما ذكره المصنف .

(٢٧٠) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) ، قال : يعني الكفار .

(٢٧١) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢٧٢) - أخرجه أحمد (٤٣٣/١ - ٤٣٥) نحوه .

(٢٧٣) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم ، حديث (٣١٦٠) (٢٩٧/٥).

---

[١] - في ز : « البستي » ، خ : « السبتي » .
[٢] - في ت : « ألا » .
[٣] - في ز ، خ : « في » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « الزهري » .
[٧] - في ز ، خ : « محمد » .
[٨] - في ز : « بن » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ابن » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « في » .

[ومنهم من يمر مثل الطير][١] ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل ، ومنهم من يمر كعدو الرجل ، حتىٰ إن آخرهم مَرًّا رجلٌ نوره علىٰ موضعي إبهامي قدميه ، يمر يتكفأ به الصراط ، والصراط دَحْضٌ مزلة ، عليه حسك كحسك القَتَاد(*)[٢] ، حافتاه ملائكة ، معهم كلاليب من نار ، يختطفون بها الناس ... وذكر تمام الحديث . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير(٢٧٤) : حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر ، حدثنا إسرائيل ، أخبرنا أبو إسحاق ، [عن أبي] الأحوص[٣] ، عن عبد[٤] الله : قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال : الصراط علىٰ جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولىٰ كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلّم سلّم .

ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما ؛ من رواية أنس(٢٧٥) ، وأبي سعيد(٢٧٦) ، وأبي هريرة(٢٧٧) ، وجابر(٢٧٨) ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم .

---

(٢٧٤) - أخرجه الطبري (١٦/ ١١٠) .

(٢٧٥) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٦٥) (١١/ ٤١٧) وفي التوحيد ، باب : قول الله تعالى ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ حديث (٧٤٤٠) (١٣/ ٤٢٢) ، وفي باب : كلام الرب - عز وجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، حديث (٧٥١٠) (١٣/ ٤٧٣) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٣/٣٢٢) (٣/ ٦٥) وما بعدها ، في ذكر حديث الشفاعة ولم يذكر فيه طوائف الناس في المرور على الصراط .

(٢٧٦) - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ، حديث (٧٤٣٩) (١٣/ ٤٢١) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية حديث (١٨٣/٣٠٢) (٣/ ٣٢) ومابعدها ، كلاهما في حديث طويل ذكر فيه رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة .

(٢٧٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : فضل السجود ، حديث (٨٠٦) (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣) وطرفاه في (٦٥٧٣ ، ٧٤٣٧) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية ، حديث (٢٩٩/ ١٨٢) (٣/ ٢٢) وما بعدها . كلاهما بنحو حديث أبي سعيد .

(٢٧٨) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩١/٣١٦) (٣/ ٥٨) وما بعدها ، في حديث طويل بنحوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(*) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبر . القاموس ص (٣٩٣) .

[٢] - في خ : « الصياد » .

[٣] - في ز ، خ : « الأخوص » .

[٤] - في ز : « عبيد » .

وقال ابن جرير(٢٧٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن الجُريري ، عن [أبي السليل][١] عن غنيم بن قيس قال : ذكروا ورود النار فقال كعب : تمسك النار للناس كأنها متن[٢] إهالة حتىٰ يستوي[٣] عليها أقدام الخلائق ؛ برهم وفاجرهم ، ثم يناديها مناد : أن أمسكي أصحابك ، ودعي أصحابي . قال : فتخسف[٤] بكل ولي لها ، و[٥]لهي أعلم بهم من الرجل بولده ، ويخرج المؤمنون نَديَّة ثيابهم . قال كعب : ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة ، مع كل واحد منهم عمود ذو[٦] شعبتين ، يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف .

و[٧]قال الإمام أحمد(٢٨٠) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر عن أم مُبَشّر ، عن حفصة قالت : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لأرجو ألَّا يدخل النار إن شاء اللَّه أحد شهد بدرًا والحديبية** » . قالت : فقلت : أليس اللَّه يقول : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قالت : فسمعته يقول : ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا** ﴾ .

وقال أحمد أيضًا(٢٨١) : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان[٨] ، عن جابر ، عن أم مبشر - امرأة زيد بن حارثة - قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في بيت حفصة ، فقال : « **لا يدخل النار أحد شهد[٩] بدرًا والحديبية** » . قالت حفصة : أليس اللَّه يقول : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا** ﴾ .

وفي الصحيحين(٢٨٢) من حديث الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه -

---

(٢٧٩) - أخرجه الطبري (١٠٩/١٦) .
(٢٨٠) - أخرجه أحمد (٢٨٥/٦) .
(٢٨١) - أخرجه أحمد (٣٦٢/٦) .
(٢٨٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم** ﴾ ، حديث (٦٦٥٦) (٥٤١/١١) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : =

---

[١] - في ز ، خ : « ابن أبي ليلى » .
[٢] - في خ : « هدا » .
[٣] - في ز ، خ : « يسير » .
[٤] - في ز ، خ : « فيخسف » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « و » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « شقيق » .
[٩] - في خ : « أشهد » .

قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار ، إلا تَحِلَّة القسم** » .

وقال[١] عبد الرزاق(٢٨٣) : قال معمر : أخبرني الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تَحِلَّة القسم** » . يعني : الورود .

وقال أبو[٢] داود الطيالسي(٢٨٤) : حدثنا زمعة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تَحِلَّة القسم** » . قال الزهري : كأنه يريد هذه الآية : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ .

وقال ابن جرير(٢٨٥) : حدثنا عمران بن بكار الكلاعي[٣] ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، حدثنا إسماعيل بن عبيد اللَّه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعود رجلًا من أصحابه وَعِكًا ، وأنا معه ، ثم قال : « **إن اللَّه تعالىٰ يقول : هي ناري أسلطها علىٰ عبدي المؤمن ؛ لتكون[٤] حظه من النار في الآخرة** » . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن[٥] يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد(٢٨٦) قال : الحمّىٰ حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ .

و[٦]قال الإمام أحمد(٢٨٧) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٧] بن فائد ،

= فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، حديث (٢٦٣٢/١٥٠) (٢٧٧/١٦) .

(٢٨٣) - أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة والآداب باب : فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، حديث (١٥٠ مكرر/٢٦٣٢) (٢٧٧/١٦) . والطبري (١١١/١٦) بنحوه .

(٢٨٤) - أخرجه الطيالسي (ص ٣٠٤) حديث (٢٣٠٤) .

(٢٨٥) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) .

(٢٨٦) - أخرجه الطبري (١١١/١٦) .

(٢٨٧) - أخرجه أحمد (٤٣٧/٣)(١٥٦٥٢) والطبراني في الكبير (١٨٤/٢٠) حديث (٣٩٨ - ٣٩٩) . ورواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٩٦/٢) ترجمة ٥٥٦ . وذكره الهيثمي في المجمع (١٤٨/٧) وقال بعد

[١] - في خ : « رواه » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « الحلاعي » .
[٤] - في خ : « ليكون » .
[٥] - في ز ، خ : « أبو » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « ربا » .

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من قرأ : ﴿ قل : هو اللّٰه أحد ﴾ حتىٰ يختمها عشر مرات ، بنىٰ اللّٰه له قصرًا في الجنة** » . فقال عمر : إذًا نستكثر يارسول اللّٰه . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اللّٰه[١] أكثر وأطيب** » .

وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من قرأ ألف آية في سبيل اللّٰه ، كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا ، إن شاء اللّٰه ، ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل اللّٰه متطوعًا لا بأجرة[٢] سلطان ، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ، وإن الذكر في سبيل اللّٰه[٣] يضاعف[٤] فوق النفقة بسبعمائة ضعف** » . وفي رواية : « **بسبعمائة ألف ضعف** »(٢٨٨) .

عزوه لأحمد والطبراني : وفي إسنادهما رشدين بن سعد وزبان وكلاهما ضعيف وفيهما توثيق لين . ا هـ . وحسنه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (حديث ٥٨٩) . قال الألباني : رشدين قد تابعه ابن لهيعة عند أحمد وفي ذلك ما يقويه ويبعد العلة عنه ، وزبان غير متهم فحديثه مما يستشهد به ، وقد وجدت له شاهدًا موصولًا وآخر مرسلًا أما الأول فأخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعًا به دون الزيادة ، وزاد : « ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاث » .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/٧) رواه الطبراني وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف .

وأما الآخر : فقال الدارمي (٢٣٠/٢) : ثنا عبد اللّٰه بن يزيد قال : ثنا حيوة ، قال أخبرني أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم ... فذكر مثل حديث معاذ بن أنس بتمامه وفيه الزيادة الثابتة التي في الشاهد الأول .

قال الألباني : وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبي عقيل واسمه زهرة بن معبد فهو من رجال البخاري وحده فإذا ضم إلى هذا المرسل الصحيح الموصولان - حديث معاذ بن أنس وأبي هريرة تقوى الحديث وبلغ رتبة الحسن على أقل الدرجات .

(٢٨٨) - أخرجه أحمد (٤٣٧/٣) . وأبو يعلى (٦٣/٣) حديث (١٤٨٩) . والطبراني (١٨٤/٢٠ - ١٨٥) حديث (٣٩٩ - ٤٠٠) . والحاكم (٨٧/٢) . كلهم من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . قال الهيثمي في المجمع (٢٧٢/٢) : رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة عن زبان وفيهما كلام . ومداره عندهم على زبان وهو ضعيف ، وسهل ضعيف في زبان . لكن للطبراني رواية من طريق يحيى بن أبي أسيد عن سهل عن أبيه ، به (٢٠/ ١٨٥) حديث (٤٠١) . ويحيى بن أبي أسيد ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٩/٩) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٦١/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا . كلهم يروون طرفه الأول .

وأخرجه أحمد (٤٣٧/٣) . وأبو يعلى (٦٣/٣) حديث (١٤٩٠) . والطبراني (١٨٥/٢٠) حديث

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « بأجر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « بضعف » .

وروىٰ أبو داود(٢٨٩) عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن يحيىٰ بن أيوب [وسعيد بن أبي أيوب][١] ، كلاهما عن زبان[٢] ، عن سهل ، عن أبيه ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الصلاة والصيام[٣] والذكر تضاعف[٤] علىٰ النفقة في سبيل اللَّه بسبعمائة ضعف** » .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة(٢٩٠) قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال : هو الممر[٥] عليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٢٩١) في قوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال : ورود المسلمين المرور[٦] علىٰ الجسر بين ظهريها ، وورود المشركين أن يدخلوها ، وقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **الزالون والزالات يومئذ كثير ، وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة ، دعاؤهم : يا الله : سلّم سلّم** » .

وقال السدي عن مرة ، عن ابن مسعود(٢٩٢) في قوله : ﴿ **كان علىٰ ربك حتمًا**

---

(٤٠٢) . وفيه رشدين بن سعد ، وزبان بن فائد وكلاهما ضعيف ، وسهل ضعيف في زبان أيضًا .

قال الهيثمي في المجمع (٥/٢٩٠) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وفي أحد إسنادي أحمد ابن لهيعة ، وهو أحسن حالًا من رشدين . كلهم يروون وسطه .

وأخرجه أحمد (٣/٤٣٨ ، ٤٤٠) . والطبراني (٢٠/١٨٥) حديث (٤٠٤) . كلاهما يروي طرفه الأخير وهو ضعيف كسابقيه .

وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : في تضعيف الذكر في سبيل اللَّه - تعالى - حديث (٢٤٩٨) (٣/٨) . والحاكم (٢/٧٨) وصححه ووافقه الذهبي . والبيهقي (٩/١٧٢) كتاب : السير ، باب : فضل الذكر في سبيل اللَّه عز وجل . بلفظ : « إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل اللَّه عز وجل بسبعمائة ضعف » . كلهم من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ، وهو إسناد ضعيف كما سبق .

وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٥٣٧) .

(٢٨٩) - انظر السابق .

(٢٩٠) - أخرجه الطبري (١٦/١١٠) .

(٢٩١) - أخرجه الطبري (١٦/١١١) .

(٢٩٢) - أخرجه الطبري (١٦/١١٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « ريان » .

[٣] - في ز : « السلام » .

[٤] - في ز : « يضاعف » .

[٥] - في الطبري : المرّ .

[٦] - سقط من : ز .

مقضيًا ﴾ قال : قسمًا واجبًا . وقال مجاهد(٢٩٣) : حتمًا. قال : قضاء. وكذا قال ابن جريج(٢٩٤) .

وقوله : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي : إذا مر الخلائق كلهم علىٰ النار ، وسقط فيها من سقط [ ][١] من الكفار والعصاة ذوي المعاصي ، بحَسَبهم ، نجىٰ اللّه تعالىٰ المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم ، فجَوَازهم علىٰ الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين ، فيشفع [ ][٢] الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أكلتهم النار ، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان ، فيخرجون أولًا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، [ثم الذي يليه] ، حتىٰ يخرجون من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج اللّه من النار من قال يومًا من الدهر : لا إله إلا اللّه ، وإن لم يعمل خيرًا قط ، ولا يبقىٰ في النار إلا من وجب عليه الخلود ، كما وردت[٣] بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا ﴾ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن الكفار حين تتلىٰ عليهم آيات اللّه[٤] ، ظاهرة الدلالة ، بينة الحجة ، واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ، ويقولون عن الذين آمنوا ، مفتخرين عليهم ، ومحتجين [ ][٥] علىٰ صحة ما هم عليه من الدين الباطل ، بأنهم[٦] : ﴿ خير مقامًا وأحسن نديًا ﴾ [أي : أحسن منازل ، وأرفع دورًا ، وأحسن نديًا][٧] ، وهو[٨] : مجمع الرجال للحديث[٩] ، أي : ناديهم[١٠] أعمر وأكثر واردًا وطارقًا ، يعنون : فكيف [نكون ونحن][١١] بهذه المثابة علىٰ باطل ، وأولئك [الذين هم][١٢] مختفون مستترون

(٢٩٣) - أخرجه الطبري (١٦/١١٤) .

(٢٩٤) - أخرجه الطبري (١٦/١١٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فيها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الله » .
[٣] - في خ : « ورد » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « بعيون » ، خ : « بعيونه » .
[٦] - في خ : « وأنهم » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « وهم » .
[٩] - في ز ، خ : « للبيت » .
[١٠] - في ز ، خ : « مأواهم » .
[١١] - في ز : « يكون عنى » ، خ : « عني » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من[١] الدور على الحق ؟ كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم : ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ وقال قوم نوح : ﴿ **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ اللّه عليهم من بيننا أليس اللّه بأعلم بالشاكرين** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ رادًّا عليهم شبهتهم : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** ﴾ أي : وكم[٢] من أمة وقرن من المكذبين ، قد أهلكناهم بكفرهم ﴿ **هم أحسن أثاثًا ورئيًا** ﴾ أي : كانوا أحسن من هؤلاء أموالًا وأمتعة ، ومناظر وأشكالًا .

قال الأعمش : عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس(٢٩٥) : ﴿ **خير مقامًا وأحسن نديًّا** ﴾ قال : المقام : المنزل ، والندي : المجلس ، والأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر .

وقال العوفي عن ابن عباس(٢٩٦) : المقام : المسكن ، والندي : المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها . وهو كما قال اللّه لقوم فرعون حين أهلكهم وقص[٣] شأنهم في القرآن : ﴿ **كم تركوا من جنات وعيون * وزروع[٤] ومقام كريم** ﴾ فالمقام : المسكن والنعيم ، والندي : المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه ، وقال تعالىٰ فيما قص علىٰ رسوله من أمر قوم لوط [إذ قال][٥] : ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ والعرب تسمي المجلس : النادي . وقال قتادة(٢٩٧) : لما رأوا أصحاب محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم في عيشهم خشونة ، وفيهم قشافة ، فَعَرَّض أهل الشرك بما تسمعون[٦] : ﴿ **أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا** ﴾ وكذا قال مجاهد(٢٩٨) والضحّاك . ومنهم من قال في الأثاث : هو المال . ومنهم من قال : المتاع . ومنهم من قال : الثياب . والرئي : المنظر ، كما قاله[٧] ابن عباس(٢٩٩) ومجاهد(٣٠٠) وغير واحد .

وقال الحسن البصري : يعني الصور . وكذا قال مالك : ﴿ **أثاثًا ورِئيًا** ﴾ : أكثر أموالًا ،

---

(٢٩٥) - أخرجه الطبري (١١٦/١٦) .
(٢٩٦) - أخرجه الطبري (١١٦/١٦) .
(٢٩٧) - أخرجه الطبري (١١٦/١٦) .
(٢٩٨) - أخرجه الطبري (١١٦/١٦) .
(٢٩٩) - أخرجه الطبري (١١٧/١٦) .
(٣٠٠) - أخرجه الطبري (١١٨/١٦) .

---

[١] - في ز : « في » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : « قضى » .
[٤] - في ز : « وكنوز » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٦] - في ز ، خ : « يسمعون » .
[٧] - في ز : « قال » .

وأحسن صورًا . والكل متقارب صحيح .

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ (٧٥)

يقول تعالىٰ : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم ، المدعين أنهم علىٰ الحق وأنكم علىٰ الباطل : ﴿ من كان في الضلالة ﴾ أي : منا ومنكم ﴿ فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ أي : فأمهله الرحمن فيما هو فيه ، حتىٰ يلقىٰ ربه وينقضي أجله ﴿ إما العذاب[١] ﴾ يصيبه ﴿ وإما الساعة ﴾ بغتة تأتيه ﴿ فسيعلمون ﴾ حينئذ ﴿ من هو شر مكانًا وأضعف جندًا ﴾ في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن النَّدي .

قال مجاهد(٣٠١) في قوله : ﴿ فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ فليدعه الله في طغيانه . وهكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله .

وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم[٢] علىٰ هدًى فيما[٣] هم فيه ، كما ذكر تعالىٰ مباهلة اليهود في قوله : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للّه من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ أي : ادعوا علىٰ المبطل منا ومنكم بالموت ، إن كنتم تدعون أنكم علىٰ الحق ، فإنه لا يضركم الدعاء ، فنكلوا عن ذلك ، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة البقرة مبسوطًا ، وللّه الحمد . وكما ذكر تعالىٰ المباهلة مع النصارىٰ في سورة آل عمران حين صمموا علىٰ الكفر ، واستمروا علىٰ الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسىٰ ولد اللّه ، وقد[٤] ذكر[٥] اللّه حججه وبراهينه علىٰ عبودية عيسىٰ ، وأنه مخلوق كآدم ، قال تعالىٰ [بعد ذلك][٦] : ﴿ فمن حاجك فيه من[٧] بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّه علىٰ الكاذبين ﴾ فنكلوا أيضًا عن ذلك .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

(٣٠١) - أخرجه الطبري (١٦/١١٩) .

[١] - في ز : « بعذاب » ، وليست آية .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « مما » .
[٤] - في خ : « وقدر » .
[٥] - بياض في : ز ، سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز .

مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

لما ذكر تعالىٰ إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه ، وزيادته علىٰ ما هو عليه ، أخبر بزيادة المهتدين هدًى ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ قد تقدم تفسيرها ، والكلام عليها ، وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف ﴿ **خير عند ربك ثوابًا** ﴾ أي : جزاءً ﴿ **وخير مردًّا** ﴾ أي : عاقبة ومردًّا علىٰ صاحبها .

وقال عبد الرزاق(٣٠٢) : أخبرنا عُمَرُ بن راشد ، عن يحييٰ[١] بن أبي كثير ، عن أبي[٢] سلمة بن عبد الرحمن قال : جلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات يوم ، فأخذ عودًا يابسًا فحط[٣] ورقه ، ثم قال : « **إن قول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح ، خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يُحال بينك وبينهن ، هن الباقيات الصالحات ، وهن من كنوز الجنة** » . قال أبو سلمة : فكان[٤] أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال : لأُهَلِّلَنَّ الله ، ولأكبرن الله ، ولأسبحن الله ، حتىٰ إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون .وهذا ظاهره أنه مرسل ، ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء، والله أعلم .

وهكذا وقع في سنن ابن ماجة(٣٠٣) من حديث أبي معاوية ، عن عُمَرَ[٥] بن راشد ، عن يحيىٰ ، عن أبي سلمة ، عن أبي الدرداء فذكر نحوه .

(٣٠٢) - أخرجه الطبري (١٢٠/١٦) من طريق عبد الرزاق .

(٣٠٣) - أخرجه ابن ماجة ، في كتاب : الأدب ، باب : فضل التسبيح ، حديث (٣٨١٣) (١٢٥٣/٢) بنحوه .

قال البوصيري : في إسناده عمر بن راشد ، قال فيه البخاري : حديثه عن ابن أبي كثير مضطرب ، ليس بالقائم . قال ابن حبان : يضع الحديث ، لايحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه .

وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٨٣٢) .

[١] - في ز : « تميم » .
[٢] - في ز : « بن » .
[٣] - في ز : « فخط » .
[٤] - في ز : « وكان » .
[٥] - في ز ، خ : « عمرو » .

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

قال الإمام أحمد(٣٠٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال : كنت رجلًا قينًا ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا ، والله لا أقضيك حتىٰ تكفر بمحمد [فقلت : لا ، والله لا أكفر بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم][١] حتىٰ تموت ، ثم تبعث . قال : فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثَمَّ مال وولد فأعطيتك[٢] . فأنزل الله : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ أخرجه[٣] صاحبا الصحيح وغيرهما ، من غير وجه عن الأعمش به . وفي لفظ البخاري(٣٠٥) : كنت قينًا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفًا ، فجئت أتقاضاه فذكر الحديث ، وقال : ﴿ **أم اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : مَوْثقًا .

وقال عبد الرزاق(٣٠٦) : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق قال : قال خباب بن الأرت : كنت قينًا بمكة ، فكنت أعمل للعاص بن وائل ، قال : فاجتمعت لي عليه دراهم ، فجئت لأتقاضاه ، فقال لي : لا أقضيك حتىٰ تكفر بمحمد . فقلت : لا أكفر بمحمد حتىٰ تموت ثم تبعث . قال : فإذا بعثت كان لي مال وولد . قال[٤] : فذكرت ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأنزل الله : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ .

---

(٣٠٤) - أخرجه أحمد (١١١/٥) .

(٣٠٥) - أخرجه البخاري في كتاب : البيوع ، باب : ذكر القين والحدَّاد ، حديث (٢٠٩١) ، وأطرفه في (٢٢٧٥ - ٢٤٢٥ - ٤٧٣٢ - ٤٧٣٣ - ٤٧٣٤ - ٤٧٣٥) .

(٣٠٦) - أخرجه أحمد (١١٠/٥) من طريق عبد الرزاق بهذا الإسناد . وأخرجه مسلم بنحوه من طريق سفيان بهذا الإسناد في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح ، وقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الروح** ﴾ ، حديث (٢٧٩٥/٣٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « فأعطينك » .

[٣] - في ز ، خ : « أخرجاه » .

[٤] - سقط من : ز .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٠٧) : إن رجالًا من أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدَيْن ، فأتوه يتقاضونه ، فقال : ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا وفضة وحريرًا ، ومن كل الثمرات ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فإن موعدكم الآخرة ، فواللّٰه لأوتين مالًا وولدًا ، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به . فضرب اللّٰه مثله في القرآن فقال : ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا** ﴾إلىٰ قوله : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ .

و[١] هكذا قال مجاهد(٣٠٨) وقتادة(٣٠٩) وغيرهم : إنها نزلت في العاص بن وائل .

وقوله ﴿ **لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ قرأ بعضهم(*) بفتح « **الواو** » من « **ولدًا** » ، وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة :

الحمدُ للّٰهِ العزيزِ فَرْدًا لم يتخذ مِنْ وُلْد شيء وُلْدًا .

وقال الحارث بن[٢] حلّزَة[٣]

وَلَقَد رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَد ثَمَّرُوا مالًا وَوُلْدَا

وقال الشاعر :

فَلَيْتَ[٤] فلانًا كان في بَطْنِ أمه وليت فلانًا كان وُلْد حمار

وقيل : إن الوُلْد بالضم : جمع ، والوَلَد بالفتح : مفرد ، وهي لغة قيس ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **أطلع الغيب** ﴾ إنكار على هذا القائل : ﴿ **لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ يعني : يوم القيامة ، أي : أعلم ما له في الآخرة حتىٰ تَألّىٰ وحلف علىٰ ذلك ﴿ **أم اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ أم له عند اللّٰه [عهد سيؤتيه][٥] ذلك ؟ وقد تقدم عند البخاري : أنه الموثق .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : لا إله إلا اللّٰه فيرجو بها .

---

(٣٠٧) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٠ -١٢١) .

(٣٠٨) - أخرجه الطبري (١٦/١٢١) .

(٣٠٩) - أخرجه الطبري (١٦/١٢١) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

(*) وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة (٤١٢) .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « حزة » ، سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « وليت » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « عهدًا سيرته » ، خ : « عهدا في سيرتيه » .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا اللّه ، ثم قرأ : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كلا** ﴾ هي حرف رَدْع لما قبلها ، وتأكيد لما بعدها ﴿ **سنكتب ما يقول** ﴾ أي : من طلبه ذلك ، وحكمه لنفسه بما يتمناه ، وكفره باللّه العظيم ﴿ **ونمد له من العذاب مدًّا** ﴾ أي : في الدار الآخرة علىٰ قوله ذلك ، وكفره باللّه في الدنيا ﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾ أي : من مال وولد نسلبه منه ، عكس ما قال : إنه يؤتىٰ[١] في الدار الآخرة مالًا وولدًا زيادة[٢] علىٰ [الذي له][٣] في الدنيا ، بل في الآخرة يسلب[٤] من الذي كان له في الدنيا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ أي : من المال والولد .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣١٠) : ﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾ [قال : نرثه][٥] .

وقال مجاهد(٣١١) : ﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾ [ماله وولده . وذلك الذي قال العاص بن وائل .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(٣١٢) : ﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾ :][٦] قال : ما عنده ، و[٧] هو قوله : ﴿ **لأوتين مالًا وولدًا** ﴾ وفي حرف ابن مسعود : (**ونرثه ما عنده**) .

وقال قتادة(٣١٣) : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ لا مال له ، ولا ولد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(٣١٤) : ﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾ قال : ما جمع من الدنيا وما عمل فيها ، قال : ﴿ **ويأتينا فردًا** ﴾ قال : فردًا من ذلك ، لا يتبعه قليل ولا كثير .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ

(٣١٠) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١١) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١٢) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١٣) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .
(٣١٤) - أخرجه الطبري (١٦/١٢٣) .

[١] - في ز : « يرى » .
[٢] - في ز : « وتاره » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « الين كله » .
[٤] - في ز : « بل سلب » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝٨٤﴾

يخبر تعالىٰ عن الكفار المشركين بربهم : أنهم اتخذوا من دونه آلهة ؛ لتكون لهم تلك الآلهة ﴿ **عزًّا** ﴾ يعتزون بهم ويستنصرونهم .

ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ، ولا يكون ما طمعوا ، فقال : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ أي : بخلاف ما ظنوا فيهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ وقرأ أبو[١] نهيك : (**كلٌّ سيكفرون بعبادتهم**) . وقال السدي : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ أي : بعبادة الأوثان .

وقوله : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ أي : بخلاف ما رجوا منهم .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣١٥) : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ قال : أعوانًا .

قال مجاهد(٣١٦) : عونًا عليهم ، تخاصمهم وتكذبهم .

وقال العوفي عن ابن عباس(٣١٧) : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ قال[٢] : قرناء .

و[٣] قال السدي : ﴿ **ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ قال : الخصماء الأشداء في[٤] الخصومة .

و[٥] قال قتادة(٣١٨) : قرناء في النار يلعن بعضهم بعضًا ، ويكفر بعضهم ببعض .

---

(٣١٥) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٤) ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣١٦) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

(٣١٧) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

(٣١٨) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .

وقال الضحاك(٣١٩) : ﴿ويكونون عليهم ضدًا﴾ قال : أعداء.

وقال ابن زيد(٣٢٠) : الضد : البلاء.

وقال عكرمة(٣٢١) : الضد : الحسرة .

وقوله : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين علىٰ الكافرين تؤزهم أزًا ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٢٢) : تغويهم إغواء .

وقال العوفي عنه : تحرضهم على محمد وأصحابه . وقال مجاهد(٣٢٣) : تشليهم[١] إشلاء . وقال قتادة(٣٢٤) : تزعجهم إزعاجًا إلى معاصي الله . وقال سفيان الثوري : تغريهم إغراء ، وتستعجلهم استعجالاً . وقال السدي(٣٢٥) : تطغيهم طغيانًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد : هذا كقوله تعالىٰ : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين ﴾ وقوله : ﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًا ﴾ أي : لا تعجل يامحمد علىٰ هؤلاء في وقوع العذاب بهم ﴿ إنما نعدّ لهم عدًا ﴾ أي : إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط ، وهم صائرون لا محالة إلىٰ عذاب الله ونكاله ، [ ][٢] : ﴿ ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا﴾ ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا﴾ ﴿نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلىٰ عذاب غليظ﴾ ، ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ .

قال السدي : ﴿ إنما نعد لهم عدًا ﴾ : السنين والشهور والأيام والساعات .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٢٦) : ﴿إنما نعدُّ لهم عدًا﴾ قال : نعد أنفاسهم في الدنيا .

---

(٣١٩) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

(٣٢٠) - أخرجه الطبري (١٢٤/١٦) .

(٣٢١) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣٢٢) - أخرجه الطبري (١٢٥/١٦) .

(٣٢٣) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٤) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣٢٤) - أخرجه الطبري (١٢٥/١٦)

(٣٢٥) - أخرجه الطبري (١٢٥/١٦) .

(٣٢٦) - أخرجه الطبري (١٢٦/١٦) .

---

[١] - في خ : « تشيلهم » . [٢] - في ت : وقال .

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧)﴾

يخبر تعالىٰ عن أوليائه المتقين، الذين خافوه في الدار الدنيا، واتبعوا رسله، وصدقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم به[١]، وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه[٢]، والوفد: هم القادمون ركبانًا، ومنه الوفود، وركوبهم علىٰ نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون علىٰ خير موفود إليه، إلىٰ دار كرامته ورضوانه.

وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يساقون عنفًا إلىٰ النار، ﴿ وردًا ﴾ عطاشًا. قاله عطاء[٣]، وابن عباس(٣٢٧)، ومجاهد، والحسن(٣٢٨)، وقتادة(٣٢٩)، وغير واحد. وههنا يقال: ﴿ أيّ الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا ﴾.

وقال ابن أبي حاتم(٣٣٠): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن خالد، عن عمرو بن قيس الملائي، عن ابن مرزوق: ﴿ يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا ﴾ قال: يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها، وأطيبها ريحًا، فيقول: من أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسّن وجهك. فيقول: أنا عملك الصالح، وهكذا كنت في الدنيا، حسنَ العمل طيبه، فطالما ركبتك في الدنيا، فهلم اركبني. فيركبه، فذلك قوله: ﴿ يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا ﴾.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٣١): ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ قال: ركبانًا[٤].

---

(٣٢٧) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦).

(٣٢٨) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦). وهناد في الزهد (١٨٥/١) حديث (٢٨٦ - ٢٨٧).

(٣٢٩) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦، ١٢٨). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٤) بنحوه وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣٣٠) - وأخرجه الطبري (١٢٧/١٦) من حديث عمرو بن قيس الملائي به.

(٣٣١) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦).

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «أئمة».

[٣] - مكانها بياض في: ز.

[٤] - في ز، خ: «ركابًا».

وقال ابن جرير(٣٣٢) : [حدثني ابن[١] المثنىٰ][٢] ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة[٣] ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا** ﴾ قال : علىٰ الإبل .

وقال ابن جريج[٤](٣٣٣) : على النجائب .

وقال الثوري(٣٣٤) : على الإبل النوق .

وقال قتادة(٣٣٥) : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا** ﴾ قال : إلىٰ الجنة .

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد في مسند أبيه(٣٣٦) : حدثنا سويد بن سعيد ، أخبرنا عليّ بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، حدثنا النعمان بن سعد قال : كنا جلوسًا عند عليّ رضي اللَّه عنه ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا** ﴾ قال : لا ، واللَّه ماعلىٰ أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد علىٰ أرجلهم ، ولكن بنوق[٥] لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها ، حتىٰ يضربوا أبواب الجنة .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم(٣٣٧) وابن جرير(٣٣٨) ، من حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدني به . وزاد : عليها[٦] رحائل الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، والباقي مثله .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم هٰهنا حديثًا غريبًا جدًّا مرفوعًا ، عن علي فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي[٧] ، حدثنا مسلمة بن جعفر

---

(٣٣٢) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦) .
(٣٣٣) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦) من حديث ابن جريج .
(٣٣٤) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦) .
(٣٣٥) - أخرجه الطبري (١٢٧/١٦) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٨/٤) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد .
(٣٣٦) - أخرجه أحمد (١٥٥/١) .
(٣٣٧) - أخرجه الحاكم (٣٧٨/٢) وقال : على شرط مسلم وتعقبه الذهبي بأن عبد الرحمن لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان وضعفوه .
(٣٣٨) - أخرجه الطبري (١٢٦/١٦) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « سعيد » .
[٤] - في خ : « جرير » .
[٥] - في ز ، خ : « نوق » .
[٦] - في ز : « عليهما » .
[٧] - في ز ، خ : « المدني » .

البجلي ، سمعت أبا معاذ البصري قال : إن عليًا كان ذات يوم عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأ عليّ هذه الآية : ﴿ يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا ﴾ فقال : ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوق[١] بيض لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شُرُك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر ، فينتهون إلىٰ شجرة ينبع من أصلها عينان ، فيشربون من إحداهما ، فتغسل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرىٰ ، فلا تشعث [أبشارهم ولا][٢] أشعارهم[٣] بعدها أبدًا ، وتجري عليهم نضرة النعيم ، فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء علىٰ[٤] صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة علىٰ الصفيحة ، فيسمع لها طنين يا[٥] علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث قيمها فيفتح له ، فإذا رآه خرّ له - قال مسلمة : أراه قال : ساجدًا - فيقول : ارفع رأسك ، إنما أنا قيمك وكلت بأمرك . فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف الحوراء العجلة ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتىٰ تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبي ، وأنا حِبك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط[٦] ، وأنا المقيمة التي لا أظعن . فيدخل بيتًا من أسّه إلىٰ سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه علىٰ جندل اللؤلؤ طرائق : أصفر وأحمر وأخضر ، ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها[٧] ، وفي البيت سبعون سريرًا ، علىٰ كل سرير سبعون حشية ، علىٰ كل حشية سبعون زوجة ، علىٰ كل زوجة سبعون حلة ، يرىٰ مخ ساقها من وراء الحلل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تطرد ؛ أنهار من ماء غير آسن - قال : صاف لا كَدَرَ فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، لم يخرج من ضروع الماشية ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، لم يعتصرها الرجال بأقدامهم[٨] ، وأنهار من عسل مصفىٰ ، لم يخرج من بطون النحل ، فيستحلي الثمار ، فإن شاء أكل قائمًا ، وإن شاء قاعدًا ، وإن شاء متكئًا . ثم تلا : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض - وربما قال : أخضر[٩] - فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ، ثم تطير فتذهب ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ﴿ تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ولو أن شعرة من شعر

---

[١] - في ز : « ببرق » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - غير واضحة في ز ، سقط من : خ .
[٤] - في خ : « هى » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « تسخط » .
[٧] - في خ : « صاحبه » .
[٨] - في ز ، خ : « بأقدامها » .
[٩] - في ز : « خضر » .

الحوراء وقعت[١] لأهل الأرض ، لأضاءت ، الشمس معها سواد في نور » .

هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا ، وقد رويناه في المقدمات من كلام عليّ - رضي الله عنه - بنحوه ، وهو أشبه بالصحة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ أي : عطاشًا ، ﴿ **لا يملكون الشفاعة** ﴾ أي : ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم : ﴿ **فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ هذا استثناء منقطع ، بمعنىٰ : لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا[٢] ، وهو شهادة ألّا إله إلا الله ، والقيام بحقها .

قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٣٩) : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ قال : العهد شهادة أن لا إله إلا الله ، ويبرأ إلىٰ الله من الحول والقوة ، ولا يرجو إلا الله عز وجل .

وقال ابن أبي حاتم(٣٤٠) : حدثنا عثمان بن خالد الواسطي ، حدثنا محمد بن الحسن الواسطي ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، عن أبي فاختة ، عن الأسود بن يزيد قال : قرأ عبد الله - يعني ابن مسعود - هذه الآية : ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا** ﴾ ثم قال : اتخذوا عند الله عهدًا ، فإن الله يقول يوم القيامة : من كان له [عند الله][٣] عهد فليقم . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ؛ فَعَلِّمْنا . قال : قولوا : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلني إلىٰ عملي يقربني من الشر ويباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا [برحمتك ، فاجعل][٤] لي عندك عهدًا تؤديه إليّ يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد .

قال المسعودي : فحدثني زكريا ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أخبرنا[٥] ابن مسعود : وكان يُلْحِقُ[٦] بهن : خائفًا مستجيرًا مستغفرًا راهبًا راغبًا إليك . ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه .

---

(٣٣٩) - أخرجه الطبري (١٢٨/١٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٤) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣٤٠) - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٩/٩) . والحاكم (٣٧٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز ، خ : « رفعت » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « برجائك فاجعله » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « يلحن » .

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ
ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

لما قرر تعالىٰ في هذه السورة الشريفة عبودية عيسىٰ عليه السلام ، وذكر خلقه من مريم بلا أب ، شرع في مقام الإنكار علىٰ من زعم أن له ولدًا - تعالىٰ وتقدّس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا - فقال : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا** ﴾ أي : في قولكم هذا ﴿ **شيئًا إدًّا** ﴾ قال ابن عباس(٣٤١) ومجاهد(٣٤٢) وقتادة(٣٤٣) ومالك : أي : عظيمًا . ويقال : إدًّا بكسر الهمزة وفتحها ، ومع مدها أيضًا ، ثلاث لغات ، أشهرها الأولىٰ .

وقوله : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ أي : يكاد يكون ذلك عند سماعهن[١] هذه المقالة من فجرة بني آدم ، إعظامًا للرب وإجلالًا ؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات علىٰ توحيده ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا صاحبة له ، ولا كفء له ، بل هو الأحد الصمد .

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تدل علىٰ أنه واحد[٢]

وقال ابن جرير(٣٤٤) : حدثني عليّ ، حدثنا عبد الله ، حدثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن[٣] منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ قال : إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال ، وجميع

(٣٤١) - أخرجه الطبري (١٢٩/١٦) .
(٣٤٢) - أخرجه الطبري (١٢٩/١٦) .
(٣٤٣) - أخرجه الطبري (١٢٩/١٦) .
(٣٤٤) - أخرجه الطبري (١٣٠/١٦) .

[١] - في ز : « سماعهم » .
[٢] - في خ : « الواحد » .
[٣] - في ز : « ينفطرن » .

الخلائق إلا الثقلين ، فكادت أن تزول منه لعظمة اللَّه ، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر اللَّه ذنوب الموحدين ، وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا اللَّه ، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة** » . قالوا : يارسول اللَّه ، فمن قالها في صحته ؟ قال : « **تلك أوجب وأوجب** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهن ، وما بينهن وما تحتهن ، فوضعن في كفة الميزان ، ووضعت شهادة أن لا إله إلا اللَّه في الكفة الأخرىٰ ، لرجحت بهن** » .

وهكذا رواه ابن جرير ، ويشهد له حديث البطاقة(٣٤٥) ، واللَّه أعلم .

وقال الضحاك : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن**[١] **منه** ﴾ أي : يتشققن فَرَقًا[٢] من عظمة اللَّه .

وقال عبد الرحمن[٣] بن زيد بن أسلم : ﴿ **وتنشق الأرض** ﴾ أي : غضبًا لله عزَّ وجلَّ .

﴿ **وتخر الجبال هدًّا** ﴾ قال ابن عباس(٣٤٦) : هدمًا .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **هدًّا** ﴾[٤] ينكسر بعضها على بعض متتابعات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن سويد المقبري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا مسعر ، عن عون ، عن[٥] عبد اللَّه ، قال : إن الجبل لينادي الجبل باسمه : يافلان ، هل مر بك اليوم ذاكرًا للَّه -عز وجل- ؟ فيقول : نعم ويستبشر . قال عون : لهي للخير أسمع ، أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولايسمعن غيره ، ثم قرأ : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا هَوْذَة ، حدثنا عوف ، عن

---

(٣٤٥) - حديث البطاقة : أخرجه أحمد (٢/٢١٣) . والترمذي في كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا اللَّه ، حديث (٢٦٣٩) (٥/٢٥) ، وحسنه . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة اللَّه يوم القيامة ، حديث (٤٣٠٠) (٢/١٤٣٧) . والحاكم (١/٦ - ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي . والحديث صححه الألباني في الصحيحه برقم (١٣٥) .

(٣٤٦) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٠) .

---

[١] - في ز : « ينفطرن » .

[٢] - في ز، خ : « فزعًا » .

[٣] - في ز : « الله » .

[٤] - في خ : « هكذا » ، وليست من الآية .

[٥] - في ز : « بن » .

غالب بن عَجْرَد ، حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منًى قال : بلغني أن اللَّه لما خلق الأرض وخلق مافيها من الشجر ، لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة - [أو قال : كان لهم فيها منفعة][١] - ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتىٰ تكلم فجرة بني آدم بتلك الكلمة العظيمة : قولهم ﴿ **اتخذ الرحمن ولدًا** ﴾ فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر .

وقال كعب الأحبار(٣٤٧) : غضبت الملائكة واستعرت[٢] النار ، حين قالوا ما قالوا .

وقال الإمام أحمد(٣٤٨) : حدثنا أبو[٣] معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن أبي موسىٰ -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما أحد أصبر علىٰ أذى يسمعه من اللَّه : إنه يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم** » .

أخرجاه في الصحيحين. وفي لفظ : « **إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم** » .

وقوله : ﴿ **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا** ﴾ أي : لايصلح له ولايليق به ؛ لجلاله وعظمته لأنه لا كفء له من خلقه[٤] لأن جميع الخلائق عبيد له ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا** ﴾ أي :قد علم عددهم منذ خلقهم إلىٰ يوم القيامة ، ذكرهم وأنثاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ أي :لا ناصر له ولا مجير إلا اللَّه وحده لاشريك له ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لايظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحدًا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

(٣٤٧) - أخرجه الطبري (١٣٠/١٦) .

(٣٤٨) - أخرجه أحمد (٣٩٥/٤) . والبخاري في كتاب : الأدب ، باب : الصبر في الأدب وقول اللَّه تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ ، حديث (٦٠٩٩) (٥١١/١٠) وطرفه في (٧٣٧٨) . ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لا أحد أصبر على أذًى من اللَّه عز وجل ، حديث (٤٩ - ٢٨٠٤/٥٠) (٢١٣/١٧ - ٢١٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في خ : « واستوت » .

[٣] - في ز : « ابن » .

[٤] - في ز : « خلق ».

يخبر تعالىٰ أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات - وهي الأعمال التي ترضي اللّه- عز وجل - لمتابعتها الشريعة المحمدية -يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة ، وهذا أمر لابد منه ولا[١] محيد عنه ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم من غير وجه :

قال الإمام أحمد(٣٤٩) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **إن اللّه إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : ياجبريل ، إني أحب فلانًا فأحبه** » . قال : « **فيحبه جبريل** » . قال : « **ثم ينادي في أهل السماء : إن اللّه يحب فلانًا [فأحبوه]** » . قال : « **فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض . وإن اللّه إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فقال : ياجبريل ؛ إني أبغض فلانًا فأبغضه** » . قال : « **فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن اللّه يبغض فلانًا فأبغضوه** » . قال : « **فيبغضه أهل السماء ، ثم توضع[٢] له البغضاء في الأرض** » . ورواه مسلم(٣٥٠) من حديث سهيل .

ورواه أحمد(٣٥١) والبخاري من حديث ابن جريج ، عن موسىٰ بن عقبة[٣] ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٣٥٢) : حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ميمون - أبو محمد المرئي[٤] - حدثنا محمد بن عباد المخزومي ، عن ثوبان رضي اللّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **إن العبد ليلتمس مرضات اللّه فلا يزال كذلك ، فيقول اللّه - عز وجل - لجبريل : إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه . فيقول جبريل :**

(٣٤٩) - أخرجه أحمد (٤٨٨١) (٢/٣٤١) ، (٢/٢٦٧ ، ٤١٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٤) .

(٣٥٠) - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : إذا أحب اللّه عبده حببه إلى عباده ، حديث (٢٦٣٧/١٥٧) (١٦/٢٨٢) .

(٣٥١) - أخرجه أحمد (٢/٥١٤) والبخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، حديث (٣٢٠٨) (٦/٢٠٣) ، وطرفاه في (٦٠٤٠ ، ٧٤٨٥) .

(٣٥٢) - أخرجه أحمد (٥/٢٧٩) . والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٠٦، ٢٠٧/ رقم: ٤٩٧٦) مطولًا من طريق أحمد بن محمد بن صدقة ، عن يحيى بن محمد بن السكن ، عن محبوب بن الحسن ، عن ميمون به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٢) وعزاه لأحمد وحده وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة » . وفي (١٠/ ٢٧٢) عزاه للطبراني في الأوسط وحده وقال : « ورجاله ثقات » .

---

[١] - في ز ، خ : « فلا » .

[٢] - في خ : « يوضع » .

[٣] - في ز ، خ : « عتبة » .

[٤] - في ز : « المرائي » .

رحمة الله علىٰ فلان ، ويقولها[١] حملة العرش ، ويقولها من حولهم ، حتىٰ يقولها أهل السموات السبع ، ثم يهبط إلىٰ الأرض » . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد(٣٥٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن محمد بن سعد الواسطي ، عن أبي ظبية ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« إن المِقَة من الله - قال شريك : هي المحبة - والصيت من السماء ، فإذا أحب الله عبدًا قال لجبريل عليه السلام : إني أحب فلانًا . فينادي جبريل : إن ربكم يمِقُ[٢] - يعني : يحب - فلانًا فأحبوه - وأرىٰ[٣] شريكًا قد قال : « فتنزل له المحبة في الأرض » - « وإذا أبغض عبدًا قال لجبريل : إني أبغض فلانًا فأبغضه . قال : « فينادي جبريل : إن ربكم يبغض فلانًا فأبغضوه ، قال : أرىٰ شريكًا [قد قال][٤] : فيجرى له البغض في الأرض »** . غريب ولم يخرجوه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو داود الحَفَرِيّ ، حدثنا عبد العزيز - يعني : ابن محمد ، وهو : الدراوردي[٥] - عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن النبي صلىٰ الله عليه سلم قال : **« إذا أحب الله عبدًا نادىٰ جبريل : إني قد[٦] أحببت فلانًا فأحبه . فينادىٰ في السماء ، ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض ، فذلك قول الله - عز وجل - : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا ﴾** .

ورواه مسلم(٣٥٤) والترمذي[٧] - كلاهما عن قتيبة[٨] ، عن الدراوردي به . وقال الترمذي[٩] : حسن صحيح .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٣٥٥) في قوله : **﴿ سيجعل لهم الرحمن ودًّا ﴾**

(٣٥٣) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٩ ، ٢٦٣) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ١٤١ / رقم : ٧٥٥١). وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٨ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ / رقم : ٤٩٧٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط وقال : « ورجاله وثقوا » .

(٣٥٤) - صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : إذا أحب الله عبده حببه إلى عباده ، مكرر حديث (٢٦٣٧/١٥٧) (٢٨٣/١٦) ورواه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم ، حديث (٣١٦١) (٥/٢٩٧ - ٢٩٨) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣٥٥) - أخرجه الطبري (١٦/١٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥١٢) نسبته إلى عبد بن حميد =

[١] - في ز : « تقولها » .
[٢] - في ز : « يمقه » .
[٣] - في ز : « فأرى » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « المرواوردي » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « الزهري » .
[٨] - في ز ، خ : « عبد الله » .
[٩] - في ز ، خ : « الزهري » .

قال: حبًا.

وقال مجاهد عنه(٣٥٦) ﴿ سيجعل لهم الرحمن ودًا ﴾ ، قال: محبة في الناس في الدنيا .

وقال سعيد بن جبير(٣٥٧) عنه: يحبهم ويحببهم، يعني: إلى خلقه المؤمنين. كما قال مجاهد(٣٥٨) أيضًا

والضحاك(٣٥٩) وغيرهم.

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٦٠) أيضًا: الود من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق.

وقال قتادة(٣٦١) : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا ﴾ إي والله في قلوب أهل الإيمان، ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

وقال قتادة(٣٦٢) : وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يقول: ما من عبد يعمل خيرًا أو شرًا إلا كساه الله - عز وجل - رداء عمله.

وقال ابن أبي حاتم - رحمه الله - حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبيح[١] ، عن الحسن البصري - رحمه الله - قال: قال رجل: والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها. فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائمًا يصلي، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج، فكان لا يعظم، فمكث بذلك سبعة أشهر، وكان لا يمر على قوم إلا قالوا: انظروا إلى هذا المرائي. فأقبل على نفسه فقال: لا أراني أذكر إلا بشر، لأجعلن

= وعبد الرزاق والفريابي بنحوه.

(٣٥٦) - أخرجه الطبري (١٣٢/١٦).

(٣٥٧) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦).

(٣٥٨) - أخرجه الطبري (١٣٢/١٦).

(٣٥٩) - أخرجه هناد في كتاب الزهد (٢٧٤/١) حديث (٤٧٩) بلفظ، قال: محبة في صدور العالمين.

(٣٦٠) - أخرجه الطبري (١٣٢/١٦).

(٣٦١) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦).

(٣٦٢) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦).

---

[١] - في ز: « صبح ».

عملي كله لله -عز وجل- فلم يزد على أن قلب نيته، ولم يزد على العمل الذي كان يعمل، فكان يمر بعد بالقوم، فيقولون: رحم الله فلانًا، الآن [ ][١]. وتلا الحسن: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا** ﴾.

وقد روى ابن جرير(٣٦٣) أثرًا أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف. وهو خطأ؛ فإن هذه السورة بتمامها مكية، لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ **فإنما يسرناه** ﴾ يعني: القرآن ﴿ **بلسانك** ﴾ أي: يامحمد، وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل ﴿ **لتبشر به المتقين** ﴾ أي: المستجيبين لله المصدقين لرسوله ﴿ **وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ أي: عوجًا عن الحق، مائلين[٢] إلى الباطل.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد(٣٦٤): ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾ لا يستقيمون[٣].

وقال الثوري عن إسماعيل - وهو السدي - عن أبي صالح: ﴿ **وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ عوجًا عن الحق.

وقال الحسن البصري(٣٦٥): ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾: صمًّا.

وقال غيره: صمّ آذان القلوب. وقال قتادة(٣٦٦): ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾. يعني: قريشًا.

وقال العوفي عن ابن عباس(٣٦٧): ﴿ **قومًا لدًّا** ﴾ فجارًا. وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد(٣٦٨).

وقال ابن زيد(٣٦٩): الألد: الظلوم، وقرأ قول الله: ﴿ **وهو ألد الخصام** ﴾.

---

(٣٦٣) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦).

(٣٦٤) - أخرجه الطبري (١٣٣/١٦)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٤/٤) نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣٦٥) - أخرجه الطبري (١٣٤/١٦).

(٣٦٦) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥١٣/٤).

(٣٦٧) - أخرجه الطبري (١٣٤/١٦) من طريق العوفي عن ابن عباس، قال: لتنذر به قومًا ظلمة.

(٣٦٨) - أخرجه الطبري (١٣٤/١٦).

(٣٦٩) - أخرجه الطبري (١٣٤/١٦).

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «الآن». [٢] - في ز: «بما يكون».

[٣] - في ز: «يستقيموا»، خ: «تستقيموا».

وقوله : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي : من[١] أمة كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله ﴿ هل تحِس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا ﴾ .

أي : هل ترىٰ منهم أحدًا ، أو تسمع لهم ركزًا .

قال ابن عباس(٣٧٠) وأبو العالية ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ، والضحاك(٣٧١) ، وابن زيد : يعني صوتًا .

وقال الحسن(٣٧٢) وقتادة(٣٧٣) : هل ترىٰ عينًا ، أو تسمع صوتًا . والركز في أصل اللغة هو : الصوت الخفي ، قال الشاعر :

فتوجست[٢] ركز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والإنيس سقامها

آخر تفسير سورة مريم ، ولله الحمد والمنة . ويتلوه إن شاء الله تعالى تفسير سورة طه ، والحمد لله .

☆ ☆ ☆

(٣٧٠) - أخرجه الطبري (١٣٤/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر (٥١٤/٤) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٧١) - أخرجه الطبري (١٣٥/١٦) .

(٣٧٢) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٤) ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٣٧٣) - أخرجه الطبري (١٣٥/١٦) ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥١٣/٤) إلى عبد الرزاق وعبد ابن حميد .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « فوكزت » .

تفسير[١] سورة طه

[وهي][٢] مكية

روىٰ إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب « التوحيد »(١) عن زياد بن أيوب، عن إبراهيم بن المنذر الحِزامي، حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، عن عمر بن حفص بن ذكوان، عن مولىٰ الحُرَقة - يعني: عبد الرحمن بن يعقوب - عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إن اللَّه قرأ طه، ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمعت الملائكة قالوا: طوبىٰ لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبىٰ لأجواف تحمل هذا، وطوبىٰ لألسن تتكلم[٣] بهذا** » هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

(١) - **ضعيف جدًا**، أخرجه ابن خزيمة (٢٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٦٩)، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢/٤٧٦ - ٤٧٧) رقم (٢٤٥٠)، وفي الأسماء والصفات (٢٣٢)، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب: في فضل سورة طه ويس (٢/٤٥٦)، واللالكائي (٢/٢٢٦)، وابن عدي في « الكامل » (١/٢١٨)، وقال ابن عدي: الحديث يرويه إبراهيم بن مهاجر، ولا أعلم يرويه غيره، ولم أجد له أنكر من حديث: « **قرأ طه ويس** » لأنه لم يروه إلا إبراهيم بن مهاجر، ولا يروى بهذا الإسناد ولا بغير هذا الإسناد هذا المتن إلا إبراهيم بن مهاجر هذا، وباقي أحاديثه صالحة. ورواه العقيلي (١/٦٦) في ترجمة إبراهيم بن مهاجر: وقال: منكر الحديث. ورواه الطبراني في الأوسط، وقال: لا يروى عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به إبراهيم بن المنذر. وعزاه السيوطي (٤/٥١٥) لابن مردويه.

وقال ابن حبان وابن الجوزي: هذا حديث موضوع. =

[١] - سقط من ت.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - في ز: تكلم.

تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة «البقرة» بما أغنى عن إعادته.

وقال ابن أبي حاتم(٢): حدثنا الحسين بن محمد بن شنبة[١] الواسطي، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - أنبأنا إسرائيل، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ﴿ طه ﴾ يا رجل.

وهكذا رُوي عن[٢] مجاهد(٣)، وعكرمة(٤)، وسعيد بن جبير(٥)، ومحمد بن كعب، وأبي[٣] مالك، وعطية العوفي، والحسن(٦)، وقتادة(٧)، والضحاك(٨)، والسدي، وابن أبزى، أنهم قالوا: ﴿ طه ﴾، بمعنى يا رجل.

وفي رواية عن ابن عباس(٩)، وسعيد بن جبير، والثوري: أنها كلمة بالنبطية معناها: يارجل. وقال أبو صالح[٤]: هي معربة.

وأسند القاضي عياض في كتابه «الشفا» من طريق عبد بن حميد في تفسيره: حدثنا هاشم ابن القاسم عن ابن جعفر، عن الربيع بن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رِجل ورفع الأخرى، فأنزل الله تعالى: ﴿ طه ﴾، يعني: طأ الأرض

= وقد تعقب الحافظ ابن حجر كلًّا من ابن حبان وابن الجوزي فقال: زعم ابن حبان وتبعه ابن الجوزي أن هذا المتن موضوع، وليس كما قالا. فإن مولى الحرقة هو عبد الرحمن بن يعقوب من رجال مسلم، والراوي عنه - وإن كان متروكًا عند الأكثر ضعيفًا عند البعض - فلم ينسب إلى الوضع، والراوي عنه لا بأس به. وانظر اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/١٠).

(٢) - ورواه الطبراني، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٤/٥١٦).

(٣) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٦/١٣٦).

(٤) - أخرجه الطبرى في تفسيره: (١٦/١٣٦)، وذكره السيوطى في «الدر المنثور»: (٤/٥١٧) وعزاه إلى ابن أبي أبي شيبة.

(٥) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٦/١٣٦).

(٦) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٦/١٣٦).

(٧) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٦/١٣٦)، وذكره السيوطى في «الدر المنثور»: (٤/٥١٨) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٦/١٣٦)، وذكره السيوطى في «الدر المنثور»: (٤/٥١٧) وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٩) - أخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره: (١٦/١٣٥).

---

[١] - في ز: سبيه.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - في ز: ابن.

[٤] - في ز: مالك.

يامحمد . ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ . ثم قال : ولا خفاء بما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة .

وقوله : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي** ﴾ قال جويبر : عن الضحاك : لما أنزل اللّٰه القرآن علىٰ رسوله ، قام به هو وأصحابه ، فقال المشركون من قريش : ما أنزل هذا القرآن علىٰ محمد إلا ليشقىٰ ! فأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشىٰ** ﴾ .

فليس الأمر كما زعمه المبطلون ، بل من آتاه اللّٰه العلم فقد أراد به خيرًا كثيرًا ، كما ثبت في الصحيحين(١٠) عن معاوية ، قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من يرد اللّٰه به خيرًا يفقهه في الدين** » .

وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني(١١) في ذلك ، حيث قال :

حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا العلاء بن سالم ، حدثنا إبراهيم الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ للعلماء يوم القيامة ، إذا قعد علىٰ كرسيه لقضاء عباده : إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم علىٰ ما كان منكم ولا أبالي** » !

إسناده جيد ، وثعلبة بن الحكم هذا [هو الليثي][١] ذكره أبو عمر[٢] في استيعابه ، وقال : نزل البصرة ، ثم تحول إلىٰ الكوفة ، وروىٰ عنه سماك بن حرب .

وقال مجاهد(١٢) في قوله : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ : هي كقوله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾ ، وكانوا يُعَلِّقون الحبال بصدورهم في الصلاة .

وقال قتادة(١٣) : ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ لا ، واللّٰه ما جعله شقاء ، ولكن

---

(١٠) - أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب : قول اللّٰه تعالى : ﴿ **فإن لله خمسه وللرسول** ﴾ ، حديث (٣١١٦) ، (٢١٧/٦) ، ومسلم في : كتاب الزكاة ، باب : النهي عن المسألة ، حديث ١٠٠ - (١٠٣٧) ، (١٨١/٧) من حديث معاوية به .

(١١) - أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » برقم (١٣٨١) (٨٤/٣) من حديث ثعلبة بن الحكم به . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٩/١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . اهـ

(١٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٣٧/١٦) .

(١٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٣٧/١٦) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : عمرو .

جعله رحمة ونورًا ، ودليلًا إلى[١] الجنة .

﴿ إلا تذكرة لمن يخشىٰ ﴾ : إن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمة ، رحم بها العباد ؛ ليتذكر ذاكر ، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله ، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه .

و[٢]قوله : ﴿ تنزيلًا ممن خلق الأرض والسموات العلىٰ ﴾ أي : هذا القرآن الذي جاءك يامحمد تنزيل من رب كل شيء ومليكه ، القادر علىٰ ما يشاء ، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها ، وخلق السموٰات العلىٰ في ارتفاعها ولطافتها ، وقد جاء في الحديث الذي صححه الترمذي وغيره : أن سُمْك كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة[٣] خمسمائة عام .

وقد أورد ابن أبي حاتم هاهنا حديث الأوعال من رواية العباس عم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ورضي الله عنه .

وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوىٰ ﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنىٰ عن إعادته أيضًا ، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف ، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة ، من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل .

وقوله : ﴿ له ما في السموٰات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ ﴾ أي : الجميع ملكه وفي قبضته ، وتحت تصريفه ومشيئته ، وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ، ومالكه وإلهه ، لا إله سواه ، ولا رب غيره .

وقوله : ﴿ وما تحت الثرى ﴾ ، قال محمد بن كعب(١٤) : ما تحت الأرض السابعة .

وقال الأوزاعي(١٥) : إن يحيىٰ بن أبي كثير حدثه : أن كعبًا سئل فقيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ ! قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء . قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض . قيل : وما تحت الأرض ؟ ! قال : صخرة . قيل : وما تحت

(١٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٣٩) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥١٨) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(١٥) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥١٨) بنحوه عن جابر بن عبد الله مرفوعًا .

[١] - في ت : على .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من ز .

الصخرة ؟ قال : ملك . قيل : وما تحت الملك ؟ قال : حوت مُعلّق طرفاه بالعرش . قيل : وما تحت الحوت ؟ قال : الهواء والظلمة ، وانقطع العلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثني عبد الله ابن عياش[١] ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، عن دراج ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي[٢] ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، والعليا منها علىٰ ظهر حوت ، قد التقىٰ طرفاه في السماء ، والحوت علىٰ صخرة ، والصخرة بيد الملك ، والثانية سجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، والخامسة فيها حيات جهنم ، والسادسة فيها عقارب جهنم ، والسابعة فيها سقر ، وفيها إبليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه » . هذا حديث غريب جدًّا ورفعه فيه نظر .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده (١٦) : حدثنا أبو موسىٰ الهروي ، عن العباس بن الفضل - قلت : ابن الفضل الأنصاري ؟ قال : نعم - [عن القاسم][٣] بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عليّ ، عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، فأقبلنا راجعين في حر شديد ، فنحن متفرقون بين واحد واثنين ، منتشرين ، قال : وكنت في أول العسكر ، إذ عارضنا رجل فسلم ، ثم قال : أيكم محمد ؟ ومضىٰ أصحابي ووقفت معه ، فإذا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قد أقبل في وسط العسكر علىٰ جمل أحمر ، مُقَنَّع بثوبه علىٰ رأسه من الشمس ، فقلت : أيها السائل ، هذا رسول الله قد أتاك . فقال : أيهم هو ؟ فقلت : صاحب البَكْر الأحمر . فدنا منه ، فأخذ بخطام راحلته ، فكف عليه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : أنت محمد ؟ قال : « **نعم** » . قال : إني أريد أن أسألك عن خصال ، لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **سل عما شئت** » . فقال : يا محمد ، أينام النبي ؟ فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **تنام عيناه ولا ينام قلبه** » . قال : صدقت . ثم قال : يا محمد ، مِنْ أين يشبه الولد أباه [وأمه ؟][٤] قال : « **ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأي الماءين غلب علىٰ الآخر نزع[٥] الولد** » . فقال : صدقت . فقال : ما للرجل من الولد ، وما للمرأة منه ؟ فقال : « **للرجل العظام والعروق والعصب ، وللمرأة اللحم والدم والشعر** » . قال : صدقت . ثم قال : يا

(١٦) - لم نجده في مسند أبي يعلى المطبوع ، فلعله في مسنده الكبير .

[١] - في ز : عباس .
[٢] - في ز : الصيرفي .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .

محمد ، ما تحت هذه ؟ - يعني : الأرض - فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **خلق** » . فقال : فما تحتهم ؟ قال : « **أرض** » . قال : فما تحت الأرض ؟ قال : « **الماء** » . قال : فما تحت الماء ؟ قال : « **ظلمة** » . قال : فما تحت الظلمة ؟ قال : « **الهواء** » . قال : فما تحت الهواء ؟ قال : « **الثرىٰ** » . قال : فما تحت الثرىٰ ؟ ففاضت[١] عينا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بالبكاء وقال : « **انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق ، أيها السائل : ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » . قال : فقال : صدقتَ ، أشهد أنك رسول الله . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيها الناس ، هل تدرون من هذا ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **هذا جبريل ، صلى الله عليه وسلم** » .

هذا حديث غريب جدًّا ، وسياق عجيب ، تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا ، وقد قال فيه يحيىٰ بن معين : ليس يساوي شيئًا . وضعفه أبو[٢] حاتم الرازي ، وقال ابن عدي : لا يعرف .

قلت : وقد[٣] خلط في هذا الحديث ، ودخل عليه شيء في شيء ، وحديث في حديث ، وقد يحتمل[٤] أنه تعمد ذلك ، أو أدخل عليه فيه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾ أي : أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسماوات [العلىٰ ، الذي يعلم السر وأخفى ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض**][٥] **إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ .

قال عليّ بن أبي طلحة(١٧) : عن[٦] ابن عباس : ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ قال : السر ما أسر ابن آدم في نفسه ﴿ **وأخفى** ﴾ ما أُخفِيَ علىٰ ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه ، فالله يعلم ذلك كله ، فعِلْمُه[٧] فيما مضىٰ من ذلك وما بقي علم واحد ، وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة ، وهو قوله : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ .

وقال الضحاك(١٨) : ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ قال : السر : ما تحدث به نفسك ،

(١٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٣٩/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٨/٤) ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(١٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٤٠/١٦) وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥١٩/٤) وعزاه=

[١] - في ز : « فما جنت » . بدون إعجام .

[٢] - في ز : « ابن أبي » .

[٣] - في ز : « ممن » .

[٤] - في ز : « يحمل » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٦] - في ت : « وعن » .

[٧] - في ز : « بعلمه » .

وأخفى : مالم تحدث به نفسك بعد .

وقال سعيد بن جبير(١٩) : أنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدًا ، والله يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدًا .

وقال مجاهد(٢٠) : ﴿ وأخفى ﴾ يعني : الوسوسة .

وقال أيضًا هو وسعيد بن جبير(٢١) : ﴿وأخفى﴾ أي : ما هو عامله مما لم يحدث به نفسه .

وقوله : ﴿ اللّٰه لا إله إلا هو له الأسماء الحسنىٰ ﴾ [أي : الذي أنزل عليك القرآن : هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنىٰ][١] والصفات العلىٰ .

وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنىٰ في أواخر سورة الأعراف ، وللّٰه الحمد والمنة .

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

من هٰهنا شرع تبارك وتعالىٰ في ذكر قصة موسىٰ ، وكيف كان ابتداء الوحي إليه[٢] وتكليمه إياه ، وذلك بعد ما قضىٰ موسىٰ الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم ، وسار بأهله - قيل : قاصدًا بلاد مصر - بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ، ومعه زوجته ، فأضل الطريق ، وكانت ليلة شاتية ، ونزل منزلًا بين شعاب وجبال ، في برد وشتاء ، وسحاب وظلام وضباب ، وجعل يقدح بزند معه ليوريَ نارًا ، كما جرت له العادة به ، فجعل لا يقدح شيئًا ، ولا يخرج منه شرر ولا شيء ، فبينا هو كذلك ، إذ آنس من

= إلى عبد بن حميد .

(١٩) - ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥١٩/٤) عن سعيد بن جبير بنحوه ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢٠) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٣٩/١٦) ، و(١٤٠/١٦) . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥١٩/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٤٠/١٦) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - في ز : « عليه » .

جانب الطور نارًا ، أي : ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه ، فقال لأهله يبشرهم : ﴿ إني آنست نارًا لعلي آتيكم منها بقبس ﴾ أي : شهاب من نار ، وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ أو جذوة من النار ﴾ وهي : الجمر الذي معه لهب ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ دل على وجود البرد ، وقوله : ﴿ بقبس ﴾ دل على وجود الظلام .

وقوله : ﴿ أو أجد علىٰ النار هدًى ﴾ أي : من يهديني[١] الطريق ، دلّ علىٰ أنه [كان][٢] قد تاه عن الطريق ، كما قال الثوري عن أبي سعيد الأعور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس(٢٢) في قوله : ﴿ أو أجد علىٰ النار هدًى ﴾ قال : من يهديني[٣] إلى الطريق ، وكانوا شاتين وضلوا الطريق ، فلما رأىٰ النار قال : إن لم أجد أحدًا يهديني[٤] آتِكم بنار توقدون بها .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ فلما أتاها ﴾ أي : النار واقترب منها ، ﴿ نودي يا موسى ﴾ . وفي الآية الأخرى ﴿ نودي من شاطيء الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ إني أنا ربك ﴾ أي : الذي يكلمك ويخاطبك ﴿ فاخلع نعليك ﴾ قال علي بن أبي طالب(٢٣) وأبو ذر وأبو أيوب ، وغير واحد من السلف : كانتا من جلد حمار غير ذكي[٥] .

(٢٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٦/١٤٣) .

(٢٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٤٤) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٢٢) ، وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « يهدني » .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في ز : « يهدني » .

[٤] - في ز : « يهدني » .

[٥] - في ز : « مذكى » .

وقيل : إنما أمره بخلع نعليه تعظيمًا للبقعة .

قال سعيد بن جبير : كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد دخول[١] الكعبة .

وقيل : ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافيًا غير منتعل . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **طوًى** ﴾ ، قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس (٢٤) : هو اسم للوادي .

وكذا قال غير واحد . فعلىٰ هذا يكون عطف بيان .

وقيل : عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه . وقيل : لأنه قُدِّس مرتين ، وطوى له البركة وكررت . والأول أصح ، لقوله[٢] : ﴿ **إذ ناداه ربه بالواد المقدّس طوى** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنا اخترتك** ﴾ كقوله : ﴿ **إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي** ﴾ أي : على جميع الناس من الموجودين في زمانه .

وقيل : إن الله تعالىٰ قال : ياموسىٰ ، أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ [قال : لا . قال][٣] : لأني لم يتواضع لي أحد تواضعك .

وقوله : ﴿ **فاستمع لما يوحىٰ** ﴾ أي : اسمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك : ﴿ **إنني أنا الله لا إله إلا أنا** ﴾ هذا أول واجب علىٰ المكلفين ، أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وقوله : ﴿ **فاعبدني** ﴾ أي : وحّدني وقم بعبادتي من غير شريك ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾ ، قيل : معناه صل لتذكرني . وقيل : معناه : وأقم الصلاة عند ذكرك لي .

ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد (٢٥) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا المثنىٰ بن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إذا رقد أحدكم عن الصلاة ، أو غفل عنها ، فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالىٰ قال : ﴿ أقم[٤]**

---

(٢٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٤٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٣/٤) ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٢٥) - أخرجه أحمد (١٨٤/٣) ، والبخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب : من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ، حديث (٥٩٧) ، (٧٠/٢) . ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، حديث (٦٨٤) (٢٦٩/٥) .

---

[١] - في ت : « أن يدخل » .

[٢] - في ت : « كقوله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

[٤] - في ت : « وأقم » .

الصلاة لذكري ﴾ » .

وفي الصحيحين(٢٦) عن أنس قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **من نام عن صلاة أو نسيها ، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ، ولا كفارة لها إلا ذلك** » .

وقوله : ﴿ **إن الساعة آتية** ﴾ أي : قائمة لا محالة ، وكائنة لابد منها . وقوله : ﴿ **أكاد أخفيها** ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها « أكاد أخفيها من[١] نفسي » . يقول : لأنها لا تخفىٰ من[٢] نفس الله أبدًا .

وقال سعيد بن جبير : عن ابن عباس(٢٧) : من نفسه . وكذا قال مجاهد(٢٨) ، وأبو صالح(٢٩) ، ويحيىٰ بن رافع(٣٠) .

[وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **أكاد أخفيها** ﴾ يقول : لا أطلع عليها أحدًا غيري][٣]

وقال السدي : ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا قد أخفى الله عنه علم الساعة ، وهي في قراءة ابن مسعود : (**إني أكاد أخفيها من نفسي**) يقول : كتمتها من الخلائق ، حتىٰ لو استطعت أن أكتمها من نفسي لفعلت .

وقال قتادة(٣١) : ﴿ **أكاد أخفيها** ﴾ ، وهي في بعض القراءة : (أخفيها من نفسي)

(٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب : من نسي صلاة فليصلِّ إذا ذكرها ، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ، حديث (٥٩٧) ، (٢/٧٠) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : قضاء الصلاة الفائتة من حديث أنس بلفظ : « **من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك** » .

(٢٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٤٩) بنحوه عن ابن عباس . وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٢٥) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن الأنبارى .

(٢٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٤٩) ، وذكره السيوطى في « الدرالمنثور » : (٤/٥٢٥) وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢٩) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٤٩) ، و(١٦/١٥٠) . وذكره السيوطى في « الدر المنثور »: (٤/٥٢٥) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن الأنباري .

(٣٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٥٢٥) ، وذكره السيوطى « الدر المنثور » : (٤/٥٢٥) وعزاه إلى عبد بن حميد عن أبي صالح .

(٣١) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٤٩) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٢٥) وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « في » . [٢] - في ز : « في » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء والمرسلين .

قلت : وهذا كقوله : ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيبَ إلّا الله** ﴾ ، وقال : ﴿ **ثقلت في السماوت والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ أى : ثقل علمها على أهل السماوات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب ، حدثنا أبو تُمَيلة ، حدثني محمد ابن سهل الأسدي ، عن وِقَاء[١] قال : أقرأنيها سعيد بن جبير ﴿ **أكاد أَخفِيها** ﴾ يعني : بنصب[٢] الألف ، وخفض الفاء ، يقول : أظهرها ، ثم قال[٣] : أما سمعت قول الشاعر :

دأب شَهْرَينِ ثم شهرًا دميكًا بأَريكين[٤] يخفياني غميرا[٥]

وقال الأسدي : الغمير : نبت رطب ينبت في خلال يبس . والأريكين : موضع . والدميك : الشهر التام . وهذا الشعر لكعب بن زهير .

وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ** ﴾ أي : أقيمها لا محالة ؛ لأجزي كل عامل بعمله ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ و ﴿ **إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ . وقوله : ﴿ **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردىٰ** ﴾ ، المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين ، أي : لا تتبعوا من كذب بالساعة ، وأقبل علىٰ ملاذه في دنياه ، وعصىٰ مولاه ، واتبع هواه ، فمن وافقهم علىٰ ذلك فقد خاب وخسر ﴿ **فتردىٰ** ﴾ أي : [تهلك وتعطب][٦] ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما يغني عنه ماله إذا تردّىٰ** ﴾

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ (٢١)

هذا برهان من الله تعالى لموسىٰ ، عليه السلام ، ومعجزة عظيمة وخرق [للعادة باهر دالٌّ][٧] علىٰ أنه لايقدر علىٰ مثل هذا إلا الله - عزَّ وجلَّ - وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل .

---

[١] - في ز : « ورقاء » .
[٢] - في ز : « نصب » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : « بأرمكين » .
[٥] - في ز : « عميرا » .
[٦] - في ز : « هلك وعطب » .
[٧] - في ز : « للعادة باهرة دالة » .

فقوله : ﴿ **وما تلك بيمينك ياموسىٰ** ﴾ قال بعض المفسرين : إنما قال له ذلك علىٰ سبيل الإيناس له . وقيل : إنما قال له ذلك علىٰ وجه التقرير ، أي : أما هذه التي في يمينك - عصاك التي تعرفها - فسترىٰ ما نصنع بها الآن ، ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسىٰ** ﴾ استفهام تقرير ﴿ **قال هي عصاي أتوكأ عليها** ﴾ أي : أعتمد عليها في حال المشي ﴿ **وأهش بها علىٰ غنمي** ﴾ أي : أهز بها الشجرة ليسقط ورقها ؛ لترعاه غنمي .

قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك : والهش : أن يضع الرجل المحجن في الغصن ، ثم يحركه حتىٰ يسقط ورقه وثمره ، ولا يكسر العود ، فهذا الهش ، ولا يَخْبط . وكذا قال ميمون بن مهران أيضًا .

وقوله : ﴿ **ولي فيها مآرب أخرىٰ** ﴾ أي : مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك .

وقد تكلّف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل : كانت تضيء له بالليل ، وتحرس له الغنم إذا نام ، ويغرسها فتصير شجرة تظله ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة .

والظاهر : أنها لم تكن كذلك ، ولوكانت كذلك لما استنكر موسىٰ - عليه الصلاة والسلام - صيرورتها ثعبانًا ، فما كان يفر منها هاربًا ، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية ، وكذا قول بعضهم : إنها كانت لآدم - عليه الصلاة والسلام - . وقول الآخر : إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة . وروي عن ابن عباس أنه قال : كان اسمها ماشا . والله أعلم بالصواب .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ألقها ياموسىٰ** ﴾ أي : هذه العصا التي في يدك ياموسىٰ ألقها ﴿ **فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ أي : صارت في الحال حية عظيمة ، ثعبانًا طويلًا ، يتحرك بحركة سريعة ، فإذا هي تهتز كأنها جان ، وهو أسرع الحيات حركة ، ولكنه صغير ، فهذه في غاية الكبر ، وفي غاية سرعة الحركة . ﴿ **تسعىٰ** ﴾ أي : تمشي وتضطرب .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جُمَيع ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ ولم تكن قبل ذلك حية ، فمرت بشجرة فأكلتها ، ومرت بصخرة فابتلعتها ، فجعل موسىٰ يسمع وقع الصخرة في جوفها ، فولّىٰ مدبرًا ، فنودي أن : ياموسىٰ ؛ خذها ، فلم يأخذها ، ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف ، فقيل له في الثالثة : إنك من الآمنين ، فأخذها .

وقال وهب بن منبه في قوله : ﴿ **فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ قال : فألقاها علىٰ وجه

الأرض ، ثم حانت منه نظرة ، فإذا أعظم ثعبان نظر إليه الناظرون ، فَدَبَّ يلتمس كأنه يبتغي شيئًا يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الخَلِفَة[١] من الإبل فيلتقمها ، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه توقدان نارًا ، وقد عاد المحجن منها عرفًا[٢] ، قيل : شعره مثل النيازك ، وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع ، فيه أضراس وأنياب لها صريف[٣] ، فلما عاين ذلك موسىٰ ولىٰ مدبرًا ولم يعقب ، فذهب حتىٰ أمعن ورأىٰ أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ، ثم نودي : ياموسىٰ أن ارجع حيث كنت ، فرجع موسىٰ وهو شديد الخوف . فقال : ﴿ **خذها** ﴾ بيمينك ﴿ **ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولىٰ** ﴾ وعلىٰ موسىٰ حينئذ مَدْرَعة من صوف ، فدخلها بخلال من عيدان ، فلما أمره بأخذها أدلىٰ طرف المدرعة علىٰ يده ، فقال له ملك : أرأيت[٤] يا موسىٰ ؛ لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئًا ؟ قال : لا ، ولكني ضعيف ، ومن ضعف خاف[٥] . فكشف عن يده ثم وضعها علىٰ فم الحية ، حتىٰ سمع حس الأضراس والأنياب ، ثم قبض ، فإذا هي عصاه التي عهدها ، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **سنعيدها سيرتها الأولىٰ** ﴾ أي : إلىٰ حالها التي تعرف قبل ذلك .

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

وهذا برهان ثان لموسىٰ - عليه السلام - وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه ، كما صرح به في الآية الأخرىٰ ، وهاهنا [عيَّن تلك][٦] بقوله : ﴿ **واضمم يدك إلىٰ جناحك** ﴾ . وقال في مكان آخر : ﴿ **واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان**

---

[١] - الخلفة : الحامل من النوق . النهاية [٦٨/٢] .

[٢] - المحجن : العصا المعوجة .

[٣] - الصريف : صوت ناب البعير . النهاية [٢٥/٣] .

[٤] - في ز : « أورأيت » .

[٥] - في ت : « خلقت » .

[٦] - في ت : « عبر عن ذلك » .

من ربك إلىٰ فرعون وملئه ﴾ .

وقال مجاهد(٣٢) : ﴿ **واضمم يدك إلىٰ جناحك** ﴾ كفه تحت عضده ؛ وذلك أن موسىٰ عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر .

وقوله : ﴿ **تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ أي : من غير برص ولا أذى ، ومن غير شين ، قاله ابن عباس(٣٣) ومجاهد(٣٤) ، وعكرمة(٣٥) وقتادة(٣٦) ، والضحاك(٣٧) والسدي(٣٨) وغيرهم .

وقال الحسن البصري : أخرجها - والله - كأنها مصباح ، فعلم موسىٰ أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لنريك من آياتنا الكبرىٰ** ﴾ .

وقال وهب : قال له ربه : ادنه . فلم يزل يدنيه حتىٰ شد ظهره بجذع الشجرة ، فاستقر وذهبت عنه الرعدة ، وجمع يده في العصا ، وخضع برأسه وعنقه .

وقوله : ﴿ **اذهب إلىٰ فرعون إنه طغىٰ** ﴾ أي : اذهب إلىٰ فرعون ملك مصر ، الذي خرجت فارًّا منه وهاربًا ، فادعه إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ، ومره فليُحْسِن إلىٰ بني إسرائيل ولا يعذبهم ، فإنه قد طغىٰ وبغىٰ ، وآثر الحياة الدنيا ، ونسي الرب الأعلىٰ .

قال وهب بن منبه : قال الله لموسىٰ : انطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي ، وإني معك - أيدي[١] ونصري - وإني قد ألبستك جُنَّةً من سلطاني ، لتستكمل بها القوة في أمري ، فأنت جند عظيم من جندي ، بعثتك إلىٰ خلق ضعيف من خلقي ، بَطر نعمتي ، وأَمِن مكري ، وغرته الدنيا عني ، حتىٰ جحد حقي ، وأنكر ربوبيتي ، وزعم أنه لا يعرفني ، فإني

(٣٢) - أخرجه الطبري في « تفسيره » : (١٥٧/١٦) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٣٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٥) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) .

(٣٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) .

(٣٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) .

(٣٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٥٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٢٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

[١] - الأيد : القوة . النهاية [٨٤/١] .

أقسم بعزتي لولا القدر[١] الذي وضعت بيني وبين خلقي ، لبطشت به بطشة جبار ، يغضب لغضبه السماوات والأرض ، والجبال والبحار ، فإن أمرت السماء حصبته ، وإن أمرت الأرض ابتلعته ، وإن أمرت الجبال دمرته ، وإن أمرت البحار غرقته ، ولكنه هان عليَّ وسقط من عيني ، ووسعه حلمي ، واستغنيت بما عندي ، وحقي إني أنا الغنيّ لا غنيّ غيري ، فبلغه رسالتي ، وادعه إلىٰ عبادتي وتوحيدي وإخلاصي ، وذكره أيامي[٢] ، وحذره نقمتي وبأسي ، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي ، وقل له فيما بين ذلك قولًا لينًا ؛ لعله يتذكر أو يخشىٰ ، وخبره[٣] أني إلىٰ العفو والمغفرة أسرع مني إلىٰ الغضب والعقوبة ، ولا يَرُوعَنَّكَ[٤] ما ألبسته من لباس الدنيا ، فإن ناصيته بيدي ، ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني ، وقل له : أجب ربك فإنه واسع المغفرة ، وقد أمهلك أربعمائة سنة ، في كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتتمثل به ، وتصد عباده عن سبيله ، وهو يمطر عليك السماء ، وينبت لك الأرض ، لم تسقم ولم تَهرم ولم تفتقر ، ولو شاء اللّٰه أن يعجل لك العقوبة لفعل ، ولكنه ذو أناة وحلم عظيم ، وجاهده بنفسك وأخيك ، وأنتما تحتسبان بجهاده[٥] ، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت ، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة - ولا قليل مني - تغلب الفئة الكثيرة بإذني ، ولا تعجبنكما زينته ، ولا ما متع به ، ولا تمدّا إلىٰ ذلك أعينكما ، فإنها زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفين ، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة - ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما - فعلت ، ولكن أرغب بكما عن ذلك ، وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي ، وقديمًا ما جرَتْ [عادتي][٦] في ذلك فإني[٧] لأذودهم عن نعيمها ورخائِها كما يذود الراعي الشفيق إبِلَه عن مبارِك المعرة وماذاك لهوانهم عليَّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفرًا[٨] لم تَكلمْه الدنيا . واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ مما عندي من الزهد في الدنيا ، فإنها زينة المتقين ، عليهم منها لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، أولئك أوليائي حقًّا حقًّا ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أهان لي وليًا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة ، وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلىٰ نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي ، أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخره لا أكل مضطرهم إلى غيري . رواه ابن أبي حاتم .

﴿ قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري ﴾ هذا سؤال من موسىٰ - عليه

---

[١] - في ز : « المقدر » .
[٢] - في ز : « إياي » .
[٣] - في ز : « خبره » .
[٤] - في ز : « يردعنك » .
[٥] - في ز : « مجاهدة » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « بأني » .
[٨] - في ز : « موفرًا » .

السلام - لربه ، عزَّ وجلَّ ، أن يشرح له صدره فيما بعثه به ، فإنه قد أمره بأمر عظيم ، وخطب جسيم : بعثه إلىٰ أعظم ملك علىٰ وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم ، وأشدهم كفرًا ، وأكثرهم جنودًا ، وأعمرهم ملكا ، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا ، بلغ من أمره أن ادَّعىٰ أنه لا يعرف اللَّه ، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره .

هذا وقد مكث موسىٰ في داره مدة وليدًا عندهم ، في حجر فرعون علىٰ فراشه ، ثم قتل منهم نفسًا فخافهم أن يقتلوه ، فهرب منهم هذه المدة بكمالها ، ثم بعد هذا بعثه ربه - عزَّ وجلَّ - إليهم[١] نذيرًا يدعوهم إلىٰ اللَّه - عز وجل - أن يعبدوه وحده لا شريك له ، ولهذا قال : ﴿ **رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري** ﴾ أي : إن لم تكن أنت [عزي ونصري][٢] ، وعضدي وظهيري ، وإلا فلا طاقة لي بذلك .

﴿ **واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي** ﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ ، حين عرض عليه التمرة والجمرة ، فأخذ الجمرة فوضعها علىٰ لسانه ، كما سيأتي بيانه ، وماسأل أن يزول ذلك بالكلية ، بل بحيث يزول العي ، ويحصل لهم فهم مايريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا[٣] بحسب الحاجة ، ولهذا بقيت بقية ، قال اللَّه تعالىٰ إخبارًا عن فرعون أنه قال : ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾ أي : يفصح بالكلام . وقال الحسن البصري : ﴿ **واحلل عقدة من لساني** ﴾ قال : حل عقدة واحدة ، ولو سأل أكثر من ذلك أعطي .

وقال ابن عباس : شكا موسىٰ إلىٰ ربه مايتخوف من آل فرعون في القتيل ، وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءًا ، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح[٤] به لسانه ، فآتاه سؤله ، فحل عقدة من لسانه .

وقال ابن أبي حاتم : ذُكِرَ عن عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، عن أرطاة بن المنذر ، حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال : أتاه ذو قرابة له ، فقال له : ما بك بأس ، لولا أنك تلحن في كلامك ، ولست تُعرب في قراءتك . فقال القرظي : يا بن أخي ، ألست أفهمك إذا حدثتك ؟ قال : نعم . قال : فإن موسىٰ - عليه السلام - إنما سأل ربه أن يحل[٥] عقدة من لسانه كي يفقه[٦] بنو إسرائيل كلامه ، ولم يزد عليها . هذا لفظه .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ت : « عوني ونصيري » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « يفضي » .
[٥] - في ز : « يحلل » .
[٦] - في ز : « يفقهوا » .

وقوله ﴿ **واجعل لي وزيرًا من أهلي * هارون أخي** ﴾ وهذا أيضًا سؤال من موسىٰ - عليه السلام - في أمر خارجي عنه ، وهو مساعدة أخيه هارون له .

قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : أنه قال : فنبيء هارون [ساعة إذ نبيء][١] موسى ، عليه السلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن نمير ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة[٢] ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها خرجت فيما كانت تعتمر ، فنزلت ببعض الأعراب ، فسمعت رجلًا يقول : أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا : ما ندري . قال : والله أنا أدري . قالت : فقلت في نفسي : في حَلِفِه لا يستثني ، إنه ليعلم أي أخ في الدنيا كان أنفع لأخيه . قال : موسىٰ حين سأل لأخيه النبوة . فقلت : صدق والله . قلت : وفي هذا قال الله تعالىٰ في الثناء علىٰ موسىٰ - عليه السلام - : ﴿ **وكان عند الله وجيهًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **اشدد به أزري** ﴾ قال مجاهد : ظهري . ﴿ **وأشركه في أمري** ﴾ أي : في مشاورتي ، ﴿ **كي نسبحك كثيرًا * ونذكرك كثيرًا** ﴾ قال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتىٰ يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا .

وقوله : ﴿ **إنك كنت بنا بصيرًا** ﴾ أي : في اصطفائك لنا ، وإعطائك إيانا النبوة ، وبعثتك لنا إلىٰ عدوك فرعون ، فلك الحمد علىٰ ذلك .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ (٣٩) إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا

هذه إجابة من الله لرسوله موسىٰ - عليه السلام - فيما سأل من ربه - عز وجل - وتذكير له بنعمه السالفة عليه ، فيما كان ألهمَ أمه حين كانت ترضعه ، وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه ؛ لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان ، فاتخذت له تابوتًا ، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه ، وترسله في البحر - وهو النيل - وتمسكه إلىٰ منزلها

[١] - في ت : « ساعتئذ » .
[٢] - ف ز : « عون » .

بحبل ، فذهبت مرة لتربطه ، فانفلت منها وذهب به البحر ، فحصل لها من الغم والهم ما ذكره اللّٰه عنها في قوله : ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسىٰ فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا علىٰ قلبها** ﴾ فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزنا** ﴾ أي قدرًا مقدورًا من اللّٰه ، حيث كانوا هم[١] يقتلون الغلمان من بني إسرائيل ، حذرًا من وجود موسىٰ ، فحكم اللّٰه - وله السلطان العظيم والقدرة التامة - أن لا[٢] يربَّىٰ إلا علىٰ فراش فرعون ، ويغذىٰ بطعامه وشرابه ، مع محبته وزوجته له ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني** ﴾ [أي : عند عدوك ، جعلته يحبك .

قال سلمة بن كهيل(٣٩) : ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ قال][٣] : حببتك إلى عبادي .

﴿ **ولتصنع علىٰ عيني** ﴾ قال أبو عمران الجوني : تربى بعين اللّٰه .

وقال قتادة : تغذىٰ على عيني .

وقال معمر بن المثنىٰ : ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ حيث[٤] أرى .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني أجعله في بيت الملك ، ينعم ويترف ، غذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة .

وقوله : ﴿ **إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم علىٰ من يكفله فرجعناك إلىٰ أمك كي تقرّ عينها** ﴾ وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون ، عرضوا عليه المراضع فأباها ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وحرّمنا عليه المراضع من قبل** ﴾ فجاءت أخته وقالت : ﴿ **هل أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** ﴾ تعني : هل أدلكم علىٰ من ترضعه لكم بالأجرة ؟ فذهبت به وهم معها إلىٰ أمه ، فعرضت عليه ثديها فقبله ، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا ، واستأجروها علىٰ إرضاعه ، فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا ، وفي الآخرة أغنم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث : « **مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير**[٥] **كمثل أم موسىٰ ترضع**

(٣٩) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦١ - ١٦٢) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/ ٥٢٩) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٤] - في ز : « بحيث » .
[٥] - سقط من ز .

ولدها وتأخذ أجرها » . وقال تعالى هاهنا ﴿ **فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن** ﴾ أي : عليك . ﴿ **وقتلت نفسًا** ﴾ يعني : القبطي ﴿ **فنجيناك من الغم** ﴾ وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون [على قتله][١] ، ففر منهم هاربًا حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح : ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه(٤٠) : قوله : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ :

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أصبغ بن زيد ، حدثنا القاسم ابن أبي أيوب ، أخبرني سعيد بن جبير قال : سألت عبد الله بن عباس عن قول الله - عز وجل - لموسى - عليه السلام - : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ ، فسألته عن الفتون : ما هو ؟ فقال : استأنف النهار يا ابن جبير ، فإن لها حديثًا طويلًا . فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس ؛ لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون ، فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم - عليه السلام - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا . فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه ، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم . فقال فرعون : فكيف ترون ؟ فأمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشفار ، يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه .

ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيروا أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر ، فيقل أبناؤهم ، ودعوا عامًا فلا تقتلوا منهم أحدًا ، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن[٢] يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم . فأجمعوا أمرهم على ذلك .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، فلما كان من قابل حملت بموسى - عليه السلام - فوقع في قلبها الهم والحزن - وذلك من الفتون يا بن جبير - ما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها : ﴿ **أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ فأمرها إذا ولدت أن تجعله في

(٤٠) - رجاله ثقات ، أخرجه النسائي كتاب التفسير من الكبرى ، باب : قوله عز وجل : ﴿**وفتناك فتونا**﴾، حديث (١٣٢٦) ، (٦/٣٩٦ : ٤٠٦) . وأخرجه أبو يعلى (٥/ح٢٦١٨) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٦٥ - ٦٦) وقال : رواه أبويعلى ورجاله رجال الصحيح ، غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أيوب وهما ثقتان .

[١] - في ز : « بقتله » . [٢] - في ز : « لم » .

تابوت ، ثم تلقيه في اليم ، فلما ولدت فعلت ذلك ، فلما توارىٰ عنها ابنها أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها : ما فعلت بابني ؟! لو ذبح عندي فواريته وكفنته ، كان أحب إليَّ من أن ألقيه إلىٰ دواب البحر وحيتانه .

فانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة[١] مستقىٰ جواري امرأة فرعون ، فلما رأينه أخذنه ، فهممن أن يفتحن التابوت ، فقال بعضهم[٢] : إن في هذا مالًا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئًا حتىٰ رفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه غلامًا ، فألقي عليه منها محبة لم يُلْقَ[٣] منها علىٰ أحد[٤] قط ، وأصبح فؤاد أم موسىٰ فارغًا من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسىٰ .

فلما سمع الذباحون بأمره ، أقبلوا بشفارهم إلىٰ امرأة فرعون ليذبحوه - وذلك من الفتون يا بن جبير - فقالت لهم : أقروه ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، حتىٰ آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي[٥] كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم أَلُمْكم . فأتت فرعون فقالت : ﴿ **قرة عين لي ولك** ﴾ فقال فرعون : يكون لكِ ، فأما لي فلا حاجة لي فيه[٦] . فقال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **والذي يُحلَف به ، لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له ، كما أقرت امرأته ، لهداه اللّه كما هداها ، ولكن حرمه ذلك** » .

فأرسلت إلى من حولها ، إلى كل امرأة لها [لبن لتختار][٧] [له ظئرًا][٨] فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يُقْبِل علىٰ ثديها ، حتىٰ أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلىٰ السوق ومجمع الناس ، ترجو أن تجد له ظئرًا تأخذه منها ، فلم يقبل ، وأصبحت أم موسىٰ وَالِهًا ، فقالت لأخته : قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرًا ، أحيٌّ ابني أم قد أكلته الدواب ؟ ونسيت ما كان اللّه وعدها فيه ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون - والجُنُب : أن يسمو بصر الإنسان إلىٰ شيء بعيد ، وهو إلىٰ جنبه [وهو][٩] لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظُّئورات : أنا أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فأخذوها فقالوا : ما يدريك ؟ ما نصحهم له[١٠] ؟ هل يعرفونه ؟ حتىٰ شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه[١١] رغبتهم في صهر[١٢] الملك ، ورجاء منفعة الملك .

---

[١] - فرضة النهر : مشرعته .
[٢] - في ت : « بعضهن » .
[٣] - في ز : « يكن » .
[٤] - في ز : « لأحد » .
[٥] - في ز : « منى » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « لأن تختار » .
[٨] - في ز : « لها ظئر » .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - سقط من ز .
[١٢] - في ز : « ظئورة » .

فأرسلوها فانطلقت إلىٰ أمها ، فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما وضعته في حجرها نزا إلىٰ ثديها فمصه ، حتىٰ امتلأ جنباه ريًّا ، وانطلق البشراء[١] إلىٰ امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرًا ، فأرسلت إليها ، فأتت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي ترضعي ابني هذا ، فإني لم أحب شيئًا حبه قط .

قالت أم موسىٰ : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلىٰ بيتي ، فيكون معي لا[٢] آلوه خيرًا فعلت فإني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسىٰ ما كان الله وعدها فيه ، فتعاسرت علىٰ امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله منجز وعده ، فرجعت به إلىٰ بيتها من يومها ، وأنبته الله نباتًا حسنًا ، وحفظه لِمَا قد قضىٰ فيه .

فلم يزل بنو إسرائيل ، وهم في ناحية القرية ، ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسىٰ : أزيريني[٣] ابني ؟ فوعدتها يومًا تريها إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لخزانها [وظُؤُرها وقهارمتها][٤] : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرىٰ ذلك فيه[٥] ، وأنا باعثة أمينًا يحصي كل[٦] ما يصنع كل إنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والنّحل والكرامة تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلىٰ[٧] أن دخل علىٰ امرأة فرعون ، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته ، وفرحت به ، ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ، ثم قالت : لآتين به فرعون فَلَيَنْحَلَنَّه وليكرمنه . فلما دخلت به عليه جعله في حِجْره ، فتناول موسىٰ لحية فرعون يمدها إلىٰ الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترىٰ ما وَعَدَ الله إبراهيم نبيه ، إنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك ، فأرسل إلىٰ الذباحين ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به - .

فجاءت امرأة فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ [فقال : ألا[٨] ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني فقالت : اجعل بيني وبينك أمرًا يعرف فيه الحق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقرِّبْهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين فاعرف أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، علمتَ أن [أحدًا لا يؤثر][٩] الجمرتين علىٰ اللؤلؤتين وهو يعقل . فقرب إليه فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده ، فقالت المرأة :

---

[١] - في ز : « البشير » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ ، ت : « أتريني » . والمثبت من تفسير النسائي .
[٤] - في ز : « وطروريتها » .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : « على » .
[٨] - في ز : « لا » .
[٩] - في ز : « أحد لا يريد » .

ألا ترىٰ ؟ فصرفه اللَّه عنه بعدما كان قد همّ به ، وكان اللَّه بالغًا فيه أمره .

فلما بلغ أشده - وكان من الرجال - لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلىٰ أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتىٰ امتنعوا كل الامتناع ، فبينما موسىٰ - عليه السلام - يمشي في ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان ، أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإِسرائيلي علىٰ الفرعوني ، فغضب موسىٰ غضبًا شديدًا ؛ لأنه [تناوله][١] وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم ، لا يعلم الناس إلا أنما ذلك من الرضاع ، إلا أم موسىٰ ، إلا أن يكون اللَّه أطلع موسىٰ من ذلك علىٰ مالم يطلع عليه غيره ، فوكز موسىٰ الفرعوني فقتله ، وليس يراهما أحد إلا اللَّه - عزَّ وجلَّ - والإِسرائيلي ، فقال موسىٰ حين قتل الرجل : ﴿ **هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضل مبين** ﴾ ثم قال : ﴿ **رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ فأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار ، فأتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلًا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم . فقال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ، فإن الملك وإن كان صغوه[٢] مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينه ولا ثبت ، فاطلبوا لي[٣] علم ذلك آخذ لكم بحقكم ، فبينما هم يطوفون ولا يجدون ثبتًا ، إذا موسىٰ[٤] من الغد قد رأىٰ ذلك الإِسرائيلي يقاتل رجلًا من آل فرعون آخر ، فاستغاثه الإِسرائيلي علىٰ الفرعوني ، فصادف موسىٰ قد ندم علىٰ ما كان منه ، وكره الذي رأىٰ ، فغضب الإِسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإِسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم : ﴿ **إنك لغوي مبين** ﴾ فنظر الإِسرائيلي إلىٰ موسىٰ بعد ما قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له : ﴿ **إنك لغوي مبين** ﴾ أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراده ، إنما أراد الفرعوني ، فخاف الإِسرائيلي وقال : ﴿ **يا موسىٰ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس** ﴾ وإنما [قال له][٥] مخافة أن يكون إياه أراد موسىٰ ليقتله ، فتتاركا[٦] ، وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإِسرائيلي من الخبر حين يقول : ﴿ **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس** ﴾ فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسىٰ ، فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون علىٰ هينتِهم يطلبون موسىٰ ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجل من شيعة موسىٰ من أقصىٰ المدينة ، فاختصر طريقًا حتىٰ سبقهم إلىٰ موسىٰ ، فأخبره ، وذلك من الفتون يا بن جبير .

فخرج موسىٰ متوجهًا نحو مدين ، لم يلق بلاء قبل ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا

---

[١] - في ز : « لم يتناوله » .
[٢] - أي : ميله .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « بموسى » .
[٥] - في ت : « قاله » .
[٦] - في ز : « فسار » .

حسن ظنه بربه - عزَّ وجلَّ - فإنه قال : ﴿ **عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل * ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ﴾ يعني بذلك : حابستين غَنَمهما ، فقال لهما : ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا : ليس لنا قوة نزاحم[١] القوم ، وإنما ننتظر فضول حياضهم .

فسقىٰ لهما ، فجعل يغترف في الدلو ماء كثيرًا ، حتىٰ كان أول الرعاء ، فانصرفتا[٢] بغنمهما إلىٰ أبيهما ، وانصرف موسىٰ - عليه السلام - ، فاستظل بشجرة ، وقال : ﴿ **رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير** ﴾ واستنكر أبوهما سرعة صدورهما[٣] بغنمهما حُفَّلًا بطانًا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنًا . فأخبرتاه بما صنع موسىٰ ، فأمر إحداهما أن تدعوه[٤] ، فأتت موسىٰ فدعته ، فلما كلمه قال : ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته .

فقالت إحداهما : ﴿ **يا أبت ؛ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾ فاحتملته الغيرة[٥] علىٰ أن قال لها : ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ قالت : أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين[٦] سقىٰ لنا ، لم أر رجلًا قط أقوىٰ في ذلك السقي منه ، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه ، وشخصت له فلما[٧] علم أني امرأة ؛ صوب رأسه ، فلم يرفعه حتىٰ بلغته رسالتك[٨] ، ثم قال لي : امشي خلفي ، وانعتي لي الطريق . فلم يفعل هذا إلا وهو أمين . فسُرِّي عن أبيها وصدقها ، وظن به الذي قالت .

فقال له : هل لك ﴿ **أن أنكحك إحدىٰ ابنتي هاتين علىٰ أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾ ففعل ، فكانت علىٰ نبي الله موسىٰ ثمان سنين واجبة ، وكانت سنتان عدة منه ، فقضىٰ الله عنه عدته فأتمها عشرًا .

قال سعيد - وهو ابن جبير - : فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال : هل تدري أيَّ الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قلت : لا . وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له ، فقال : أما علمت أن ثمانيًا كانت علىٰ نبي الله واجبة ، لم يكن لنبي الله أن ينقص منها شيئًا ، ويعلم أن الله كان قاضيًا عن موسىٰ عدته التي وعده ، فإنه قضىٰ عشر سنين . فلقيت النصراني فأخبرته ذلك ، فقال : الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك .

---

[١] - في ز : « تزاحم » .
[٢] - في ز : « وانصرفتا » .
[٣] - في ز : « صدرها » .
[٤] - في ز : « يدعوه » .
[٥] - في ز : « العزة » .
[٦] - في ز : « حتى » .
[٧] - في ز : « مهما » .
[٨] - في ز : « وسألتك » .

قلت : أجل ، وأولىٰ .

فلما سار موسىٰ بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن ، فشكا إلىٰ الله تعالىٰ ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون ، يكون له ردءًا ، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤله ، وحل عقدة من لسانه ، وأوحىٰ الله إلىٰ هارون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسىٰ بعصاه حتىٰ لقي هارون - عليهما السلام - فانطلقا جميعًا إلىٰ فرعون ، فأقاما علىٰ بابه حينًا لا يؤذن لهما ثم أُذِن لهما بعد حجاب شديد ، فقالا : ﴿ **إنا رسولا ربك** ﴾ قال : فمن ربكما ؟ فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن ، قال : فما تريدان ؟ وذكّره القتيل ، فاعتذر بما قد سمعت .

قال : أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل . فأبىٰ عليه وقال : ائت بآية إن كنت من الصادقين . فألقىٰ عصاه [فإذا هي][١] حية تسعىٰ عظيمة ، فاغرة فاها مسرعة إلىٰ فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها ، فاقتحم عن سريره ، واستغاث بموسىٰ أن يكفها عنه ، ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرآها ﴿ **بيضاء من غير سوء** ﴾ - يعني : من غير برص - ثم ردها فعادت إلىٰ لونها الأول ، فاستشار الملأ حوله فيما رأىٰ ، فقالوا له : هذان ساحران ﴿ **يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ يعني : ملكهم الذي هم فيه والعيش ، وأبوا علىٰ موسىٰ أن يعطوه شيئًا مما طلب ، وقالوا له : اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير ؛ حتىٰ تغلب بسحرك سحرهما .

فأرسل إلىٰ المدائن ، فحشر[٢] له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات[٣] . قالوا : فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل ، وما أجرنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصتي ، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم . فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى .

قال سعيد بن جبير : فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة الذي أظهر الله فيه موسىٰ علىٰ فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء .

فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿ **لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** ﴾ يعنون موسىٰ وهارون استهزاء بهما ؛ فقالوا :

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « يحشر » .
[٣] - في ز : « الحيات » .

ياموسىٰ - لقدرتهم[١] بسحرهم - ﴿ **إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال بل ألقوا** ﴾ ﴿ **فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ فرأىٰ موسىٰ من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة ، فأوحىٰ اللّه إليه أن ألق عصاك ، فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمة فاغرة فاها ، فجعلت العصا[٢] تلتبس بالحبال حتىٰ صارت جرزًا[٣] إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبلًا[٤] إلا ابتلعته .

فلما عرفت السحرة ذلك قالوا : لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ، ولكنه أمر من اللّه - عزَّ وجلَّ - آمنا باللّه وبما جاء به موسىٰ ، ونتوب إلىٰ اللّه مما كنا عليه . فكسر اللّه ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ، وظهر الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ﴿ **فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين** ﴾ وامرأة فرعون بارزة مُتَبَذِّلة تدعو اللّه بالنصر لموسىٰ علىٰ فرعون وأشياعه ، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة علىٰ فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسىٰ .

فلما طال مكث موسىٰ بمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا مضت أخلف موعده ، وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير[٥] هذا ؟ فأرسل اللّه علىٰ قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، كل ذلك يشكو إلىٰ موسىٰ ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويواثقه علىٰ أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده .

حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلًا فلما أصبح فرعون ورأىٰ أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين ، فتبعه بجنود عظيمة كثيرة ، وأوحىٰ اللّه إلىٰ البحر : إذا ضربك عبدي موسىٰ بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة ، حتىٰ يجوز موسىٰ ومن معه ، ثم التقىٰ علىٰ من بقي بعد من فرعون وأشياعه ، فنسي موسىٰ أن يضرب البحر بالعصا ، وانتهىٰ إلىٰ البحر [وله قصيف][٦] ، مخافة أن يضربه موسىٰ بعصاه وهو غافل[٧] فيصير عاصيًا للّه .

فلما تراءىٰ الجمعان وتقاربا ﴿ **قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون** ﴾ . افعل ما أمرك به ربك ، فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال : وعدني أن إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ت : « العصي » .
[٣] - في ت : « جزرًا » .
[٤] - في ت : « حبالًا » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « يصيف » . والقصيف : صوت هائل يشبه صوت الرعد . النهاية [٧٤/٤] .
[٧] - في ز : « عاقل » .

حتىٰ [أجاوزه][١] ، ثم ذكر بعد ذلك العصىٰ ، فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسىٰ ، فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسىٰ ، فلما أن جاز موسىٰ وأصحابه كلهم البحر ، ودخل فرعون وأصحابه ، التقىٰ عليهم البحر كما أمر ، فلما جاوز موسىٰ البحر قال أصحابه : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولانؤمن بهلاكه . فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتىٰ استيقنوا بهلاكه .

ثم مروا بعد ذلك علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم ﴿ **قالوا ياموسىٰ اجعل لنا إلَٰهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ . قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضىٰ ، فأنزلهم موسىٰ منزلًا وقال : أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم ، فإني ذاهب إلىٰ ربي . وأجلهم ثلاثين يومًا أن يرجع إليهم فيها .

فلما أتىٰ ربه وأراد أن يكلمه في ثلاثين يومًا وقد صامهن ليلهن ونهارهن ، وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم ، فتناول موسىٰ من نبات الأرض شيئًا فمضغه ، فقال له ربه حين أتاه : لِمَ أفطرت - وهو أعلم بالذي كان - قال : يارب ؛ إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح . قال : أو ما علمت يا موسىٰ ، أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرًا ثم ائتني . ففعل موسىٰ - عليه السلام - ما أمر به ، فلما رأىٰ قوم موسىٰ أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك ، وكان هارون قد خطبهم وقال : إنكم قد خرجتم من مصر ، ولقوم فرعون عندكم عواريُّ وودائع ولكم فيهم مثل ذلك ، وأنا أرى [أن تحتسبوا][٢] مالكم عندهم ، ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ، ولسنا برادّين إليهم شيئًا من ذلك ، ولا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيرًا ، وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أوحلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه ، فقال : لا يكون لنا ولا لهم .

وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني ، ولم يكن من بني إسرائيل ، فاحتمل مع موسىٰ وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضي له أن رأىٰ أثرًا فقبض منه قبضة ، فمر بهارون ، فقال له هارون - عليه السلام - : يا سامري ، ألا تلقي[٣] ما في يدك ؟ - وهو قابض عليه ، لا يَرَاه أحد طَوَال ذلك - فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيها لشيء إلا أن تدعو اللّٰه إذا ألقيتها أن يكون ما أريد . فألقاها ودعا له هارون ، فقال : أريد أن يكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلًا أجوف[٤] ليس فيه روح ، له خوار .

---

[١] - في ز : « إذا جاوزه » .
[٢] - في ت : « أنكم تحتسبون » .
[٣] - في ز : « تلق » .
[٤] - في ز : « أحرف » .

قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه ، فكان ذلك الصوت من ذلك .

فتفرق بنو إسرائيل فِرَقًا ؛ فقالت فرقة : يا سامري ، ما هذا وأنت أعلم به ؟ قال : هذا ربكم ، ولكن موسىٰ أضل الطريق .

وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ ، فإن كان ربنا لم نكن ضيَّعناه ، وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسىٰ . وقالت فرقة : هذا عمل الشيطان وليس بربنا ، ولن[١] نؤمن به ولا نصدق . وأُشْرِبَ فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل ، وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن** ﴾ قالوا : فما بال موسىٰ وعدنا ثلاثين يومًا ثم أخلفنا ، هذه أربعون يومًا قد مضت . وقال سفهاؤهم : أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه .

فلما كلم الله موسىٰ ، وقال له ما قال ، أخبره بما لقي قومه من بعده ﴿ **فرجع موسىٰ**[٢] **إلىٰ قومه غضبان أسفا** ﴾ فقال لهم : ما سمعتم في القرآن ، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، وألقىٰ الألواح من الغضب ، ثم إنه عذر أخاه بعذره ، واستغفر له ، فانصرف[٣] إلىٰ السامري فقال له : ما حملك علىٰ ماصنعت ؟ قال : ﴿ **قبضت**[٤] **قبضة من أثر الرسول** ﴾ وفطنتُ لها وعُمِّيت عليكم فقذفتها ﴿ **وكذلك سولت لي نفسي * قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدًا لن تخلفه وانظر إلىٰ إلهك الذي ظلت عليه عاكفًا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفًا** ﴾ ، ولو كان إلهًا لم يخلص إلىٰ ذلك منه ، فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة[٥] ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، فقالوا لجماعتهم ، يا موسىٰ ؛ سل لنا ربك[٦] أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ، فيكفر عنا ما عملنا . فاختار موسىٰ قومه سبعين رجلًا لذلك ، لا يألو الخيرَ ، خيار بني إسرائيل ، ومن لم [يشرك في العجل][٧] ، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل ، فقال : ﴿ **رب**[٨] **لو شئت أهلكتهم**[٩] **من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ وفيهم من كان اطلع الله منه علىٰ ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به ، فلذلك رجفت بهم الأرض ، فقال : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء**

---

[١] - في ت : ولا .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ت : وانصرف .
[٤] - في ت : فقبضت .
[٥] - في ز : « الفتنة » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « بالعجل » .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : « لأهلكتهم » .

فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ فقال : يا رب سألتك التوبة[١] لقومي ، فقلتَ : إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي ، فليتك أخرتني حتىٰ تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة[٢].

فقال له[٣] : إن توبتهم أن يَقْتُل كل رجل منهم مَنْ لقي من والد وولد ، فيقتله بالسيف ، لا[٤] يبالي من قتل في ذلك الموطن . وتاب أولئك الذين كان[٥] خفي علىٰ موسىٰ وهارون ، واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها ، وفعلوا ما أمروا ، وغفر الله للقاتل والمقتول .

ثم سار بهم موسىٰ - عليه السلام - متوجِّهًا نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم ، وأبوْا أن يقروا بها ، فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتىٰ خافوا أن يقع عليهم ، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون ينظرون إلىٰ الجبل ، والكتاب بأيديهم ، وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتىٰ أتوا الأرض المقدسة ، فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون[٦] ، خَلْقُهُم خلق منكر ، وذكروا من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عظمها ، فقالوا : يا موسىٰ إن فيها قومًا جبارين ، لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .

قال رجلان من الذين يُخَافون - قيل ليزيد : هكذا قرأه ؟ قال : نعم - من الجبارين ، آمنا بموسىٰ وخرجا إليه ، فقالوا : نحن أعلم بقومنا ، إن كنتم إنما تخافون [ما رأيتم][٧] من أجسامهم وعددهم ، فإنهم لا قلوب لهم ولا منَعة عندهم ، فادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، ويقول أناس : إنهم من قوم موسىٰ ، فقال ﴿ **الذين يخافون** ﴾ - بنو إسرائيل : ﴿**ياموسىٰ ؛ إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ فأغضبوا موسىٰ ، فدعا عليهم وسماهم فاسقين ، ولم يدع عليهم قبل ذلك ؛ لما رأىٰ منهم من المعصية وإساءتهم حتىٰ كان يومئذ . فاستجاب الله له ، وسماهم كما سماهم فاسقين ، فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، يصبحون كل يوم فيسيرون ، ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه ، وأنزل عليهم المنّ والسلوىٰ ، وجعل لهم ثيابًا لا تبلىٰ ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرانيهم حجرًا مربعًا ، وأمر موسىٰ فضربه

---

[١] - في ز : « اليوم » .
[٢] - في ز : « المرحوم » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : ولا .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « جبارين » .
[٧] - سقط من ز .

بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث[١] أعين ، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها ، فلا يرتحلون[٢] من منقلة إلّا وجدوا ذلك الحجر معهم[٣] بالمكان الذي كان فيه بالأمس .

رفع ابنُ عباس هذا الحديث إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وصدَّق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس حدث[٤] هذا الحديث ، فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشىٰ علىٰ موسىٰ أمر القتيل الذي قتل ، فقال : كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك ؟

فغضب ابن عباس ، فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلىٰ سعد بن مالك الزهري ، فقال له : يا أبا إسحاق ؛ هل تذكر يوم حدثنا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عن قتيل موسىٰ الذي قتل من آل فرعون ؟ الإسرائيلي الذي أفشىٰ عليه أم الفرعوني ؟ قال : إنما أفشىٰ عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي[٥] شهد علىٰ ذلك وحضره .

هكذا رواه الإمام النسائي في السنن الكبرىٰ[٦] ، وأخرجه أبو جعفر بن جرير (٤١) ، وابن أبي حاتم(٤٢) في تفسيريهما ، كلهم من حديث يزيد بن هارون به . وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس - رضي اللّه عنه - مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره ، واللّه أعلم . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا .

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لموسىٰ - عليه السلام - : إنه لبث مقيمًا في أهل مدين فارًّا من

(٤١) - أخرجه ابن جرير الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦٤ : ١٦٧) .

(٤٢) - وعزاه السيوطى كذلك إلى ابن أبي عمر العدنى في مسنده ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس .

[١] - في ز : « ثلاثة » .

[٢] - في ز : « يحلون » .

[٣] - في ز : « منهم » .

[٤] - ف ت : يحدث .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : « الكبير » .

فرعون وملئه ، يرعىٰ علىٰ صهره ، حتىٰ انتهت المدة وانقضىٰ الأجل ، ثم جاء موافقًا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد ، والأمر كله لله[١] - تبارك وتعالىٰ - وهو المسَيِّر عباده وخلقه فيما يشاء ، ولهذا قال : ﴿ **ثم جئت علىٰ قدر** ﴾ . قال مجاهد(٤٣) : أي : علىٰ[٢] موعد .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة(٤٤) في قوله : ﴿ **ثم جئت على قدر يا موسى** ﴾ قال : على قدر الرسالة والنبوّة .

وقوله : ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ أي : اصطفيتك واجتبيتك رسولًا لنفسى ، أي : كما أريد وأشاء .

وقال البخاري عند تفسيرها(٤٥) : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **التقىٰ آدم وموسىٰ ، فقال موسىٰ : أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت الذي اصطفاك الله برسالاته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة ؟ قال : نعم . قال[٣] : فوجدته قد كتب عليّ قبل أن يخلقني ؟ قال : نعم . فحج آدم موسىٰ** » . أخرجاه .

﴿ **اذهب أنت وأخوك بآياتي** ﴾ أي : بحججي وبراهيني ومعجزاتي ، ﴿ **ولا تنيا في ذكري** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٤٦) : لا تبطئا .

وقال مجاهد عن ابن عباس(٤٧) : لا تضعفا

---

(٤٣) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦٨) .

(٤٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦٨) .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **واصطنعتك لنفسى** ﴾ حديث (٤٧٣٦) ، (٨/٤٣٤) بهذا الإسناد . وأخرجه مسلم في كتاب القدر : باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٣) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة به .

(٤٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦٨) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٦) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٤٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٦٩) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

---

[١] - في ز : له .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

والمراد : أنهما لايفتران في ذكر اللّه ، بل يذكران اللّه في حال مواجهة فرعون ؛ ليكون ذكر اللّه عونًا لهما عليه ، وقوّة لهما وسلطانًا كاسرًا له ، كما جاء في الحديث : « **إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني وهو مناجز قِرْنه** » .

﴿ **اذهبا إلىٰ فرعون إنه طغىٰ** ﴾ أي : تمرّد وعتا وتجهرم علىٰ اللّه وعصاه ، ﴿ **فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار[١] ، وموسىٰ صفوة اللّه من[٢] خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أُمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ : يا من يتحبب إلىٰ من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه ؟!

وقال وهب بن منبه : قولا له : إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلىٰ الغضب والعقوبة .

وعن عكرمة في قوله : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ قال : لا إله إلا اللّه .

وقال عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري : ﴿ **فقولا له قولًا لينًا** ﴾ : أعذرا إليه ، قولا له : إن لك ربًّا ولك معادًا وإن بين يديك جنةً ونارًا .

وقال بقية عن عليّ بن هارون عن رجلٍ عن الضحاك بن مزاحم عن النزّال بن سبرة[٣] عن عليّ في قوله : ﴿**فقولا له قولًا لينًا**﴾ قال : كَنِّهِ .

وكذا روي عن سفيان الثوري : كَنِّهِ بأبي مرة .

والحاصل من أقوالهم : أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل ؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

وقوله[٤] : ﴿ **لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ ، أي : لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ، ﴿ **أو يخشىٰ** ﴾ أي : يُوجد طاعة من خشية ربه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لمن أراد أن يذكر أو يخشىٰ** ﴾ فالتذكر : الرجوع عن المحذور ، والخشية : تحصيل الطاعة .

وقال الحسن البصري : ﴿ **لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ ، يقول : لا تقل أنت ياموسىٰ وأخوك هارون : أَهْلِكْه ، قبل أن أعذر إليه .

وهاهنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ، ويروىٰ لأمية بن أبي الصلت فيما ذكره ابن

---

[١] - في ز : الاستنكار .
[٢] - في ز : في .
[٣] - في ز : « ميسرة » .
[٤] - سقط من ز .

إسحاق :

وأنت الذى من فضل مَنٍّ ورحمة بعثت إلى موسى رسولًا مناديًا
فقلت له : فاذهب وهارونَ فادعُوا إلىٰ اللَّه فرعونَ الذي كان باغيا
فقولا له : [هل أنت][١]سويت هذه بلا وتد حتي استقلت كما هيا ؟
وقولا[٢] له : آأنت رفعتَ هذه بلا عَمَدٍ أرْفِق إذًا بك بانيا
وقولا له: آأنت سويت وسْطها منيرًا إذا ما جنه الليل هاديًا ؟
وقولا له: من يخرج الشمس بكرة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا ؟
وقولا له: مَنْ يُنْبِتُ الحب في الثَّرىٰ فيصبح منه البَقْلُ يهتز رابيا
ويُخْرِجُ منه حبَّه في رُءُوسه ففي ذاك آياتٌ لمن كانَ واعيا

وقوله[٣] - عز وجل - :

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ وهارون - عليهما السلام - : إنهما قالا مستجيرين باللَّه تعالىٰ شاكِيَيْنِ إليه : ﴿ **إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغىٰ** ﴾ يعنيان أن يَبْدُر إليهما بعقوبة ، أو يعتدي عليهما ، فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك .

قال عبد الرحمن بن زيد : ﴿ **أن يفرط** ﴾ : يعْجَل .

وقال مجاهد : يبسط علينا .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس: ﴿ **أو أن يطغىٰ** ﴾ يعتدي .

﴿ **قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرىٰ** ﴾ أي : لا تخافا منه ، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرىٰ مكانكما ومكانه ، ولا[٤] يخفىٰ عليَّ من أمركم شيء ، واعلما أن

---

[١] - في ز : « أنت » .
[٢] - في ت : « فقولا » .
[٣] - في ز : قوله .
[٤] - في ز : لا .

ناصيته بيدي ، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري ، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي .

وقال ابن أبي حاتم(٤٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لما بعث الله - عزَّ وجلَّ - موسىٰ إلىٰ فرعون قال : رب ، أي شيء أقول ؟ قال : قل : هيا شراهيا[١] . قال الأعمش : فَسْرُ ذلك : الحي قبل كل شيء ، والحي بعد كل شيء . إسناد جيد وشيء غريب .

﴿ فائتياه فقولا إنا رسولا ربك ﴾ قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال : مكثا علىٰ[٢] بابه حينًا لا يؤذن لهما ، ثم[٣] أذِن لهما بعد حجاب شديد .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار : أن موسىٰ وأخاه هارون خرجا ، فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه ، وهما يقولان : إنا رسل رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل . فمكثا[٤] فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان ، لا يعلم بهما[٥] ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطّال له يلاعبه ويضحكه ، فقال له : أيها الملك ، إن علىٰ بابك رجلًا يقول قولًا عجبًا[٦] ، يزعم أن له إلهًا غيرك أرسله إليك .

قال : ببابي ؟ ! قال : نعم . قال : أدخلوه . فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه ، فلما وقف علىٰ فرعون قال : إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون .

وذكر السدّي أنه لما قدم بلاد مصر ، ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه ، وكان طعامهم[٧] ليلتئذٍ الطفشل وهو اللفت ، ثم عرفاه وسلما عليه ، فقال له موسىٰ : يا هارون ، إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل - فرعونَ - فأدعوَه إلىٰ الله ، وأمر أن تعاونني . قال : افعل ما أمرك ربك . فذهبا وكان ذلك ليلًا فضرب موسى باب القصر . بعصاه فسمع فرعون ؛ فغضب وقال : من يجترئ علىٰ هذا الصنيع ؟ فأخبره السدنة والبوابون أن[٨] هاهنا رجلًا مجنونًا[٩] يقول : إنه رسول الله ، فقال : عليّ به . فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما

(٤٨) - وزاد السيوطى نسبته إلى ابن أبي شيبة وقال السيوطى : إسناده جيد . اهـ

[١] - في ز : « شرهيا » .
[٢] - في ز : « في » .
[٣] - في ت : « حتى » .
[٤] - في ز : « مكثا » .
[٥] - في ت : « بهم » .
[٦] - في ز : « عجيبا » .
[٧] - في ش : « طعامهما » .
[٨] - في ش : « بأن » .
[٩] - في ز : « مجنون » .

ما ذكر الله في كتابه .

وقوله : ﴿ **قد جئناك بآية من ربك** ﴾ ، أي : بدلالة ومعجزة من ربك ، ﴿ **والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ** ﴾ ، أي : والسلام عليك إن اتبعت الهدىٰ .

ولهذا لما كتب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ هرقل عظيم الروم [كتابًا كان أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم][١] ، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد ، [فإني أدعوك بدعاية الإسلام][٢] ، فأسلم تسلم ، وأسلم[٣] يؤتك الله أجرك مرتين » (٤٩) .

وكذلك لما كتب مسيلمة إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كتابًا صورته : من مسيلمة رسول الله إلىٰ محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد أشركت[٤] في الأمر معك ، فلك المدر ولي الوبر ، ولكن قريش قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « من محمد رسول الله إلىٰ مسيلمة الكذاب ، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

ولهذا قال موسىٰ وهارون - عليهما السلام - لفرعون : ﴿ **والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ * إنا قد أوحي إلينا أن العذاب علىٰ من كذب وتولىٰ** ﴾ ، أي : قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم ، أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولىٰ عن طاعته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأما من طغىٰ * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوىٰ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فأنذرتكم نارًا تلظىٰ * لا يصلاها إلا الأشقىٰ الذى كذب وتولّىٰ** ﴾

وقال تعالى : ﴿ **فلا صدق ولا صلّى * ولكن كذب وتولى** ﴾ أي : كذب بقلبه وتولىٰ بفعله .

---

(٤٩) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحى : باب رقم (٦) ، حديث (٧) ، وأطرافه في (٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ ، ٧١٩٦ ، ٧٥٤١) . ومسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، حديث ٧٤ - (١٧٧) (١٤٧/١٢) . وأبو داود في سننه كتاب الأدب ، باب : كيف يكتب إلى الذمي ، حديث (٥١٣٦) ، (٣٣٥/٤) من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من ش .

[٤] - في ز : « أشركتك » .

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسىٰ ، منكرًا وجود الصانع الخالق ، إله كل شيء وربه ومليكه ، ﴿ **قال فمن ربكما يا موسىٰ** ﴾ ، أي : الذي بعثك وأرسلك من هو ؟ فإني لا أعرفه ، وما علمت لكم من إله غيري ، ﴿ **قال ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٥٠) يقول : خلق لكل شيء زوجة .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : جعل الإنسان إنسانًا ، والحمار حمارًا[١] ، والشاة شاة .

وقال ليث بن أبى سليم[٢] عن مجاهد(٥١) : أعطى كلَّ شيء صورته .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد(٥٢) : سوَّىٰ خلق كل دابة .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ - قال : أعطىٰ كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ، ولم يجعل للإنسان من خَلْق الدابة ، ولا للدابة من خلق الكلب ، ولا للكلب من خلق الشاة ، وأعطىٰ كل شيء ما ينبغي له من النكاح ، وهيأ كل شيء علىٰ ذلك ، ليس شيء منها يشبه شيئًا من فعاله[٣] في[٤] الخلق والرزق والنكاح .

وقال بعض المفسرين : ﴿ **أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ كقوله تعالى : ﴿ **الذى قدر فهدى** ﴾ ، أي : قدر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه ، أي : كتب الأعمال والآجال

(٥٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٧١ - ١٧٢) . وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٧ - ٥٣٨) ، وعزاه إلى المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٥١) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٧٢) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٨) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/١٧٢) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٤/٥٣٨) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « حمار » .
[٢] - في ز : « سلمة » .
[٣] - في ش : « أفعاله » .
[٤] - في ز : « و » .

والأرزاق ، ثم الخلائق ماشون على ذلك ، ولا[١] يحيدون عنه ، ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول : ربنا الذي خلق الخلق[٢] ، وقدر القدر ، وجبل الخليقة على ما أراد .

﴿ **قال فما بال القرون الأولى** ﴾ ، أصح الأقوال في معنى ذلك : أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله ، هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى ، شرع يحتج بالقرون الأولى ، أي : الذين لم يعبدوا الله ، أي : فما بالهم إذ كان الأمر كما تقول ، لم يعبدوه[٣] ، بل عبدوا غيره ؟ فقال له موسى في جواب ذلك : هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم[٤] عند الله مضبوط عليهم ، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله ، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال ، ﴿ **لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾ ، أي : لا يشذ عنه[٥] شيء ، ولا يفوته صغير ولا كبير ، ولا ينسى شيئًا . يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط ، وأنه لا ينسى شيئًا ، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه[٦] ، فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان[٧] : أحدهما : عدم[٨] الإحاطة بالشيء ، والآخر : نسيانه بعد علمه ، فنزه نفسه عن ذلك .

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه - عزَّ وجلَّ - حين سأله فرعون عنه ، فقال : ﴿ **الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ ، ثم اعترض[٩] الكلام بين ذلك ، ثم قال : ﴿ **الذي جعل لكم الأرض مهادًا** ﴾ ، وفي قراءة بعضهم : (**مهدًا**) أي : قرارًا تستقرون عليها ، [وتقومون وتنامون عليها][١٠] وتسافرون على ظهرها . ﴿ **وسلك لكم فيها سبلًا** ﴾ أي : جعل لكم طرقًا تمشون في مناكبها ، كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا لعلهم[١١] يهتدون** ﴾ . ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجًا من نبات**

---

[١] - في ش : « لا » .
[٢] - سقط من ش .
[٣] - في ش : « يعبدوا ربك » .
[٤] - في ز : « علمهم » .
[٥] - في ز : « عليه » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : « نقصانين » .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « أعرض » .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - في ز : « لعلكم » .

شتىٰ ﴾ . أي : ألوان النباتات ، من زروع وثمار ، من حامض وحلو ومُرٍّ[١] ، وسائر الأنواع .

﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ . أي : شيء لطعامكم وفاكهتكم ، وشيء لأنعامكم لأقواتها خضرًا ويابسًا **﴿ إن في ذلك لآيات ﴾** . أي : لدلالات وحُجَجًا[٢] وبراهين **﴿ لأولي النهىٰ ﴾** . أي : لذوي العقول السليمة المستقيمة ، علىٰ أنه لا إله إلا الله ، ولا رب سواه .

﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ ﴾ . أي : من الأرض مَبْدَؤكم ، فإن أباكم[٣] آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض . **﴿ وفيها نعيدكم ﴾** . أي : وإليها تصيرون إذا متم وبليتم ، **﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ ﴾** . **﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا ﴾** .

وهذه الآية كقوله تعالى : **﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾** .

وفي الحديث الذي في السنن (٥٣) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حضر جنازة ، فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر ، ثم قال : **﴿ منها خلقناكم ﴾** . ثم أخذ[٤] أخرىٰ وقال : **﴿ وفيها نعيدكم ﴾** . ثم أخرىٰ وقال : **﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرىٰ ﴾** .

وقوله : **﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبىٰ ﴾** يعني فرعون ، أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات ، وعاين ذلك وأبصره ، فكذب بها وأباها كفرًا وعنادًا وبغيًا ، كما قال تعالىٰ : **﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾** .

---

(٥٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٢٥٤) قال : ثنا عليّ بن إسحاق ، أنا عبد الله - يعني : ابن المبارك - أنا يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : لما وضعت أم كلثوم ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلم في القبر قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : **﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾** . قال : ثم لا أدري ، أقال : بسم الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، أم لا . فلما بنى عليها لحدها طفق يطرح لهم الجبوب ويقول : « **سدوا خلال اللَّبِن** » . ثم قال : « **أما إن هذا ليس بشيء ، ولكنه يطيب بنفس الحي** » . وهذا إسنادٌ ضعيف : من أجل عبيد الله بن زحر ، وعلي بن يزيد ، والقاسم . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٤٣) وعزاه لأحمد وقال : « وإسناده ضعيف » .

---

[١] - سقط من ش .

[٢] - في ز : « وحجج » .

[٣] - في ز : « أباهم » .

[٤] - سقط من ز .

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسىٰ حين أراه الآية الكبرىٰ ، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيمًا ، ونزع يده من تحت جناحه فخرجت[١] بيضاء من غير سوء ، فقال : هذا سحر ، جئت به لتسحرنا وتستولي به علىٰ الناس ، فيتبعونك وتكاثرنا بهم ، ولا يتم هذا معك ، فإن عندنا سحرًا مثل سحرك ، فلا يغرنك ما أنت فيه ، ﴿ **فاجعل بيننا وبينك موعدًا** ﴾ . أي : يومًا نجتمع نحن وأنت فيه ، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر ، في مكان معين ووقت معين ، فعند ذلك ﴿ **قال** ﴾ لهم موسىٰ : ﴿ **موعدكم يوم الزينة** ﴾ . وهو يوم عيدهم ونوروزهم ، وتفرغهم من أعمالهم ، واجتماعهم جميعهم ، ليشاهد الناس قدرة الله علىٰ ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء ، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ، ولهذا قال : ﴿ **وأن يحشر الناس** ﴾ ، أي : جميعهم ﴿ **ضُحًى** ﴾ ، أي : ضحوة من النهار ؛ ليكون أظهر وأجلىٰ وأبين وأوضح . وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم واضح بين ليس فيه خفاء ولا ترويج[٢] ، ولهذا لم يقل : « ليلًا » . ولكن نهارًا ضحى .

قال ابن عباس : وكان يوم الزينة يوم عاشوراء .

وقال السديُّ وقتادة وابن زيد : كان يوم عيدهم .

وقال سعيد بن جبير : يوم سوقهم . ولا منافاة .

قلت : وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده ، كما ثبت في الصحيح(٥٤) .

قال وهب بن منبه : قال فرعون : يا موسى ؛ اجعل بيننا وبينك أجلًا ننظر فيه .

قال موسىٰ : لم أومر بهذا ، إنما أمرت بمناجزتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك ، فأوحى

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا ...** ﴾ ، حديث (٤٦٨٠) (٣٤٨/٨) ، من حديث ابن عباس به .

[١] - في ز : « فتخرج » . [٢] - في ز : « توريج » .

الله إلى موسىٰ : أن اجعل بينك وبينه أجلًا ، وقل له أن يجعل هو . قال فرعون : اجعله[١] إلىٰ أربعين يومًا . ففعل .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ مكانًا سُوىٰ ﴾ مَنْصَفًا . وقال السُّديُّ : عدلًا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ مكانًا سوًى ﴾ مستوٍ[٢] يتبين الناس ما فيه ، لا يكون صُوَب[٣] ، ولا شيء يتغيب بعض ذلك [عن بعض][٤] مستوٍ حتى يُرىٰ .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه لما تواعد هو بموسىٰ - عليه السلام - إلىٰ وقت ومكان معلومين ، تولىٰ ، أي : شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته ، كل من ينسب إلىٰ سحر في ذلك الزمان ، وقد كان السحر فيهم كثيرًا نافقا جدًّا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم** ﴾ . ﴿ **ثم أتىٰ** ﴾ ، أي : اجتمع[٥] الناس لميقات يوم معلوم ، وهو يوم الزينة ، وجلس فرعون علىٰ سرير مملكته ، واصطف له أكابر دولته ، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة ، وأقبل موسىٰ - عليه الصلاة والسلام - يتوكّأ علىٰ عصاه ، ومعه أخوه هارون ، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا ، وهو يحرضهم ويحثهم ، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ، ويتمنَّوْن عليه ، وهو يعدهم ويمنيهم ، فيقولون : ﴿ **أئن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذًا لمن المقربين** ﴾ . فـ ﴿ **قال لهم موسىٰ ويلكم لا تفتروا علىٰ الله كذبًا** ﴾ . أي : لا تُخيِّلوا للناس بأعمالكم إيجادَ أشياء لا حقائق لها ، وأنها مخلوقة وليست مخلوقة ، فتكونون قد كذبتم علىٰ الله ، ﴿ **فيسحتكم بعذاب** ﴾ . أي : يهلككم بعقوبة هلاكًا لا بقية[٦] به[٧] ، ﴿ **وقد خاب من افترىٰ * فتنازعوا أمرهم**

---

[١] - في ز : « أجله » .
[٢] - سقط من ش .
[٣] - في ز : « صوت » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : « جمع » .
[٦] - بياض في ز .
[٧] - في ش : له .

بينهم ﴾ . قيل : معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم ، فقائل يقول : ليس هذا بكلام ساحر ، إنما هذا كلام نبي . وقائل يقول : بل هو ساحر . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأسروا النجوىٰ** ﴾ . أي : تناجوا فيما بينهم ، ﴿ **قالوا إن هذان لساحران** ﴾ هذه لغة لبعض العرب ، جاءت هذه القراءة علىٰ إعرابها . ومنهم من قرأ : ﴿ **إن هذين لساحران** ﴾ . وهذه اللغةُ المشهورة ، وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولىٰ بما ليس هذا موضعه .

والغرض : أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون : موسىٰ وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر ، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومَكم ، ويستوليا[١] علىٰ الناس ، وتتبعهما العامة ، ويقاتلا[٢] فرعون وجنوده ، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم .

وقوله : ﴿ **ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ . أي : ويستبدا بهذه الطريقة ، وهي : السحر ، فإنهم كانوا معَظَّمِينَ بسببها ، لهم أموال وأرزاق عليها ، يقولون : إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض ، وتفردا بذلك ، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم .

وقد تقدم في حديث الفتون أن ابن عباس قال في قوله : ﴿ **ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ ، يعني : ملكهم الذي هم فيه والعيش .

وقال ابن أبي حاتم(٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، سمع الشعبي يحدث عن عليّ في قوله : ﴿ **ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ ، قال : يصرفا وجوه الناس إليهما .

وقال مجاهد : ﴿ **ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ [قال : أولو الشرف والعقل والأسنان .

وقال أبو صالح : ﴿ **بطريقتكم المثلىٰ** ﴾][٣] أشرافكم وسرواتكم . وقال عكرمة : بخيركم . وقال قتادة : وطريقتهم المثلىٰ يومئذ بنو إسرائيل ، كانوا أكثر القوم عددًا وأموالًا فقال عدو الله : يريدان أن يذهبا بها لأنفسهما . وقال عبد الرحمن بن زيد : ﴿**بطريقتكم المثلىٰ** ﴾ . بالذي أنتم عليه .

وقوله : ﴿ **فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفًا** ﴾ . أي : اجتمعوا[٤] كلكم صفًا واحدًا ،

(٥٥) - وأخرجه ابن جرير الطبرى في « تفسيره » : (١٨٢/١٦) من طريق هشيم به .

[١] - في ز : « يستوليان » .
[٢] - في ز : « يقاتلان » .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٤] - في ز : « اجمعوا » .

وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة ؛ لتبهروا الأبصار ، وتغلبوا[١] هذا وأخاه ، ﴿ **وقد أفلح اليوم من استعلىٰ** ﴾ . أي : منا ومنه ، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل ، وأما هو فينال الرياسة العظيمة .

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى - عليه السلام - أنهم قالوا لموسى : ﴿ **إما أن تلقي** ﴾ . أي : أنت أولًا ﴿ **وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا** ﴾ . أي : أنتم أولًا ؛ ليرىٰ ما[٢] تصنعون من السحر ، وليظهر للناس جلية أمرهم ، ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ** ﴾ . وفي الآية الأخرىٰ أنهم لما ألقوا ﴿ **قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ** ﴾ .

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد ، بحيث يخيل للناظر أنها تسعىٰ باختيارها ، وإنما كانت حيلة ، وكانوا[٣] جمًّا غفيرًا وجمعًا كبيرًا[٤] ، فألقىٰ كل منهم عصًا وحبلًا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضًا . وقوله : ﴿ **فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ** ﴾ أي : خاف علىٰ الناس أن يَفْتَتِنُوا بسحرهم ، ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه في الساعة الراهنة : أن ﴿ **ألق ما في يمينك** ﴾ يعني : عصاك ﴿ **فإذا هي تلقف ما صنعوا** ﴾ وذلك أنها صارت تنينًا عظيمًا هائلًا ، ذا عيون وقوائم [وعنق][٥] ورأس وأضراس ، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي ، حتىٰ لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته وابتلعته ، والسحرة والناس ينظرون إلىٰ ذلك عيانًا جَهْرَة ، نهارًا ضحوة . فقامت المعجزة ، واتضح البرهان ، وبطل ما كانوا يعملون . ولهذا قال

---

[١] - في ز : « تقلبوا » .

[٢] - في ش : ماذا .

[٣] - في ز : « جاءوا » .

[٤] - في ش : « كثيرًا » .

[٥] - سقط من ز .

تعالىٰ : ﴿ **إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن موسىٰ الشيباني ، حدثنا حماد بن خالد ، حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ[١] - عن الحسن ، عن جُنْدب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أخذتم**[٢] - يعني الساحر - **فاقتلوه** ، **ثم قرأ** ﴿ **ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ . قال : **لا يؤمن به حيث وجد** » .

وقد روىٰ أصله الترمذي موقوفًا ومرفوعًا(٥٦) .

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه - ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه - علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسىٰ ليس من قبيل السحر والحيل ، وأنه حق لا مرية فيه ، ولا يقدر علىٰ هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون ، فعند ذلك وقعوا سجدًا لله ، وقالوا : ﴿ **آمنا برب العالمين * رب موسىٰ وهارون** ﴾ .

ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء بررة .

قال محمد بن كعب: كانوا ثمانين ألفًا .

وقال القاسم بن أبي بزة[٣]: كانوا سبعين ألفًا .

وقال السدي : بضعة وثلاثين ألفًا .

وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة : [كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفًا .

وقال محمد بن إسحاق : كانوا خمسة عشر ألفًا .

---

(٥٦) - أخرجه الترمذي في كتاب الحدود ، باب : ما جاء في حد الساحر ، حديث (١٤٦٠) ، (٤/٤٩ - ٥٠) من طريق الحسن ، عن جندب ، عن أبي جنادة ، فذكره .

وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث ، وإسماعيل بن مسلم العبدى البصرى - قال وكيع : هو ثقة - ويروى عن الحسن أيضًا والصحيح عن جندب موقوف ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم ، وهو قول مالك بن أنس ، وقال الشافعي : إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر ، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلًا . اهـ

---

[١] - في ز : « الصانع » .

[٢] - في ز : « أحلكم » .

[٣] - في ز : « بريدة » .

وقال] [١]كعب الأحبار : كانوا اثني عشر ألفًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن عليّ بن حمزة ، حدثنا عليّ بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت السحرة سبعين رجلًا ، أصبحوا سحرة ، وأمسوا شهداء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح بمكة ، حدثنا ابن المبارك ، قال : قال الأوزاعي ، لما خر السحرة سجدًا رفعت لهم الجنة حتىٰ نظروا إليها .

قال : وذكر عن سعيد بن سلام : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سليمان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : قوله : ﴿ **وألقي السحرة سجدًا** ﴾ ، قال : رأوا منازلهم تبنىٰ لهم وهم في سجودهم . وكذا قال عكرمة ، والقاسم بن أبي بَزَّة .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ، ومكابرته الحقَّ بالباطل ، حين رأىٰ ما رأىٰ من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ، ورأىٰ الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم ، وغلب كل الغلب ، شرع في المكابرة والبهت ، وعدل إلىٰ استعمال جاهه وسلطانه في السحرة ، فتهددهم وأوعدهم ، وقال : ﴿ **آمنتم له** ﴾ ، أي : صدقتموه ﴿ **قبل أن آذن لكم** ﴾ ، أي : وما أمرتكم بذلك . وافتتم علي في ذلك ، وقال قولًا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب : ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ أي : أنتم إنما أخذتم السحر عن موسىٰ ، واتفقتم أنتم وإياه عليَّ وعلىٰ رعيتي ؛ لتظهروه ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون** ﴾ ثم أخذ يتهددهم فقال : ﴿ **لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل** ﴾ أي : لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم[٢] ولأشهرنكم .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

قال ابن عباس: فكان أول من فعل ذلك . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله: ﴿ **ولتعلمنّ أينا أشد عذابًا وأبقىٰ** ﴾ . أي: أنتم تقولون: إني وقومي علىٰ ضلالة ، وأنتم مع موسىٰ وقومه علىٰ الهدىٰ ، فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقىٰ فيه .

فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم ، هانت عليهم أنفسهم في الله - عز وجل - و﴿ **قالوا: لن نؤثرك علىٰ ما جاءنا من البينات** ﴾ . أي: لن نختارك[١] علىٰ ما حصل لنا من الهدىٰ واليقين .

﴿ **والذي فطرنا** ﴾ يحتمل أن يكون قسمًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا على البينات . يعنون: لا نختارك علىٰ فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم ، المبتدئ خلقنا من الطين ، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت ﴿ **فاقض ما أنت قاض** ﴾ ، أي: فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك . ﴿ **إنما تقضي هذه الحياة الدنيا** ﴾ . أي: إنما لك تَسَلُّط في هذه الدار وهي دار الزوال ، ونحن قد رغبنا في دار القرار .

﴿ **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا** ﴾ . أي: ما كان منا من الآثام ، خصوصًا ما أكرهتنا عليه من السحر ، لنُعارض به آية الله تعالىٰ ومعجزة نبيه .

قال ابن أبي حاتم(٥٧) : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ **وما أكرهتنا عليه من السحر** ﴾ ، قال: أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرئيل ، فأمر أن يعلموا السحر بالفَرَمَا ، وقال: علموهم تعليمًا لا يعلمه أحد في الأرض . قال ابن عباس: فهم الذين آمنوا بموسىٰ ، وهم من الذين قالوا: ﴿ **آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر** ﴾ .

وكذ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقوله: ﴿ **والله خير وأبقىٰ** ﴾ . أي: خير لنا منك ، ﴿ **وأبقىٰ** ﴾ ، أي: أدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنَّيتَنا ، وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله !

وقال محمد بن كعب القرظي(٥٨) : ﴿ **والله خير** ﴾ ، أي: لنا منك إن أطيع ،

(٥٧) - وأخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٨٩/١٦ - ١٩٠) من طريق نعيم بن حماد به .

(٥٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٩٠/١٦) .

[١] - في ز: « نختار » .

﴿ وأبقىٰ ﴾ . أي : منك عذابًا إن عُصِيَ . وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضًا .

والظاهر أن فرعون - لعنه الله - صمّم علىٰ ذلك وفعله بهم رحمهم الله ! ولهذا قال ابن عباس(٥٩) وغيره من السلف : أصبحوا سحرة ، وأمسوا شهداء .

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وَعَظ به السحرةُ لفرعون ، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي ، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد ، فقالوا : **﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا ﴾** . أي : يلقىٰ الله يوم القيامة وهو مجرم ، **﴿ فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيىٰ ﴾** ، كقوله : **﴿ لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزي كل كفور ﴾** . وقال : **﴿ ويتجنبها الأشقىٰ الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ ﴾** وقال تعالى : **﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾** .

وقال الإمام أحمد بن حنبل(٦٠) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس**[١] **تصيبهم النار بذنوبهم ، فتميتهم إماتة ، حتىٰ إذا صاروا فحمًا ، أذن في الشفاعة ، فجيء**[٢] **بهم ضبائر ضبائر**[٣] **، فبثوا علىٰ أنهار الجنة ، فيقال**[٤] **: يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحِبَّة**[٥] **تكون في حَمِيل السيل**[٦]» . فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان بالبادية .

(٥٩) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٨٨/١٦) .
(٦٠) - مسند أحمد : (١١/٣) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : « جيء » .
[٣] - هم الجماعات في تفرقة ، واحدتها ضبارة . النهاية [٧١/٣] .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - الحبة - بالكسر - : بذور البقول وحبُّ الرياحين . وقيل : هو نبت صغير ينبت في الحشيش . النهاية [٣٢٦/١] .
[٦] - هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره ، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة . النهاية [٤٤٢/١] .

وهكذا أخرجه مسلم(٦١) في كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر ابن المفضل كلاهما عن أبي مسلمة[١] سعيد بن يزيد به .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢) : ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا أبي ، حدثنا حيَّان ، سمعت سليمان التيمي ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خطب فأتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ **إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ قال النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها ، فإن النار تمسهم ، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون ، فتجعل الضبائر ، فيؤتىٰ بهم نهرًا يقال له الحياة – أو الحيوان – فينبتون كما ينبت القثّاء في حميل السيل** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات** ﴾ . أي : ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب ، قد صدق ضميره بقوله وعمله ﴿ **فأولئك لهم الدرجات العلىٰ** ﴾ أي : الجنة ذات الدرجات العاليات ، والغرف الآمنات ، والمساكن الطيبات .

قال الإِمام أحمد(٦٣) : حدثنا عفان ، أنبأنا همام ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تخرج الأنهار الأربعة ، والعرش فوقها ، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس** » . ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن همام به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، أخبرنا خالد ابن[٢] يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه قال : كان يقال : الجنة مائة درجة ، في كل درجة مائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فيهن الياقوت والحلي[٣] ، في كل درجة أمير[٤] ، يرون له الفضل والسؤدد .

---

(٦١) - صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث (٣٠٦ - ٣٠٧ - (١٨٥) ، (٤٦/٣ : ٤٨) .

(٦٢) - وأخرجه مسلم في « صحيحه » كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث ٣٠٦ - (١٨٥) ، (٤٦/٣ - ٤٧) ، وأحمد في مسنده (١١/٣) .

(٦٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » : (٣١٦/٥ ، ٣٢١) (٢٢٧٩٨) (٢٢٨٤٣) . والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة درجات الجنة ، حديث (٢٥٣١) ، (٥٨٣/٤) .

---

[١] - في ز : « مسلم » .
[٢] - في ز : « أبو » .
[٣] - في ز : « الحيل » .
[٤] - في ز : « أمر » .

وفي الصحيحين (٦٤) : « **إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون[١] الكوكب الغابر في أفق السماء ؛ لتفاضل ما بينهم** » . قالوا : يا رسول اللَّه ؛ تلك منازل الأنبياء . قال : «بلىٰ[٢] ، **والذي نفسي بيده رجال آمنوا باللَّه وصدقوا المرسلين** » .

وفي السنن(٦٥) : وإن أبا بكر وعُمر لمنهم وأنعما .

وقوله : ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي : إقامة ، وهي بدل من الدرجات العلىٰ ﴿ [**تجري من تحتها الأنهار**][٣] **خالدين فيها** ﴾ . أي : ماكثين أبدًا ﴿ **وذلك جزاء من تزكىٰ** ﴾ أي : طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك ، وعبد اللَّه وحده لا شريك له ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خبر[٤] وطلب .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا أنه أمر موسىٰ - عليه السلام - حين أبىٰ فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ، أن يُسري بهم في الليل ، ويذهب بهم من قبضة فرعون . وقد بسط اللَّه هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة ، وذلك أن موسىٰ لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب ، فغضب فرعون غضبًا شديدًا ، وأرْسَلَ في المدائن حاشرين ، أي : من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه . يقول : إن هٰؤلاءِ لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون . ثم لما جمع جنده واستوثق[٥] له جيشه ، ساق في طلبهم ﴿ **فأتبعوهم مشرقين** ﴾ . أي : عند طلوع الشمس ﴿ **فلما تراءىٰ الجمعان** ﴾ أي : نظر كل من

(٦٤) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥٦) (٦/٣٢٠) وطرفه في (٦٥٥٦) . ومسلم في كتاب الجنة ، حديث (١١/٢٨٣١) ، (١٧/٢٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٦٥) - أخرجه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٨٧) ، والترمذي في كتاب المناقب : باب : مناقب أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - حديث (٣٦٥٨) ، (٥/٥٦٧) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : في فضائل أصحاب رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - حديث (٩٦) (١/٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

[١] - في ز : « يرون » .
[٢] - في ز : « بل » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « خير » .
[٥] - في ز : « واستوس » .

الفريقين إلىٰ الآخر ، ﴿ **قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين** ﴾ ووقف موسىٰ ببني إسرائيل ، البحرُ أمامهم ، وفرعون وراءهم ، فعند ذلك أوحىٰ اللَّه إليه : أن اضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ، فضرب البحر بعصاه ، وقال : انفلق بإذن اللَّه ! ﴿ **فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ أي : الجبل العظيم . وأرسل اللَّه الريح ، علىٰ أرض[١] البحر فلفحته[٢] حتىٰ صار يابسًا كوجه الأرض ، ولهذا قال : ﴿ **فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا * لا تخاف دركًا** ﴾ أي : من فرعون ، ﴿ **ولا تخشىٰ** ﴾ ، يعني : من البحر أن يغرق قومك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم** ﴾ ، أي : البحر ﴿ **ما غشيهم** ﴾ أي : الذي هو معروف ومشهور ، وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والمؤتفكة أهوىٰ * فغشاها ما غشىٰ** ﴾ وكما قال الشاعر :

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي الذي يعرف وهو مشهور ، وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم ، فأضلهم وما هداهم إلىٰ سبيل الرشاد ، كذلك : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾ .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ
ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ
غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

يذكر تعالىٰ نعمه علىٰ بني إسرائيل العظام ، ومننه الجسام ، حيث نجاهم من عدوهم فرعون ، وأقر أعينهم منه ، وهم ينظرون إليه وإلىٰ جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة ، لم ينج منهم أحد ، كما قال : ﴿ **وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** ﴾ .

وقال البخاري (٦٦) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا شعبة ،

---

(٦٦) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ....** ﴾ حديث (٤٧٣٧) ، (٨/٤٣٤) .

---

[١] - في ز : « الأرض » . [٢] - في ز « فلقحته » .

حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المدينة و[١]اليهود تصوم عاشوراء ، فسألهم فقالوا : هذا اليوم الذي أظهر[٢] الله فيه موسىٰ علىٰ فرعون . فقال : « **نحن أولىٰ بموسىٰ فصوموه** » . ورواه مسلم(٦٧) أيضًا في صحيحه .

ثم إنه تعالىٰ واعد موسىٰ وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلىٰ جانب الطور الأيمن ، وهو الذي كلمه تعالىٰ عليه ، وسأل فيه الرؤية ، وأعطاه التوراة هناك ، وفي غُضُون[٣] ذلك عبد بنو إسرائيل العجل ، كما يقصه تعالىٰ قريبًا .

وأما المن والسلوىٰ فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها . فالمن : حلوىٰ كانت تنزل عليهم من السماء . والسلوىٰ : طائر يسقط عليهم ، فيأخذون من كل قدر الحاجة إلىٰ الغد ، لُطْفًا من الله ، ورحمة بهم ، وإحسانًا إليهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي** ﴾ . أي : كلوا من هذا الرزق[٤] الذي رزقتكم ، ولا تطغوا في رزقي ، فتأخذوه من غير حاجة ، و[٥]تخالفوا ما أمرتكم به ، ﴿ **فيحل عليكم غضبي** ﴾ أي : أغضب عليكم ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ** ﴾ . قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس(٦٨) - رضي الله عنهما - : أي : فقد شقي .

وقال شُفَيّ بن ماتع : إن في جهنم قصرًا يرمىٰ[٦] الكافر من أعلاه ، فيهوي في جهنم أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال ، وذلك قوله : ﴿ **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾ ، أي : كل من تاب إليَّ تبت عليه من أي ذنب كان ، حتىٰ أنه تاب تعالىٰ علىٰ من عبد العجل من بني إسرائيل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **تاب** ﴾ أي : رجع عما كان فيه من كفر أو شرك . أو معصية أو نفاق .

(٦٧) - أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، حديث (١٢٧ - ١٢٨/١٣٠) ، (١٣/٨) .
(٦٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٩٤/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٤٤/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في ت : « وجد » .
[٢] - في ش : « أظفر » .
[٣] - في ز : « غبون » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : « يؤتى » .

وقوله : ﴿ وآمن ﴾ أي : بقلبه[١] ﴿ وعمل صالحًا ﴾ أي : بجوارحه .

وقوله : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي ثم لم يشكك .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ ، أي : استقام علىٰ السنة والجماعة . وروي نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف .

وقال قتادة : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ أي: لزم الإسلام حتى يموت .

وقال سفيان الثوري : ﴿ ثم اهتدىٰ ﴾ أي : علم أن لهذا[٢] ثوابًا ، و« ثم » هاهنا لترتيب الخبر على الخبر ، كقوله : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا [وتواصوا بالصبر وتواصو بالمرحمة][٣] ﴾ .

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (٨٦) قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا (٨٩)

لما سار موسىٰ - عليه السلام - ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون ﴿ وأتوا[٤] علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم قالوا ياموسىٰ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ وواعده ربه ثلاثين ليلة ، ثم أتبعها له عشرًا ، فتمت أربعين ليلة ، أي : يصومها ليلًا ونهارًا . وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك . فسارع موسىٰ - عليه السلام - مبادرًا إلىٰ الطور ، واستخلف علىٰ بني إسرائيل أخاه

---

[١] - في ز : « قلبه » .
[٢] - في ز : « هذا » .
[٣] - في ز : « وعملوا الصالحات » .
[٤] - في ز : « وافوا » .

هارون ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما أعجلك عن قومك يا موسىٰ * قال هم أولاء علىٰ أثري** ﴾ أي : قادمون ينزلون قريبًا من الطور ﴿ **وعَجِلت إليك رب لترضىٰ** ﴾ أي : لتزداد عني رضًا . ﴿ **قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري** ﴾ .

أخبر تعالىٰ نبيه موسىٰ بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل ، وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري . وفي الكتب الإسرائيلية : أنه كان اسمه هارون أيضًا ، وكتب اللّٰه تعالىٰ له في هذه المدة الألواح المتضمنة التوراة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين** ﴾ . أي : عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري .

وقوله : ﴿ **فرجع موسىٰ إلىٰ قومه غضبان أسفًا** ﴾ ، أي : بعد ما أخبره تعالىٰ بذلك ، في غاية الغضب والحنق عليهم ، هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم ، وتسلم[١] التوراة التي فيها شريعتهم ، وفيها شرف لهم ، وهم قوم قد عبدوا غير اللّٰه ، ما يَعْلَمُ كل عاقل له لب [وحزم][٢] بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ، ولهذا رجع إليهم غضبان أسفًا . والأسف شدّة الغضب . وقال مجاهد : ﴿ **غضبان أسفًا** ﴾ أي : جزعًا .

وقال قتادة والسدي : ﴿ **أسفًا** ﴾ حزينًا علىٰ ما صنع قومه من بعده ﴿ **قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا** ﴾ ، أي : أما وعدكم علىٰ لساني كل خير في الدنيا والآخرة ، وحسن العاقبة كما قد شاهدتم من نصرته إياكم علىٰ عدوكم ، وإظهاركم عليه ، وغير ذلك من أياديه عندكم ﴿ **أفطال عليكم العهد** ﴾ أي : في انتظار ماوعدكم اللّٰه ، ونسيان ما سلف من نعمه ، وما بالعهد من قدم . ﴿ **أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم** ﴾ ، ﴿ **أم** ﴾ : هاهنا بمعنىٰ بل ، وهي للإضراب عن الكلام الأول ، وعدول إلىٰ الثاني ، كأنه يقول : بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴿ **فأخلفتم موعدي * قالوا** ﴾ ، أي : بنو إسرائيل في جواب ما أنبهم موسىٰ وقرعهم : ﴿ **ما أخلفنا موعدك بمَلْكِنا** ﴾ أي : عن قدرتنا واختيارنا .

ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد ، يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط ، الذي كانوا قد استعاروه منهم ، حين خرجوا من مصر ﴿ **فقذفناها** ﴾ . أي : ألقيناها عنا . وقد تقدم في حديث الفتون أن هارون - عليه السلام - هو الذي كان أمَرَهم بإلقاء الحلي في حفيرة فيها نار .

---

[١] - في ز : « تسليم » .

[٢] - سقط من ز .

وفي رواية السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : إنما أراد هارون أن يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ، ويجعل حجرًا واحدًا ، حتىٰ إذا رجع موسىٰ - عليه السلام - يرىٰ فيه ما يشاء ، ثم جاء ذلك السامري فألقىٰ عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول ، وسأل هارون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوته ؛ فدعا له هارون وهو لا يعلم ما يريد ، فأجيب له ، فقال السامري عند ذلك : أسأل الله أن يكون عجلًا . فكان عجلًا له خوار . أي : صوت استدراجًا وإمهالًا ومحنة واختبارًا ، ولهذا قال : ﴿ **فكذلك ألقىٰ السامري * فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبادة بن البَخْتَري[١] ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن هارون مر بالسامري وهو ينحت العجل ، فقال له : ما تصنع ؟ فقال : أصنع ما يضر ولا ينفع . فقال هارون : اللهم أعطه ما سأل علىٰ مافي نفسه . ومضىٰ هارون ، فقال السامري : اللهم إني أسألك أن يخور . فخار ، فكان إذا خار سجدوا له ، وإذا خار رفعوا رءوسهم . ثم رواه من وجه آخر عن حماد ، وقال : أعمل[٢] ما ينفع ولا يضر .

وقال السدي[٣]: كان يخور ويمشي ﴿ **فقالوا** ﴾ ، أي : الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه : ﴿ **هذا إلهكم وإله موسىٰ فنسي** ﴾ أي :نسيه هاهنا وذهب يتطلبه ، كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد .

وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ **فنسي** ﴾ . أي : نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم .

وقال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير[٤] ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ **فقالوا هذا إلهكم وإله موسىٰ** ﴾ قال : فعكفوا عليه وأحبوه حبًا لم يحبوا شيئًا قط - يعني مثله - يقول الله : ﴿ **فنسي** ﴾ ، أي : ترك ما كان عليه من الإسلام - يعني السامري ، قال الله تعالىٰ ردًا عليهم ، وتقريعًا لهم ، وبيانًا لفضيحتهم ، وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه : ﴿ **أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا** ﴾ أي : العجل ، ﴿ **أفلا يرون** ﴾ أنه لا يجيبهم إذا سألوه ، ولا إذا خاطبوه ، ﴿ **ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا** ﴾ . أي : في دنياهم ولا أخراهم .

---

[١] - في ز : « النحوي » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : « الذي » .
[٤] - في ز : « جرير » .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره ، فتخرج من فيه فيسمع له صوت . وقد تقدم في متون الحديث عن الحسن البصري أن هذا العجل اسمه : بهموت .

وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن[١] زينة القبط فألقوها عنهم ، وعبدوا العجل ، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير . كما جاء في الحديث الصحيح(٦٩) ؛ عن [عبد الله بن][٢] عمر أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب ، يعني : هل يصلي فيه أم لا ؟ فقال ابن عمر - رضي الله عنهما - : انظروا إلىٰ أهل العراق ، قتلوا ابن بنت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - يعني الحسين - وهم يسألون عن دم البعوض !

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

يخبر تعالىٰ عما كان من نهي هارون - عليه السلام - لهم عن عبادتهم العجل ، وإخباره إياهم : إنما هذا فتنة لكم ، ﴿ وإن ربكم الرحمن ﴾ الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، ﴿ فاتبعوني [وأطيعوا أمري][٣] ﴾ أي : فيما آمركم به ، واتركوا ما أنهاكم عنه .

﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ ﴾ أي : لا نترك عبادته حتىٰ نسمع كلام موسىٰ فيه ، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه ، وكادوا أن يقتلوه .

قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾

---

(٦٩) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، حديث (٥٩٩٤) ، (٤٢٦/١٠) .

---

[١] - في ز : « في » . [٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

يخبر تعالىٰ عن موسىٰ - عليه السلام - حين رجع إلىٰ قومه ، فرأىٰ ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم ، فامتلأ عند ذلك غيظًا ، وألقىٰ ما كان في يده من الألواح الإلٰهية ، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، وقد قدمنا في سورة[١] الأعراف بسط ذلك ، وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » . وشرع يلوم أخاه هارون فقال : ﴿ **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن** ﴾ أي : فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع ﴿ **أفعصيت أمري** ﴾ أي : فيما كنت تقدمت إليك ، وهو قوله : ﴿ **اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين** ﴾ قال : ﴿ **يا ابن أم** ﴾ تَرَقَّقَ له بذكر الأم ، مع أنه شقيقه لأبويه ؛ لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ ، أي في الحنو والعطف ، ولهذا قال : ﴿ **يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي** ﴾ . الآية .

هذا اعتذار من هارون عند موسىٰ في سبب تأخره عنه ، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم ، ﴿ **قال إني خشيت** ﴾ أن أتبعك فأخبرك بهذا ، فتقول لي : لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ﴿ **ولم ترقب قولي** ﴾ أي : وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم .

قال ابن عباس(٧٠) : وكان هارون[٢] هائبًا مطيعًا له .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

يقول موسى - عليه السلام - للسامري : ما حملك على ما صنعت ؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت ؟

---

(٧٠) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٢٠٣) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

قال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير[١] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان السامري رجلًا من أهل باجرما ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حب عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإِسلام مع بني إسرائيل[٢] ، وكان [اسم السامري] : موسىٰ بن ظِفر .

وفي رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان .

وقال قتادة : كان من قرية اسمها سامرا[٣] .

﴿ قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾ أي : رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ أي : من أثر فرسه ، وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار[٤] بن الحارث ، أخبرني عبيد الله بن موسىٰ ، أخبرنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي بن عمارة ، عن علي - رضي الله عنه - قال : إن جبريل - عليه السلام - لما نزل فصعد بموسىٰ - عليه السلام - إلىٰ السماء ، بصر به السامري من بين الناس ، فقبض قبضة من أثر الفرس . قال : وحمل جبريل موسىٰ - عليهما السلام - خلفه ، حتىٰ إذا دنا من باب السماء صعد ، وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح ، فلما أخبره أن قومه قد فُتِنُوا من بعده ، قال : نزل موسىٰ فأخذ العجل فأحرقه . غريب .

وقال مجاهد ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ قال : من تحت حافر فرس جبريل . قال : والقبضة ملء الكف ، والقبضة بأطراف الأصابع .

قال مجاهد : نبذ السامري ، أي : ألقىٰ ما كان في يده علىٰ حلية بني إسرائيل ، فانسبك عجلًا جسدًا له خوار ، حفيف الريح فيه فهو خواره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، أخبرنا علي بن المديني ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا عمارة ، حدثنا عكرمة : أن السامري رأىٰ الرسول ، فألقىٰ في روعه : أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء ، فقلت له : كن فكان ، فقبض قبضة من أثر الرسول ، فيبست أصابعه علىٰ القبضة ، فلما ذهب موسىٰ للميقات ، وكان بنو إسرائيل قد[٥] استعاروا حلي آل فرعون ، فقال لهم السامري : إنما أصابكم من أجل هذا الحلي ،

---

[١] - في ز : جرير .
[٢] - بعده في ز : « وفي نفسه » .
[٣] - في ز : « سامره » .
[٤] - في ز : « عثمان » .
[٥] - سقط من ز .

فاجمعوه . فجمعوه فأوقدوا عليه ، فذاب ، فرآه السامري ، فألقي في روعه : أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه ، فقلت : كن فكان ، فقذف القبضة ، وقال : كن ، فكان عجلًا جسدًا[١] له خوار ، فقال : ﴿ **هذا إلهكم وإله موسىٰ** ﴾ .

ولهذا قال : ﴿ **فنبذتها** ﴾ أي : ألقيتها مع من ألقىٰ ﴿ **وكذلك سولت لي نفسي** ﴾ أي : حسنته وأعجبها إذ ذاك ﴿ **قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس** ﴾ . أي : كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول ، فعقوبتك في الدنيا أن تقول : ﴿ **لا مساس** ﴾ ، أي : لا[٢] تماسّ الناس ولا يمسونك .

﴿ **وإن لك موعدًا** ﴾ أي : يوم القيامة . ﴿ **لن تخلفه** ﴾ أي : لا محيد لك عنه .

و[٣]قال قتادة : ﴿ **أن تقول لا مساس** ﴾ . قال : عقوبة لهم ، وبقاياهم اليوم يقولون[٤] : لا مساس .

وقوله : ﴿ **وإن لك موعدًا لن تخلفه** ﴾ . قال الحسن وقتادة وأبو نَهيك : لن تغيب عنه .

وقوله : ﴿ **وانظر إلىٰ إلهك** ﴾ ، أي : معبودك ﴿ **الذي ظلت عليه عاكفًا** ﴾ أي : أقمت علىٰ عبادته ، يعني : العجل ﴿ **لنحرقنه** ﴾ قال الضحاك : عن ابن عباس والسدي : سحله بالمبارد ، وألقاه على النار . وقال قتادة : استحال العجل من الذهب لحمًا ودمًا ، فحرقه بالنار ، ثم ألقاه - أي : رماده - في البحر ، ولهذا قال : ﴿ **ثم لننسفنه في اليم نسفًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٧١) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال : إن موسىٰ لما تعجل إلىٰ ربه ، عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حليّ نساء بني إسرائيل ، ثم صوره عجلًا ، قال : فعمد موسىٰ إلىٰ العجل ، فوضع عليه المبارد ، فبرده بها ، وهو علىٰ شط نهر ، فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفرَّ وجهه مثل الذهب . فقالوا لموسىٰ : ما توبتنا ؟ قال : يقتل بعضكم بعضًا .

---

(٧١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٤/٥٤٥) ، وزاد السيوطي نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد والحاكم .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .

وهكذا قال السديّ ، وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ، ثم في حديث الفتون بسط ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو** [**وسع كل شيء علمًا** ﴾ يقول لهم موسىٰ - عليه السلام - : ليس هذا إلهكم ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو][١] . أي : لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له ، فإن كل شيء فقير إليه ، عبد لديه[٢] .

وقوله : ﴿ **وسع كل شيء علمًا** ﴾ نُصِبَ على التمييز ، أي : هو عالم بكل شيء ، أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصىٰ كل شيء عددًا فلا يعزب عنه مثقال ذرة ﴿ **وما**[٣] **تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ . والآيات في هذا[٤] ذلك كثيرة جدًا .

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك خبر[٥] موسىٰ ، وما جرىٰ له مع فرعون وجنوده على الجليّة والأمر[٦] الواقع ، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، هذا ﴿ **وقد آتيناك من لدنا** ﴾ . أي : من عندنا ذكرًا ، وهو القرآن العظيم ، الذي ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ الذي لم يُعطَ نبي من الأنبياء - [منذ بعثوا إلى أن ختموا][٧] بمحمد ، صلىٰ الله عليه وسلم - تسليمًا كتابًا مثله ، ولا أكمل منه ، ولا أجمع لخبر ما سبق ، وخبر ما هو كائن ، وحكم الفصل بين الناس منه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **من أعرض عنه** ﴾ أي : كذب به وأعرض عن اتباعه أمرًا وطلبًا ، وابتغى الهدىٰ في غيره ، فإن الله يضله ويهديه إلىٰ سواء الجحيم ، ولهذا قال : ﴿ **من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا** ﴾ ، أي :

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٢] - في ش : « لربه » ، وفي ت : « له » .
[٣] - في ز : « ولا » .
[٤] - في ت : « ذلك » .
[٥] - في ز : « وحي » .
[٦] - في ز : « بالأمر » .
[٧] - بياضا في ز .

إثمًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ ، وهذا عام في كل من بلغه القرآن ؛ من العرب والعجم ، أهل الكتاب وغيرهم ، كما قال : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع ، فمن اتبعه هدي ، ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا ، والنار موعده يوم القيامة ، ولهذا قال : ﴿ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا * خالدين فيه ﴾ أي : لا محيد لهم عنه ولا انفكاك ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملًا ﴾ أي : وبئس الحمل حملهم !

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

ثبت في الحديث(٧٢) أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سئل عن الصور ؟ فقال : « **قرن ينفخ فيه** » ، وقد جاء في حديث الصور من رواية أبى هريرة أنه قرن عظيم ، الدارةُ منه بقدر السموات والأرض ، ينفخ فيه[١] إسرافيل - عليه السلام - وجاء في الحديث(٧٣) : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنىٰ جبهته ، وانتظر أن يؤذن له ؟** » . فقالوا : يا رسول الله ؛ كيف نقول ؟ قال : « **قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، علىٰ الله توكلنا** »

وقوله : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا ﴾ ، قيل : معناه زُرْق العيون من شدة ماهم فيه من الأهوال .

---

(٧٢) - أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في ذكر البعث والصور ، حديث (٤٧٤٢) ، (٤/٢٣٦) . والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في شأن الصور ، حديث (٢٤٣٠) ، (٤/ ٥٣٦) . والنسائي في الكبرى : كتاب التفسير : باب قوله الله تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ حديث (١١٣١٢) ، (٦/٣٩٢) . والدارمي : كتاب الرقائق ، باب : في نفخ الصور (٢/٣٢٥) ، وأحمد (٢/ ١٦٢،١٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٧٣) - أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : ما جاء في شأن الصور ، حديث (٢٤٣١) ، ٤/٥٣٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **والذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم** ﴾ حديث (١١٠٨٢) ، (٦/٣١٦) من حديث أبي هريرة . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . اهـ

---

[١] - سقط من ز .

﴿ يتخافتون بينهم ﴾ قال ابن عباس : يتسارّون بينهم . أي : يقول بعضهم لبعض : ﴿ إن لبثتم إلا عشرًا ﴾ ، أي : في الدار الدنيا ، لقد كان لبثكم فيها قليلًا ، عشرة أيام أو نحوها ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ ، أي : في حال تناجيهم بينهم ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ ، أي : العاقل الكامل فيهم ﴿ إن لبثتم إلا يومًا ﴾ ، أي : لقصر مدة الدنيا في أنفسهم [يوم المعاد ؛ لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها][١]وساعاتها كأنها يوم واحد ، ولهذا [يستقصر الكافرون][٢]مدة الحياة الدنيا يوم القيامة ، وكان غرضهم في ذلك دَرْء[٣] قيام الحجة عليهم ؛ لقصر المدة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادّين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ أي : إنما[٤] كان لبثكم فيها قليلًا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي علىٰ الفاني ، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف ، قدمتم الحاضر الفاني علىٰ الدائم الباقي .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ ، أي : هل تبقىٰ يوم القيامة أو تزول ؟ ﴿ فقل ينسفها ربي نسفًا ﴾ ، أي : يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرًا ﴿ فيذرها ﴾ ، أي : الأرض ﴿ قاعًا صفصفًا ﴾ أي : بساطًا[٥] واحدًا .

والقاع : هو المستوي من الأرض ، والصفصف تأكيد لمعنىٰ ذلك ، وقيل : الذي لا نبات فيه ، والأول أولىٰ ، وإن كان الآخر مرادًا أيضًا باللازم ، ولهذا قال : ﴿ لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا ﴾ ، أي : لا ترىٰ في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية ، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا ، كذلك قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن البصري ، والضحاك، وقتادة ،

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « تستقصر » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « بما » .
[٥] - في ز : « بسطًا » .

وغير واحد من السلف.

﴿ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له ﴾ ، أي : يوم يرون هذه الأحوال والأهوال ، يستجيبون مسارعين إلىٰ الداعي ، حيثما أمروا بادروا إليه ، ولو إليه كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ، ولكن حيث لا ينفعهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ ، وقال : ﴿ مهطعين إلى الداع [يقول الكافرون هذا يوم عسر] ﴾ . وقال محمد بن كعب القرظي : يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ، ويطوي السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس والقمر ، وينادي مناد ، فيتبع الناس الصوت يؤمونه ، فذلك قوله : ﴿ يومئذٍ يتبعون الداعى لا عوج له ﴾ [وقال قتادة : ﴿ لا عوج له ﴾ ، أي : لا يميلون عنه][١] .

[وقال أبو صالح : ﴿ عوج له ﴾ : لا عوج عنه][٢] .

وقوله : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ قال ابن عباس : سكنت ، وكذا قال السدى : ﴿ فلا تسمع إلا همسًا ﴾ قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني وطء الأقدام . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ فلا تسمع إلا همسًا ﴾ : الصوت الخفى ، وهو رواية عن عكرمة والضحاك . وقال سعيد بن جبير : ﴿ فلا تسمع إلا همسًا ﴾ : الحديث ، وسره ، ووطء الأقدام . فقد جمع سعيد كلا القولين ، وهو محتمل ، أما وطء الأقدام : فالمراد سعي الناس إلىٰ المحشر ، وهو مشيهم في سكون وخضوع ، وأما الكلام الخفي : فقد يكون في حال دون حال ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ
ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

يقول تعالى : ﴿ يومئذٍ ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ لا تنفع الشفاعة ﴾ أى : عنده ، ﴿ إلا

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

من أذن له الرحمن ورضى له قولًا ﴾ ، كقوله : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾** ، وقوله : ﴿ **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضىٰ ﴾** ، وقال : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾** وقال : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾** وقال : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾** وفي الصحيحين(٧٤) من غير وجه ، عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو سيد ولد آدم ، وأكرم الخلائق علىٰ اللَّه - عز وجل - أنه قال : « **آتي تحت العرش ، فأخر**[١] **للَّه ساجدًا ، ويفتح عليَّ بمحامد لا أحصيها الآن ، فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني ، ثم يقول : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع** » . **قال « فيحد لي حدًا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أعود »** . فذكر أربع مرات صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلىٰ سائر الأنبياء . وفي الحديث(٧٥) أيضًا[٢] : « **يقول تعالىٰ : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة**[٣] **من إيمان . فيخرجون خلقًا كثيرًا ، ثم يقول : أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان ، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرّة ، من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرّة من إيمان** » . الحديث .

---

(٧٤) - أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار حديث (٦٥٦٥) وأطرفه في (٧٤١٠ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥٠٩ ، ٧٥١٠ ، ٧٥١٦) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (٣٢٢ - ١٩٣/٣٢٦) (٣/٦٥ : ٧٨) من حديث أنس بن مالك .

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾** ، حديث (٤٧١٢) (٣٩٥/٨) .

ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (٣٢٧ - ١٩٤/٣٢٨) ، (٣/٨٠ : ٣٨٥) من حديث أبي هريرة .

وأخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٤/٣٢٩) ، (٣/٨٥ : ٨٨) من حديث حذيفة .

(٧٥) - أخرجه بمعناه :

البخاري في كتاب الإيمان ، باب : زيادة الإيمان ونقصانه ، حديث (٤٤) وأطرفه في (٤٤٧٦ - ٦٥٦٥ ، ٧٤١٠ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥٠٩ ، ٧٥١٠ ، ٧٥١٦) ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث (١٩٣/٣٢٥) ، (٣/٧٢ - ٧٣) من حديث أنس بن مالك أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : « **يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخبرة ما يزن ذرة** » .

---

[١] - في ت : « وأخر » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .

وقوله : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ ، أي : يحيط علمًا بالخلائق كلهم ، ﴿ ولا يحيطون به علمًا ﴾ كقوله : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ وقوله : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ قال ابن عباس(٧٦) وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحيّ الذي لا يموت ، ﴿ القيوم ﴾ : الذي لا ينام ، وهو قيم علىٰ كل شيء ، يدبره ويحفظه ، فهو الكامل في نفسه ، الذي كل شيء فقير إليه ، لا قوام له إلا به .

وقوله : ﴿ وقد خاب من حمل ظلمًا ﴾ أي : يوم القيامة ، فإن اللّٰه سيؤدي كل حق إلىٰ صاحبه ، حتىٰ يقتص للشاة الجماء[١] من الشاة القرناء .

وفي الحديث : « **يقول الله -عز وجل-: وعزتي وجلالي لا يجاورني[٢] اليوم ظلم ظالم** » .

وفي الصحيح (٧٧) : « **إياكم والظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والخيبة كل الخيبة من لقي الله وهو به مشرك ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾** » .

وقوله : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا ﴾ ، لما ذكر الظالمين ووعيدهم ، ثنىٰ بالمتقين وحكمهم ، وهو أنهم لا يُظلمون ولا يُهضمون ، أي : لا يزاد في سيئاتهم ، ولا ينقص من حسناتهم ، قاله ابن عباس(٧٨) ، ومجاهد ، والضحاك ،

= وأخرجه الترمذي : كتاب صفة جنهم ، باب (١٠) ، حديث (٢٥٩٨) ، (٦١٥/٤) من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - قال : « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان** » . **قال أبو سعيد : فمن شك فليقرأ : ﴿ إن اللّه لا يظلم مثقال ذرة ﴾** .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٧٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢١٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥١/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٧٧) - أخرجه مسلم في « صحيحه » : كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٥٦/ ٢٥٧٨) ، (٢٠٢/١٦) من حديث جابر بن عبد اللّه : أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - قال : « **اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** » .

(٧٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢١٨/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٢/٤) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

---

[١] - الجماء : التي لا قرون لها .

[٢] - في ز : « يجوزني » .

والحسن، وقتادة، وغير واحد، فالظلم: الزيادة بأن يحمل[١] عليه ذنب[٢] غيره، والهضم: النقص.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

يقول تعالىٰ: ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير[٣] والشر واقعًا لا محالة، أنزلنا القرآن بشيرًا ونذيرًا، بلسان عربيّ مبين فصيح، لا لبس فيه ولا عيّ، ﴿ **وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون** ﴾، أي: يتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿ **أو يحدث لهم ذكرًا** ﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات، ﴿ **فتعالىٰ اللَّه الملك الحق** ﴾ أي: تنزه وتقدس الملك الحق، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، ورسله حق، والجنة حق، والنار حق، وكل شيء منه حق، وعدله تعالىٰ أن لا[٤] يعذب أحدًا قبل الإنذار، وبعثة الرسل والإعذار إلىٰ خلقه؛ لئلا يبقىٰ لأحد حجة ولا شبهة.

وقوله: ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه** ﴾ كقوله تعالىٰ في سورة: «لا أقسم بيوم القيامة»: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾، وثبت في الصحيح(٧٩)، عن ابن عباس: أن رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، كان يعالج من الوحي شدّة، فكان[٥] مما يحرك به[٦] لسانه، فأنزل اللَّه هذه الآية. يعني: أنه - عليه السلام - كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدّة حرصه علىٰ حفظ القرآن، فأرشده اللَّه تعالىٰ إلىٰ ما هو الأسهل والأخف[٧] في حقه؛ لئلا يشق عليه، فقال: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾، أي: أن[٨] نجمعه في صدرك، ثم تقرأه علىٰ الناس من غير

---

(٧٩) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: سورة القيامة، حديث (٤٩٢٧)، (٨/٦٨٠) من حديث ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: كان النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - إذا نزل عليه الوحى حرّك به لسانه فأنزل اللَّه: ﴿ **لا تحرج به لسانك لتعجل به** ﴾.

---

[١] - في ز: «عمل».
[٢] - في ز: «ظلم».
[٣] - في ز: «بالجزاء».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز: «وكان».
[٦] - سقط من ز.
[٧] - في ز: «الأحنف».
[٨] - سقط من ز.

أن تنسىٰ منه شيئًا ، ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾ ، وقال في هذه الآية : ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه** ﴾ ، أي : بل أنصت ، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده ، ﴿ **وقل رب زدني علمًا** ﴾ أي : زدني منك علمًا .

قال ابن عيينة رحمه الله : ولم يزل ، صلى الله عليه وسلم ، في زيادة حتى توفاه الله - عز وجل - .

ولهذا جاء في الحديث : « **إن الله تابع الوحي علىٰ رسوله ، حتىٰ كان الوحي أكثر ما كان يوم تُوفي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم** » .

وقال ابن ماجة(٨٠) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن موسىٰ ابن عبيدة[١] ، عن محمد بن ثابت ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علمًا ، والحمد لله علىٰ كل حال** » .

وأخرجه الترمذي عن أبي كريب ، عن عبد الله بن نمير ، به . وقال : غريب من هذا الوجه . ورواه البزار : عن عمرو بن عليّ الفلاس ، عن أبي عاصم ، عن موسىٰ بن عبيدة ، به . وزاد في آخره : « **وأعوذ بالله من حال أهل النار** »

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ

(٨٠) - إسناده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة ؛ فهو ضعيف . ومحمد بن ثابت : لم يرو عنه غير موسى ابن عبيدة ؛ قال الذهبي : لا يعرف . وقال الألباني : صحيح دون قوله : « **والحمد لله ...** » . والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب : دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (٣٨٣٣) (١٢٦٠/٢) .

وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : في العفو والعافية ، حديث (٣٥٩٩) ، (٥٤٠/٥) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . والزيادة التي نسبها المصنف للبزار هي عند الترمذي وابن ماجه أيضًا .

[١] - في ز : « عبيد » .

الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢)

قال ابن أبي حاتم(٨١) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إنما سمي الإنسان ؛ لأنه عهد إليه فنسي .

وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه .

وقال مجاهد والحسن : ترك .

وقوله : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما[١] فضله به على كثير ممن خلق تفضيلًا .

وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف .

وسيأتي في آخر سورة ﴿ص﴾ ؛ يذكر تعالى فيها خلق آدم ، وأمره الملائكة بالسجود له تشريفًا وتكريمًا ، ويبين عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم قديمًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿فسجدوا إلا إبليس أبى﴾ ، أي : امتنع واستكبر ، ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك﴾ ، يعني : حواء - عليهما السلام - ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ ، أي : إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى ، وتشقى في طلب رزقك ، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء ، لا كلفة ولا مشقة .

﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ إنما قرن بين الجوع والعري ؛ لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر .

﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ وهذان أيضًا متقابلان ، فالظمأ : حر الباطن ، وهو العطش . والضحى : حر الظاهر .

---

(٨١) - أخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٢٢١/١٦) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني في الصغير وابن منده في التوحيد والحاكم وصححه .

---

[١] - في ت : « بما » .

وقوله : ﴿**فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى**﴾ ، قد تقدم أنه دلاهما بغرور ﴿**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**﴾ ، وقد تقدم أن اللَّه تعالى عهد[١] إلىٰ آدم وزوجه[٢] أن يأكلا مِنْ كل الثمار ، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة ، فلم يزل بهما إبليس حتىٰ أكلا منها ، وكانت شجرة الخلد ، يعني : التي من أكل منها خلد ودام مكثه ، وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد ؛ فقال أبو داود الطيالسي (٨٢) :

حدثنا شعبة ، عن أبي الضحاك ، سمعت أبا هريرة يحدث ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة ، يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، وهي شجرة الخلد » ورواه الإمام أحمد(٨٣) .

وقوله : ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما** ﴾ قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عليّ بن الحسين بن إشكاب ، حدثنا عليّ بن عاصم ، عن سعيد [بن أبي][٣] عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه خلق آدم رجلًا طوالًا ، كثير شعر الرأس ، كأنه نخلة سَحُوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول مابدا منه عورته ، فلما نظر إلىٰ عورته جعل يَشْتَدُّ في الجنة ، فأخذت شعره شجرة ، فنازعها ، فناداه[٤] الرحمن : يا آدم ، مني تفر ؟ فلما سمع كلام الرحمن ، قال : يا رب لا ، ولكن استحياء ، أرأيت [إن تبت][٥]ورجعت أعائدي إلىٰ الجنة ؟ قال : نعم** » . **فذلك قوله** : ﴿ **فتلقىٰ آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ .

وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضًا .

وقوله : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ ، قال مجاهد : يرقعان كهيئة الثوب . وكذا قال قتادة والسدي .

---

(٨٢) - أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » برقم (٢٥٤٧) (صـ ٣٣٢) .

(٨٣) - أخرجه أحمد في « مسنده » : (٢/٢٥٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٣٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٩، ٤٨٢) و (٣/١١٠) . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » : (٤/٥٥٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : « أوحى » .

[٢] - في ز : « وزوجته » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « عن » .

[٤] - في ز : « فنادا » .

[٥] - مكررة في ز .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر عن[١] عون ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلىٰ عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ ، قال : ينزعان ورق التين ، فيجعلانه علىٰ سوآتهما .

وقوله : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ قال البخاري(٨٤) :

حدثنا قتيبة ، حدثنا أيوب بن النجار ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **حاج موسىٰ آدمَ ، فقال له : أنت الذي أخرجتَ الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم : يا موسىٰ ، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني علىٰ أمر قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني** » - أو : « **قدره الله عليّ قبل أن يخلقني** » قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **فحج آدم موسىٰ** » .

وهذا الحديث له طرق في الصحيحين(٨٥) وغيرهما من المسانيد .

---

(٨٤) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ ، حديث (٤٧٣٨) ، (٨/٤٣٤ - ٤٣٥) .

(٨٥) - أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : وفاة موسى ، حديث (٤٠٩) ، وطرفه في (٧٥١٥) ، ومسلم في كتاب القدر ، حديث (٢٦٥٢/١٥) ، (٣٠٩/١٦) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٢٦٤) . من طريق ابن شهاب الزهرى ، عن حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة .

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ حديث (٤٧٣٦) (٨/٤٣٤) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٥) ، (٣١٠/١٦)، وأحمد في « مسنده » : (٢٩٢/٢ ، ٤٤٨) . من طريق محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، فذكره .

وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ حديث (٤٧٣٨) ، (٨/٤٣٤ - ٤٣٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٥) ، (٣١٠/١٦) ، وأحمد في « مسنده » : (٢٦٨/٢ ، ٢٨٧) .

من طريق أيوب بن النجار اليماني ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة به .

وأخرجه البخاري : كتاب القدر : باب : تحاج آدم وموسى عند الله حديث (٦٦١٤) (٥٠٥/١١) ، ومسلم في صحيحه : كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٢/١٣) (٢٠٣/١٦ - ٣٠٧) ، والحميدى في « مسنده » برقم (١١١٥) ، (٤٧٥/٢) ، وأحمد في « مسنده » : (٢٤٨/٢) . من طريق سفيان ابن عيينة عن عمرو عن طاوس عن أبي هريرة فذكره .

وأخرجه البخاري : كتاب القدر ، باب : تحاج آدم وموسى عند الله حديث (٦٦١٤) ، (٥٠٥/١١) ، ومسلم : كتاب القدر ، حديث (٢٦٥٢/١٤) (٣٠٨/١٦) ، والحميدى في « مسنده » برقم (١١١٦) (٢/ ٤٧٥) . من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به .

---

[١] - في ت : « بن » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أنس بن عياض ، عن الحارث بن أبي ذباب ، عن يزيد بن هرمز قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **احتج**[١] **آدم وموسىٰ عند ربهما ، فحج آدم موسىٰ ، قال موسىٰ : أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس إلىٰ الأرض بخطيئتك ؟ قال آدم : أنت موسىٰ الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ، وقربك نجيًا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة [قبل أن أخلق ؟]**[٢]**قال موسىٰ : بأربعين**[٣] **عامًا . قال آدم : فهل وجدت فيها ﴿ وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ ﴾ ؟ قال : نعم . قال : أفتلومني علىٰ أن عملت عملًا كتب الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟** » قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **فحج آدم موسى** » قال الحارث : وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس ﴿ **اهبطوا منها جميعًا** ﴾ أي : من الجنة كلكم ، وقد [قدمنا بسط][٤] ذلك في سورة البقرة

﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ ، قال : آدم وذريته ، وإبليس وذريته .

وقوله : ﴿ **فإمّا يأتينكم مني هدى** ﴾ ، قال أبو العالية : الأنبياء والرسل والبيان .

﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ قال ابن عباس(٨٦) : لا يضل في الدنيا ولا

(٨٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٥/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٦/٤) وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من طرق عن ابن عباس .

[١] - في ز : « حج » .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٣] - في ز : « أربعين » .
[٤] - في ت : « بسطنا » .

يشقى في الآخرة.

﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ ، أي : خالف أمري ، وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه ، وأخذ من غيره هداه ، ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ ، أي : ضنكًا[١] في الدنيا ، فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق[٢] حرج لضلاله ، وإن تنعَّم ظاهره ، ولبس ما شاء ، وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة .

قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (٨٧) ﴿ فإن له معيشة ضنكًا ﴾ قال : الشقاء .

و[٣]قال العوفي عن ابن عباس(٨٨) : ﴿ فإن له معيشة ضنكًا ﴾ ، قال : كل مالٍ[٤] أعطيته عبدًا من عبادى قل أو كثر لا يتقينى فيه ، فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال[٥] أيضًا : إن قومًا ضلالًا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكًا ، ذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفًا لهم معايشهم ، من سوء ظنهم بالله والتكذيب ، فإذا كان العبد يكذب بالله ، ويسيئ الظن به ، والثقه به ، اشتدت عليه معيشته ، فذلك الضنك .

وقال الضحاك(٨٩) : هو العمل السيئ والرزق الخبيث ، وكذا[٦] قال عكرمة(٩٠) ، ومالك ابن دينار(٩١) .

وقال سفيان بن عيينة ، عن أبي[٧] حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد(٩٢) في قوله :

(٨٧) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٦/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٨٨) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٧/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٨٩) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/١٦) ، وعزه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الضحاك .

(٩٠) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/١٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة .

(٩١) - ذكره السيوطى في « الدر المنثور » : (٥٥٨/١٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مالك بن دينار .

(٩٢) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٢٧/١٦) ، وذكره السيوطى في « الدر المنثور » : =

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في ز : « ويقال » .
[٦] - في ت : « وكذلك » .
[٧] - في ز : « ابن » .

﴿ **معيشة ضنكًا** ﴾ ، قال : يُضيّق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه فيه . وقال أبو حاتم الرازي : [النعمان بن][١] أبي عياش : يكنىٰ[٢] أبا سلمة .

وقال ابن أبي حاتم (٩٣) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، أنبأنا[٣] الوليد ، أنبأنا[٤] عبد الله ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي[٥] الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في قول الله - عز وجل - : ﴿ **فإن له معيشة ضنكا** ﴾ ، قال : « **ضمة القبر له**[٦] » . و[٧]الموقوف أصح .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا[٨] (٩٤) : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج أبو السمح ، عن ابن حجيرة[٩] - و[١٠]اسمه عبد الرحمن - عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **المؤمن في قبره في روضة خضراء ، يفسح**[١١] **له في قبره سبعون ذراعًا ، وينوّر له قبره كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده - إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا ، أتدرون**[١٢] **ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية سبعة رءوس ينفخون**[١٣] **في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون** » رفعه منكر جدًّا .

= (٤/٥٥٦ - ٥٥٧) وعزاه إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري .

وقال : ولفظ عبد الرزاق : « يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » .

(٩٣) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٤/٥٥٦ - ٥٥٧) .

(٩٤) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (١٦/٢٢٨) ، وزاد السيوطى نسبته في « الدر المنثور » (٤/٥٥٧) ، إلى ابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، والحكيم الترمذى ، وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن حبان ، وابن مردويه عن أبي هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « اليعمري » .
[٢] - في ز : « يحيى » .
[٣] - في ز : « ثنا » .
[٤] - في ز : « ثنا » .
[٥] - في ز : « ابن » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « حجرة » .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - في ز : « ويرحب » .
[١٢] - سقط من ز .
[١٣] - في ز : « يسبحون » .

وقال البزار(٩٥) : حدثنا محمد بن يحيىٰ الأزدي ، حدثنا محمد بن عمر[١] ، حدثنا هشام ابن سعد ، عن سعيد بن أبي هلال ، [عن ابن حُجَيرة][٢] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في قول اللَّه - عز وجل - : ﴿ **فإن له معيشة ضنكًا** ﴾ ، قال : «**المعيشة الضنك الذي قال اللَّه تعالىٰ : أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ، ينهشون لحمه حتىٰ تقوم الساعة** » .

وقال أيضًا : حدثنا[٣] أبو زرعة ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فإن له معيشة ضنكًا** ﴾ قال : « **عذاب القبر** » . إسناد جيد .

وقوله : ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ ، قال[٤] مجاهد وأبو صالح والسدى: لا حجة له وقال عكرمة : عُمِّي عليه كل شيء إلا جهنم .

ويحتمل أن يكون المراد أنه[٥] يبعث أو يحشر إلىٰ النار أعمىٰ البصر والبصيرة أيضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة علىٰ وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ ، ولهذا يقول : ﴿ **رب لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيرًا** ﴾ ، أي : في الدنيا ﴿ **قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ** ﴾ ، أي : لما أعرضت عن آيات اللَّه ، وعامَلْتَها معاملة من لم يذكرها ، بعد بلاغها إليك تناسيتها ، وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك اليوم[٦] نعاملك معاملة مَنْ نسيك ، ﴿ **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل ، فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه ، فليس داخلًا في هذا الوعيد الخاص ، وإن كان متوعدًا عليه من جهة أخرىٰ ، فإنه قد وَرَدَت السنة بالنهي الأكيد والوعيد[٧] الشديد في ذلك .

قال الإمام أحمد(٩٦) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن فائد[٨] ، عن رجل ، عن سعد بن عبادة[٩] -رضي اللَّه عنه- عن النبي ،

---

(٩٥) - « كشف الأستار» برقم (٢٢٣٣) (٣/٥٩) . ومختصر زوائد البزار (٢/٩٤) وقال البزار : فيه من لم أعرفه . قال الحافظ ابن حجر : كلهم معروفون بالثقة إلا محمد بن عمر فهو الواقدي .

(٩٦) - أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٢٨٥) (٢٢٥٦٥) . ويزيد بن أبي زياد هو القرشي الهاشمي =

---

[١] - في ز ، خ : عمرو ، والمثبت من مختصر زوائد البزار .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ت : « وقال » .

[٥] - في ز : « أن » .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : « الوعد » .

[٨] - في ز : « قائد » .

[٩] - في ز : « عباد » .

صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم** » .

ثم رواه الإمام أحمد(٩٧) من حديث يزيد بن أبي زياد ، عن عيسىٰ بن فائد[١] ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة ، ﴿ **لهم عذاب في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق ، ومالهم من الله من واق** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ** ﴾ . أي : أشد ألمًا من عذاب الدنيا ، وأدوم عليهم ، فهم مخلدون فيه . ولهذا قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، للمتلاعنين : « **إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة** »(٩٨) .

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

= ضعيف ، كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعياً ، روى له مسلم مقرونًا . وعيسى بن فائد : مجهول . قال الذهبي : لا يدرى من هو . وفي إسناده مجهول وهو الراوي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه (٢/ ٧٦/رقم : ١٤٧٤) . وعبد بن حميد في المنتخب (٣٠٦، ٣٠٧) . كلاهما من يزيد بن أبي زياد به . ورواه أحمد أيضًا (٥/ ٢٨٤) (٢٢٥٥٨) حيث رواه أحمد من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن يزيد ابن أبي زياد به .

(٩٧) - أخرجه أحمد « مسنده » (٣٢٣/٥ ، ٣٢٧ - ٣٢٨) (٢٢٨٦٣)(٢٢٨٨٦) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين الأول (٥/ ٢٠٥) وقال: « رواه أحمد وابنه » والثاني في (٧/ ١٦٧) وعزاه لعبد الله بن أحمد وقال: « ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف » .

(٩٨) - أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : صدق الملاعنة ، حديث (٥٣١١) وأطرافه في (٥٣١٢،٥٣٤٩،٥٣٥٠) بنحوه . ومسلم : كتاب اللعان ، حديث (١٤٩٣/٤) (١٧٤/١٠ - ١٧٥) مطولاً . والترمذي : كتاب تفسير القرآن باب : ومن سورة النور ، حديث (٣١٧٨) (٣٠٨/٥ - ٣٠٩) . كلهم من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر به وللحديث شاهد آخر مطولاً بنحوه :

أخرجه البخاري : كتاب الشهادات ، باب : إذا ادعى أو قذف فله أن يلتمس البينة وينطلق لطلب البينة ، حديث (٢٦٧١) (٢٨٣/٥) وأطرافه في (٤٧٤٧ ، ٥٣٠٧) بنحوه . وأبو داود : كتاب الطلاق ، باب : في اللعان ، حديث (٢٢٥٦) (٢٧٦/٢ - ٢٧٧) . والترمذي : كتاب تفسير القرآن : باب : من سورة النور ، حديث (٣١٧٩) ، (٣٠٩/٥ - ٣١٠) ، وابن ماجه كتاب الطلاق ، باب : اللعان حديث=

[١] - في ز : « قائد » .

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أفلم[١] يهد ﴾ لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به : يا محمد ، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم ، فبادوا ، فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر ، كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها ، يمشون فيها ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لأولي النهىٰ** ﴾ ، أي : العقول الصحيحة ، والألباب المستقيمة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمىٰ الأبصار ، ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ . وقال في سورة الم السجدة : ﴿ **أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون** ﴾ .
ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمىٰ** ﴾ ، أي : لولا الكلمة السابقة من الله ، وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والأجل المسمىٰ الذي ضربه الله[٢] تعالىٰ لهؤلاء المكذبين إلىٰ مدة معينة ، لجاءهم العذاب بغتة .

ولهذا قال لنبيه مسليًا له : ﴿ **فاصبر علىٰ ما يقولون** ﴾ ، أي : من تكذيبهم لك ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس** ﴾ ، يعني : صلاة الفجر ، ﴿ **وقبل غروبها** ﴾ يعني : صلاة العصر ، كما جاء في الصحيحين(٩٩) ، عن جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال : كنا جلوسًا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر ، فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ، ثم قرأ هذه الآية .

وقال الإمام أحمد(١٠٠) : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عمارة ابن رؤبة[٣] قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **لن يلج النار أحد**

= (٢٠٦٧) ، (٦٦٨/١) كلهم من طريق عكرمه عن ابن عباس به مطولاً .

(٩٩) - أخرجه البخاري : كتاب مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، حديث (٥٥٤) (٣٣/٢) وأطرفه في (٥٧٣ ، ٤٨٥١) ، (٧٤٣٤ ، ٧٤٣٥ ، ٧٤٣٦) ، ومسلم في صحيحه : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، حديث (٢١١ - ٦٣٢/٢١٢) (١٨٧/٥ - ١٨٨) .

(١٠٠) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٣٦/٤ ، ٢٦١) . ومسلم في « صحيحه » : كتاب =

---

[١] - في ز : « أولم » . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ت : « رؤيبة » .

صلىٰ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ». رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير، به.

وفي المسند(١٠١) والسنن[١] (١٠٢)، عن ابن عمر قال: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: « **إن[٢] أدنىٰ أهل الجنة منزلة[٣] من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة، ينظر إلىٰ أقصاه كما ينظر إلىٰ أدناه، وإن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلىٰ الله تعالى في اليوم مرتين** ».

وقوله: ﴿ **ومن آناء الليل فسبح** ﴾، أي: من ساعاته فتهجد به، وحمله بعضهم علىٰ المغرب والعشاء، ﴿ **وأطراف النهار** ﴾، في مقابلة آناء الليل، ﴿ **لعلك ترضىٰ** ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ** ﴾ وفي الصحيح(١٠٣): « يقول الله تعالى: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟! فيقول: إني أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا ».

وفي الحديث(١٠٤) يقال: « **يا أهل الجنة؛ إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟! ألم تبيض وجوهنا، وتثقل موازيننا، وتزحزحنا عن النار، وتدخلنا الجنة؟! فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم خيرًا من النظر إليه، وهي الزيادة** ».

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

= المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي العصر والمحافظة عليهما، حديث (٢١٣ - ٦٣٤/٢١٤) (١٨٨/٥ - ١٨٩).

(١٠١) - أخرجه أحمد في « مسنده » (١٣/٢، ٦٤).

(١٠٢) - أخرجه الترمذي في « سننه »: كتاب صفة الجنة، باب: (١٧)، حديث (٢٥٥٣)، (٥٩٣/٤، ٥٩٤).

(١٠٣) - أخرجه البخاري: كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٤٩)، (٤١٥/١١)، وطرفه في (٧٥١٨)، ومسلم في « صحيحه » كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبدًا، حديث (٢٨٢٩/٩)، (٢٤٦/١٧)، والترمذي: كتاب صفة الجنة، باب: (١٨)، حديث (٢٥٥٥)، (٥٩٥/٤). كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(١٠٤) - أخرجه أبو عوانة في « مسنده »: (١٥٦/١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن =

[١] - في ز: « والسند ». [٢] - سقط من ز.

[٣] - سقط من ز.

وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

يقول تعالىٰ لنبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : لا تنظر إلىٰ هؤلاء المترفين[١] وأشباههم ونظرائهم ، وما هم فيه من النعيم[٢] ، فإنما هو زهرة زائلة ، ونعمة حائلة ، لنختبرهم[٣] بذلك ، وقليل من عبادي[٤] الشكور .

وقال مجاهد : ﴿ أزواجًا منهم ﴾ ، يعني : الأغنياء ، فقد آتاك خيرًا مما آتاهم . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم** ﴾ . وكذلك [ما ادَّخره الله] [٥]تعالىٰ لرسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في الدار الآخرة أمر عظيم ، لا يحدّ ولا يوصف ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **ورزق ربك خير وأبقىٰ** ﴾ .

وفي الصحيح (١٠٥) : أن عمر بن الخطاب لما دخل علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في تلك المَشْرُبة التي كان قد اعتزل فيها نساءه ، حين آلىٰ منهن فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير ، وليس في البيت إلا صُبْرة من قَرَظ وأهب[٦] معلقة ، فابتدرت عينا عمر بالبكاء ، فقال له[٧] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما يبكيك ؟** » . فقال : يا رسول الله ؛ إن كسرىٰ وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه . فقال : « **أوَ في شك أنت يا بن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم[٨] طيباتهم في حياتهم الدنيا** » .

فكان ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها ، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد[٩] الله ، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد .

= عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صهيب به .

(١٠٥) - أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب : الغرف العلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها ، حديث (٢٤٦٨) (٥/١١٤: ١١٦) ، ومسلم : كتاب الطلاق ، باب : في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى : ﴿ **وإن تظاهر عليه** ﴾ ، حديث (١٤٧٩/٣) ، (١١٨/١٠ : ١٢١) .

---

[١] - في ز : « المترفون » .
[٢] - في ت : « النعم » .
[٣] - في ز : « ليجزيهم » .
[٤] - في ز : « عباده » .
[٥] - ما بين المعكوفين في ز : « دخره » .
[٦] - في ز : « أهبة » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « عبادة » .

و[١]قال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس ، أخبرني ابن وهب ، أخبرني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي[٢] سعيد : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أخوف ما أخاف عليكم ، ما يفتح الله من زهرة الدنيا** » . قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال : « **بركات الأرض** » .

وقال قتادة والسدي وغيره[٣] : زهرة الحياة الدنيا يعني : زينة الحياة الدنيا .

وقال قتادة : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ لنبتليهم .

وقوله : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ . أي : استنقذهم[٤] من عذاب الله بإقام الصلاة ، واصطبر[٥] أنت علىٰ فعلها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن[٦] عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنَا وَيَرْفأ ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها ، فربما لم يقم[٧]، فنقول : لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا استيقظ[٨] أقام - يعني : أهله - وقال : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا نسألك رزقًا نحن نرزقك** ﴾ . أي[٩] : إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوةِ المتين** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **لا نسألك رزقًا نحن نرزقك** ﴾ . قال الثوري : ﴿ **لا نسألك رزقًا** ﴾ . أي : لا نكلفك الطلب .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن[١٠] غياث ، عن

---

(١٠٦) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٣٧/١٦) من طريق هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه فذكره .

(١٠٧) - وأخرجه الطبرى في « تفسيره » : (٢٣٧/١٦) من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، فذكره .

---

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ز : « ابن » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : « أنقذهم » .
[٥] - في ت : « واصبر » .
[٦] - في ز : « عن » .
[٧] - في ز : « ينم » .
[٨] - في ز : « استقبل » .
[٩] - في ت : « يعني » .
[١٠] - في ز : « عن » .

هشام ، عن أبيه أنه كان إذا دخل علىٰ أهل الدنيا ، فرأى من دنياهم طرفًا ، فإذا رجع إلىٰ أهله فدخل الدار قرأ : ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **نحن نرزقك** ﴾ ، ثم يقول : الصلاة الصلاة رحمكم الله ! .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللَّه بن أبي[١] زياد القطواني[٢] ، حدثنا سيار[٣] ، حدثنا جعفر ، عن ثابت قال : كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا أصابه خصاصة نادىٰ أهله : « **يا أهلاه ، صلوا صلوا** » . قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل [بهم أمر][٤] ، فزعوا إلىٰ الصلاة .

وقد روىٰ الترمذي[٥](١٠٩) وابن ماجة(١١٠) من حديث عمران بن زائدة ، عن أبيه ، عن أبي خالد الوالبي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يقول اللَّه تعالىٰ : يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأتُ صدرك شغلًا ، ولم أسد فقرك** » .

وروىٰ ابن ماجة(١١١) من حديث الضحاك ، عن الأسود ، عن ابن مسعود ، سمعت نبيكم ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **من جعل الهموم همًّا واحدًا هم المعاد كفاه اللَّه هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم في[٦] أحوال الدنيا ، لم يبال اللَّه في أي أوديته هلك** » .

وروىٰ أيضًا(١١٢) من حديث شعبة ، عن عمر بن سليمان ، عن عبد الرحمن بن أبان ،

---

(١٠٨) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٥٦١/٤) وزاد نسبته إلى أحمد في الزهد ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ثابت .

(١٠٩) - سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، حديث (٢٤٦٦) . وقال الترمذي : حسن غريب . وأبو خالد الوالبي اسمه : هرمز .

(١١٠) - أخرجه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب : الهم بالدنيا حديث (٤١٠٧) ، (١٣٧٦/٢) .

(١١١) - أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : الهم بالدنيا حديث (٤١٠٦) ، (١٣٧٥/٢) . وقال البوصيري : هذا إسناد ضعيف ، فيه نهشل بن معبد ، روى عنه معاوية النصري أحاديث مناكير . وقال الحاكم : روى عن الضحاك المعضلات . وقال أبو سعيد النقاش : روى عن الضحاك الموضوعات . وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي في الجامع .

(١١٢) - أخرجه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب : الهم بالدنيا حديث (٤١٠٥) ، (١٣٧٥/٢) . =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : « البطراني » .

[٣] - في ز : « سماس » . كذا .

[٤] - في ز : « بها » .

[٥] - في ز : « الزهري » .

[٦] - سقط من ز .

عن أبيه ، عن زيد بن ثابت : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **من كانت الدنيا همَّه ، فرق اللّٰه عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيّته ، جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة** » .

وقوله[١]: ﴿ **والعاقبة للتقوىٰ[٢]** ﴾ أي : وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة - وهي الجنة - لمن اتقىٰ اللّٰه .

وفي الصحيح(١١٣) أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع ، وأنا أتينا برطب [من رطب][٣] ابن طاب ، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب** »

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار في قولهم : ﴿ **لولا** ﴾ ، أي : هلا ﴿ **يأتينا** ﴾ محمد ﴿ **بآية من ربه** ﴾ أي : بعلامة دالة علىٰ صدقه في أنه رسول اللّٰه ؟ قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولىٰ** ﴾ ، يعني : القرآن العظيم الذي أنزله عليه اللّٰه وهو أميّ ، لا يحسن الكتابة ، ولم يدارس أهل الكتاب ، وقد جاء فيه أخبار الأولين ، بما كان منهم في سالف الدهور ، بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة[٤] منها ، فإن القرآن مهيمن عليها ، يصدق الصحيح ، ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ

= وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة فذكره بنحوه ، ورواه الطبراني بإسنادٍ لا بأس به . ورواه ابن حبان في صحيحه بنحوه . ورواه أبو يعلى الموصلي من طريق أبان ، عن زيد بن ثابت وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وابن ماجه .

(١١٣) - أخرجه مسلم : كتاب الرؤيا : باب رؤيا النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - حديث (٢٢٧٠/١٨) (٤٥/١٥) ، وأبو داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في الرؤيا ، حديث (٥٠٢٥) ، (٣٠٦/٤) حديث أنس بن مالك .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : « للمتقين » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : « الصحيح » .

في سورة العنكبوت : ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آيات**[١] **من ربه قل**[٢] **إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلىٰ عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرىٰ لقوم يؤمنون** ﴾ وفي الصحيحين[٣](١١٤) عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **ما من نبي**[٤] **إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجوا**[٥] **أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » .

وإنما ذكر هاهنا أعظم الآيات التي أعطيها - عليه السلام - وهو القرآن - وله من المعجزات ما لا يحد ولا يحصر ، كما هو مودع في كتبه ، ومقرر في مواضعه .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا** ﴾ أي : لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم ، وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم ، لكانوا قالوا : ﴿ **ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً** ﴾ قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه ، كما قال : ﴿ **فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزىٰ** ﴾ ، يبين تعالىٰ أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون [لا يؤمنون][٦] ﴿ **ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾ إلى قوله ﴿ **بما كانوا يصدفون** ﴾ ، وقال : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا** ﴾ وقال : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها** ﴾ الآيتين .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ ، أي : يامحمد ، لمن كذبك وخالفك ، واستمر علىٰ كفره وعناده ﴿ **كل متربص** ﴾ ، أي : منا ومنكم ﴿ **فتربصوا** ﴾ ، أي : فانتظروا ﴿ **فستعلمون من أصحاب الصراط السوي** ﴾ ، أي : الطريق المستقيم ﴿ **ومن اهتدىٰ** ﴾ ، إلىٰ الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً** ﴾ وقال[٧] : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ .

آخر تفسير سورة طه ، ولله الحمد والمنة

(١١٤) - أخرجه البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، حديث (٤٩٨١) ، (٩/٣) وطرفه في (٧٢٧٤) ، ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، حديث (١٣٩/١٥٢) .

[١] - في ز : « آية » .
[٢] - في ز : « فقل » .
[٣] - في ز : « الصحيح » .
[٤] - في ز : « شيء » .
[٥] - في ز : « وإني لأرجو » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .

تفسير سورة الأنبياء

وهي مكية

قال البخاري(١) : حدثنا محمد بن بشار ، [ثنا غندر][١] ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : هنّ من [العتاق][٢] الأول ، وهن من تلادي .

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾

هذا تنبيه من الله - عز وجل - على اقتراب الساعة ودنوها ، وأن الناس في غفلة [عنها][٣] ، أي : [لا يعملون لها][٤] ، ولا يستعدون من أجلها .

وقال النسائي(٢) : حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ **في غفلة معرضون** ﴾ قال : « في الدنيا » . وقال تعالى : ﴿ **أتى**

---

(١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ، حديث (٤٧٣٩) (٨/٤٣٥) .

(٢) - **رجاله ثقات رجال الشيخين ؛ سوى شيخ النسائي ، وهو ثقة** ، والحديث أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ، حديث (١١٣٣٢) (٦/٤٠٧) . ورواه الطبري من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (١٧/٢) . وزاد السيوطي (٤/٣١٤) نسبته إلى ابن مردويه ، من حديث أبي هريرة .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « العتاد » .

[٣] - في ز : « منها » .

[٤] - في ز : « يعلمون بها » .

أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ .

وقال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ الآية .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس ؛ الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

النـــاسُ في غـفـلاتـهـم ورحــا المنيــة تـطـحـنُ

فقيل له : من أين أخذ هذا ؟ قال : من [قوله] تعالىٰ : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ .

[وروىٰ في ترجمة عامر بن ربيعة : من طريق موسىٰ بن عبيد الآمدي ، عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة : أنه نزل به رجل من العرب ، فأكرم عامر مثواه ، وكلم فيه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فجاءه الرجل فقال : إني استقطعت من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واديًا في العرب ، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك . فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك ، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾][١]

ثم أخبر تعالىٰ أنهم لا يُصغون إلىٰ الوحي الذي أنزله الله علىٰ رسوله - والخطاب مع قريش و من[٢] شابههم - من الكفار ، فقال : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ ، أي : جديد إنزاله ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ ، كما قال ابن عباس : مالكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه ، وزادوا فيه ونقصوا [منه][٣] ، وكتابكم أحدث الكتب بالله ، [تقرءونه محضًا][٤] لم يشب . ورواه البخاري(٣) بنحوه .

وقوله : ﴿ وأسروا النجوىٰ الذين ظلموا ﴾ ، أي : قائلين فيما بينهم خفْيَةً ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ يعنون رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يستبعدون كونه نبيًّا ؛ لأنه بَشَرٌ مثلهم ، فكيف اختص بالوحي دونهم ، ولهذا قال : ﴿ أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ ، أي : أفتتبعونه فتكونون كمن [يأتىٰ السحر][٥] وهو يعلم أنه سحر ؟ ! فقال

(٣) - أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء » حديث (٧٣٦٣) (٣٣٤/١٣) وطرفه في (٧٥٢٢ ، ٧٥٢٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « ما » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تقرأه محصا » .
[٥] - في ز : « أتي السحرة » .

تعالىٰ مجيبًا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب : ﴿ [قال][١] ربي يعلم القول في السماء والأرض ﴾ ، أي : الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية ، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتملَ علىٰ خبر الأولين والآخرين ، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ، إلا الذي يعلم السر في السماوات والأرض .

وقوله : ﴿ وهو السميع العليم ﴾ [أي : السميع][٢] لأقوالكم ، العليم بأحوالكم . وفي هذا تهديد لهم ووعيد .

وقوله : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه ﴾ : هذا إخبار [عن][٣] تعنت الكفار وإلحادهم ، واختلافهم فيما يصفون به القرآن ، وحيرتهم فيه ، وضلالهم عنه ، فتارة يجعلونه سحرًا ، وتارة يجعلونه شعرًا ، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام ، وتارة يجعلونه مفترى ، كما قال : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا ﴾ .

وقوله : ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ ، يعنون [كناقة][٤] صالح ، وآيات موسىٰ وعيسىٰ ، وقد قال اللَّه : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ الآية ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ﴾ ، أي : ما آتينا قرية من القرىٰ [الذين][٥] بعث فيهم الرسل آية علىٰ يدي نبيها فآمنوا بها ، بل كذبوا فأهلكناهم بذلك ، [أفهؤلاء][٦] يؤمنون بالآيات لو رَأوْها دون أولئك ؟ كلا ، بل ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم ﴾ هذا كله ، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات ، والحجج القاطعات ، والدلائل البينات ، علىٰ يدي رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ما هو أظهر [وأجلىٰ][٧] ، وأبهر وأقطع وأقهر ، مما شُوهِدَ مع غيره من الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن أبي حاتم رحمه اللَّه : ذكر عن زيد بن الحُبَاب ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عليّ بن رباح اللخمي ، حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ، ومعنا أبو بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - يُقْرِئُ بعضنا بعضًا القرآن ، فجاء عبدُ اللَّه بنُ أُبيّ ابنُ سلول ومعه نمرقة(*) وزربية(**) ، فوضع واتكأ ، وكان

(*) النمرقة : وسادة الصغيرة . (**) الزربية : البساط ذو الخمل .

[١] - في ز : « قل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « عما » .
[٤] - في ز : « ناقة » .
[٥] - في ز : « الذين » .
[٦] - في ز : « أهؤلاء » .
[٧] - في ز : « أجل » .

صبيحًا فصيحًا جدلًا [فقال : يا أبا بكر ، قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الأولون ؟ جاء موسىٰ بالألواح][١] ، وجاء داود بالزبور ، وجاء صالح بالناقة ، و[جاء][٢] عيسىٰ بالإنجيل وبالمائدة . فبكىٰ أبو بكر - رضي الله عنه - ، فخرج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : قوموا بنا إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، نستغيث به من هذا المنافق . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إنه لا يقام لي ، [إنما][٣] يقام لله عز وجل » . فقلنا : يا رسول الله ، إنا لقينا من هذا المنافق . فقال : « إن جبريل قال لي : اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك ، وفضيلته التي فضلت بها ، فبشرني [أنه بعثني][٤] إلىٰ الأحمر والأسود ، وأمرني أن أنذر الجن ، وآتاني كتابه وأنا أميّ ، وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر ، وذكر اسمي في الأذان ، و[أيدني][٥] بالملائكة ، وآتاني النصر ، وجعل الرعب أمامي ، وآتاني الكوثر ، وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة ، ووعدني المقام المحمود ، والناس [مهطعون مقنعو][٦] رءوسهم ، وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس ، وأدخل في شفاعتي سبعين ألفًا من أمتي الجنة بغير حساب ، وآتاني السلطان والملك ، وجعلني في أعلىٰ غرفة في الجنة ؛ [في][٧] جنات النعيم ، فليس فوقي أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش ، وأحل لي [ولأمتى][٨] الغنائم ، ولم تحل لأحد كان قبلنا » . [هذا حديث][٩] غريب جدًا .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالى رادًا على من أنكر بعثة الرسل من البشر : ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا [نوحى][١٠] إليهم** ﴾ ، أي : جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالًا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال في الآية الأخرى: ﴿**وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا**

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « إلا بما » .
[٤] - في ت : « أني بعثت » .
[٥] - في ت : « أمدني » .
[٦] - في ز : « مهطعين مقنعي » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - في ت : « وهذا الحديث » .
[١٠] - في ز : « يوحي » . وهي قراءة الجمهور ومنهم ابن عامر الذي يقرأ المصنف بقراءته لههنا وفي الآية التالية .

[نوحى][١] **إليهم من أهل القرى**﴾ وقال تعالى: ﴿[قل][٢] **ما كنت بدعًا من الرسل**﴾ وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿**أبشر يهدوننا**﴾؟ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾، أي: سلوا أهل العلم من الأمم؛ كاليهود والنصارىٰ وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرًا، وذلك من تمام [نعم][٣] الله علىٰ خلقه، إذ بعث فيهم رسلًا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وقوله: ﴿ **وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام** ﴾، أي: بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾، [أي: قد كانوا بشرًا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق][٤] للتكسب والتجارة، وليس ذلك [بضارٍّ][٥] لهم ولا ناقص منهم [شيئًا، كما توهمه][٦] المشركون في قولهم: ﴿ **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل [إليه][٧] ملك فيكون معه نذيرًا * أو يلقىٰ إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا** ﴾ الآية.

وقوله: ﴿ **وما كانوا خالدين** ﴾، أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾، وخاصّتهم أنهم يوحىٰ إليهم من الله - عز وجل - تنزل عليهم الملائكة عن الله بما [يحكم][٨] في خلقه، مما يأمر به وينهىٰ عنه.

وقوله: ﴿ **ثم صدقناهم الوعد** ﴾، أي: الذي وعدهم ربهم: ﴿ **ليهلكن الظالمين** ﴾، صدقهم الله وعده ففعل ذلك، ولهذا قال: ﴿ **فأنجيناهم ومن نشاء** ﴾، أي: أتباعهم من المؤمنين ﴿ **وأهلكنا المسرفين** ﴾، أي: المكذبين بما جاءت به الرسل.

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن
قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ
إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ

---

[١] - في ز: «يوحي».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ت: «نعمة».
[٤] - هذه العبارة مكررة في ز.
[٥] - في ز: «بصاير».
[٦] - في ز: «كانوا هم».
[٧] - في ز: «عليه».
[٨] - في ت: «يحكمه».

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ شرف القرآن ، ومحرضًا لهم علىٰ معرفة قدره : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم** ﴾ قال ابن عباس : شرفكم . وقال مجاهد : حديثكم . وقال الحسن : دينكم .

﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ ، أي : هذه النعمة و[تتلقَّونها][١] بالقبول ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** ﴾ وقوله : ﴿ **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة** ﴾ هذه صيغة تكثير ، كما قال : ﴿ **وكم أهكلنا من القرون من بعد نوح** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **فكأين من قرية** [أهلكناها][٢] **وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وأنشأنا بعدها قومًا آخرين** ﴾ ، أي : أمة أخرىٰ بعدهم ﴿ **فلما أحسوا بأسنا** ﴾ ، أي : تيقنوا أن العذاب واقع بهم [لا محالة][٣] ، كما وعدهم نبيهم ﴿ **إذا هم منها يركضون** ﴾ ، أي : يفرون هاربين ﴿ **لا تركضوا وارجعوا إلىٰ ما أترفتم فيه ومساكنكم** ﴾ ، هذا تهكم بهم قدرًا ، أي : قيل لهم قدرًا : لا تركضوا هاربين من نزول العذاب ، وارجعوا إلىٰ ما كنتم فيه من النعمة والسرور [والمعيشة][٤] والمساكن الطيبة .

قال قتادة : استهزاءً بهم

﴿ **لعلكم تسألون** ﴾ أى : عما كنتم فيه من أداء شكر النعم[٥] .

﴿ **قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين** ﴾ ، اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك ، ﴿ **فما زالت تلك دعواهم حتىٰ جعلناهم حصيدًا خامدين** ﴾ ، أي : ما زالت تلك المقالة ، وهي الاعتراف بالظلم ، هِجِّيرَاهم(*) حتى حصدناهم [حصدًا][٦] ، وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودًا .

(*) الهجيري : الدأب والعادة . ولا تكاد تستعمل إلا في العادة الذميمة . الوسيط .

---

[١] - في ز : « تتلوها » .
[٢] - في ز : « أهلكتها » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « والعيشة » .
[٥] - في ز : « النعمة » .
[٦] - في ز : « حصيدًا » .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه خلق السماوات والأرض بالحق ، أي : بالعدل [والقسط][١] ؛ ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا كما قال : ﴿ **وما خلقنا [السماء][٢] والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين** ﴾ ، قال ابن أبي نجيح : عن مجاهد : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا** ﴾ ، يعني : من عندنا ، يقول : وما خلقنا جنة ولا نارًا ، ولا موتًا ولابعثًا ولا حسابًا .

وقال الحسن وقتادة وغيرهما : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا** ﴾ ، اللهو : [المرأة][٣] ، بلسان أهل اليمن .

وقال إبراهيم النخعي : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه** ﴾ من الحور العين .

وقال عكرمة والسدي : المراد باللهو هٰهنا : الولد .

وهذا والذى قبله متلازمان ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه** ﴾ فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقًا ، ولا سيما عما يقولون من الإفك والباطل ، من اتخاذ عيسىٰ أو العزير أو الملائكة سبحان اللَّه ﴿ **عما يقولون علوًّا كبيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن كنا فاعلين** ﴾ ، قال قتادة والسدى وإبراهيم النخعى ومغيرة بن مقسم :

---

[١] - في ز : « أي : بالقسط » .
[٢] - في ز : « السماوات » .
[٣] - في ز : « المراء » .

أي ما كنا فاعلين .

وقال مجاهد : كل شيء في القرآن « إن » فهو إنكار .

وقوله : ﴿ **بل نقذف بالحق علىٰ الباطل** ﴾ ، أي : نبين الحق فيدحض الباطل ، ولهذا قال : ﴿ **فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ أي : ذاهب مضمحلٌّ ، ﴿ **ولكم الويل** ﴾ ، أي : أيها القائلون : للَّه ولد ، ﴿ **مما تصفون** ﴾ ، أي : تقولون وتفترون .

ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلًا ونهارًا ، فقال : ﴿ **وله من في السموات والأرض ومن عنده** ﴾ ، يعني : الملائكة ، ﴿ **لا يستكبرون عن عبادته** ﴾ ، أي : لا يستنكفون عنها ، كما قال : ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا للَّه ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا** ﴾

وقوله : ﴿ **ولا يستحسرون** ﴾ ، أي : ولا يتعبون ولا يَمَلُّون ، ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ ، فهم دائبون في العمل ليلًا ونهارًا ، يطيعون قصدًا وعملًا ، قادرون عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن أبي دُلامة البغدادي ، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن مُحرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بين أصحابه ، إذ قال لهم : « **هل تسمعون ما أسمع ؟** » قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لأسمع أطيط السماء ، وما تلام أن تئطّ ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم** »(٤) . غريب ولم يخرجوه .

ثم رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن [زريع][١] عن سعيد ، عن قتادة مرسلًا . وقال محمد بن إسحاق : عن حسان بن مخارق عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل قال : جلست إلىٰ كعب الأحبار وأنا غلام ، فقلت له : أرأيت قول اللَّه تعالى [للملائكة][٢] : ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل ؟ فقال : فمن هذا الغلام ؟ فقالوا : من بني عبد المطلب . قال : فقبَّل رأسي ، ثم قال لي : يابني ، إنه

---

(٤) - أخرجه ابن نصر في الصلاة (١/٢٥٨ - ٢٥٩) حديث (٢٥٠) قال : حدثنا عمرو بن زرارة ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد بن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن حكيم بن حزام - رضي اللَّه عنه - فذكره .

قال الألباني في الصحيحة برقم (١٠٦٠) : « هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات » .

---

[١] - في ز : « رافع » . [٢] - سقط من : ز .

جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النَّفس ، أليس تتكلم وأنت تتنفس ، و[١] تمشي وأنت تتنفس(٥) ؟

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

ينكر تعالىٰ علىٰ من اتخذ من دونه آلهة ، فقال : بل ﴿ **اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون** ﴾ ، أي : أهم يحيون الموتىٰ وينشرونهم من الأرض ؟ أي : لا يقدرون علىٰ شيء من ذلك ، فكيف جعلوها للّٰه ندًّا وعبدوها معه .

ثم أخبر تعالىٰ أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسَدت السماوات والأرض ، فقال : ﴿ **لو كان فيهما آلهة** ﴾ ، أي : في السماء والأرض ﴿ **لفسدتا** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما اتخذ اللّٰه من ولد وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان اللّٰه عما يصفون** ﴾ ، وقال هٰهنا : ﴿ **فسبحان اللّٰه رب العرش عما يصفون** ﴾ ، أي : عما يقولون أن له ولدًا أو شريكًا ، سبحانه وتعالىٰ وتقدس ، وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًّا كبيرًا .

وقوله : ﴿ **لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ ، أي : هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعترض عليه أحد ؛ لعظمته وجلاله وكبريائه ، [وعلمه][٢] وحكمته ، وعدله ولطفه ، ﴿ **وهم يسألون** ﴾ ، أي : وهو سائل خلقه عما يعملون ، كقوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ و[هذه][٣] كقوله تعالى : ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

(٥) - أخرجه الطبرى (١٢/١٧) وأبو الشيخ في العظمة (٢/٧٣٨ - ٧٣٩) حديث (٣٢٠) . والبيهقي في الشعب (١/١٧٨) حديث (١٦٠) .

[١] - بعده في ت : أنت .
[٢] - في ز : « وعلوه » .
[٣] - في ت : « هكذا » .

﴿رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾

يقول تعالىٰ : بل ﴿ [أم][١] **اتخذوا من دونه آلهة قل** ﴾ يا محمد : ﴿ **هاتوا برهانكم** ﴾ ، أي : [دليلكم][٢] علىٰ ما تقولون ، ﴿ **هذا ذكر من معي** ﴾ ، يعني : القرآن ﴿ **وذكر من قبلي** ﴾ يعني : الكتب المتقدمة ، علىٰ خلاف ما تقولون وتزعمون ، فكل كتاب أنزل علىٰ كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا اللّٰه ، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق ، فأنتم معرضون عنه ، ولهذا قال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا [نُوحي][٣] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ وقال : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللّٰه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فكل نبي بعثه اللّٰه يدعو إلىٰ عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، والفطرة شاهدة بذلك أيضًا ، والمشركون لا برهان لهم ، وحجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد .

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

يقول تعالىٰ رادًّا علىٰ من زعم أن له - تعالىٰ وتقدس - ولدًا من الملائكة ، كمن قال ذلك من العرب : إن الملائكة بنات اللّٰه ، فقال : ﴿ **سبحانه بل عباد مكرمون** ﴾ ، أي : الملائكة عباد اللّٰه مكرمون عنده ، في منازل عالية ومقامات سامية ، وهم له في غاية الطاعة قولًا وفعلًا ﴿ **لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ أي : لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمر به ، بل [يبادرون][٤] إلىٰ فعله ، وهو تعالىٰ علمه محيط بهم ، فلا يخفى عليه منهم خافية ، ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ كقوله : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ وقوله : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ في آيات كثيرة في معنى ذلك

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « دليكم » .
[٣] - في ز : « يوحي » .
[٤] - في ز : « يبادروا » .

﴿ وهم من خشيته ﴾ ، أي : من خوفه ورهبته ﴿ مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه ﴾ ، أي : من ادعىٰ منهم أنه إله من دون الله ، أي : مع الله ، ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ ، أي : كل من قال ذلك ، وهذا [شرط ، و][١] الشرط لا يلزم وقوعه ، كقوله : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ وقوله : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك [ولتكونن من الخاسرين][٢] ﴾ .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ قدرته التامة ، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء ، وقهره لجميع المخلوقات ، فقال : ﴿ أولم ير الذين كفروا ﴾ [أي : الجاحدون لإلاهيته ، العابدون][٣] معه غيره ، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق ، المستبد بالتدبير ، فكيف يليق أن يعبد غيره ، أو يشرك به ما سواه ؟! ألم يروا ﴿ أن السموات والأرض كانتا رتقًا ﴾ أي : كان الجميع متصلًا بعضه ببعض متلاصق ، متراكم ، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، فَفَتق هذه من هذه ، فجعل السماوات سبعًا والأرض سبعًا ، وفصل بين [سماء][٤] الدنيا والأرض بالهواء ، فأمطرت السماء ، وأنبتت الأرض ، ولهذا قال : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ ، أي : وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا ، وذلك كله دليل علىٰ وجود الصانع ، الفاعل المختار ، القادر علىٰ ما يشاء .

ففي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال : أرأيتم السماوات والأرض حين كانتا رتقًا ، هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار(٦) .

(٦) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٩/٤) وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

[١] - في ز : « مشرط » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « الجاحدين لإلهيته العابدين » .
[٤] - في ت : « السماء » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة ، حدثنا حاتم ، عن حمزة ابن أبي محمد ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن رجلًا أتاه يسأله عن السماوات والأرض ﴿ كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ ؟ قال : اذهب إلىٰ ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني [بما][١] قال لك . قال : [فذهبت][٢] إلىٰ ابن عباس [فسألته][٣] ، فقال ابن عباس : نعم ، كانت السماوات رتقًا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلًا فَتَق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات . فرجع الرجل إلىٰ ابن عمر فأخبره ، فقال ابن عمر : قد كنت أقول : ما يعجبني جراءة ابن عباس علىٰ تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علمًا .

وقال عطية العوفي : كانت هذه رتقًا لا تمطر فأمطرت ، وكانت هذه رتقًا لا تنبت فأنبتت(٧) .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : سألت أبا صالح الحنفي عن قوله : ﴿ أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ ، قال : كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات ، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين .

[و][٤] هكذا قال مجاهد ، وزاد : ولم تكن السماء والأرض متماستين .

وقال سعيد بن جبير : بل كانت السماء والأرض ملتزقتين ، فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض ، كان ذلك [فتقهما][٥] الذي ذكر الله في كتابه .

وقال الحسن وقتادة : كانتا جميعًا ففصل بينهما بهذا الهواء .

وقوله : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ ، أي : أصل كل الأحياء منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد بن [بشير][٦] ، حدثنا قتادة ، عن [أبي][٧] ميمونة ، عن أبي هريرة أنه قال : يا نبي الله ، إذا رأيتك قَرّت عيني وطابت نفسي ، فأخبرني عن « كل شيء » . قال : « كل شيء خلق من ماء »(٨) .

(٧) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٩/٤) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبي نعيم في الحلية .
(٨) - أخرجه أحمد (٢٩٥/٢) . وابن حبان (٢٩٩/٦) (٢٥٥٩) . والحاكم (١٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية (٥٩/٩) . قال الهيثمي في المجمع (١٩/٥) رواه أحمد ورجاله رجال =

[١] - في ز : « ما » .
[٢] - في ت : « فذهب » .
[٣] - في ت : « فسأله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فتقها » .
[٦] - في ز : « معتر » .
[٧] - في ز : « ابن » .

وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا [يزيد حدثنا][١] همام ، عن قتادة ، [عن أبي ميمونة][٢] ، عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله ، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني ، فأنبئني عن كل شيء ؟ قال : « **كل شيء خلق من ماء** » . قال : قلت : أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة . قال : « **أفش السلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وقم بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الجنة بسلام** » .

ورواه أيضًا عن عبد الصمد وعفان ، وبهز ، عن همام . تفرد به أحمد(١٠) ، وهذا إسناد علىٰ شرط الشيخين ، إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن - واسمه سليم - [والترمذي][٣] يصحح له ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مرسلًا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وجعلنا في الأرض رواسي** ﴾ أي : جبال أرسىٰ الأرض بها وقرّرها وثقلها ؛ لئلا تميد بالناس ، أي : تضطرب وتتحركَ ، فلا يحصل لهم قرار عليها ؛ لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع ، فإنه [باد للهواء][٤] والشمس ، ليشاهد أهلُها السماء ، وما فيها من الآيات الباهرات ، والحكم والدلالات . ولهذا قال : ﴿ **أن تميد [بهم][٥]** ﴾ ، أي : لئلا تميد [بهم][٦] .

وقوله : ﴿ **وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا** ﴾ ، أي : [ثغرًا][٧] في الجبال ، يسلكون فيها طرقًا من قطر إلىٰ قطر ، وإقليم إلىٰ إقليم ، كما هو المشاهد في الأرض ، يكون الجبل حائلًا بين هذه البلاد وهذه البلاد ، فيجعل الله فيه فجوة - ثغرة - ليسلك الناس فيها من هٰهنا إلىٰ هٰهنا ، ولهذا قال : ﴿ **لعلهم يهتدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وجعلنا السماء سقفًا** ﴾ ، أي : علىٰ الأرض ، وهي كالقبة عليها ، كما قال : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ وقال : ﴿ **والسماء وما بناها** ﴾ ، ﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء [فوقهم][٨] كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** ﴾ والبناء هو نصب القبة

= الصحيح خلا أبي ميمونة وهو ثقة .

(٩) - ينظر السابق .

(١٠) - أخرجه أحمد (٢/٣٢٣ ، ٤٩٣) .

---

[١] - في ز : « زيد بن » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « والزهري » .
[٤] - في ز : « نادى الهواء » .
[٥] - في ز : « بكم » .
[٦] - في ز : « بكم » .
[٧] - في ز : « تغرًا » .
[٨] - سقط من : ز .

كما قال رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم : « **بني الإسلام علىٰ خمس**»(١١) أي : [خمس][١] دعائم ، وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهده العرب ﴿ **محفوظًا** ﴾ ، أي : عاليًا محروسًا أن ينال . وقال مجاهد : مرفوعًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدّشْتَكيّ ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث - يعني : ابن إسحاق القُمّي - عن جعفر [بن][٢] أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : قال رجل : يا رسول اللَّه ، ما هذه السماء ؟ قال : « **هذا موج مكفوف عنكم** » . [إسناده][٣] غريب .

وقوله : ﴿ **وهم عن آياتها معرضون** ﴾ كقوله : ﴿ **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾ . أي : لا يتفكرون فيما خلق اللَّه فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ، و[في النهار][٤] من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة ، فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا اللَّه الذي قدرها وسخرها وسيرها .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا، رحمه اللَّه، في كتابه « التفكر والاعتبار » : أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة ، وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة ، فلم ير ذلك الرجل شيئًا مما كان [يحصل][٥] لغيره ، فشكىٰ ذلك إلىٰ أمه ، فقالت له : يا بني ، فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه ؟ فقال : لا ، واللَّه ما أعلم . قالت : فلعلك هممت ؟ قال : لا ، ولا هممت . قالت : فلعلك رفعت بصرك إلىٰ السماء ثم رددته بغير فكر ؟ فقال : نعم ، [كثيرًا][٦] . قالت : فمن هٰهنا أوتيت .

ثم قال منبهًا علىٰ بعض آياته : ﴿ **وهو الذي خلق الليل والنهار** ﴾ ، أي : هذا في ظلامه وسكونه ، وهذا بضيائه وأنسه ، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرىٰ ، وعكسه الآخر . ﴿ **والشمس والقمر** ﴾ ، هذه لها نور يخصها ، وفلك بذاته ، وزمان علىٰ حدة ، وحركة وسير خاص ، وهذا بنور خاص آخر ، وفلك آخر ، وسير آخر ، وتقدير آخر ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ ، أي : يدورون .

---

(١١) - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : وعاؤكم إيمانكم ، حديث (٨) (٤٩/١) وطرفه في (٤٥١٥) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، حديث =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « خمسة » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في ز : « إسناد » .
[٥] - في ت : « نهارها » .
[٦] - في ز : « يرى » .
[٧] - في ز : « كثير » .

قال ابن عباس : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة . وكذا قال مجاهد : فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ، ولا الفلكة إلا بالمغزل ، كذلك النجوم والشمس والقمر ، لا يدورون إلا به ، ولا يدور إلا بهن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فالق الإصباح و [جعل][١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك** ﴾ ، أي : يا محمد ﴿ **الخلد** ﴾ ، أي : في الدنيا ، بل ﴿ **كل من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلىٰ أن الخضر - عليه السلام - مات وليس بحيٍّ إلىٰ الآن ؛ لأنه بشر ، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولًا . وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفإن مت** ﴾ ، أي : يا محمد ﴿ **فهم الخالدون** ﴾ ، أي : أن يعيشوا بعدك ، لا يكون هذا ، بل كل إلىٰ [فناء][٢] ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ، وقد روي عن الشافعي - رحمه اللَّه - أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين -

تَمنّىٰ رجَالٌ أن أمُوتَ وإنْ أَمُتْ　　فتلْكَ سَبيلٌ لَسْتُ فيها بأوْحَد
فَقُلْ للَّذِي [يَبْغي][٣] خلاف الذي مضىٰ　　تـهيَّأ لأخرىٰ مثـلها فكَـأنْ قـدِ

وقوله : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾ ، أي : نختبركم بالمصائب تارة ، وبالنعم أخرىٰ ؛ لننظر من يشكر ومن يكفر ، ومن يصبر ومن يقنط ، كما قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **ونبلوكم** ﴾ ، يقول : نبتليكم ﴿ **بالشر والخير فتنة** ﴾ بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنىٰ والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدىٰ والضلالة .

وقوله : ﴿ **وإلينا ترجعون** ﴾ أى : فنجازيكم بأعمالكم .

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ

= (١٩ - ١٦/٢٢) (١/٢٤٧ - ٢٥١) .

---

[١] - في ز : « جاعل » .　[٢] - في ت : « الفناء » .
[٣] - في ز : « يبقى » .

ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلوات اللَّه وسلامه عليه :﴿ **وإذا [رآك]**[١] **[الذين كفروا]**[٢] ﴾ ، يعني : كفار قريش ، كأبي جهل وأشباهه ﴿ **إن يتخذونك إلا هزوًا** ﴾ ، أي : يستهزئون بك وينتقصونك ، يقولون : ﴿ **أهذا الذي يذكر آلهتكم** ﴾ ، يعنون : أهذا الذي يسب آلهتكم ، ويسفه أحلامكم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وهم بذكر الرحمن هم كافرون** ﴾ ، أي : وهم كافرون باللَّه ، ومع هذا يستهزئون برسول اللَّه ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوًا أهذا الذي بعث اللَّه رسولًا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا** ﴾ .

وقوله ﴿ **خلق الإنسان من عجل** ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ **و[كان]**[٣] **الإنسان عجولًا** ﴾ أي : في الأمور .

قال مجاهد : خلق اللَّه آدم بعد كل شيء ، من آخر النهار من يوم خلق [الخلائق][٤] ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ، [ولم][٥] يبلغ أسفله قال : يا رب ، استعجل بخلقي قبل غروب الشمس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أهبط منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها [عبد][٦] مؤمن يصلي - وقبض أصابعه ، يقللها - فسأل اللَّه خيرًا إلا أعطاه إياه »(١٢) . قال أبو سلمة : فقال عبد اللَّه بن سلام : قد عرفت تلك الساعة ، وهي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ،

(١٢) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : فضل يوم الجمعة ، حديث (١٧ ، ١٨/ ٨٥٤) (٦/٢٠٢) بنحوه .

[١] - في ز : « رأوك » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « خلق » .
[٤] - في ز : « الخلق » .
[٥] - في ز : « لم » .
[٦] - سقط من : ز .

وهي التي خلق الله فيها آدم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون** ﴾ .

والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هٰهنا : أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم ، واستعجلت [ذلك][١] ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ **خلق الإنسان من عجل** ﴾ ، لأنه تعالىٰ يملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته ، يؤجل ثم يعجل ، وينظر ثم لا يؤخر ، ولهذا قال : ﴿ **سأريكم آياتي** ﴾ ، أي : نقمي وحكمي واقتداري علىٰ من عصاني، ﴿ **فلا تستعجلون** ﴾ .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالىٰ عن المشركين أنهم يستعجلون أيضًا بوقوع العذاب بهم ، تكذيبًا وجحودًا وكفرًا وعنادًا واستبعادًا ، فقال : ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم** ﴾ ، أي : [لو][٢] تيقنوا [أنه واقع][٣] بهم لا محالة لما استعجلوا به ، [ولو][٤] يعلمون حين يغشاهم العذاب من [فوقهم][٥] ومن تحت أرجلهم ؛ ﴿ **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل** ﴾ ﴿ **لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش** ﴾ ، وقال في هذه الآية : ﴿ **حين لايكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **سرابيلهم من قطران وتغشىٰ وجوههم النار** ﴾ ، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ﴿ **ولاهم ينصرون** ﴾ أي : لا ناصر لهم ، كما قال : ﴿ **ومالهم من الله من واق** ﴾ وقوله : ﴿ **بل تأتيهم بغتة فتبهتهم** ﴾ ، أي : تأتيهم النار بغتة ، أي : فجأة ﴿ **فتبهتهم** ﴾ ، أي : تُذعِرهم [فيستسلمون][٦] لها حائرين ، لا[٧] يدرون ما يصنعون ، ﴿ **فلا يستطيعون ردها** ﴾ ، أي :

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « أنها واقعة » .

[٤] - في ز : « لو » .

[٥] - في ز : « قولهم » .

[٦] - في ز : « ويستسلمون » .

[٧] - في ت : « ولا » .

ليس لهم حيلة في ذلك ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ أي : ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى مسليًا لرسوله عما أذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ ، يعني : من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ماكذبوا وأوذوا حتىٰ أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات اللّٰه ولقد جاءك من نبأ المرسلين** ﴾

ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام ، فقال : ﴿ **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن** ﴾ ، أي : بدل الرحمن ، [يعنى][١] غيره ، كما قال الشاعر :

جَـاريـة لَمْ تَـلْـبَس المُرَقَّـقـا ... ولَمْ [تَذق][٢] مِنَ البُقول الفُسْتُقا

أي : لم [تذق][٣] بدل البقول [الفستق][٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **بل هم عن ذكر ربهم معرضون** ﴾ ، أي : لا يعترفون [بنعمة اللّٰه][٥] عليهم وإحسانه إليهم ، بل يعرضون عن آياته وآلائه ، [ثم][٦] قال : ﴿ **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا** ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ ، أي : ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما [قد][٧] زعموا ، ولهذا قال : ﴿ **لا يستطيعون نصر أنفسهم** ﴾ ، أي : هذه [الآلهة][٨] التي استندوا إليها غير اللّٰه لا يستطيعون نصر أنفسهم .

وقوله : ﴿ **ولا هم منا يصحبون** ﴾ قال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **ولا هم منا**

---

[١] - في ز : « بمعنى » .
[٢] - في ز : « تدر » .
[٣] - في ز : « تدر » .
[٤] - في ز : « الفستقا » .
[٥] - في ز : « بنعمه » .
[٦] - في ز : « كما » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من : ز .

يصحبون ﴾ أي : [يُجارون][١] . وقال قتادة : لا يصحبون [من الله][٢] بخير . وقال غيره : ﴿ **ولاهم منا يصحبون** ﴾ : يمنعون

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين : إنما غرّهم وحملهم علىٰ ما هم فيه من الضلال ، أنهم مُتّعوا في الحياة الدنيا ، ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه ، فاعتقدوا أنهم علىٰ شيء .

ثم قال واعظًا لهم : ﴿ **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ ، اختلف المفسرون في معناه ، وقد أسلفناه في سورة الرعد ، وأحسن ما فسر بقوله تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون** ﴾ وقال الحسن البصري : يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر والمعنىٰ : أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه علىٰ أعدائه ، وإهلاكه الأمم المكذبة والقرىٰ الظالمة ، وإنجائه لعباده المؤمنين ، ولهذا قال : ﴿ **أفهم الغالبون** ﴾ ، يعني : بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون .

وقوله : ﴿ **قل إنما أنذركم بالوحي** ﴾ ، أي : إنما أنا مبلغ عن الله ، ما أنذركم به من العذاب والنكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إليّ ، ولكن لا يجدي هذا عمن أعمىٰ الله بصيرته ، وختم علىٰ سمعه وقلبه ، ولهذا قال : ﴿ **ولا يسمع الصم الدعاء إذا ماينذرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين** ﴾ أي : ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنىٰ شيء من عذاب الله ، ليعترفُنّ بذنوبهم ، وأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدنيا .

---

[١] - في ز : « يجازون » .   [٢] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا** ﴾ ، أي : ونضع الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد ، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه .

[وقوله][١] : ﴿ **فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ وقال : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ وقال لقمان : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة(١٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** » .

وقال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن ليث بن سعد ، حدثني عامر بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّي قال : سمعت عبد الله ابن [عمرو][٢] بن العاص يقول : قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : « إن الله - عز وجل - يستخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا ، كل سِجِل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمتك كَتَبَتِي الحافظون ؟ قال : لا يارب . قال : أفلك عذر أو حسنة ؟ قال : فَيُبْهَت الرجل . فيقول : لا يارب . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك . فيخرج له[٣] بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، و[٤] أشهد أن محمدًا [عبده ورسوله][٥] . فيقول : أحضروه . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة[٦] ، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . قال : ولا يثقل شيء بسم

---

(١٣) - أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب : فضل التسبيح ، حديث (٦٤٠٦) (٢٠٦/١١) ، وأطرفه في (٦٦٨٢،٧٥٦٣) . ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، حديث (٣١/٢٦٩٤) (٣١/١٧) .

(١٤) - أخرجه أحمد (٢١٣/٢) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « عمر » .

[٣] - بعده في ز : فيها .

[٤] - بعده في ت : « أشهد » .

[٥] - في ت : « رسول الله » .

[٦] - بعده في ت : « والبطاقة في كفة » ومكانها بياض في ز .

الله الرحمن الرحيم » .

ورواه الترمذي(١٥) ، وابن ماجة(١٦) من حديث الليث بن سعد به ، وقال الترمذي : حسن [غريب][١] .

[و][٢]قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن يحيىٰ ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتىٰ بالرجل ، فيوضع في كفة ، [فيوضع][٣] ما أحصي عليه ، فتمايل به الميزان ، قال : فيبعث به إلىٰ النار ، قال : فإذا أدبر به إذا صائح من عند الرحمن - عز وجل - يقول : لا تعجلوا ، فإنه قد بقي له . فيؤتىٰ ببطاقة فيها : لا إله إلا الله ، فتوضع مع الرجل في كفة ، حتىٰ يميل به الميزان » .

وقال الإمام أحمد(١٨) أيضًا : حدثنا أبو نوح - قُرَاد - ، أنبأنا ليث بن سعد ، عن مالك ابن أنس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن رجلًا من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جلس بين يديه فقال : يا رسول الله ، [إن][٤] لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني ، وأضربهم وأشتمهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم : « يُحسَب ما خانوك وعصوك وكذبوك ، [و][٥] عقابك إياهم [فإن][٦] كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك [عليهم][٧] ، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم ، كان كفافًا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي يبقىٰ قبلك » . فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ويهتف ، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم : « ماله ؟! [أما][٨] يقرأ كتاب الله ؟

(١٥) - أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، حديث (٢٦٣٩) (٥/٢٥) .

(١٦) - أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، حديث (٤٣٠٠) (٢/١٤٣٧) .

(١٧) - أخرجه أحمد (٢/٢٢١) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨٥) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١٨) - أخرجه أحمد (٦/٢٨٠) .

[١] - في ز : « صحيح » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « ويوضع » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ت : « إن » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « ما » .

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ » . فقال الرجل : [يا رسول الله][١] ، ما [أجد][٢] شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - وبين كتابيهما ، ولهذا قال : **﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾** .

قال مجاهد : يعني : الكتاب . وقال أبو صالح : التوراة . وقال قتادة : التوراة ؛ حلالها وحرامها ، وما [فرق][٣] الله [بين][٤] الحق والباطل . وقال ابن زيد : يعني النصر .

وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية [تشتمل][٥] على التفرقة بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغيّ والرشاد ، والحلال والحرام ، وعلى ما يحصل [نورًا في][٦] القلوب ، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية ، ولهذا قال : **﴿ الفرقان وضياء وذكرًا للمتقين ﴾** ، أي : [تذكيرًا لهم][٧] وعظة .

ثم وصفهم فقال : **﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾** كقوله : **﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾** وقوله : **﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾**

﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ ، أي : خائفون وجلون .

ثم قال تعالى : **﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾** ، يعني : القرآن العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، **﴿ أفأنتم له منكرون ﴾** ، أي : أفتنكرونه وهو في غاية [الجلاء][٨] والظهور ؟

---

[١] - في ز : « يريد » .

[٢] - في ز : « أخذ » .

[٣] - في ز : « قرن » .

[٤] - في ز : « من » .

[٥] - في ت : « مشتملة » .

[٦] - في ز : « نور إلى » .

[٧] - كذا في ز : « الهم » .

[٨] - بياض في : ز .

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦)

يخبر تعالىٰ عن خليله إبراهيم - عليه السلام - أنه آتاه رشده من قبل ، أي : من صغره ألهمه الحق والحجة علىٰ قومه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه** ﴾ وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام ، فنظر إلىٰ الكواكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصَّه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه ؛ لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه ، وماليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفًا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد تَرَخَّص كثير من السلف في روايتها ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فيه فائدة تعود علىٰ المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذي [نسلكه][١] في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ؛ لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لاتفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة .

والمقصود هٰهنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده من قبل أي : من قبل ذلك .

وقوله : ﴿ **وكنا به عالمين** ﴾ ، أي : وكان أهلًا لذلك . ثم قال : ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ ، هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره : الإنكار علىٰ قومه في عبادة الأصنام من دون الله - عز وجل - فقال : ﴿ **ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ ؛ أي : معتكفون علىٰ عبادتها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد الصباح ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا [سعد][٢] بن طريف ، عن الأصبغ بن نُباتة قال : [مر عليّ - رضي الله عنه -][٣] علىٰ قوم

---

[١] - في ز : « يذكر » .

[٢] - في ز : « سعيد » .

[٣] - سقط من : ز .

يلعبون بالشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس صاحبكم جمرًا حتىٰ يطفأ خير له من أن يمسها(١٩) .

﴿ **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين** ﴾ ، لم يكن لهم حجة سوىٰ صنيع آبائهم الضلال ، ولهذا قال : ﴿ **لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين** ﴾ ، أي : الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم ، فأنتم وهم في ضلال ، علىٰ غير الطريق المستقيم .

فلما سفه أحلامهم ، وضلل آباءهم ، واحتقر آلهتهم ﴿ **قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين** ﴾ يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًّا فيه ، فإنا لم نسمع به قبلك ؟ ﴿ **قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن** ﴾ أي : ربكم الذي لا إله غيره ، هو الذي خلق السموات والأرض وماحوت من المخلوقات ، الذي ابتدأ خلقهن ، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿ **وأنا علىٰ ذلكم من الشاهدين** ﴾ ، أي : وأنا أشهد أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه .

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

ثم أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم ، أي :ليحرصن علىٰ أذاهم وتكسيرهم بعد أن يُوَلُّوا مدبرين ، أي : [إلىٰ][١] عيدهم ، وكان لهم عيد [يخرجون][٢] إليه .

قال السدي : لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه : يا بني ، لو خرجت معنا إلىٰ عيدنا لأعجبك ديننا ! فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ألقىٰ نفسه إلىٰ الأرض ، وقال :

(١٩) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٤١) (٨/٦٥) . وابن أبي شيبة في كتاب الأدب ، باب : في اللعب بالشطرنج ، حديث (١) (٦/١٩٢) ونحوه .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « يمرحون » .

﴿إني سقيم﴾ . فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون : مه ! فيقول ! إني سقيم ، فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال : ﴿ تالله لأكيدنَّ أصنامكم﴾ فسمعه أولئك .

وقال أبو إسحاق : عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلىٰ عيدهم ، مروا عليه فقالوا : يا إبراهيم ، ألا تخرج معنا ؟ قال : إني سقيم . وقد كان بالأمس قال : ﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ فسمعه ناس منهم .

وقوله : ﴿ **فجعلهم جذاذًا** ﴾ ، أي : حطامًا ، كسرها كلها ﴿ **إلا كبيرًا لهم** ﴾ ، يعني: إلا الصنم الكبير عندهم ، كما قال : ﴿ **فراغ عليهم ضربًا باليمين** ﴾ وقوله : ﴿ **لعلهم إليه يرجعون** ﴾ : ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم ، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه ، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار ، فكسرها .

﴿ **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾ ؛ أي : حين رجعوا [و][١] شاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم ، من الإهانة والإذلال الدال علىٰ عدم إلاهيتها ، وعلىٰ سخافة عقول عابديها ﴿ **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾ ، أي : في صنيعه هذا . ﴿ **قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ ، أي : قال من سمعه يحلف إنه ليكيدنهم ﴿ **سمعنا فتىً** ﴾ ، أي : شابًا ﴿ **يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن قابوس[٢] ، عن ابن عباس قال : مابعث الله نبيًا إلا شابًا ، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب ، وتلا هذه الآية : ﴿ **قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قالوا فأتوا به علىٰ أعين الناس** ﴾ ، أي : علىٰ رءوس الأشهاد في الملإ الأكبر بحضرة الناس كلهم ، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم - عليه السلام - أن يَتَبَيَّنَ في هذا المحفل العظيم كثرةُ جهلهم ، وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام ، التي لا تدفع عن نفسها ضرًا ، ولا [تستطيع][٣] لها نصرًا ، فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟

﴿ **قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ [يعني][٤] : الذي تركه لم يكسره ﴿ **فاسألوهم إن كانوا ينطقون** ﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون ، فإن هذا لايصدر عن هذا الصنم ؛ لأنه جماد .

---

[١] - في ز : « أو » .
[٢] - بعده في ت : عن أبيه .
[٣] - في ت : « تملك » .
[٤] - سقط من : ز .

وفي الصحيحين(٢٠) من حديث هشام بن حسّان عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، أن رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، قال : « إن إبراهيم - عليه السلام - لم يكذب [غير][١] ثلاث ؛ اثنتين في ذات اللَّه ؛ قوله : ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إني سقيم** ﴾ ، قال : وبينا هو يسير في أرض جبّار من الجبابرة ومعه سارة ، إذ نزل منزلًا ، فأتىٰ الجبارَ رجلٌ فقال : إنه نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس . فأرسل إليه فجاء ، فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي . قال : فاذهب فأرسِل بها إليَّ . فانطلق إلىٰ سارة فقال : إن هذا الجبار سألني عنك ، فأخبرته أنك أختي ، فلا تُكذّبيني عنده ، فإنك أختي في كتاب اللَّه ، وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك . فانطلق بها إبراهيم ، ثم قام يصلي ، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوىٰ إليها فتناولها ، فأخذ أخذًا شديدًا ، فقال : ادعي اللَّه لي ولا أضرك . فدعت له فأرسل ، فأهوىٰ إليها فتناولها ، فأخذ بمثلها أو أشد ، ففعل ذلك الثالثة فأخذ ، [فذكر][٢] مثل المرتين الأوليين ، فقال : ادعي اللَّه فلا أضرك . فدعت له فأرسل ، ثم [دعا][٣] أدنىٰ حُجّابه فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، وإنما أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته قال : مَهْيم ؟ قالت : [كفَّ][٤] اللَّه كيد الكافر الفاجر وأخدمني هاجر » . قال محمد بن سيرين : [وكان][٥] أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : فتلك أمكم يا بني ماء السماء

فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

(٢٠) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ **واتخذ اللَّه إبراهيم خليلاً** ﴾، حديث (٣٣٥٨) (٦/٣٨٨) . ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : من فضائل إبراهيم الخليل - صلى اللَّه عليه وسلم - ، حديث (١٥٤/٢٣٧١) (١٥/١٨٠ - ١٨٢) . كلاهما من طريق أيوب السختياني عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة ... فذكره بنحوه .

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « أبي » .
[٥] - في ت : « فكان » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال : ﴿ فرجعوا إلىٰ أنفسهم ﴾ ، أي : بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم ، فقالوا : ﴿ إنكم أنتم الظالمون ﴾ ، أي : في ترككم لها مهملة لاحافظ عندها ﴿ ثم نكسوا علىٰ رءوسهم ﴾ ، أي : [ثم][١] أطرقوا في الأرض ، فقالوا : ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ [قال قتادة : أدركت القوم حيرة سوء فقالوا : ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾][٢] وقال السديُّ ﴿ ثم نكسوا علىٰ رءوسهم ﴾ أي : في الفتنة . وقال ابن زيد : أي : في الرأي .

وقول قتادة أظهر في المعنىٰ ؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا ، ولهذا قالوا له : ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فكيف تقول لنا : سلوهم إن كانوا ينطقون ، وأنت تعلم أنها لا تنطق ؟ فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك : ﴿ أفتعبدون من دون اللَّه مالا ينفعكم شيئًا ولا يضركم ﴾ ، أي : إذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر ، فلم تعبدونها من دون اللَّه ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون اللَّه أفلا تعقلون ﴾ ، أي : أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ ، الذي لا يروج إلا علىٰ جاهل ظالم فاجر ؟ فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علىٰ قومه ﴾ . الآية .

قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

لما دحضت حجتهم ، وبان عجزهم ، [فظهر][٣] الحق ، واندفع الباطل ، عدلوا إلىٰ استعمال جاه ملكهم ، فقالوا : ﴿ حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًّا - قال السدي : حتىٰ إن كانت المرأة تمرض ، فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم - ثم جعلوه في جَوْبَة[٤] من الأرض ، وأضرموها نارًا ، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع ، لم توقد نار قط مثلها ، وجعلوا إبراهيم - عليه السلام - في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد - قال شعيب الجبائي : اسمه هيزن - فخسف اللَّه به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة - فلما ألقوه قال : « حسبي اللَّه ونعم الوكيل ! » .

---

[١] - في ز : « هم » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « وظهر » .
[٤] - في ز : « جونة » . والجوبة : الحفرة .

كما رواه البخاريُّ(٢١) ، عن ابن عباس أنه قال : [حسبنا][١] اللَّه ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين أُلقي في النار ، وقالها محمد حين قالوا : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم [فزادهم إيمانًا][٢] وقالوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل** ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٢٢) : حدثنا [أبو][٣] هشام ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه. صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « لما أُلقي إبراهيم - عليه السلام - في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، و[أنا][٤] في الأرض واحد أعبدك » .

ويروىٰ أنه لما جعلوا [يوثقونه][٥] قال : لا إله إلا أنت سبحانك ، لك الحمد ولك الملك [لا شريك لك][٦] . وقال شعيب الجبائيّ : كان عمره ستَّ عشرةَ سنة . فاللَّه أعلم .

وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ [فقال][٧] : أما إليك فلا [وأما من اللَّه فبلىٰ][٨] .

وقال سعيد بن جبير - ويروىٰ عن ابن عباس أيضًا - قال : لما أُلقي إبراهيم جعل خازن المطر يقول : متىٰ أومر بالمطر فأرسله ؟ قال : فكان أمر اللَّه أسرع من أمره ، قال اللَّه : ﴿ **يا نار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم** ﴾ ، قال : لم يبق نار في الأرض إلا طفئت . وقال كعب الأحبار : لم ينتفع [أحد][٩] يومئذ بنار ، ولم تحرق النار من إبراهيم سوىٰ وثاقه.

وقال [الثوري][١٠] : عن الأعمش ، عن شيخ ، عن عليّ بن أبي طالب : ﴿ **قلنا يانار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم** ﴾ [قال : بَرَدَت عليه حتى كادت تقتله ، حتى قيل : ﴿ **وسلامًا** ﴾ قال][١١] : لا تضربه .

---

(٢١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم** ﴾، حديث (٤٥٦٣) (٨/٢٢٩) ، وطرفه في (٤٥٦٣) .

(٢٢) - أخرجه البزار في كتاب علامات النبوة ، باب : إبراهيم الخليل ، حديث (٢٣٤٩) (٣/٢٠٢) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٠٥) : رواه البزار وفيه عاصم بن عمر بن حفص بن عمر ، وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ويخالف . وضعفه الجمهور .

---

[١] - في ت : « حسبي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ابن » .
[٤] - في ز : « إنك » .
[٥] - في ز : « يوقعونه » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في ز : «الهروي » .
[١١] - سقط من : ز .

وقال ابن عباس وأبو العالية : لولا أن اللَّه - عز وجل - قال : ﴿ وسلامًا ﴾ لآذىٰ إبراهيم بَرْدُها .

وقال جُوَيبر عن الضحاك : ﴿ كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم ﴾، قال : صنعوا له حظيرة من حَطَب جَزْل ، وأشعلوا فيه النار من كل جانب ، فأصبح ولم يصبه منها شيء ، حتىٰ أخمدها اللَّه . قال : ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق ، فلم يصبه منها شيء غير ذلك .

وقال السديُّ : كان معه فيها ملك [الظل][١] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا يوسف [بن][٢] موسىٰ ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن المنهال بن عمرو قال : أخبرت أن إبراهيم أُلقي في النار ، فقال : كان فيها إما خمسين وإما أربعين . قال : ما كنت أيامًا ولياليَ [قط][٣] أطيبَ عيشًا إذ كنت فيها ، ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها .

وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال : إن [أحسن شيء][٤] قال أبو إبراهيم - لما رفع عنه الطبق وهو في النار ، وجده يرشح جبينه - قال عند ذلك : نِعْمَ الربّ ربك يا إبراهيم(٢٣) !!

وقال قتادة : لم يأت يومئذٍ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ . وقال الزهري : أمر النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بقتله وسماه فويسقًا .

وقال [ابن أبي][٥] حاتم : حدثنا أبو عبيد اللَّه ابن أخي ابن وهب ، حدثني عمي ، حدثنا جرير بن حازم ، أن نافعًا حدثه قال : حدثتني مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت : دخلت علىٰ عائشة فرأيت في بيتها رمحًا ، فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « إن إبراهيم حين أُلقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفي النار ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم » فأمرنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بقتله(٢٤) .

(٢٣) - أخرجه الطبرى (١٧/٤٤) .

(٢٤) - أخرجه النسائي (٥/١٨٩) ، وابن ماجه في كتاب الصيد ، باب : قتل الوزغ ، حديث (٣٢٣١) (٢/١٠٧٦) . وأحمد (٦/٨٣ - ١٠٩ - ٢١٧) . وأبو يعلى (٧/٣١٨) حديث (٤٣٥٧) . وابن حبان=

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « أبو » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « الحسن » .

[٥] - في ت : «أبو » .

وقوله : ﴿ **وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين** ﴾ ، أي : [المغلوبين الأسفلين][١] ؛ لأنهم أرادوا بنبي [الله][٢] كيدًا ، فكادهم الله ونجاه من النار ، فغلبوا هنالك .

وقال عطية العوفي : لما ألقي إبراهيم في النار ، جاء ملكهم لينظر إليه ، فطارت شرارة فوقعت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة .

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم أنه سلمه من نار قومه ، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرًا إلىٰ بلاد الشام ، إلىٰ الأرض المقدسة منها ، كما قال الربيع بن أنس : عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ **إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين** ﴾ ، قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة . وكذا قال أبو العالية أيضًا .

وقال قتادة : كانا بأرض العراق ، فألجئا إلىٰ الشام ، [وكان يقال للشام : عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأرض زيد في الشام][٣] ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين . وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - وبها يهلك المسيح الدجال .

وقال كعب الأحبار في قوله : ﴿ **إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين** ﴾ إلى حران .

وقال السدي : انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام ، فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك

= (٤٤٧/١٢) حديث (٥٦٣١) . وفي الموارد برقم (١٠٨٢) . كلهم من حديث سائبة مولاة الفاكه المغيرة عن عائشة ... فذكرته بنحوه . قال البوصيرى في الزوائد : إسناد حديث عائشة صحيح ، ورجاله ثقات .

[١] - في ز : « الملعونين الأخرين » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .

حران ، وقد طعنت علىٰ [قومها][١] في دينهم ، فتزوجها علىٰ أن لا يُغيرها رواه ابن جرير وهو غريب ، [والمشهور أنها ابنة عمه ، وأنه خرج بها مهاجرًا من بلادها][٢] .

وقال العوفي : عن ابن عباس : إلىٰ مكة ، ألا تسمع قوله : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة** ﴾ قال عطاء ومجاهد : عطية .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والحكم بن عتيبة : النافلة : ولد الولد . يعني أن يعقوب ولد إسحاق ، كما قال : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : سأل واحدًا فقال : ﴿ **رب هب لي من الصالحين** ﴾ فأعطاه اللَّه إسحاق [وزاده][٣] يعقوب نافلة .

﴿ **وكلًّا جعلنا صالحين** ﴾ ، أي : الجميع أهل خير وصلاح ﴿ **وجعلناهم أئمة** ﴾ ، أي : يقتدى بهم ، ﴿ **يهدون بأمرنا** ﴾ ، أي : يدعون إلىٰ اللَّه بإذنه ، ولهذا قال : ﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** ﴾ من باب عطف الخاص علىٰ العام ﴿ **وكانوا لنا عابدين** ﴾ ، أي : فاعلين لما يأمرون الناس به .

ثم عطف بذكر لوط - وهو لوط بن هاران بن آزر - كان قد آمن بإبراهيم - عليه السلام - واتبعه وهاجر معه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلىٰ ربي** ﴾ فآتاه اللَّه حكمًا وعلمًا وأوحى إليه وجعله نبيًّا وبعثه إلى سَدُومَ وأعمالها ، فخالفوه وكذبوه ، فأهلكهم اللَّه ودمر عليهم ، كما قص خبرهم في غير ما موضع من كتابه العزيز ، ولهذا قال : ﴿ **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين** ﴾ .

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)

يخبر تعالىٰ عن استجابته لعبده ورسوله نوح - عليه السلام - حين دعا علىٰ قومه لما

---

[١] - في ز : « قولها » . [٢] - بياض في : ز .

[٣] - في ز : « وزاد » .

كذبوه ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ ، ﴿ **وقال نوح رب لاتذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا** ﴾ ، ولهذا قال هٰهنا : ﴿ **إذ نادىٰ من قبل فاستجبنا له [فنجيناه][١] وأهله** ﴾ ، أي : الذين آمنوا به ، كما قال : ﴿ **وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل** ﴾ وقوله : ﴿ **من الكرب العظيم** ﴾ ، أي : من الشدة والتكذيب والأذىٰ ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - فلم يؤمن به منهم إلا القليل ، وكانوا يقصدون لأذاه ، ويتواصون قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل على خلافه .

وقوله : ﴿ **ونصرناه من القوم** ﴾ ، أي : ونجيناه وخلصناه منتصرًا من القوم ﴿ **الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين** ﴾ ، أي : أهلكهم الله بعامة ، ولم يُبْق علىٰ وجه الأرض منهم أحدًا ، إذ دعا عليهم نبيهم .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

قال أبو إسحاق : عن مرة عن ابن مسعود : كان ذلك الحرث كرمًا قد نبتت عناقيده . وكذا قال شريح .

قال ابن عباس : النَّفْشُ : [الرعي][٢] .

وقال شريح ، والزهري ، وقتادة : النفش : بالليل ، زاد قتادة : والهمل بالنهار .

قال ابن جرير(٢٥) : حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالا : حدثنا المحاربي ،

(٢٥) - أخرجه الطبرى (١٧/٥١) .

[١] - في ز : « ونجيناه » . [٢] - في ز : « المرعى » .

عن أشعث ، عن أبي إسحاق عن مُرّة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم** ﴾ ، قال : كرم [قد أنبت][١] عناقيده فأفسدته . قال : فقضىٰ داود بالغنم لصاحب الكرْم ، فقال سليمان : غيرُ هذا يا نبي اللَّه ! قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلىٰ صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتىٰ يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلىٰ صاحب الكرم فيصيب منها ، حتىٰ إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلىٰ صاحبه ، ودفعت الغنم إلىٰ صاحبها ، فذلك قوله : ﴿ **ففهمناها سليمان** ﴾ .

وكذا روى العوفى عن ابن عباس .

وقال حماد بن سلمة : عن عليّ بن زيد ، حدثني خليفة ، عن ابن عباس قال : فحكم داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فخرج الرعاء معهم الكلاب ، فقال لهم سليمان : كيف قضىٰ بينكم ؟ فأخبروه ، فقال : لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا ! فأخبر بذلك داود ، فدعاه فقال : كيف تقضي بينهم ؟ قال : أدفع الغنم إلىٰ أصحاب الحرث ، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ، و[يبذُر][٢] أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم ، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه [أخذ][٣] أصحاب الحرث [الحرثَ][٤] وردوا الغنم إلىٰ أصحابها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا خديج ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن مسروق قال : الحرث الذي نفشت فيه الغنم إنما كان كرمًا نفشت فيه الغنم ، فلم تدع فيه ورقة ولا عنقودًا من عنب إلا أكلته ، فأتوا داود فأعطاهم رقابها ، فقال سليمان : لا ، بل تؤخذ الغنم فيعطاها أهل الكرم ، فيكون لهم لبنها ونفعها ، ويعطىٰ أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه ، حتىٰ يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ، ثم يعطىٰ أهل الغنم غنمهم ، وأهل الكرم كرمهم .

وهكذا قال شريح ، ومرة ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد وغير واحد

وقال ابن جرير : حدثنا ابن أبي زياد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا إسماعيل ، عن عامر قال : جاء رجلان إلىٰ شريح ، فقال أحدهما : إن شاة هذا قطعت غزلًا لى . فقال شريح : نهارًا أم ليلًا ؟ فإن كان نهارًا فقد برئَ صاحب الشاة وإن كان ليلًا ، فقد ضمن ، ثم قرأ : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه** ﴾ الآية .

وهذا الذي قاله شريح [شبيه بما][٥] رواه الإمام أحمد(٢٦) وأبو داود وابن ماجة : من

---

(٢٦) - أخرجه أحمد (٥/٤٣٥ - ٤٣٦) . وأبو داود في كتاب البيوع ، باب : المواشى تفسد زرع =

---

[١] - في ز : « أنبت » .
[٢] - في ز : « تبدر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « سببه ما » .

حديث الليث بن سعد ، عن الزهري ، عن حرام بن مُحَيِّصَة : أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطًا فأفسدت فيه ، فقضىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أهل الحوائط حفظها بالنهار ، وما أفسدت المواشي بالليل ضامن علىٰ أهلها .

وقد عُلّل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب « الأحكام » ، وبالله التوفيق .

وقوله : ﴿ **ففهمناها سليمان وكلًّا آتينا حكمًا وعلمًا** ﴾ قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن حميد : أن إياس بن معاوية لما استقضي [أتاه][١] الحسن فبكىٰ ، [فقال][٢] : مايبكيك ؟ قال : يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاة : رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ، ورجل مال به الهوىٰ فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة . فقال الحسن البصري : إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء ، حُكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين** ﴾ ، فأثنىٰ الله علىٰ سليمان ولم يذم داود . ثم قال - يعني الحسن - : إن الله اتخذ علىٰ الحكماء ثلاثًا : لا يشتروا به ثمنًا قليلًا ، ولا يتبعوا فيه الهوىٰ ، ولا يخشوا فيه أحدًا ، ثم تلا : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشوني** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا** ﴾ .

قلت : أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله - عز وجل - وهذا [مما][٣] لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف ، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري ، عن عمرو بن العاص(٢٧) أنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر** » . فهذا الحديث يرد - نصًّا - ما توهمه « إياس » من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار ، والله أعلم .

= القوم ، حديث (٣٥٦٩ ، ٣٥٧٠) (٢٩٨/٣) . وابن ماجة في كتاب التجارات ، باب : الحكم فيما أفسدت المواشى ، حديث (٢٣٣٢) (٧٨١/٢) .

(٢٧) - أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (٧٣٥٢) (٣١٨/٣) . ومسلم في كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (١٧١٦/١٥) (٢٠/١٢ - ٢١) .

---

[١] - في ز : « أبا » . [٢] - في ز : « قال » .

[٣] - سقط من : ز .

وفي السنن(٢٨) : «القضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار : رجل علم الحق وقضىٰ به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس علىٰ جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضىٰ بخلافه فهو في النار » .

وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ، ما رواه الإمام أحمد(٢٩) في مسنده حيث قال :

حدثنا عليّ بن حفص ، أخبرنا ورقاء ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين ، فتحاكمتا إلىٰ داود ، فقضىٰ به للكبرىٰ ، فخرجتا ، فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرىٰ : [يرحمك][١] الله هو ابنها ، لا تشقه . فقضىٰ به للصغرىٰ » .

وأخرجه البخاري(٣٠) ومسلم في صحيحيهما ، وبوّب عليه النسائي في كتاب القضاء (باب الحاكم يوهم خلاف الحكم ليستعلم الحق) .

وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة « سليمان عليه السلام » من تاريخه ، من طريق الحسن بن سفيان عن صفوان [بن][٢] صالح ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - فذكر قصة مطولة ملخصها - : أن امرأة حسناء في زمان بني إسرائيل ، راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم ، فامتنعت علىٰ كل منهم ، فاتفقوا فيما بينهم عليها ، فشهدوا عليها عند داود - عليه السلام -

(٢٨) - أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في القاضي يخطئ ، حديث (٣٥٧٣) (٢٩٩/٣) . والترمذي في كتاب الأحكام ، باب : ما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القاضي ، حديث (١٣٢٢) (٦١٣/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : ذكر ما أعد الله تعالى للحاكم الجاهل ، حديث (٥٩٢٢) (٤٦٢/٣) . وابن ماجة في كتاب الأحكام ، باب : الحاكم يجتهد فيصيب الحق حديث (٢٣١٥) (٧٧٦/٢) . كلهم من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٢٩) - أخرجه أحمد (٣٢٢/٢) .

(٣٠) - أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، حديث (٣٤٢٧) (٤٥٨/٦) وطرفه في (٦٧٦٩) . ومسلم في كتاب الأقضية ، باب : بيان اختلاف المجتهدين ، حديث (١٧٢٠/٢) (٢٧/١٢ - ٢٨) . والنسائي في كتاب آداب القضاء : باب السعة للحاكم في أن يقول للشيء الذى لا يفعله ليتبين الحق (٢٣٦/٨) وأخرجه فيه ، وفي كتاب القضاء في الكبرى باب : التوسعة للحاكم في أن يقول للشيء الذى لا يفعله أفعل ليستبين الحق .

وأخرجه فيه الحديث برقم (٥٩٥٨) (٤٧٢/٣ - ٤٧٣) .

[١] - في ز : « رحمك » . [٢] -

أنها مكنت من نفسها كلبًا لها، قد عودته ذلك منها، فأمر برجمها، فلما كان عشية ذلك [اليوم][١] جلس سليمان، واجتمع معه ولدان مثله، فانتصب حاكمًا، وتزيا أربعة منهم بزي أولئك، وآخر بزي المرأة، وشهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلبًا، فقال سليمان: فرقوا بينهم [فسأل أولهم][٢] ما كان لون الكلب؟ فقال: أسود. فعزله واستدعى [بالآخر][٣]، فسأله عن لونه؟ فقال: أحمر. وقال الآخر: [أغبش][٤]. وقال الآخر: أبيض. فأمر بقتلهم. فحكا ذلك لداود عليه السلام، فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة، فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب، فاختلفوا عليه فأمر بقتلهم.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾. الآية. وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا ترنم به [يقف] الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويبًا؛ ولهذا لما مر النبي، صلىٰ اللّه عليه وسلم، علىٰ أبي موسىٰ الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب [جدًا][٥]، فوقف واستمع لقراءته وقال: «**لقد أوتي هذا من مزامير آل داود**». قال: يا رسول اللّه؛ لو علمت أنك [تستمع][٦] لحبرته لك تحبيرًا.

وقال أبو عثمان [النهدي][٧]: ما سمعت صوت صَنْج ولا [بربط][٨] ولا مزمار مثل صوت أبي موسىٰ - رضي اللّه عنه - ومع هذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود».

وقوله: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم [لتحصنكم][٩] من بأسكم﴾ يعني: صنعة الدروع.

قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حِلَقًا. كما قال تعالى:

= وأخرجه النسائي أيضًا في الصغرى (٨/٢٣٥، ٢٣٦) كتاب آداب القضاء، باب: حكم الحاكم بعلمه، باب: نقض الحاكم ما يحكم به ....

وفي الكبرى في كتاب القضاء: باب: الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم له إذا تبين للحاكم أن الحق غير ما اعترف به، والباب الذى بعده، حديث ٥٩٥٩، ٥٩٦٠) (٣/٤٧٣).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «قال لأولهم». [٣] - في ت: «الآخر».
[٤] - في ت: «أخبش». والغبشة: سواد شديد في ألوان الدواب.
[٥] - سقط من: ز. [٦] - في ز: «تسمع».
[٧] - في ز: «الهمداني».
[٨] - في ز: «مربط». [٩] - في ز: «ليحصنكم».

﴿**وألنّا له الحديد أن أعمل سابغات وقدّر في السرد**﴾أي: لا توسع الحلقة [فتقلق][١] المسمار، ولا تغلظ المسمار فَتَقُدّ الحلقة، ولهذا قال: ﴿**[لتحصنكم][٢] من بأسكم**﴾يعني: في القتال ﴿**فهل أنتم شاكرون**﴾أي: نعم اللّه عليكم، لما ألهم به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم.

وقوله: ﴿**ولسليمان الريح عاصفة**﴾أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة ﴿**تجري بأمره إلىٰ الأرض التي باركنا فيها**﴾يعني: أرض الشام ﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾وذلك أنه كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيل والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلىٰ حيث يشاء من الأرض، [فينزل][٣] وتوضع آلاته وخشبه، قال اللّه تعالىٰ: ﴿**فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب**﴾ وقال تعالى: ﴿**غدوها شهر ورواحها شهر**﴾قال ابن أبي حاتم: ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي، فيجلس مما يليه مؤمنوا الإنس، ثم يجلس من ورائِهم مؤمنو الجن، ثم يأمر الطير فتظلهم، ثم يأمر الريح فتحملهم صلىٰ اللّه عليه وسلم.

وقال عبد اللّه بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح، فتجتمع [كالطود][٤] العظيم - كالجبل - ثم يأمر بفراشه فيوضع علىٰ أعلىٰ مكان منها، ثم يدعو [بفرس][٥] من ذوات الأجنحة، فترتفع حتىٰ تصعد علىٰ فراشه، ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء، [وهو][٦] مطأطئ رأسه ما يلتفت يمينًا، ولا شمالاً، تعظيمًا للّه -عز وجل- وشكرًا لما يعلم من صغر ما هو فيه [في][٧] ملك اللّه -عز وجل- حتىٰ تضعه الريح حيث شاء أن تضعه.

وقوله: ﴿**ومن الشياطين من يغوصون له**﴾أي: في الماء يستخرجون الجواهر واللآلئ [وغير ذلك ﴿**ويعملون عملاً دون ذلك**﴾ أي: غير ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿**والشياطين كل بناء وغواص *][٨] وآخرين مقرنين في الأصفاد**﴾

وقوله: ﴿ **وكنا لهم حافظين**﴾أي: يحرصه اللّه أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره، لا يتجاسر أحد منهم علىٰ الدنو إليه والقرب منه، بل هو محكم فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء، ولهذا قال: ﴿**وآخرين مقرنين في**

---

[١] - في ز: « فتفلق ».
[٢] - في ز: « ليحصنكم ».
[٣] - في ز: « فتنزل ».
[٤] - في ز: « كالصرد ».
[٥] - في ز: « نفوس ».
[٦] - في ز: « فهو ».
[٧] - في ز: « من ».
[٨] - سقط من: ز.

الأصفاد﴾.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

يذكر تعالىٰ عن أيوب عليه السلام[١] ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله ،وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده، يقال: بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوىٰ قلبه ولسانه يذكر بهما الله -عز وجل- حتىٰ عافه الجليس، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوىٰ زوجته، كانت [تقوم بأمره][٢]. ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»(٣١).

وفي الحديث الآخر: «**يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**»(٣٢). وقد كان نبي الله أيوب -عليه السلام- غايةً في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

وقال يزيد بن ميسرة: لما ابتلىٰ الله أيوب -عليه السلام- [بذهاب][٣] الأهل والمال والولد، ولم يبق له شيء، أحسن الذكر ثم قال: أحمدك رب الأرباب، الذي أحسنت إليَّ، أعطيتني المال والولد، فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله مني،

---

(٣١) - أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، حديث (٢٣٩٨) (٤/ ٥٢٠). وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في كتاب الطب، باب: أي الناس أشد بلاءً (٧٤٨١) (٤/٤٥٢). وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، حديث (٤٠٢٣) (٢/ ١٣٣٤). كلهم من حديث مسعد بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، فذكره بنحوه.

والحديث صححه الألباني ينظر الصحيحة برقم (١٤٣).

وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الامثل فالأمثل».

(٣٢) - ينظر السابق.

---

[١] - بعده في ز: أنه.

[٢] - في ز: «تقيم بأوده».

[٣] - في ز: «ومات».

وفرغت قلبي، ليس يحول بيني وبينك شيء، لو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت حسدني! قال: فلقي إبليس من ذلك منكرًا.

قال: وقال أيوب -عليه السلام-: يا رب؛ إنك أعطيتني المال والولد، فلم يقم علىٰ بابي أحد [يشكوني][١] لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك، وإنه كان يوطأ لي الفرش فأتركها، وأقول لنفسي: يا نفس، إنك لم تخلقي لوطء الفرش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك. رواه ابن أبي حاتم.

وقد ذكر عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة، ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين،وفيها غرابة تركناها لحال الطول.

وقد روي أنه مكث في البلاء مدة طويلة، ثم اختلفوافي السبب المهيج له علىٰ هذا الدعاء؛ فقال الحسن وقتادة: ابتلي أيوب -عليه السلام- سبع سنين وأشهرًا، ملقىٰ علىٰ كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج اللَّه عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء.

وقال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص.

وقال السدي: تساقط لحم أيوب، حتىٰ لم يبق إلا العصب والعظام، فكانت امرأته تقوم عليه، وتأتيه بالزاد يكون فيه، فقالت له امرأته لما طال وجعه: يا أيوب، لو دعوت ربك يفرج عنك؟ فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحًا، [فهل][٢] قليل للَّه أن أصبر له سبعين سنة؟ فجزعت من ذلك فخرجت، فكانت تعمل للناس بالأجرة، وتأتيه بما تصيب فتطعمه، وإن إبليس انطلق إلىٰ رجلين من فلسطين كانا صديقين له وأخوين، فأتاهما فقال: أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا، فأتياه وزوراه واحملا معكما من خمر أرضكما، فإنه إن شرب منه بَرِئَ، فأتياه، فلما نظرا إليه بكيا، فقال: من أنتما؟ فقالا: نحن فلان وفلان، فرحب بهما وقال: مرحبًا بمن لا يجفوني عند البلاء. فقالا: يا أيوب؛ لعلك كنت تسر شيئًا [و][٣] تظهر غيره، فلذلك ابتلاك اللَّه؟ فرفع رأسه إلىٰ السماء ثم قال: هو يعلم، ما أسررت شيئًا أظهرت غيره، ولكن [ربي ابتلاني لينظر][٤] أأصبر أم أجزع؟ فقالا له: يا أيوب؛ اشرب من خمرنا، فإنك إن شربت منه بَرَأت. [فقال][٥]: فغضب وقال: جاءكما الخبيث فأمركما بهذا؟ كلامكما وطعامكما وشرابكما عليَّ حرام. فقاما من عنده، وخرجت

---

[١] - في ز: «يشكرني».
[٢] - في ز: «فهو».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ز: «رأى ابتلائي ليظهر».
[٥] - في ز: «قال».

امرأته تعمل للناس، فخبزت لأهل بيت لهم صبي، فجعلت لهم [قرصًا][١]، وكان ابنهم نائمًا، فكرهوا أن يوقظوه، فوهبوه لها، فأتت به إلىٰ أيوب، فأنكره وقال: ما كنت تأتيني بهذا، فما بالك اليوم؟ فأخبرته الخبر، قال: فلعل الصبي قد استيقظ، فطلب القرص فلم يجده، فهو يبكي على أهله، [فانطلقي به إليه. فأقبلت حتىٰ بلغت درجة القوم، فنطحتها شاة لهم، فقالت: تعس أيوب الخطَّاء. فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص، ويبكي علىٰ أهله][٢]، لا يقبل منهم شيئًا غيره، فقالت: رحم الله أيوب فدفعت إليه القرص ورجعت، ثم إن إبليس أتاها في صورة طبيب، فقال لها: إن زوجك طال سقمه، فإن أراد أن يَبْرأ فليأخذ ذبابًا فليذبحه باسم صنم بني فلان، فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك؟ فقالت ذلك لأيوب، فقال: قد أتاك الخبيث، لله عليَّ إن برئت أن أجلدك مائة جلدة. فخرجت تسعىٰ عليه، [فحظر][٣] عنها الرزق، فجعلت لا تأتي أهل بيت فيريدونها، فلما اشتد عليها [ذلك][٤]، وخافت علىٰ أيوب الجوع، حلقت من شعرها قرنًا، فباعته من صبية من بنات الأشراف، فأعطوها طعامًا طيبًا كثيرًا، فأتت به أيوب، فلما رآه أنكره، وقال: من أين لك هذا؟ قالت: عملت لأناس فأطعموني. فأكل منه، فلما كان الغد خرجت فطلبت أن تعمل، فلم تجد، فحلقت أيضًا قرنًا فباعته من تلك الجارية، فأعطوها أيضًا من ذلك الطعام، فأتت به أيوب، فقال: والله لا أطعمه حتىٰ أعلم من أين هو؟ فوضعت خمارها، فلما رأىٰ رأسها محلوقًا جزع جزعًا شديدًا، فعند ذلك دعا الله -عز وجل-: ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾.

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن نوف البكالي: أن الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له سوط، قال: وكانت امرأة أيوب تقول: ادع الله فيشفيك. فجعل لا [يدعو][٥]، حتىٰ مر به نفر من بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه [ما أصابه][٦] إلا بذنب عظيم أصابه، فعند ذلك قال: ﴿إني[٧] مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾.

وحدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب -عليه السلام- أخوان، فجاءا يومًا، فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد، فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيرًا ما ابتلاه

---

[١] - في ز: «قرصة».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ت: «فحظر».
[٤] - سقط من ت.
[٥] - في ز: «يذعر».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «رب إني».

بهذا؟ فجزع أيوب من قولهما جزعًا لم يجزع من شيء قط، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان، وأنا أعلم مكان جائع فصدقني. فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط، وأنا أعلم مكان عار فصدقني. فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم بعزتك ثم خر ساجدًا [ثم قال][١]: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدًا حتىٰ تكشف عني. فما رفع رأسه حتىٰ كشف عنه.

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعًا بنحو هذا فقال: أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن وهب، أخبرني نافع بن يزيد، عن عقيل، عن الزهري، عن أنس بن مالك: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: «إن نبي اللَّه أيوب لبس به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان [ ][٢]، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم واللَّه لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. [فقال][٣] له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه اللَّه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له، فقال أيوب -عليه السلام-: [لا][٤] أدري ما تقول، غير أن اللَّه -عز وجل- يعلم أني كنت أمر علىٰ الرجلين يتنازعان فيذكران اللَّه، فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكر اللَّه إلا في حق. قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتىٰ يبلغ، فلما كان ذات يوم [أبطأت][٥] عليه، فأوحىٰ [اللَّه][٦] إلىٰ أيوب في مكانه: أن أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. رفع هذا الحديث غريب جدًّا(٣٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا علي ابن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: وألبسه [اللَّه][٧] حلة من الجنة، فتنحىٰ أيوب فجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد اللَّه، أين ذهب هذا المبتلىٰ الذي كان هٰهنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب؟ فجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب. قالت: أتسخر مني يا عبد اللَّه؟ فقال: ويحك، أنا أيوب، قد ردّ اللَّه عليَّ جسدي.

---

(٣٣) - أخرجه الطبرى (١٦٧/٢٣) و أبو يعلى (٢٩٩/٦) (٣٦١٧)، والبزار في كتاب علامات النبوة، باب: أيوب، حديث (٢٣٥٧) (١٠٧/٣). والحاكم (٥٨١/٢ - ٥٨٢). وابن حبان =

---

[١] - في ت: «فقال».
[٢] - في ت: إليه.
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في ت: «ما».
[٥] - في ز: «أبطن».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - سقط من: ز.

وبه قال ابن عباس: ورد عليه ماله وولده عيانًا ومثلهم معه.

وقال وهب بن منبه: أوحىٰ اللَّه إلىٰ أيوب: قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن [صحابتك][١] قربانًا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك. رواه ابن أبي حاتم.

[وقال][٢] أيضًا: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا همام، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بَشِير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال:

«لما عافى اللَّه أيوب، أمطر عليه جَرَادًا من ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعله في ثوبه، قال: فقيل له: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: يا رب؛ ومن يشبع من رحمتك؟». أصله في الصحيحين(٣٤)، وسيأتي في موضع آخر.

وقوله: ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قد تقدم عن ابن عباس أنه قال: ردوا عليه بأعيانهم، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضًا، وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة.

وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة، فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة، وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب، وصح ذلك عنهم، فهو مما لا يصدق ولا يكذب، وقد سماها ابن عساكر في تاريخه «رحمه اللَّه تعالىٰ» قال: ويقال: اسمها ليا [بنت مِنَشَّا][٣] بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ويقال: ليا بنت يعقوب عليه السلام، زوجة أيوب كانت معه بأرض البثنية.

وقال مجاهد: قيل له: يا أيوب، إن أهلك لك في الجنة، فإن شئت أتيناك بهم، وإن شئت تركناهم لك في الجنة، وعوضناك مثلهم؟ قال: لا، بل اتركهم لي في الجنة. قال: فتركوا له في الجنة، وعوض مثلهم في الدنيا. وقال حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي [قال:][٤] أوتي أجرهم في الآخرة، وأعطي مثلهم في الدنيا. قال:

= (١٥٧/٧ - ١٥٩) (٢٨٩٨). كلهم من حديث أنس وقال الهيثمي في المجمع (٢١١/٨): رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.

(٣٤) - أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب: من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، حديث (٢٧٩) (٣٨٧/١) وأطرافه في (٣٣٩١، ٧٤٩٣).

---

[١] - في ز: «صاحبتك».
[٢] - بياض في: ز.
[٣] - في ز: «ابنة منسا».
[٤] - سقط من: ز.

فحدثت به مطرفًا فقال: ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روي عن قتادة والسدى وغير واحد من السلف، والله أعلم.

وقوله: ﴿رحمة من عندنا﴾أي: فعلنا به ذلك رحمة من الله به ﴿وذكرىٰ للعابدين﴾أي: وجعلناه في ذلك قدوة؛ لئلا يظن أهل البلاء أنما [فعلنا][1] بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر علىٰ مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله [الحكمة البالغة][2] في ذلك.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- وقد تقدم ذكره في سورة مريم، وكذلك إدريس -عليه السلام- وأمّا ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه [ما][3] قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي، وقال آخرون: إنما كان رجلًا صالحًا، وكان ملكًا عادلًا، وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله اعلم.

قال ابن جريج، عن مجاهد في قوله: ﴿وذا الكفل﴾قال: رجل صالح غير نبي، تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمهم له، ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي: ذا الكفل. وكذا روىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضًا وقال ابن جرير(٣٥): حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا داود، عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلًا علىٰ الناس يعمل عليهم في حياتي، حتىٰ أنظر كيف يعمل؟ فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه؛ [يصوم][4] النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدريه [العين][5]، فقال: أنا. فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم. قال: فردهم ذلك اليوم، وقال مثلها في اليوم الآخر، فسكت الناس، وقام ذلك الرجل [فقال:][6] أنا. فاستخلفه قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان. فأعياهم ذلك، فقال: دعوني وإياه. فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ

(٣٥) - أخرجه ابن جرير (١٧/٧٤).

[1] - في ز: «فعل».
[2] - في ز: «الحمد».
[3] - في ز: «إنما».
[4] - في ت: «فيصوم».
[5] - في ت: «الأعين».
[6] - في ز: «وقال».

مضجعه للقائلة - وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة - فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا بي وفعلوا [ ][١]، وجعل يُطَوِل عليه حتىٰ حضر الرواح وذهبت القائلة، فقال: إذا رحت فأتني آخذ لك بحقك. فانطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرىٰ الشيخ فلم يره، فقام يتبعه، فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس، وينتظره [فلا][٢] يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه، أتاه فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ قال إنهم أخبث قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني. قال: فانطلق، فإذا رحت فائتني. قال: ففاتته القائلة، فراح فجعل [ينتظره][٣] ولا يراه، وشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدًا يقرب هذا الباب حتىٰ أنام، فإني قد شق عليَّ النوم. فلما كان تلك الساعة أتاه، فقال له الرجل: وراءك وراءك. قال: إني قد أتيته أمس، وذكرت له أمري. فقال: لا، والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدًا يقربه. فلما أعياه نظر [فرأىٰ][٤] كوة في البيت، فتسور منها، فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب من داخل. قال: فاستيقظ الرجل فقال: يا فلان، [ألم][٥] آمرك؟ قال: [أما][٦] من قِبَلي والله [فلم][٧] تؤتَ، فانظر من أين أتيت؟ [قال:][٨] فقام إلىٰ الباب، فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فعرفه، فقال: أعدو الله؟ قال: نعم، أعييتني في كل شيء، ففعلت ما ترىٰ لأغضبك. فسماه الله [ذا][٩] الكفل؛ لأنه تكفل بأمر فوفىٰ به.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث زهير بن إسحاق، عن داود، عن مجاهد بمثله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن مسلم قال: قال ابن عباس: كان قاض في بني إسرائيل، فحضره الموت، فقال: من يقوم مقامي علىٰ أن لا يغضب؟ قال: فقال رجل: أنا. فسمي ذا الكفل. قال: فكان ليله [جميعًا][١٠] يصلي، ثم يصبح صائمًا، فيقضي بين الناس. قال: وله ساعة يقيلها. قال: فكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته، فقال له أصحابه: ما لك؟ قال: إنسان مسكين، له علىٰ رجل حق وقد غلبني عليه. قالوا: كما أنت حتىٰ يستيقظ - قال: وهو فوق نائم - قال: فجعل يصيح عمدًا حتىٰ يوقظه. قال: فسمع. فقال: ما لك؟ قال:

[١] - في ت: بي.
[٢] - في ز: «ولا».
[٣] - في ز: «ينتظر».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «أما».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «لم».
[٨] - سقط من: ز.
[٩] - في ز: «ذو».
[١٠] - في ز: «جمعًا».

إنسان مسكين، له علىٰ رجل حق. قال: [اذهب][١] فقل له يعطيك. قال: قد أبىٰ. قال: اذهب أنت إليه. قال: فذهب، ثم جاء من الغد، فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسًا. قال: اذهب إليه فقل له يعطيك حقك. قال: فذهب ثم جاء من الغد حين قال. قال: فقال له أصحابه: اخرج، فعل الله بك، تجيء كل يوم حين ينام، لا تدعه ينام؟ [ ][٢] فجعل يصيح: من أجل أني إنسان مسكين، لو كنت غنيًا؟ قال: فسمع أيضًا، فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فضربني. قال: امش حتىٰ أجيء معك. قال: فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نثر يده منه ففر.

وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث، ومحمد بن قيس، وابن حجيرة الأكبر وغيرهم من السلف نحو [من][٣] هذه القصة، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الجماهر، أخبرنا سعيد بن بشير، حدثنا قتادة، عن [أبي][٤] كنانة [الأخنس][٥] قال: سمعت الأشعري وهو يقول علىٰ هذا المنبر: ما كان ذو الكفل بنبي، ولكن كان - يعني: في بني إسرائيل - رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة، فتكفل له ذو الكفل من بعده، فكان يصلي [كل يوم][٦] مائة صلاة، فسمي ذا الكفل.

وقد رواه ابن جرير(٣٦) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال أبو موسى الأشعرى ... فذكره منقطعًا، والله أعلم.

وقد روى الإمام أحمد(٣٧) حديثًا غريبًا فقال:

حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، [عن سعد][٧] مولىٰ طلحة، عن [ابن][٨] عمر قال: سمعت من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين - حتىٰ عدّ سبع [مرات][٩] - ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: «كان الكفل من بني إسرائيل، لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا

(٣٦) - أخرجه ابن جرير (١٧/٧٥).
(٣٧) - أخرجه أحمد (٢/٢٣).

[١] - في ت: «فاذهب».
[٢] - في ت: قال.
[٣] - سقط من ت.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «الأحنس».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - سقط من: ز.
[٨] - سقط من: ز.
[٩] - في ز: «مرر».

علىٰ أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته، أرعِدَتْ وبكت، فقال: ما يبكيك، [أكرَهْتُك][١]؟ قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنما حملني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ فنزل فقال: اذهبي [فالدنانير][٢] لك. ثم قال: والله لا يعصى الله الكفل أبدًا. فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا علىٰ بابه: قد غفر الله للكفل. هكذا وقع في هذه الرواية «الكفل» من غير إضافة، والله أعلم. وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب، وعلىٰ كل تقدير فلفظ الحديث إن كان «الكفل» ولم يقل: «ذو الكفل» فلعله رجل آخر، والله أعلم.

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

هذه القصة مذكورة هٰهنا وفي سورة «الصافات» وفي سورة «نون»، وذلك أن يونس بن متىٰ -عليه السلام- بعثه الله إلىٰ أهل قرية «نينوىٰ» وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلىٰ الله تعالىٰ، فأبوا عليه وتمادوا علىٰ كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلىٰ الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلىٰ الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالىٰ: ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين**﴾، وأمَّا يونس -عليه السلام- فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن [يغرقوا][٣] فاقترعوا علىٰ رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة علىٰ يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، قال الله تعالىٰ: ﴿**فساهم فكان من المدحضين**﴾ أي: وقعت عليه القرعة، فقام يونس -عليه السلام- وتجرد من ثيابه، ثم ألقىٰ نفسه في البحر، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى من البحر الأخضر- فيما قال ابن مسعود- حوتًا يشق البحار، حتىٰ جاء فالتقم يونس حين ألقىٰ نفسه من السفينة، وأوحىٰ الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظمًا، فإن يونس

---

[١] - في ز: «أكرهت».
[٢] - في ز: «بالدنانير».
[٣] - في ز: «يغرق بهم».

ليس لك [رزقًا][١]، وإنما بطنك تكون له سجنا.

وقوله: ﴿**وذا النون**﴾ يعني: الحوت، صحت الإضافة إليه بهذه النسبة.

وقوله ﴿**إذ ذهب مغاضبًا**﴾ قال الضحاك: لقومه. ﴿**فظن أن لن نقدر عليه**﴾ أي: [نضيق عليه في بطن الحوت، يروىٰ نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره، واختاره ابن جرير، واستشهد عليه بقوله تعالىٰ: ﴿**ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسرٍ يسرًا**﴾

وقال: عطية العوفي: ﴿**فظنّ أن لن نقدر عليه**﴾ أي:][٢] نقضي عليه. كأنه جعل ذلك بمعنىٰ التقدير، فإن العرب تقول قدر وقدّر بمعنى واحد، قال الشاعر:

فلا عائدٌ ذاك الزّمانُ الذي مضىٰ [تباركت][٣] ما تَقْدرْ يَكُنْ، فَلَكَ الأمر

ومنه قوله تعالى: ﴿**فالتقى الماء على أمر قد قدر**﴾ أي: قدّر.

وقوله: ﴿**فنادىٰ في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾، قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل. وكذا روي عن ابن عباس، وعمرو بن ميمون، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، والضحاك، والحسن، وقتادة.

وقال سالم بن أبي الجعد: ظلمة حوت في بطن حوت في ظلمة البحر.

قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها، حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ قرار البحر، [حتى سمع][٤] يونس تسبيح الحصىٰ في قراره، فعند ذلك وهنالك قال: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك**﴾.

وقال عوف: لما صار يونس في بطن الحوت، ظن أنه قد مات، ثم حرك رجليه، فلما تحركت سجد مكانه، ثم نادىٰ: يا رب، اتخذت لك مسجدًا في موضع ما اتخذه أحد.

وقال سعيد بن الحسن البصري: مكث في بطن الحوت أربعين يومًا. [رواهما ابن جرير][٥]. وقال محمد بن إسحاق بن يسار، عمن حدثه، عن عبد الله بن رافع - مولىٰ أم سلمة - سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أراد الله حبس

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ز: «تبارك».
[٤] - في ت: فسمع.
[٥] - في ز: «رواها ابن جبير».

يونس في بطن الحوت، أوحىٰ اللَّه إلىٰ الحوت أن [خذه][١]، ولا تخدش لحمًا ولا تكسر عظمًا، فلما انتهىٰ به إلىٰ أسفل البحر، سمع يونس حِسًّا، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحىٰ اللَّه إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر. قال: فسبح وهو في بطن الحوت، [فسمعت][٢] الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا، إنا نسمع [صوتًا][٣] ضعيفًا [بأرض غريبة][٤]؟ قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم. قال: فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل، كما قال اللَّه تعالىٰ: **﴿وهو سقيم﴾**».

رواه[٥] ابن جرير(٣٨)، ورواه البزار(٣٩) في مسنده، من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد اللَّه [بن][٦] رافع، عن أبي هريرة، فذكره بنحوه، ثم قال: لا نعلمه يروىٰ عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

[وروى ابن عبد الحق [من][٧] حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد اللَّه بن [سلمة][٨] عن علي مرفوعًا -: **«لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّىٰ؛ سبح [للَّه][٩] في الظلمات»**

وقد روي هذا الحديث بدون هذه الزيادة، من حديث ابن عباس، وابن مسعود، وعبداللَّه بن جعفر، وسيأتي أسانيدها في سورة «ن» .]

[وقال][١٠] ابن أبي حاتم(٤٠): حدثنا أبو [عبيد][١١] اللَّه أحمد بن عبد الرحمن بن أخي

---

(٣٨) - أخرجه الطبرى (٨١/١٧).

(٣٩) - اخرجه البزار في كتاب التفسير، باب: سورة الصافات، حديث (٢٢٥٤) (٦٧/٣). قال الهيثمى في المجمع (١٠١/٧): رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقيه رجاله رجال الصحيح.

(٤٠) - ذكره السيوطى في الدر المنثور (٥٩٩/٤) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «الفرج» وابن مردويه.

---

[١] - في ز: «خذ».
[٢] - في ز: «فسمع».
[٣] - في ز: «حوتًا».
[٤] - بياض في: ز.
[٥] - في ت: ورواه.
[٦] - في ز: «عن أبي».
[٧] - في ز: «عن».
[٨] - في ز: «مسلم».
[٩] - في ز: «اللَّه».
[١٠] - في ت: «وروى».
[١١] - في ز: «عبد».

ابن وهب، حدثنا عمي، حدثني أبو صخر، أن يزيد الرقاشي حدثه قال: سمعت أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أن أنسًا يرفع الحديث إلىٰ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم - «أن يونس النبي - عليه السلام - حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت، قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأقبلت [هذه][١] الدعوة تحف بالعرش، فقالت الملائكة: يا رب؛ صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة؟ [فقال:][٢] أما تعرفون ذاك؟ قالوا: [لا][٣]، يا رب؛ ومن هو؟ قال: عبدي يونس. قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يُرفَع له عملًا متقبلًا ودعوة مجابة؟ [قال: نعم][٤] قالوا: يا رب؛ أو لا [ترحم][٥] ما كان [يصنع][٦] في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلىٰ. فأمر الحوت فطرحه في العراء وقوله: ﴿فاستجبنا له [ونجيناه][٧] من الغم﴾، أي: أخرجناه من بطن الحوت، وتلك الظلمات، ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾أي: إذا كانوا في الشدائد ودَعَونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء؛ قال الإمام أحمد(٤١):

حَدَّثَنا إسماعيل بن عمر، حدثنا يونس بن أبي إسحاق الهمداني، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد، حدثني والدي محمد، عن أبيه سعد - وهو ابن أبي وقاص، - رضي اللَّه عنه - قال: مررت بعثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني فلم يَرْدُدْ عليَّ السلام، فأتيت عمر بن الخطاب [فقلت][٨]: يا أمير المؤمنين؛ هل حدث في الإسلام شيء؟ مرتين، قال: لا، وما ذاك؟ قلت: لا، إلا أني مررت بعثمان آنفًا في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني ثمّ لم يَرْدُدْ عليَّ السلام. قال: فأرسل عمر إلىٰ عثمان فدعاه، فقال: ما منعك أن لا تكون رددت علىٰ أخيك السلام؟ قال: ما فعلت. قال سعد: قلت: بلىٰ. حتىٰ حَلَفَ وحلفتُ، قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلىٰ، وأستغفر اللَّه وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفًا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتُها من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، لا واللَّه ما ذكرتُها قط إلا [تَغْشَىٰ][٩] بصري وقلبي غشاوة. قال سعد: فأنا أنبئك بها، إن رسول اللَّه صلى اللَّه غليه وسلم ذكر لنا [أول دعوة][١٠]، ثم جاء أعرابي فشغله، حتىٰ قام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فاتبعتُه، فلما أشفقت أن يسبقني إلىٰ منزله ضربتُ

(٤١) - أخرجه أحمد (١/١٧٠).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «قال».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «يرحم».
[٦] - في ز: «يصنعه».
[٧] - في ز: «فنجيناه».
[٨] - في ز: «فقال».
[٩] - في ز: «يغشى».
[١٠] - سقط من: ز.

بقدمي الأرض، فالتفت إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: «**من هذا؟ أبو إسحاق قال: قلت: نعم يا رسول الله. قال: «فمه؟». قلت: لا والله، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة، ثم جاء [هذا][١] الأعرابي فشغلك. قال: «نعم، دعوة ذي النون، إذ هو في بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾** فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له» ورواه الترمذي(٤٢) والنسائي(٤٣) في «اليوم والليلة» من حديث إبراهيم بن محمد بن [سعد][٢]، عن أبيه، عن سعد، به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب - قال أبو خالد: أحسبه عن مصعب - يعني ابن سعد - عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من دعا بدعاء يونس، استجيب له**». قال أبو سعيد: يريد به **﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾**.

وقال: ابن جرير(٤٤): حدثني عمران بن بكار الكلاعي، حدثنا يحيىٰ بن صالح، حدثنا أبو يحيىٰ بن عبد الرحمن، حدثنى بشر بن منصور، عن عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن مالك - وهو ابن أبي وقاص - يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ: دعوة يونس بن متىٰ**». قال: فقلت: يا رسول الله؛ هي ليونس خاصة، أم لجماعة المسلمين؟ قال: «**هي ليونس بن متى خاصة، وللمؤمنين عامة، إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله -عز وجل-: ﴿فنادىٰ في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له [ونجيناه][٣] من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه به**»، وقال ابن أبى حاتم: حدثني أبي، حدثنا أحمد بن أبي [سريج][٤]، حدثنا داود ابن [المحبَّر][٥] بن قَحْذَم [المقدسي][٦]، عن كثير بن معبد قال: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد؛ اسم الله الأعظم، الذي إذا دعيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ؟ قال: ابنَ أخي؛ أما تقرأ القرآن! قول الله تعالىٰ: **﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا﴾** إلىٰ قوله: **﴿المؤمنين﴾**،

(٤٢) - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب: (٨٢)، حديث (٣٥٠٥) (٤٩٥/٥) مختصرًا.
(٤٣) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ذكر دعوة ذى النون، حديث (١٠٤٩١، ١٠٤٩٢) (١٦٨/٦).
(٤٤) - أخرجه الطبرى (٨٢/١٧).

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «سعيد».
[٣] - في ز: «فنجيناه».
[٤] - في ز: «شريح».
[٥] - في ز: «المحير».
[٦] - في ز: «القرشي».

ابنَ أخي، هذا هو اسم اللَّه الأعظم، الذي إذادعيَ به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده زكريا، حين طلب أن يهبه اللَّه ولدًا، يكون من بعده نبيًّا. وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضًا، وههنا أخصر منهما؛ ﴿**إذ نادىٰ ربه**﴾ أي: خفية عن قومه ﴿**رب لا تذرني فردًا**﴾، أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿**وأنت خير الوارثين**﴾دعاء وثناء مناسب للمسألة. قال اللَّه تعالى: ﴿**فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ وأصلحنا له زوجه**﴾أي: امرأته.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: كانت عاقرًا لا تلد، فولدت.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: عن طلحة بن عمرو عن عطاء: كان في لسانها طول فأصلحها اللَّه. وفي رواية: كان في خلقها شيء فأصلحها اللَّه: وهكذا قال محمد بن كعب، والسدي، والأظهر من السياق: الأول

وقوله: ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**﴾، أي: في عمل القربات وفعل الطاعات ﴿**ويدعوننا رغبًا ورهبًا**﴾قال الثوري: رغبًا فيما عندنا، ورهبًا مما عندنا، ﴿**وكانوا لنا خاشعين**﴾ قال عليّ بن أبي طلحة: عن ابن عباس: أي: مصدقين بما أنزل اللَّه وقال مجاهد: [مؤمنين][١] حقًّا. وقال أبو العالية: خائفين. وقال أبو سنان: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبدًا. وعن مجاهد أيضًا ﴿**خاشعين**﴾، أى متواضعين. وقال الحسن،وقتادة، والضحاك: ﴿**خاشعين**﴾أي: [متذللين][٢] للَّه عز وجل. وكل هذه الأقوال متقاربة.

وقال: ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق [عن] عبد اللَّه القرشي عن [عبد][٣] اللَّه بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر -رضي اللَّه عنه- ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوىٰ اللَّه، وتُثْنُوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن اللَّه -عز وجل-

---

[١] - في ز: « من سر ». [٢] - في ز: « موللين ».

[٣] - في ز: « عبيد ».

أثنىٰ علىٰ زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

هكذا قَرَن الله تعالىٰ قصة مريم وابنها عيسىٰ -عليه السلام-، بقصة زكريا وابنه يحيىٰ -عليهما السلام- فيذكر أولًا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك موطِّئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طَعَن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثىٰ بلا ذكر. هكذا وقع في سورة آل عمران، وفي سورة مريم، وههنا ذكر قصة زكريا، ثم أتبعها بقصة مريم، فقوله: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾يعني: مريم -عليها السلام- كما قال في سورة التحريم: ﴿[ومريم][١] ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾وقوله: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾، أي: دلالة علىٰ أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، و ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾وهذا كقوله: ﴿ولنجعله آية للناس﴾قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عليّ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، عن [شبيب][٢] - يعني ابن [بشر][٣] - عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿للعالمين﴾، قال: العالمين: الجن والإنس.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾، يقول: دينكم دين واحد.

وقال الحسن البصري [في][٤] هذه الآية: بين لهم ما يتقون وما يأتون، ثم قال: ﴿إن هذه [أمتكم أمة واحدة﴾، أي:][٥] سنتكم سنة واحدة. فقوله: ﴿إن هذه﴾إن واسمها،

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في ز: «شعيب».
[٣] - في ز: «بشير».
[٤] - في ز: «من».
[٥] - سقط من: ز.

وأمتكم خبر إن، أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: ﴿أمة واحدة﴾ [نصب][١] على الحال، ولهذا قال: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾، كما قال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن - معشر الأنبياء - أولاد علات ديننا واحد»(٤٥). يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾وقوله: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾، أي: اختلفت الأمم على رسلها، فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال: ﴿كل إلينا راجعون﴾، أي: يوم القيامة، [فيجازى][٢] كل بحسب عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولهذا قال: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾، أي: قلبه مصدق، وعمل عملًا صالحًا، ﴿فلا كفران لسعيه﴾، كقوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾، [أي:][٣] لا [يُكْفَر][٤] سعيه - وهو عمله - بل [يشكر][٥] فلا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وإنا له كاتبون﴾، أي: نكتب[٦] جميع عمله، فلا يضيع عليه منه شيء.

وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

يقول تعالى: ﴿وحرام على قرية﴾قال ابن عباس: وجب. يعني: قدرًا مقدرًا أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة، هكذا صرح به ابن عباس، وأبو جعفر الباقر، وقتادة، وغير واحد.

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿أنهم لا يرجعون﴾ أي: [لا] يتوبون. والقول الأول أظهر والله أعلم.

---

(٤٥) - أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها﴾، حديث (٣٤٤٢، ٣٤٤٣) (٤٧٨/٦). ومسلم في كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، حديث (١٤٣، ١٤٤/ ٢٣٦٥).

---

[١] - في ز: «نعت».
[٢] - في ز: «فنجازي».
[٣] - في ز: «يعني».
[٤] - في ز: «نكفر».
[٥] - بياض في: ز.
[٦] - في ت: «يكتب».

وقوله: ﴿حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾: قد قدمنا أنهم من سلالة آدم -عليه السلام- بل هم من نسل نوح أيضًا، من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تُركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين.

وقال: ﴿هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقًا * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصّور فجمعناهم جمعًا﴾، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾، أي: يسرعون في المشي إلىٰ الفساد.

والحدب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والثوري، وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم، [كأن][١] السامع مشاهد لذلك، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾، هذا إخبار عالم ما كان وما يكون، الذي يعلم غيب السموات والأرض، لا إله إلا هو.

وقال ابن جرير(٤٦): حدثنا محمد بن مثنىٰ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن [عُبَيد][٢] اللّٰه بن أبي يزيد قال: رأىٰ ابن عباس صبيانًا ينزو بعضهم علىٰ بعض، يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية.

فالحديث الأول: قال الإمام أحمد(٤٧):

حَدَّثَنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عُمَر بن قتادة، عن محمود ابن لَبِيد، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول: «يُفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال اللّٰه -عز وجل-: ﴿من كل حدب ينسلون﴾فيغشون الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلىٰ مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيَهم، ويشربون مياه الأرض، حتىٰ إن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتىٰ يتركوه يَبِسًا، حتىٰ إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان هٰهنا ماء مرةً، حتىٰ إذا لم يبق من الناس أحدٌ إلا أحد في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء. قال ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلىٰ السماء، فترجع إليه مُخْتَضَبَةً

(٤٦) - أخرجه الطبرى (٨٨/١٧).
(٤٧) - أخرجه أحمد (٧٧/٣).

[١] - في ز: «كأنك».
[٢] - في ز: «عبد».

دمًا - للبلاء والفتنة - فبينما هم علىٰ ذلك، [إذ][١] بعث اللَّه عز وجل دودًا في أعناقهم كَنَغَف الجراد الذي يخرج في أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشرى لنا نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد رجل منهم محتسبًا نفسه، وقد أوطنها علىٰ أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتىٰ، بعضهم علىٰ بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، إن اللَّه -عز وجل- قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويُسَرِّحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، [فَتَشْكر عنهم][٢] كأحسن ما [شكرت][٣] عن شيء من النبات أصابته قط

ورواه ابن ماجة(٤٨) من حديث يونس بن بكير، عن ابن إسحاق به

(الحديث الثاني): قال [الإمام][٤] أحمد(٤٩) أيضًا: حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيىٰ بن جابر الطائي قاضي حمص، حدثني عبد الرحمن بن جُبَير بن نفير الحضرمي، عن أبيه، أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في [طائفة النخل][٥] [فلما رُحْنَا إليه عرف ذلك في وجوهنا، فسألناه فقلنا: يا رسول اللَّه، ذكرت الدجال الغداة، فخفضت فيه ورفعت حتىٰ ظنناه في طائفة النخل؟][٦] فقال: «غير الدجال [أخوف مني][٧] عليكم، فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي علىٰ كل مسلم؛ إنه شاب جعد قَطَط، عينه طافية، وإنه يخرج [خَلَّة][٨] بين الشام والعراق [فعاث][٩] يمينًا وشمالًا، يا عباد اللَّه اثبتوا». قلنا: يا رسول اللَّه، ما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول اللَّه، فذاك اليوم الذي هو كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول اللَّه، فما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح»، قال: فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون

---

(٤٨) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب: طلوع الشمس من مغربها، حديث (٤٠٧٩) (١٣٦٣/٢ - ١٣٦٤).

(٤٩) - المسند (١٨١/٤ - ١٨٢).

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «فتسكر عنه».

[٣] - في ز: «تسكر».

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - في ز: «ناحية المسجد».

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - في ت: «أخوفني».

[٨] - في ز: «حيله».

[٩] - في ز: «فيعاث».

له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت [ذُرًا][١]، وأمده خواصر، [وأسبغه][٢] ضروعًا. ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قولَه، فتتبعه أموالهم، فيصبحون مُمْحلين، ليس لهم من أموالهم شيء، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل(١). قال: ويأمر برجل فيُقتل، فيضربه بالسيف، فيقطعه جَزْلَتَيْن رَمْيَة الغرض(٢)، ثم يدعوه فيقبل إليه [يتهلل وجهه][٣] فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله -عز وجل- المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مَهْرُودَتَين(٣) واضعًا يده على أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه، فيقتله عند باب لُدّ الشرقي». قال: «فبينما هم كذلك إذ أوحى الله -عز وجل- إلى عيسى ابن مريم -عليه السلام-: أني قد أخرجت عبادًا من عبادي لا [يَدَانِ][٤] لك بقتالهم، فَحَوِّز عبادي إلى الطور، فيبعث الله -عز وجل- يأجوج ومأجوج، وهم كما قال الله تعالى: ﴿من كل حدب ينسلون﴾، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله -عز وجل- فيرسل الله عليهم نَغَفًا(٤) في رقابهم، فيصبحون [فَرْسَى][٥] كموت نفس واحدة. فيهبط عيسى وأصحابه، فلا يجدون في الأرض بيتًا إلا قد ملأه زَهَمُهم(٥) ونَتنهم، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله -عز وجل- فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله».

[قال ابن جابر: فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب - أو غيره - قال: فتطرحهم [بالمهبل][٦] [فقلت: يا أبا يزيد، وأين المَهْبِل؟][٧] قال: مطلع الشمس. قال: «ويرسل الله مطرًا لا يكُنُّ(٦) منه بيت مَدَر ولا وبر أربعين يومًا، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة(٧)، ويقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. قال: فيومئذ يأكل النفر

(١) يعاسيب النحل: قال النووي: هي ذكور النحل. شرح مسلم (١٨/٦٦).

(٢) جزلتين: أي قطعتين. ورمية الغرض: أي أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته. شرح مسلم (١٨/٦٧).

(٣) معناه: لابس مهرودتين: أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. شرح مسلم (١٨/٦٧).

(٤) جمع نغفة: وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم. النهاية (٥/٨٧).

(٥) زهمهم: دسمهم. شرح النووي على مسلم (١٨/٦٩).

(٦) يكن: يمنع.

(٧) الزلفة: قيل: هي المرآة شبهها بها لنظافتها واستوائها. وقيل: الروضة. وقيل: غير ذلك. النهاية (٢/٣٠٩).

[١] - في ز: «درًا»؟

[٢] - في ز: «أشبعه».

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ز: «بدان».

[٥] - في ز: «موتى». وفرسى جمع فريس، وهو القتيل. النهاية (٣/٤٢٨).

[٦] - في ز: «بالمهل».

[٧] - سقط من: ز.

من الرمانة ويستظلون بقحفها(١) ، ويبارك في [الرسْل][١] ، حتىٰ إن اللّقْحَة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، واللقحة من البقر تكفي الفخذ ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت » قال : فبينما هم علىٰ ذلك ، إذ بعث اللَّه -عز وجل- [ريحًا طيبة][٢] تحت آباطهم ، [فتقبض][٣] روح كل مسلم » - أو قال : « مؤمن » - « ويبقىٰ شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير(٢) ، وعليهم تقوم الساعة » .

انفرد بإخراجه مسلم(٥٠) دون البخاري ، فرواه مع بقية أهل السنن(٥١) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(الحديث الثالث) : قال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن عمرو [عن][٤] ابن حرملة . عن خالته قالت : خطب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وهو عاصب أصبعَه من لدغة عقرب ، فقال : « [إنكم][٥] تقولون : لا عدو [لكم][٦] ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًّا ، حتىٰ يأتي يأجوج ومأجوج ، عراض الوجوه ، صغار العيون ، صُهْب [الشعاف][٧] من كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجان المطرقة .

وكذا رواه ابن أبي حاتم : من حديث محمد بن [عمرو][٨] ، عن خالد بن عبد اللَّه بن حرملة المدلجي ، عن خالة له ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فذكره مثله .

(الحديث الرابع) : قد تقدم في تفسير آخر سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد(٥٣) عن

---

(١) قحفها : قشرها . النهاية (١٧/٤) .

(٢) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك . شرح النووي على مسلم (٧٠/١٨) .

(٥٠) - أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه ، حديث (٢١٣٧/١١٠) (٨٥/١٨ - ٩٣) .

(٥١) - سنن أبي داود في الملاحم ، باب : خروج الدجال ببعضه برقم (٤٣٢١) ، وسنن الترمذي في الفتن برقم (٢٢٤٠) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٧٨٣) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤٠٧٥) .

(٥٢) المسند (٢١٧/٥) .

(٥٣) المسند (٣٧٥/١) ، وابن ماجه برقم (٤٠٨١) ، وسبق عند تفسير الآية : ١٨٧ من سورة الأعراف .

---

[١] - في ز : « المرسل » . والرسل : اللبن .

[٢] - في ز : « الحاطيبه » .

[٣] - في ز : « فيقبض » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من ت .

[٧] - في ز : « العساف » . وصهب الشعاف ، أي : صُهب الشعور . [النهاية ٤٨٢/٢]

[٨] - في ز : « عمر » .

هشيم، عن العوام، عن جبلة بن سحيم، عن مُؤثر بن [عَفَازَةَ][١]، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسىٰ - عليهم السلام - قال: فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلىٰ إبراهيم، فقال: لا علم لي [بها][٢]. فردوا أمرهم إلىٰ موسىٰ، فقال: لا علم لي [بها][٣]. فردوا أمرهم إلى عيسىٰ، فقال: أما [وجبتها][٤] فلا يعلم بها أحد إلا الله، [وفيما][٥] عهد إليَّ ربي أن الدجال خارج، [قال:][٦] ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتىٰ إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافرًا، فتعال فاقتله. قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم. قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم، لا يأتون علىٰ شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون علىٰ ماء إلا شربوه. قال: ثم يرجع الناس [إليّ][٧] يشكونهم، فأدعو الله عليهم، فيهلكهم ويميتهم، حتىٰ تجوىٰ الأرض من نَتْن ريحهم، وينزل الله المطر، فيجترف أجسادهم، حتىٰ يقذفهم في البحر، ففيما عهد إليَّ ربي أن ذلك إذا كان كذلك، أن الساعة كالحامل المُتِمّ، لا يدري أهلها متى تَفْجؤهم [بولادها][٨] ليلًا أو نهارًا.

ورواه ابن ماجة: عن محمد بن بشار، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب به، نحوه وزاد: قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله - عز وجل - ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾.

ورواه ابن جرير هٰهنا من حديث جبلة به(٥٤).

والأحاديث في هذا كثيرة جدًا، والآثار عن السلف كذلك.

وقد روىٰ ابن جرير(٥٥) وابن أبي حاتم: من حديث معمر، عن غير واحد، عن حميد بن هلال، عن أبي [الضَّيف][٩] قال: قال كعب: إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج، حفروا حتىٰ يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل قالوا: نجيء غدًا فنخرج.

(٥٤) تفسير الطبري (١٧/٧٢).

(٥٥) تفسير الطبري (١٧/٧١).

[١] - في ز: «عفان».

[٢] - في ز: «فيها».

[٣] - في ز: «فيها».

[٤] - في ز: «وجهها».

[٥] - في ز: «مما».

[٦] - سقط من: ز.

[٧] - سقط من: ز.

[٨] - في ز: «بولادتها».

[٩] - في ت: «الصيف».

فيعيده الله كما كان، فيجيئون من الغد، فيجدونه قد أعاده الله كما كان، فيحفرون حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل ألقىٰ الله علىٰ لسان رجل منهم يقول: نجيء غدًا فنخرج إن شاء الله. فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه، فيحفرون حتىٰ يخرجوا، فتمر الزمرة الأولىٰ بالبحيرة فيشربون ماءها، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان هٰهنا مرة ماء. ويفر الناس منهم، فلا يقوم لهم شيء، ثم يرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع إليه مُخَضَّبَة بالدماء، فيقولون: غلبنا أهل الأرض وأهل السماء. فيدعو عليهم عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - فيقول: اللهم لا طاقة ولا يَدَيْن لنا بهم، [فاكفناهم][١] بما شئت. فيسلط الله عليهم دودًا، يقال له: النغف فيفرس رقابهم، ويبعث الله عليهم طيرًا تأخذهم بمناقيرها فتلقيهم في البحر، ويبعث الله عينًا يقال لها: الحياة، يطهر الله الأرض وينبتها، حتىٰ إن الرمانة ليشبع منها السَّكن - قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت - قال: فبينما الناس كذلك، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده، [قال:][٢] فيبعث عيسىٰ ابن مريم طليعة سبعمائة - أو بين السبعمائة والثمانمائة - حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله ريحًا يمانية طيبة، فيقبض فيها روح كل مؤمن، ثم يبقىٰ عجاج من الناس فيتسافدون كما [يتَسَافد][٣] البهائم، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه [ينتظرها][٤] متى تضع. قال كعب: فمن [قال بعد][٥] قولي هذا شيئًا أو [بعد علمي][٦] هذا شيئًا فهو المتكلف.

هذا من أحسن سياقات كعب الأحبَار، لما شهد له من صحيح الأخبار، وقد ثبت [في][٧] الحديث: أن عيسىٰ ابن مريم يحج البيت العتيق.

وقال الإمام أحمد(٥٦): حَدَّثَنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد الله ابن أبي عتبة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**» **انفرد بإخراجه البخاري**.

وقوله: ﴿**واقترب الوعد الحق**﴾، يعني: يوم القيامة، إذا وجدت هذه الأهوال والزلازل والبلابل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت قال الكافرون ﴿**هذا يوم عسر**﴾، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿**فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**﴾، أي: من شدة ما يشاهدونه

---

(٥٦) المسند (٢٧/٣)، وصحيح البخاري برقم (١٥٩٣).

---

[١] - في ت: «فاكفيناهم».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - في ت: «تسافد».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «يعد».
[٦] - في ت: «بعد عملي».
[٧] - سقط من: ز.

من الأمور العظام ﴿يا ويلنا﴾، أي: يقولون: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾، أي: في الدنيا ﴿بل كنا ظالمين﴾يعترفون بظلمهم لأنفسهم، حيث لا ينفعهم ذلك.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ
(٩٨) لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٩٩) لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا
ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا
ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)

يقول تعالى مخاطبًا لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾قال ابن عباس: أي: وقودها. يعني كقوله: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾وقال ابن عباس أيضًا: ﴿حصب جهنم﴾بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال: ﴿حصب جهنم﴾يعني: حطب جهنم بالزنجية. وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة عليّ وعائشة -رضي الله عنهما- وقال الضحاك: ﴿حصب جهنم﴾أي ما يرمى به فيها. وكذا قال غيره، والجميع قريب.

وقوله: ﴿أنتم لها واردون﴾، أي: داخلون، ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾، يعني: لو كانت [يعني][١] هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله -آلهة صحيحة، لما وردوا النار ولما دخلوها ﴿وكل فيها خالدون﴾، أي: العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون ﴿لهم فيها زفير﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ والزفير خروج أنفاسهم، والشهيق ولوج أنفاسهم ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي، حدثنا ابن فُضيل، حدثنا عبد الرحمن - يعني المسعودي- عن أبيه قال: قال ابن مسعود: إذا بقي من يخلد في النار، جعلوا في توابيت من نار، فيها مسامير من نار، فلا يرىٰ أحد منهم أنه يعذب في النار غيره، ثم تلا عبد الله: ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾.

[١] - سقط من ت.

ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن المسعودي عن يونس بن [خباب][١] عن ابن مسعود فذكره.

وقوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة ﴿أولئك عنها مبعدون﴾، لما ذكر تعالىٰ أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسله، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿[للذين][٢] أحسنوا الحسنىٰ وزيادة﴾وقال: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله [مآلهم][٣] وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحَصَّل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أولئك عنها﴾ [أي: النار][٤] ﴿مبعدون * لا يسمعون حسيسها﴾أي: حريقها في الأجساد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبيه، [عن الجريري][٥]، عن أبي عثمان: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قال: حس حس.

وقوله: ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾، فسلمهم من المحذور والمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي سُريج، حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمداني، عن ليث بن أبي سليم، عن ابن عم النعمان بن بشير، [عن النعمان بن بشير][٦] قال: [وسمر][٧] مع عليّ ذات ليلة، فقرأ: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾، قال: أنا منهم، وعمر منهم، وعثمان منهم، والزبير منهم، وطلحة منهم، وعبد الرحمن منهم - أو قال: سعد [منهم][٨] - قال: وأقيمت الصلاة فقام، وأظنه يجر ثوبه، وهو يقول: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾.

وقال شعبة: عن أبي بشر، عن يوسف المكي، عن محمد بن حاطب قال: سمعت عليًا

---

[١] - في ز: «حباب».
[٢] - في ز: «الذين».
[٣] - في ت: «مآبهم».
[٤] - سقط من ت.
[٥] - في ز: «عن أبي عثمان الحديدي».
[٦] - سقط من: ز.
[٧] - في ز: «سمن».
[٨] - سقط من: ز.

يقول في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال: عثمان وأصحابه.

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا، ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد - وليس بابن ماهك - عن محمد بن حاطب، عن عليّ، فذكره، ولفظه: عثمان منهم.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾: فأولئك أولياء الله، يمرون علىٰ الصراط مرًّا هو أسرع من البرق، ويبقىٰ الكفار فيها جثيًا.

فهذا مطابق لما ذكرناه. وقال آخرون: بل نزلت استثناء من المعبودين، وخرج منهم عزير والمسيح، كما قال حجاج بن محمد الأعور عن [ابن][١] جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ثم استثنىٰ فقال: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، فيقال: هم الملائكة وعيسىٰ، ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل. وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج.

وقال الضحاك: عن ابن عباس في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال: نزلت في عيسى بن مريم وعزير عليهما السلام.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسين بن عيسىٰ بن ميسرة، حدثنا أبو زهير، حدثنا سعد بن طريف، عن الأصبغ، عن عليّ في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾، قال: كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسىٰ ابن مريم. إسناده ضعيف.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾قال: عيسى وعزير والملائكة.

وقال الضحاك: عيسىٰ ومريم والملائكة والشمس والقمر. وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد. وقد روىٰ ابن أبي حاتم(٥٧) في ذلك حديثًا غريبًا جدًّا فقال: حدثنا الفضل بن يعقوب [الرُّخامي]، حدثنا سعيد بن [مسلمة][٢] بن عبد الملك، حدثنا ليث بن أبي سليم، عن مغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى [أولئك عنها مبعدون][٣]﴾، قال: «عيسىٰ وعزير والملائكة». وذكر بعضهم قصة ابن الزبعرىٰ ومناظرة المشركين.

---

(٥٧) في إسناده سعيد بن مسلمة وشيخه ليث بن أبي سليم وهما ضعيفان.

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «سلمة».

[٣] - سقط من: ز.

قال أبو بكر بن مردويه: حَدَّثَنا محمد بن عليّ [بن][١] سهل، حدثنا محمد بن حسن الأنماطي، حدثنا إبراهيم بن محمد [بن][٢] عَرْعَرَة، حدثنا يزيد بن أبي حكيم، حدثنا الحكم - يعني ابن أبان - عن عكرمة، عن ابن عباس قال: جاء عبد اللّه بن الزبعرى إلىٰ النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال: تزعم أن اللّه أنزل عليك هذه الآية: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾؟ [فقال][٣] ابن الزبعرىٰ: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسىٰ ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون وقالوا آآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾، ثم نزلت: ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون** ﴾. رواه الحافظ أبو عبد اللّه في [كتاب][٤]: «الأحاديث المختارة».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان - يعني الثوري - عن الأعمش، عن أصحابه، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾. قال المشركون: فالملائكة وعزير وعيسىٰ يُعْبَدون من دون اللّه؟ فنزلت: ﴿ **لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها** ﴾. الآلهة التي يعبدون، ﴿ **وكل فيها خالدون** ﴾.

وروي عن أبي كدينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثل ذلك. وقال: فنزلت: ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون** ﴾

وقال محمد بن إسحاق بن يسار(٥٨) - رحمه اللّه - في كتاب «السيرة»: وجلس رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم - فيما بلغني - [يومًا][٥] مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتىٰ جلس معهم، وفي [المجلس][٦] غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم حتىٰ أفحمه، وتلا عليه وعليهم: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون** ﴾ثم قام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأقبل عبد اللّه بن الزِّبعْرَىٰ السهمي حتىٰ جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد اللّه ابن الزبعرىٰ: واللّه ما قام النضر بن

(٥٨) السيرة النبوية لابن هشام (٣٥٨/١)، ورواه الطبري في تفسيره (٧٦/١٧).

[١] - في ز: «ثنا».
[٢] - في ز: «عن».
[٣] - في ز: «قال».
[٤] - في ت: «كتابه».
[٥] - سقط من: ز.
[٦] - في ت: «المسجد».

الحارث لابن عبد المطلب آنفًا ولا قعد، وقد زعم محمد [أنَّا وما][١] نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد اللَّه بن الزبعرىٰ: أما واللَّه لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدًا: [أكل][٢] ما يُعْبَد من دون اللَّه في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود [تعبد][٣] عزيرًا، والنصارىٰ [تعبد][٤] عيسىٰ ابن مريم؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد اللَّه بن الزبعرىٰ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم. فذكر ذلك لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال: «**كل من أحب أن يُعْبَد من دون اللَّه فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن [أمرتهم][٥] بعبادته**». وأنزل اللَّه: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون**﴾.
أي: عيسىٰ وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان، الذين مضوا علىٰ طاعة اللَّه، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون اللَّه.

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات اللَّه: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾إلىٰ قوله: ﴿**ومن يقل منهم: إني إله من دونه، فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**﴾. ونزل فيما ذكر من أمر عيسىٰ، وأنه يعبد من دون اللَّه، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصِدُّون، وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هُوَ ما ضربوه لك إلَّا جدلًا بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترُنَّ بها**﴾. أي: ما وضعت علىٰ يديه من الآيات؛ من إحياء الموتىٰ، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلًا على علم الساعة، يقول: ﴿**فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم**﴾. وهذا الذي قاله ابن الزبعرىٰ خطأ كبير؛ لأن الآية إنما نزلت خطابًا لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقريعًا وتوبيخًا لعابديها، ولهذا قال: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حصب جهنم**﴾. فكيف يورد علىٰ هذا المسيح والعزير ونحوهما، ممن له عمل صالح، ولم يرض بعبادة من عبده؟ وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب علىٰ أن «ما» لما لا يعقل [عند][٦] العرب، وقد أسلم عبد اللَّه بن الزبعرىٰ بعد ذلك، وكان من الشعراء المشهورين، كان يهاجي المسلمين أولًا ثم قال معتذرًا:

يا رسول المليك؛ إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

---

[١] - في ز: «أبان».
[٢] - في ت: «كل».
[٣] - في ز: «يعبدوا».
[٤] - في ز: «يعبدوا».
[٥] - في ز: «أمرهم».
[٦] - في ز: «عن».

إذ أجاري الشيطانَ في سَنَن الغَيّ ومن مال مَيلَه مَثْبُور

وقوله: ﴿**لا يحزنهم الفزع الأكبر**﴾، قيل: المراد بذلك الموت. رواه عبد الرزاق، عن يحيى بن ربيعة، عن عطاء.

وقيل: المراد بالفزع الأكبر: النفخة في الصور. قاله العوفي عن ابن عباس، وأبو سنان [سعيد][١] بن سنان الشيباني، واختاره ابن جرير في تفسيره.

وقيل: حين يؤمر بالعبد إلى النار. قاله الحسن البصري.

وقيل: حين تطبق النار على أهلها. قاله سعيد بن جبير وابن جريج.

وقيل: حين يذبح الموت بين الجنة والنار. قاله أبو بكر الهذلي فيما رواه ابن أبي حاتم عنه.

وقوله: ﴿**وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾. يعني: تقول لهم الملائكة، تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: ﴿**هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾. أي: قابلوا ما يسركم.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

يقول تعالى: هذا [كائن][٢] يوم القيامة ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**[٣]﴾. كما قال تعالى: ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾. وقد قال البخاري: حدثنا مقدم بن محمد، حدثني عمي القاسم بن يحيى، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماوات بيمينه».

انفرد به من هذا الوجه البخاري (٥٩) رحمه الله.

(٥٩) صحيح البخاري برقم (٧٤١٢).

[١] - في ز: «سعد». [٢] - في ز: «كان».

[٣] - في ز في هذا الموضع وما بعده: ﴿للكتاب﴾ وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤٣١.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن [مسلمة][١] ، عن أبي [المواصل][٢] ، عن أبي المليح الأزدي ، عن أبي الجوزاء الأزدي ، عن ابن عباس قال : يطوي الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة ، والأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوي ذلك كله بيمينه ، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة .

وقوله : ﴿ **كطيّ السجل للكتب** ﴾ . قيل : المراد [بالسجل : الكتاب . وقيل : المراد][٣] بالسجل ههنا : ملك من الملائكة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا يحيىٰ بن [يمان][٤] ، حدثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر في قوله تعالىٰ : ﴿ **يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتاب** ﴾ ، قال : السجل ملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال : اكتبها نورًا .

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان [به][٥] .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي [جعفر][٦] محمد بن عليّ بن الحسين أن السجل ملك .

وقال السدي في هذه الآية : السجل ملك موكل بالصحف ، فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلىٰ السجل فطواه ، ورفعه إلىٰ يوم القيامة .

وقيل : المراد [به][٧] اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، حدثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : [﴿ **يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب** ﴾ ، قال : السجل هو الرجل .

قال نوح : وأخبرني يزيد بن كعب - هو العَوْذي - عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس][٨] قال : السجل كاتب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي(٦٠) عن قتيبة بن سعيد ، عن نوح بن قيس ، عن يزيد بن

(٦٠) سنن أبي داود برقم (٢٩٣٥) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٣٥) .

[١] - في ت : « سلمة » .
[٢] - في ت : « الواصل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « أبان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « حفص » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من : ز .

كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن جرير عن نصر بن عليّ الجهضمي كما تقدم ، ورواه ابن عدي(٦١) من رواية يحيىٰ بن عمرو بن مالك [النُّكريّ][١] ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كاتب يسمَّىٰ السجل ، وهو قوله : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب** ﴾ ، قال : كما يطوي السجل الكتاب ، كذلك نطوي السماء ، ثم قال : وهو غير محفوظ .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه (٦٢) : أنبأنا أبو بكر البَرْقاني ، أنبأنا محمد بن محمد ابن يعقوب الحجاجي ، أنبأنا أحمد بن الحسن الكرخي ، أن حمدان بن سعيد حدثهم ، عن عبد الله بن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا منكر جدًّا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلًا ، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره ، لا يصح أيضًا . وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه - وإن كان في سنن أبي داود - منهم : شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ، ونسأ في أجله ، وختم له بصالح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءًا علىٰ حدة ، ولله الحمد .

وقد تصدىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار علىٰ هذا الحديث ، ورده أتم ردٍّ ، وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل ، وكتاب النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، [معروفون][٢] ، وليس فيهم أحد اسمه السجل . وصدق - رحمه الله - في ذلك ، وهو من أقوىٰ الأدلة علىٰ [نكارة][٣] هذا الحديث . وأما مَنْ ذكر في أسماء الصحابة هذا ، فإنما اعتمد علىٰ هذا الحديث ، لا علىٰ غيره ، والله أعلم .

والصحيح عن ابن عباس أن السجل هىٰ الصحيفة ، قاله عليّ بن أبي طلحة [والعوفي][٤] عنه . ونص علىٰ ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ؛ لأنه المعروف في اللغة ، فعلىٰ هذا يكون معنىٰ الكلام : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب** ﴾ أي : علىٰ الكتاب ، بمعنى المكتوب ؛ كقوله : ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ أي : على الجبين ، وله نظائر في اللغة ، والله أعلم .

---

(٦١) الكامل (٧/٢٠٥) .

(٦٢) تاريخ بغداد (٨/١٧٥) .

---

[١] - في ز : « البكري » .

[٢] - في ز : « معروفين » .

[٣] - في ز : « إنكاره » .

[٤] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ ، يعني : هذا كائن لا محالة ، يوم يعيد اللَّه الخلائق خلقًا جديدًا ، كما بدأهم هو القادر علىٰ إعادتهم ، وذلك واجب الوقوع ؛ لأنه من جملة وعد اللَّه الذي لا يخلف ولا يبدل ، وهو القادر علىٰ ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **إنا كنا فاعلين** ﴾ .

قال الإمام أحمد (٦٣) : حدثنا وكيع وابن جعفر [وعفان][١] - المعنىٰ - [قالوا :][٢] حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قام فينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بموعظة فقال : « **إنكم محشورون إلىٰ اللَّه - عز وجل - حفاة [عراة][٣] غُرلًا ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾** . وذكر تمام الحديث .

أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، ورواه البخاري عند هذه الآية في كتابه . وقد روىٰ ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن عائشة ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، نحو ذلك .

وقال العَوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ قال : نهلك كل شيء كما كان أول مرة .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين ، من السعادة في الدنيا والآخرة ، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ . [وقال][٤] : ﴿ **إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ وقال : ﴿ **وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم** ﴾ . الآية .

---

(٦٣) المسند (١/٢٣٥) ، وصحيح البخاري برقم (٤٦٢٥) ، (٤٧٤٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٠) .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ت : « قالا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .

وأخبر تعالىٰ أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾ .

[قال الأعمش : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾][١] ؟، فقال : الزبور : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن .

وقال مجاهد : الزبور : الكتاب .

وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور : الذي أنزل علىٰ داود ، والذكر : التوراة .

وعن ابن عباس : الزبور : القرآن . وقال سعيد بن جبير : الذكر الذي في السماء .

وقال مجاهد : الزبور : الكتب بعد الذكر ، والذكر : أم الكتاب عند اللّٰه .

واختار ذلك ابن جرير - رحمه اللّٰه - وكذا قال زيد بن أسلم : [هو][٢] الكتاب الأول . وقال الثوري : هو اللوح المحفوظ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور : الكتب التي نُزّلت علىٰ الأنبياء ، والذكر : أم الكتاب الذي يكتب فيه [الأشياء][٣] قبل ذلك .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر اللّٰه - سبحانه وتعالىٰ - في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة ، وهم الصالحون .

وقال مجاهد : عن ابن عباس : ﴿ **أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ ، قال : أرض الجنة . وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير والشعبي ، وقتادة ، والسدي وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، والثوري .

وقال أبو الدرداء : نحن الصالحون .

وقال السديُّ : هم المؤمنون .

وقوله : ﴿ **إن في هذا لبلاغًا لقوم عابدين** ﴾ . أي : إن في هذا القرآن الذي أنزلناه علىٰ عبدنا محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **لبلاغًا** ﴾ : لَمَنفعةً وكفاية ﴿ **لقوم عابدين** ﴾ ،

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز: « وهو » .
[٣] - في ز: « الأنبياء » .

وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه ، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم .

وقوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ . يخبر تعالى أن الله جعل محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، أي : أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة ، وشكر هذه النعمة ، سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها [وبئس][١] القرار** ﴾ . وقال الله تعالى في صفة القرآن : ﴿ **قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾.

وقال مسلم في صحيحه(٦٤) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا مروان الفزاري ، عن يزيد بن كيسان ، عن ابن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، ادع على المشركين . قال : « إني لم أبعث لعانًا ، وإنما بعثت رحمة » . انفرد بإخراجه مسلم .

وفي الحديث الآخر(٦٥) : « إنما أنا رحمة مهداة » . رواه عبد الله بن أبي عرابة وغيره ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا . قال إبراهيم الحربي : وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة ، وكذا قال البخاري ، وقد سئل عن هذا الحديث فقال : كان عند حفص بن [غياث][٢] مرسلًا .

وقال الحافظ ابن عساكر : وقد رواه مالك [ابن سعير بن الخمس][٣] عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا . ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقري وأبي أحمد الحاكم ، كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم [الصوفي][٤] ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن [قيس][٥] بن أبي حازم ، عن

(٦٤) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٩) .
(٦٥) رواه أبو الحسن السكرى في « الفوائد المنتقاة » (٢/١٥٧) . كما في السلسلة الصحيحة (١/٨٠٣) للألباني - حدثنا عبد الله بن محمد بن أسد ، حدثنا حاتم بن منصور الشاشي قال : حدثنا عبد الله بن أبي عرابة الشاشي به .
ورواه غيره متصلًا :
فرواه عبد لله بن نصر الأصم ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا . أخرجه

[١] - في ز : « فبئس » .
[٢] - في ز : «عتاب » .
[٣] - في ز : « بن سعيد بن الحميص » .
[٤] - في ز : « الصرفي » .
[٥] - في ز : « حسن » .

أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود ، عن سفيان بن عيينة ، عن مسعر ، عن سعيد بن خالد ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إن اللَّه بعثني رحمة مهداة ، بعثت برفع قوم وخفض آخرين » .

قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان ، حدثنا أحمد بن صالح قال : وجدت كتابًا بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردي وإبراهيم بن محمد بن [عبد العزيز بن][١] عمر ابن عبد الرحمن [بن عبد العزيز بن عمرو][٢] بن عوف ، عن محمد بن صالح التمار ، عن [ابن شهاب][٣] ، عن محمد بن [جبير][٤] بن مطعم ، عن أبيه قال : قال أبو جهل حين قدم [مكة][٥] منصرفه عن حمزة - :

يا معشر قريش ، إن محمدًا نزل يثرب وأرسل طلائعه ، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئًا ، فاحذروا أن تمروا طريقه أو [تقاربوه][٦] فإنه كالأسد الضاري ، إنه حنق عليكم ؛ لأنكم نفيتموه نفي القردان عن [المناسم][٧] ، واللَّه إن له لَسَحَرَةً ، ما رأيته قط ولا أحدًا من أصحابه إلا رأيت معهم الشيطان ، وإنكم قد عرفتم عداوة ابنيْ قَيْلَةَ - يعني الأوس والخزرج - لهو عدو استعان بعدو ، فقال له مطعم بن عدي : يا أبا الحكم ، واللَّه ما رأيت أحدًا أصدق لسانًا ولا أصدق موعدًا من أخيكم الذي طردتم ، وإذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكف الناس عنه . قال [أبو سفيان][٨] بن الحارث : كونوا أشد ما كنتم عليه ، فإنَّ ابني قَيلَة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة ، وإن أطعتموني ألجأتموهم خير كنابة ، أو تخرجوا محمدًا من بين ظهرانيهم ، فيكون وحيدًا مطرودًا ، وأما [ابنا قيلة فواللَّه ماهما][٩] وأهل دهلك في المذلة إلّا سواء ، وسأكفيكم حدهم ، وقال :

سَأَمْنَحُ جانبًا مني غليظًا على ما كان من قُربٍ وبُعْدِ

ابن عدي في الكامل (٢٣١/٤) من طريق عمر بن سنان ، عن عبد الله بن نصر .

وقال : « هكذا حدثناه عمر بن سنان ، عن عبد الله بن نصر ، عن وكيع ، عن الأعمش ، وهذا غير محفوظ عن وكيع ، عن الأعمش ، إنما يرويه مالك بن سعيد ، عن الأعمش ، وعبد الله بن نصر هذا له غير ما ذكرت مما أنكرت عليه » .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - زيادة من : ز .

[٣] - بياض في : ز .

[٤] - في ز : « حسين » .

[٥] - في ز : « سلمة » .

[٦] - في ز : « تحاربوه » .

[٧] - في ز : « المياسم » .

[٨] - بياض في : ز .

[٩] - بياض في : ز .

رجالُ الخزرَجيَّة أهلُ ذُلٍّ إذا ما كان هَزْلٌ بعد جد

فبلغ ذلك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون ، إني رحمة بعثني اللّٰه ، ولا يتوفاني حتىٰ يظهر اللّٰه دينه ، لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحي اللّٰه بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » . [وقال][١] أحمد بن صالح : أرجو أن يكون الحديث صحيحًا .

وقال الإمام أحمد (٦٦) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثني عمرو بن قيس ، عن عمرو بن أبي قرّة الكندي قال : كان حذيفة بالمدائن ، فكان يذكر أشياء قالها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فجاء حذيفة إلىٰ سلمان ، فقال سلمان : يا حذيفة ، إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [كان يغضب فيقول ، ويرضىٰ فيقول ، لقد علمت أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٢] خطب فقال : « أيما رجل من أمتي سببته [سبة][٣] في غَضَبي أو لعنته لعنةً ، فإنما أنا رجل من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين ، فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » . ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة .

فإن قيل : فأي رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له : سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ، قال : من آمن باللّٰه واليوم الآخر ، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن باللّٰه ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث المسعودي ، عن أبي سعد - وهو سعيد بن المرزُبان البقّال - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكره بنحوه ، واللّٰه أعلم .

وقد رواه أبو القاسم الطبراني(٦٧) : عن عبدان بن أحمد ، عن عيسىٰ بن يونس الرّملي ،

---

(٦٦) - أخرجه أحمد (٥/٤٣٧) (٢٣٨١٣) والبخاري في الأدب المفرد ، باب : الخروج إلى المبقلة وحمل الشئ وعلى عاتقه إلى أهله بالزبيل حديث رقم (٢٣٤) . وأبو داود في كتاب السنة ، باب : في النهى عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤/٢١٤،٢١٥/رقم : ٤٦٥٩) . كلاهما من طريق عمر بن قيس الماصر به .

(٦٧) المعجم الكبير (٢/١٢٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - بياض في : ز .

[٣] - سقط من : ز .

عن أيوب بن سويد ، عن المسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ، قال : من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلىٰ به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف .

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقول للمشركين : ﴿ **إنما يوحىٰ إليَّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون** ﴾ . أي : متبعون علىٰ ذلك ، مستسلمون منقادون له ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي : تركوا ما دعوتهم إليه ﴿ **فقل : آذنتكم علىٰ سواء** ﴾ أي : أعلمتكم [أني][١] حَرْب لكم ، كما أنكم حرب لي ، بريء منكم كما أنكم برآء مني ، كقوله : ﴿ [وإن][٢] **كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾ . وقال ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾ . أي : [ليكن][٣] علمك وعلمهم بنبذ العهود علىٰ السواء ، وهكذا هٰهنا ، ﴿ **فإن تولوا فقل : آذنتكم علىٰ سواء** ﴾ ، أي : [أعلمتكم][٤] ببراءتي منكم ، وبراءتكم مني ، لعلمي بذلك .

وقوله : ﴿ **وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون** ﴾ ، أي : هو واقع لا محالة ، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده ، ﴿ **إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون** ﴾ ، أي : إن الله يعلم الغيب جميعه ، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ، ويعلم السر وأخفىٰ ، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم ، وسيجزيهم علىٰ ذلك ، علىٰ القليل والجليل .

وقوله : ﴿ **وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين** ﴾ أي : وما أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين .

---

[١] - في ز : « أي » .
[٢] - في ز : « فإن » .
[٣] - في ز : « لكن » .
[٤] - في ز : « أعلمكم » .

قال ابن جرير : لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ، ومتاع إلىٰ أجل مسمى . وحكاه عون عن ابن عباس ، والله أعلم . ﴿ [قال][١] **ربي احكم بالحق** ﴾ ، أي : افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق .

قال قتادة : كان الأنبياء - عليهم السلام - يقولون : ﴿ **ربنا ؛ افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾ . وأُمِرَ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقولَ ذلك .

وعن مالك عن زيد بن أسلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالاً قال : ربي ؛ احكم بالحق .

وقوله : ﴿ **وربنا الرحمن المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ . أي : علىٰ ما يقولون ويفترون من الكذب ، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك ، [والله][٢] المستعان عليكم في ذلك .

[آخر تفسير سورة الأنبياء » عليهم السلام : ولله الحمد والمنة][٣] .

انتهى بحمد الله تعالى وحسن توفيقه المجلد التاسع

ويليه العاشر وأوله تفسير سورة الحج

---

[١] - في ز : « قل » .

[٢] - في ز : « الله » .

[١] ٠ في ز : « والحمد لله » .

الفهرست

نهيه سبحانه وتعالى عباده عن الزنا ٠٥
سؤال إبليس النَّظِرة ٣٣
تكريم بني آدم ٤٤
الكلام على الروح ٧١
لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا ٧٦
إيتاء موسى عليه السلام التسع آيات ٨٦
تفسير سورة الكهف ٩٩
قصة أصحاب الكهف ١٠٥
قصة صاحب الجنتين ١٣٦
قصة سيدنا موسى مع الخضر ١٦١
قصة ذي القرنين ١٨٢
تفسير سورة مريم ٢١٣
قصة سيدنا زكريا عليه السلام ٢١٣
قصة السيدة مريم ٢٢٤
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ٢٥١
قصة سيدنا موسى عليه السلام ٢٥٤
قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام ٢٥٧
قصة سيدنا إدريس عليه السلام ٢٦٠
المرور على الصراط ٢٧٧
تفسير سورة طه ٣٠٩
قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ٣١٩
تفسير سورة الأنبياء ٣٨٩
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ٤١١
قصة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام ٤٢٠
قصة سيدنا أيوب عليه السلام ٤٢٦
قصة سيدنا إسماعيل وإدريس عليهما السلام ٤٣١
قصة سيدنا يونس عليه السلام ٤٣٤
الفهرست ٤٦٣